



کتابخانه و اسناد ملی جمهوری اسلامی ایران

کتاب السودان

بين یدی غوردن وکتشنر

تأليف
إبراهيم فوزي باشا

تقديم
أ. د. عبد الوهاب بكر



الجزء الأول

کتاب
السودان
بين يدى غوردن وكتشنر



تأليف

تقديم

الجزء الأول

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

٢٠٠٨ - ١٤٢٩ هـ

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة
أ.د. محمد صابر عرب

فوزى، إبراهيم.

كتاب السودان بين يدي غردون وكتشنر/ تأليف
إبراهيم فوزى؛ تقديم عبد الوهاب بكر . - القاهرة: دار
الكتب والوثائق القومية، 2008 .

مج 1 : 29 سم.

يشتمل على إرجاعات بيليو جرافية

تدمك 2 - 0562 - 18 - 977

١ - السودان - تاريخ - والعصر الحديث

أ - جوردون ، شالز جورج، ١٨٢٣ - ١٨٨٥

ب - كتشنر، هوراشيو هيرت ١٨٥٠ - ١٩١٦

ج - بكر، عبد الوهاب (مقدم)

د - العنوان

٩٦٢،٤

إخراج وطباعة:

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

لا يجوز استنساخ أى جزء من هذا العمل بأى
طريقة كانت إلا بعد الحصول على تصريح كتابى
من الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٨/١١٤٣٢

I.S.B.N. 977 - 18 - 0562 - 2

كتاب
السُّلُوكِ
بَيْنَ يَدَيِ الْفِرْدَوْسِ وَكُنُشَاتِ

تأليف

أبراهيم فوزي باشا

لجئ الأول

طبع على نفقة مؤلفه وإدارة جريدة المؤيد
حقوق الطبع والترجمة محفوظة لهما

(تم طبعه في شهر صفر سنة ١٣١٩ هجرية)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا هو الجزء الأول من كتاب (السودان بين يدى غوردون وكتشنر) للواء إبراهيم باشا فوزى ، أحد ضباط الجيش المصرى فى القرن التاسع عشر . وقد صدر الكتاب سنة ١٩٠١ بعد سنوات قليلة من خلاص مؤلفه من أسر المهدوية فى السودان بعد فتحه على يد الجنرال كتشنر (٢٤ يونيو ١٨٥٠ - ٥ يونيو ١٩١٦) فى سنة ١٨٩٨ م .

موضوع الكتاب هو الثورة التى قادها محمد أحمد المهدى (١٨٤٤ - ١٨٨٥م) فى أخريات الحكم المصرى فى السودان بدءاً من ١٨٨١ والتى أدت إلى خروج مصر من البلاد حين أخذت بريطانيا قراراً بإخلائه من القوات المصرية ، حتى إعادة فتحه سنة ١٨٩٦ - ١٨٩٨ على يد (كتشنر) كما أسلفت . والكتاب يعد من أهم ما كتب عن الثورة المهدية والعلاقات المصرية السودانية خلال الفترة (١٨٧٤ - ١٨٩٨) وهى الفترة التى قضاها المؤلف بين ربوع السودان كضابط فى الجيش المصرى هناك ، وأسيراً لدى المهديين حتى خلاصه من الأسر سنة ١٨٩٨ . ويرتبط عنوان الكتاب ببداية حكم غوردون للسودان (١٨٧٤) ونهاية الثورة فى سنة ١٨٩٨ على يد (كتشنر) ، والدلالة هنا واضحة ، فهو يقصد الكتابة عن تاريخ السودان بين عهدى الرجلين غوردون وكتشنر .

قبل الدخول فى علاقة المؤلف بالسودان - وهى صلب العمل - أقول أن الرجل (إبراهيم فوزى) ولد فى سنة ١٨٤٨م تقريباً فقد كان عمره ثلاثين عاماً سنة ١٨٧٨ حسب أقواله ، وكل ما ذكره عن تعليمه هو أنه كان برتبة (أسبران) فى الجيش ، وهى رتبة كانت تقع بين ضابط الصف والملازم ثان ، مما يفهم معه أنه لم يتخرج من المدرسة الحربية ، ذلك أن خريج المدرسة الأخيرة يحصل على رتبة الملازم ثان لدى تخرجه .

عمل فوزى فى وحدات الجيش المصرى بالسودان وكان برتبة (أسبران) فى عهد حكمدارية (إسماعيل أيوب باشا) . لدى تعيين (غوردون) حاكماً لمديرية خط الإستواء

بإيعاز من بريطانيا سنة ١٨٧٤ ، والتحق بحاشية (غوردون) ودخل معه (فاشودة) و(سبت) (ومشرع الرق) و(شكا) و(شانيه) و(بور) و(نيانزا) و(ماقنقوه) و(دفلية) و(اللاذو) .

منحه (غوردون) رتبة اليوزباشى (النقيب الآن) ثم رتبة صاغقول أغاسى (رائد الآن) بعد شهرين من الترقية الأولى ، وكان ذلك سنة ١٨٧٥ م .

استمر المؤلف مع (غوردون) فى فتوحاته الاستوائية فوصل معه إلى (مرولى) ثم عينه الأول مديرا (لبور الغربية) وتمت ترقيته إلى رتبة البكباشى (مقدم) سنة ١٨٧٧ م .

فى سنة ١٨٧٧ كان غوردون قد أصبح حاكما عاما للسودان ومنح المؤلف رتبة القائمقام (عقيد الآن) وعمل باشمعاوننا لحكمدارية عموم السودان ثم مديراً لبحر الغزال ، وأخيرا حصل له غوردون على رتبة الأميرالاي سنة ١٨٧٨ قبل أن يترك الخدمة المصرية ويعود إلى بلاده لتنتهى المرحلة الأولى من خدمة المؤلف فى السودان فى تلك السنة .

أحيل المؤلف إلى الاستيداع بعد رحيل (غوردون) سنة ١٨٧٩ ، وألحق فى ذلك الوقت ببعض الأعمال الوقتية فعمل مأموراً لعمليات إقليم الغربية ، مأموراً لتعداد النفوس بالجيزة ، مأمورية فرز أنفار القرعة وبعض الأعمال الصغيرة .

فى يوليو ١٨٨٢ كان فوزى يعمل باشمعاوننا بنظارة الحربية فى ظل حكومة الثورة العربية ، ثم عمل (أميرالايا) بالآلاى الأول من الفرقة الثالثة فى رشيد ، وعندما وقعت معركة التل الكبير (سبتمبر ١٨٨٢) كان يعسكر بفرقة فى أبى قير .

كلف (إبراهيم فوزى) بعد (التل الكبير) يتسلم أسلحة فرقته للقتال الغازية فى كفر الدوار وتم سجنه فى (سراى الرمل) ، ثم تم تجريده من رتبة ونياشينه وألقاه بعد قرار حل الجيش المصرى ، وبعد نقله إلى سجن الضبطية فى القاهرة أفرج عنه بالضمان وأصبح بلا عمل .

بعد سقوط وزارة شريف باشا وتولى نوبار السلطة (يناير ١٨٨٤) عرضت بريطانيا على مصر تعيين (غوردون) حاكما عاما للسودان ومنحه سلطات وصلاحيات مطلقة فى التصرف . كان قد مضى عام ونصف على محنة (إبراهيم فوزى) عندما عرض عليه (غوردون) العائد إلى السودان السفر معه إلى (الخرطوم) فى يناير ١٨٨٤ فى مقابل الحصول على العفو له من

الخديو . استرد الرجل رتبه وألقابه كأمرالاي بالجيش المصرى ، والتحق بحاشية غوردون الذى سافر فى يناير ١٨٨٤ إلى السودان .

فى الخرطوم اعترف (غوردون) بالثائر المهدي ملكا على غرب السودان ، وألغى جميع الأوامر الصادرة بمنع تجارة الرقيق ، وتجاوز عن جميع المتأخرات من الضرائب لغاية ١٨٨٣ كما تجاوز عن ضرائب ٣ سنوات من سنة ١٨٨٤ ، وأحرق دفاتر المتأخرات وأطلق سراح المسجونين ، وقرر تشكيل حكومة من الوطنيين .

وأعلن (غوردون) أنه معين من قبل الحكومة البريطانية وشرع فى التصرف كحاكم مطلق فى السودان .

اكتشف (فوزى) فى هذه المرة نوايا بريطانيا بفصل السودان عن مصر ، وكشف دور (إقليم بارنج) (اللورد كرومر فيما بعد) ممثل بريطانيا فى مصر فى هذه الخطة ، وشرح بالتفصيل قصة التخلي عن (غوردون) من جانب بريطانيا حتى استطاع المهدي حصاره فى الخرطوم .

عاش (إبراهيم فوزى) مأساة حصار الخرطوم على يد قوات المهدي ، وانقطاع الأمل لدى غوردون فى إنقاذ السودان ورفض المهدي كل عروض غوردون فى الوصول إلى تسوية ، ورفض بريطانيا إرسال نجدة لحفظ خط الرجوع من دنقلة إلى (بربر) . وكان سقوط (بربر) يعنى سقوط الخرطوم بالتبعية لأن الأمل فى وصول نجدة عن طريق حلفا أو سواكن كان مستحيلا .

فى الفترة التى تبدأ بمارس ١٨٨٤م دخل (غوردون) فى معارك دفاعية عن الخرطوم ضد هجمات المهدي ودراويشه (الجريف - الحلفاية - أبى حراز - العيلفون) ، وقد شارك المؤلف فى هذه المعارك وأصيب فى معركة (الحلفاية) وحصل (غوردون) له على رتبة (اللواء) . أصبح (فوزى) بعد الحصار رئيسا لأركان حرب الحكمدارية فى الخرطوم ثم محافظاً لها حتى سقوطها .

شهد (فوزى) كل محاولات (غوردون) للخلاص من حصار المهدي ، وشرح فى كتابه محاولة إرسال الكولونيل ستيوارت إلى مصر بالتماس النجدة ، ومقتله فى أغسطس سنة ١٨٨٤ .

أسهب (فوزى) فى وصف المجاعة التى ألفت بالخرطوم بعد حصار (المهدى) لها منذ مارس ١٨٨٤ ، ومحاولات الاتصال بالحملة الإنكليزية القادمة من (المتمة) (وأبى طليح) ، وخطة غوردون لترحيل الأوروبيين من الخرطوم مع المؤلف ، وفشل الخطة .

وانتهى المؤلف بوصف اليوم الأخير من حياة (غوردون) والذى انتهى باقتحام الثوار للمدينة واستقبال (غوردون) لهم بملابسه الرسمية وسؤاله الشهير عن (محمد أحمد المهدى) ، ثم طعنه فى صدره وجره من ساقيه إلى فناء المحافظة وحز رقبتة ووضعها على رأس رمح ، والنهاية المأساوية للرجل ، وما تبع ذلك من سقوط السودان بين يدي المهدى ، ووقوع المؤلف فى الأسر .

تأخذ هذه القصة من رحلة الكتاب أحد عشر عاما (١٨٧٤ - ١٨٨٥) وبها ينهى المؤلف الجزء الأول من كتابه الذى نحن بصددده ، لكن المؤلف يضيف إلى سياق القصة الأساسية لكتابه هذا ، ما يخرج به الكتاب عن الوصف الأساسى له ، أى (السيرة الذاتية) ؛ ذلك أنه يضيف إلى الكتاب وفى ثنايا القصة الأساسية كما ذكرت ، مقدمة عن تعيين (غوردون) حاكما على خط الاستواء ، ذكر تاريخ السودان ، فتح السودان على يد محمد على ، نبذة عن حكام السودان منذ عهد محمد على ، شخصية غوردون ، أحوال السودان فى عهد إسماعيل أيوب باشا أحد حكمادريه الذين عاصرهم المؤلف ، وترجمة للمهدى ، واتصاله بالتعايشى ، والدعوة المهدية وتطورها ، منذ سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م .

ينتقل المؤلف بعد ذلك ليتحدث عن محاولات الحكومة المصرية إخماد الثورة المهدية فيذكر سنة ١٨٧٩ (جزيرة أبا) حملة راشد بك أيمن ، تعيين عبد القادر باشا حلمى حكمداراً للسودان وحملاته للقضاء على المهدية ، حملة يوسف الشلالى (فشودة وجبل الجراة) وفشل معظم هذه الحملات وأخطاء الحكومة المصرية .

فى مرحلة تالية يتحدث المؤلف عن كارثتى شيكان (أو حملة هيكنس سنة ١٨٨٤) وانتصارات المهدوية ، والترنكيتات فى نفس السنة (أو حملة بيكر) ونتائجهما على الأوضاع فى السودان ، وتفشى الثورة .

يربط المؤلف بين كارثة (شيكان) ١٨٨٤م . وثورة دارفور وانضمام أهلها إلى الثوار المهديين ثم سقوط (كبكباية) (والفاشر) .

يترجم المؤلف بعد ذلك (لعثمان دقنه) رجل المهديّة في السودان الشرقي تمهيدا للحديث عن معارك هذا الجزء من السودان ، فيتحدث عن حملة (توكر وسنكات) بقيادة محمد طاهر باشا ، وهزيمتها بين (توكر والترنكيتات) ، ثم يواصل فيتحدث عن حملة (التيب) بقيادة جراهام (فبراير ١٨٨٤م) .

ولم يفت المؤلف أن يقدم الكثير من المعلومات عن جغرافيا السودان وأهم قبائلها وعادات السكان وطبائعهم وقد استعان المؤلف في عمله بمعلومات كبار موظفي الحكومة السودانية السابقين على ثورة المهدي ، وعلى كتابات (سلاطين باشا) (٢٧ يونيو ١٨٥٧ - ١٤ أكتوبر ١٩٣٢)

Slatin, Rudolf Anton Karl, Feiher von (Fire and Sword in the Sudan, A Personal and Narrativer of Fighting and serving the Dervishes 1879 - 1895) London, 1898

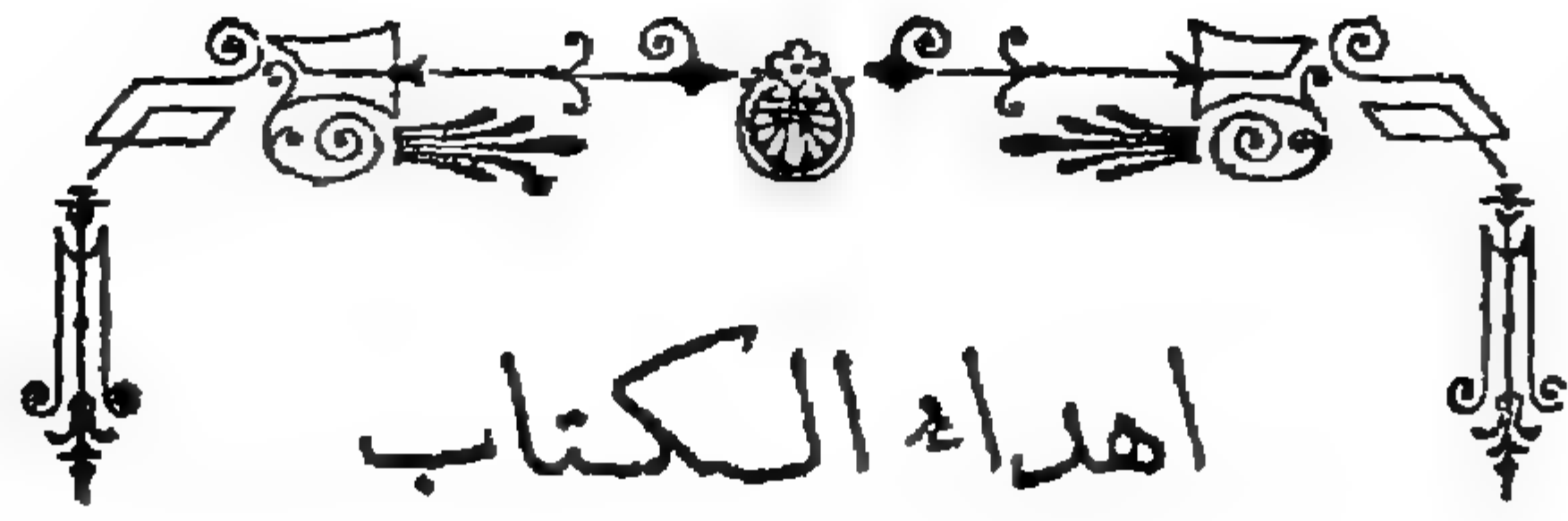
وشارل نيوفيلد التاجر الألماني الذي كان يقيم في أسوان وقت الأحداث ، وزميل السجن مع المؤلف عند المهديين .

ولغة الكتاب جيدة التزم المؤلف فيها باللغة العربية الفصحى وإن كان قد ضمنها بعضا من الكلمات التي يستخدمها أهل السودان ، والتي لم يفته أن يقدم معانيها .

العمل في الجملة نادر فيما يخص تاريخ الثورة المهديّة والجيش المصري في القرن التاسع عشر والسودان بصفة عامة .

دكتور/ عبد الوهاب بكر

ربيع ٢٠٠٨



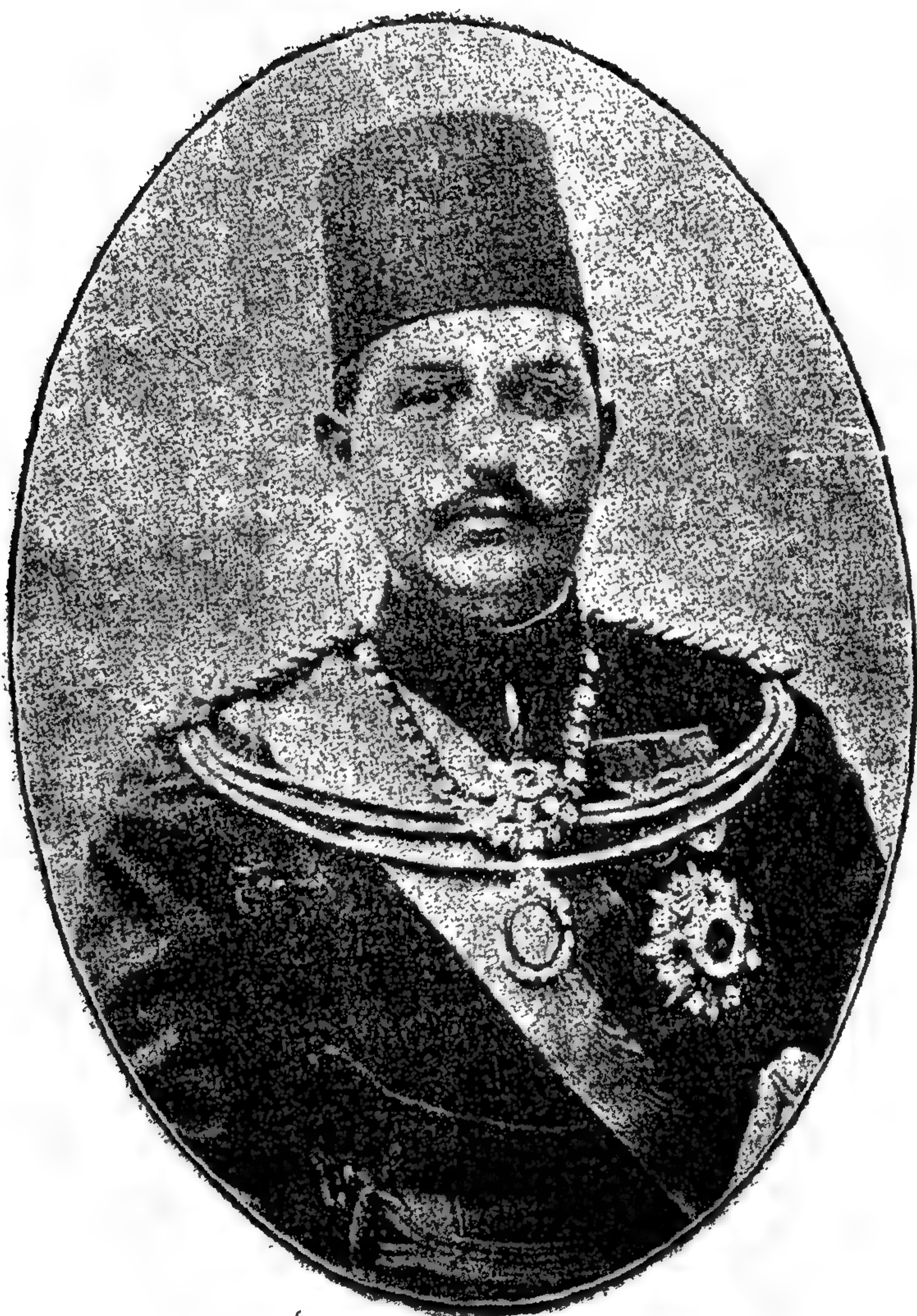
﴿ الى سدة مولاي وولى نعمتى الحديو المعظم ﴾

عباس باشا حلى الثاني

الافخم

« هذه يامولاي معلومات ومشاهدات شخص من رعيته فضى »
« في السودان أكثر عمره بين ضابط صغير . وقائد كبير . وسجين »
« أسير . رأى كل ضروب الرخاء والشقاء . خلال المدة التي قضاها »
« في تلك الارحاء . وهى حوالى الثلاثين سنة ماتسنت لمصري غيري »
« ولذلك رأيت أن أجعلها بين دفتي كتابي هذا الذى سميته « السودان »
« بين يدي غردون وكتشتر » لان جميعها عبارة عن مقدمة ونتيجة »
« انطوتا في معنى هذا الاسم فتقبل يامولاي هذه الخدمة التى قام بها »
« جهد المستطاع عبد من أخلص مخلصي رعيته لخدمته . لم ينس في كل »
« أطواره واجب ولا عبوديتك . • (ابراهيم فوزي) »





﴿ مولانا الحديو المعظم عباس حلمي الثاني حفظه الله ﴾

مقدمة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم
« أما بعد » . فلما كنت أول من رافق غردون باشا في خدمة السودان
وآخر من ودعه عند الرmq الأخير من حياته في عاصمته. وأول أسير مصرى
مسجون افتكه كتشنر باشا. وآخر من عاد من أسرى المهديوية الى وطنه
وكانت حوادث السودان في غضون هذه المدة التى انقضت بين أول عمل
قام به غردون باشا الذى فيه قبر. وآخر عمل من كتشنر باشا الذى طار به
ذكره ونشر . من أجل حوادث الزمان اعتبارا . وأعظمها ادكارا. منها يعرف
الانسان كيف يخطئ الحاكم في حكمه . وكيف يقضي على سلاطانه بظلمه
وكيف يطوي سجل النظام . وتقوم مقامه فوضى الاحكام في الانام. وكيف
تممي الجهالة صحبها. وتفري الضلالة ربها. بل كيف يقدم الرجل العظيم نفسه فداء
لمقاصد قومه. وكيف تدخر الاقدام الراسخة في سياسة الامم هذا الفداء العظيم ليومه



✂ غردون قادى مصلحة قومه بنفسه ✂

كل شىء من علو السياسة وسقوطها. وآيات رفعة الامم وهبوطها. مجتمع بين دفتى تاريخ السودان. كما يجتمع النور والظلام في الليل الخالك. توقد فيه النار منارا للسالك ودليلا للحيران. لذلك رأيت من واجب قومي وأمتي بل ومن حقى على نفسي أن

أضع هذا الكتاب مشتملا على كل ما وقفت عليه أو اتصل بي من حوادث الاقطار
السودانية في خلال المدة التي اشرت اليها. وذقت طعوم السراء والضراء بين يديها
ولم أكتف في سرد الوقائع بما بقي في خاطري من وسومها بل استعنت بجماعة
من كبار موظفي الحكومة السودانية الذين كانوا قبل دولة الدراويش الدائلة
متفرقين في أقسامها ليكون لنا على كل واقعة أو حادثة ومن كل جهة شاهد رؤية في
الاكثر. وكذلك قد اطلعت على أكثر ما كتب سلاطين باشا ومسيو نيوفيلد
وغيرهما ممن شاركوني في مشاهدات حوادث السودان ومصائبه واستأنست
فيما غاب لفظه عني بشيء من المنشورات التي ثبتت بالتواتر روايتها كما ثبت في
نفسى من قبل منزاها

وبالجملة فاني لم آل جهداً في تحقيق كل واقعة تكلمت عنها وحادثة رويتها
ومقصد بيتته. ولغز حللته. حتى صرت بعد ذلك أعتقد انى وفيت التاريخ حقه كما
يستطيع عاجز مثلى قليل البضاعة من الكتابة

وبعد أن وضعت مسودات الكتاب بالتفصيل والاسهاب. استعرت قلم بعض
الكتاب الفضلاء في تهذيب ألفاظه وتنقيح عباراته وحذف المكرر منه وترتيب
وقائمه على ما يناسب الموضوع زمانا ومكانا فجاء بحمد الله كما يراه القارى وله الحكم فيه
تخطئة أو تصويبا. على أنه لا يبعد أن يطلع عليه من يكون روى واقعة على غير ما رويت
أو شاهد حادثة يعتقد أنها على خلاف ما شاهدت لكنني أعذره من أول الامر كما
ينبغي له أن يعذرني فحوادث السودان ككل حوادث الثورات وعواصف الاضطرابات
لها عند كل واقف بينها مهب ريح وفيها لكل ناظر وجه يتجلاها فيه. لكن هذا
الاختلاف لا يغير من حقيقة الحادثة عند من نظر اليها من الجهة التي اطلع عليها
كذلك كتابى هذا قد تضمن حقائق الحوادث من الوجه الذى شاهدتها عليه

ومن يزعم أنه رافق الطيب الذكر غردون باشا كما رافقت. وعرف مقاصده
كما عرفت وشاهد من دولة المهدي ما شاهدت. وكابد من اضطهادات التعايشي
ما كابدت. فليكتب للقراء كما كتبت. وليقل انك أخطأت وما أصبت. والا فانا قد
أصبت وما أخطأت فيما خططت وبه عليه توكلت « ابراهيم فوزي »



﴿ ابراهيم فوزي باشا ﴾

❦ كتاب خصوصي من شقيقة غردون باشا ❦

من غريب الصدف أننا يوم شرعنا في طبع هذه المقدمة ورد لنا الكتاب الآتي

سوتها مبتون في ١١ مايو سنة ١٩٠١

عززي فوزي باشا

انا شقيقة المرحوم الجنرال غردون باشا وكنت متشوقة منذ زيارتي

(هيدنيوفيلد) أن اكتب لك

وقد استلمت أخيراً نسخة من جريدة اجبسيان غازيت وفيها خلاصة

محادثة معك وهي وان كانت محزنة الا أنها مفيدة ولذيذة

اني أشكرك من صميم قلبي على علو شرفك الذي أبديته وتبديده لذكرى

المرحوم غردون مع الصدق والاخلاص للذين خدمته بهما حال حياته وبعد مماته

وعندي كتاب نيوفلد وأعرف منه تاريخك ويمكنك أن تعرف مقدار

اهتمامي بكل شيء يتعلق بتلك الحادثة المؤلمة وبنهايتها المحزنة ولذلك أحب أن

اسمع منك كل ما تقدر أن تقوله لي عن رئيسك وصديقك

هل عندك صورة غردون والا فانا أرسالها لك ان كنت تريد هاواؤمل

أن هذا الكتاب يترجم لك كما أنني أحب أن أعرف كل شيء عن أصدقاء أخى

الذين خدموه بالاخلاص في مدة حياته . هل البستاني حي حتى الآن

آمل أن يصلني منك خبر ولا زلت (المخلصة المحبة)

هيلين موفيت

وقد وضعنا صورة هذا الكتاب في مقدمة كتابنا ليكون شبه سؤال

جوابه في خاتمة هذا الجزء التي وان تكن خاتمة محزنة الا أنها مفيدة ولذيذة

(ابراهيم فوزي)

﴿ فهرست الجزء الاول من كتاب « السودان بين غردون وكتشنر » ﴾

صحيفة	صحيفة
٨٣ تعيين جسي باشا مديراً على بحر الغزال	(بعد المقدمة)
٤٠ فصل المؤلف من مديرية خط الاستوا وتعيين أمين باشا بدله	١ تعيين الكولونيل غردون حاكماً على خط الاستواء
٤٢ قصة الافيال في خط الاستواء	٢ مرافقة مؤلف هذا الكتاب للكولونيل غردون في الخدمة
٤٤ ذكر ما حصل للمؤلف من الكولونيل غردون وسفره لمصر	١٠ عزل رؤف بك وتعيين الطيب بك عبد الله بدله
٤٤ ذكر ما حصل للمؤلف مع شاهين باشا ناظر الحرية	١٧ ذكر انشاء ديوان خط الاستواء في الخرطوم
٤٥ مقابله المغفور له خديو مصر اسماعيل باشا	٢٢ الملك أمتيه وأمره في بلاده
٤٧ عودة الكولونيل غردون لمصر واستقالته	٢٣ كيفية فتح مرلي
٤٩ تعيين محمدرؤف باشا حاكماً على السودان	٢٨ تعيين المؤلف مديراً لبور والغربية
٤٩ ذكر وظائف المؤلف بعد ذلك	٢٩ تعيين غردون حاكماً لعموم خط الاستواء
٥١ ذكر ما وقع للمؤلف مع المراهبين	٣٠ مديريات بحر الغزال
٥٢ ذكر السجن المظلم	٣٢ بلاد نغم
	٣٤ شأن ادريس أتر بعد ذلك
	٣٥ استقالة المؤلف من مديرية بحر الغزال

صحيفة	صحيفة
٨٤ حملة راشد بك ايمن على المهدي	٤٥ مسألة احراق الاسكندرية
٨٤ ذكر من لحق بالمهدي من مشايخ	٥٥ تجريد المؤلف من رتبة وألقابه
کردفان	٥٦ تاريخ السودان القديم
٨٥ واقعة جبل الجراة	٥٧ ضم السودان الى مصر
٨٥ تعيين عبد القادر باشا حلمي حاكما	٦١ فتح كردفان
للسودان	٦١ مقتل الامير اسماعيل باشا
٨٦ حملة يوسف باشا حسن الشلاي	٦٣ شخوص محمد علي باشا الى السودان
٩١ ذكر ترتيب جيش المهدي بعد ذلك	٦٤ ولاية السودان
٩٢ ذكر تحريم المهدي للادخان	٧٠ ترجمة المتمهدي
٩٣ ذكر من لحق بالمهدي من أعيان	٧٣ حادثة الغلام بكر دفان
السودان الاوسط	٧٤ وفاة الشيخ القرشي وتشيد قبعة
٩٤ واقعة عامر بن المكاشفي مع سنار	على ضريحه
٩٧ واقعة الشريف أحمد طه	٧٥ ذكر اجتماع عبد الله التعايشي
٩٨ ذكر وصول عبد القادر باشا حلمي	بالمتمهدي
الى الخرطوم	٧٦ دعوة المتمهدي سرا
٩٩ ذكر تدبير مكيدة لقتل المهدي	٧٧ ظهور دعوة المهدي
١٠٠ ذكر حوادث كردفان	٧٩ واقعة جزيرة آبا
١٠٢ واقعة البركة بكر دفان	٨٠ حملة على بك لطنى
١٠٣ ذكر واقعة الطيارة	٨٢ ذكر جبل ماسة وقدير
١٠٥ ذكر زحف المهدي من جبل قدير	٨٣ ذكر جبال تقلى

صحيفة	صحيفة
من الابيض	الى الابيض
١٢٧ ذكر القبض على محمد سعيد باشا	١٠٨ ذكر وصول المهدي الى كابه
والضباط وقتلهم	١٠٩ ذكر استحكام الابيض
١٢٩ ذكر ترتيب جيش المهدي	١١٠ ذكر هجوم المهدي على الابيض
واحكامه	١١١ حملة على بك لطفى مرة أخرى
١٣١ ذكر فصل عبد القادر باشا والغاء	١١٢ سقوط بارة
نظارة السودان	١١٣ ذكر كنيسة جبل الدلن
١٣٢ ذكر تعيين محمد علاء الدين	١١٤ ذكر واقعتي شات والمرايع
حكم دارا للسودان	١١٥ ذكر واقعة عبود
١٣٣ ذكر دارفور	١١٦ ذكر واقعة معتوق
١٣٤ تاريخ دارفور القديم	١١٦ ذكر واقعة الداعي
١٣٦ ذكر فتح دارفور	١١٧ ذكر واقعة سقدي مويه
١٤١ ذكر رأي عبد القادر باشا في دارفور	١١٨ ذكر رأي عبد القادر باشا في
١٤٣ ذكر قدوم محمد خالد زقل من	إنقاذ الابيض
دارفور	١٢٠ ذكر واقعة ابن عبد الغفار
١٤٥ ذكر حملة الجنرال هيكس باشا	١٢١ مأمورية الكولونيل ستيوارت
١٥٣ ذكر ترك السودان للفوضى	١٢٢ ذكر حصار الابيض
١٥٤ ذكر فرار وكيل مديرية الخرطوم	١٢٤ ذكر سقوط الابيض
ولحاقه بالمهدي	١٢٥ ذكر مقاومة المهدي حامية الابيض
١٥٥ ذكر سقوط دارفور	١٢٦ ذكر احصاء ما غنمه المهدي

صحيفة	صحيفة
١٨٥ ملحق لذلك المنشور	١٥٨ ذكر سقوط مديرية كبكايه
١٨٧ ذكر لحاق الشيخ الطاهر بثمان	١٥٩ ذكر سقوط الفاشر
دقنه وذبح المسجونين	١٦٠ ذكر مسألة الحب خاة بدارفور
١٨٩ ذكر واقعة سنكات وقتل	١٦١ ذكر قتل عمرأغا ترحوه
توفيق بك	١٦٢ ذكر قدوم سلاطين باشا على
١٨٩ ذكر حملة محمود طاهر باشا	المهدي
١٩٠ حملة بيكر باشا	١٦٣ ذكر قتل آدم أم دبالو ملك تقلى
١٩٢ واقعة الجنرال جراحم في التيب	١٦٥ ذكر قتل المنه
١٩٤ ذكر تقدم عثمان دقنه الى سواكن	١٦٧ ذكر قتل التوم بن زعيم الكبايش
١٩٤ ذكر واقعة طبيه	وعجبل زعيم الرزيقات
١٩٦ ذكر تقدم الجنرال جراحم الى بربر	١٦٩ منشور المهدي الذي أصدره
١٩٧ ذكر حوادث كسلا	لاقناع أهل بارة الخ
١٩٨ منشور رابع للمهدي	١٧٢ حوادث السودان الشرقي
٢٠٤ الخرطوم قبل قدوم غردون اليها	١٧٣ ومن الطف النوادر التي سمعها الخ
٢٠٤ ذكر عصيان الشيخ المبيد بدر	١٧٥ ذكر الشيخ الطاهر المجذوب
٢٠٥ ذكر صفات الشيخ المبيد وما	١٧٦ ترجمة عثمان دقنه
اشهر عنه	١٧٨ ذكر وفود عثمان دقنه على المهدي
٢٠٧ ذكر كتاب من المهدي الى	١٧٨ منشور ثان للمهدي
الشيخ المبيد	١٨١ ذكر أوبة عثمان دقنه الى سواكن
٢٠٩ ذكر ائتلاف اتباع الشيخ المبيد	١٨٢ منشور ثالث للمهدي

صحيفة	صحيفة
٢٣٤ ذكر بنات محمد بن الحاج أحمد	الاسلاك التلغرافية بين الخرطوم
أم بربر	وبربر
٢٣٦ كتاب من المهدي الى محمد أحمد	٢١٠ كتاب آخر من المهدي للشيخ
أم بربر	العبيد
٢٣٧ ذكر نهب أموال التوم شيخ	٢١٢ كتاب المهدي الى اتباع الشيخ
عرب الكبابيش	العبيد
٢٣٨ ذكر قدوم الشيخ الحسين زهرا	٢١٣ ذكر غارة الشيخ مضوي عبد
على المهدي	الرحمن على ارباص الخرطوم
٢٤٠ قصيدة الشيخ الحسين زهرا	ونهبه الماشية وهزيمته
التي قدمها للمهدي مشيراً فيها	٢١٤ ذكر الداعية محمد بن الطيب
الى وجوب اسناد الوظائف	البصير
الى الكفاة	٢١٥ ذكر واقعة العسكري بالخلاوين
٢٤٦ ذكر انذارات المهدي للشيخ	٢١٦ كتاب المهدي الى الشيخ
محمد الامين	السنوسي
٢٤٨ ذكر كتاب من المهدي للشيخ	٢٢٠ ذكر نخر الدين مدعي الخلافة
محمد الامين	٢٢١ نص كتابين أرسلهما المهدي
٢٥١ كتاب ثان له أيضاً	لمدعي الخلافة
٢٥٤ سقوط شكا وحفرة النحاس	٢٢٤ ذكر جمع الغنائم وعسر بيت
٢٥٦ سقوط بحر النزال وأسر لبتن	المال وما أصدره المهدي من
بك مديرها	المنشورات في ذم اخفاء الغنائم

صحيفة	صحيفة
باليكتب والهدية	٢٥٨ كتاب من المهدي الى لبتن بك
٢٩٥ مأمورية غردون الحقيقية	٢٥٩ ذكر عودة غردون الى السودان
٢٩٨ ذكر تليفرافات غردون الى السير بارنج وما أجابه به	٢٦٠ ذكر العفو عن المؤلف وارجاع رتبة وألقابه ووساماته اليه
٣٠١ مقصد غردون بمخاطبته السير بارنج	ومرافقته غردون الى السودان
٣٠٢ أول حصار الخرطوم	٢٦٥ ذكر سفر غردون باشا
٣٠٣ واقعة الخلفاية واصابة المؤلف برصاصة والاحسان اليه برتبة اللواء	٢٦٧ ذكر كتاب غردون الى المهدي وهديته
٣٠٥ واقعة القبة	٢٦٨ الخرطوم وغردون
٣٠٦ ترجمة السعيد حسين وحسن ابراهيم	٢٦٩ ذكر وصول غردون الى أبو حمد
٣٠٧ واقعة الخلفاية الثانية	٢٧١ ذكر مغادرة غردون بربر
٣٠٩ ذكر حصار الفكي المصطفي	٢٧٤ وصول غردون الى الخرطوم
الخرطوم من جهة الضفة الغربية	٢٧٦ ذكر عبد القادر بن أم مريوم
٣١٠ خطاب المهدي للفكي المصطفي	٢٧٧ ذكر عوض الكريم بن أبي سن
٣١٢ حوادث بربر	٢٧٩ كتاب المهدي الى عوض أبي سن وأسرته
٣١٤ ذكر محمد الخير داعية المهدي في بربر	٢٨٣ كتاب ثان لهم أيضا
	٢٨٥ غردون وابن البصير
	٢٨٦ خطاب المهدي لاندون
	٢٩٤ قدوم رسولي المهدي الى غردون

صحيفة	صحيفة
جبل الداير	٣١٥ ذكر حسين باشا خليفة مدير بربر
٣٣٦ ذكر صفات جبل الداير	٣١٦ ذكر قدوم محمد الخير بدعوة
٣٣٩ ذكر رد طالقة الثلاث	المهدي الى بربر
٣٤٠ منشور المهدي المتضمن حلّ	٣١٧ ذكر واقعة شندی
وطي طالقة الثلاث	٣١٨ سقوط بربر
٣٤٣ زحف أبي قرجة على الخرطوم	٣١٩ كتاب المهدي الى محمد الخير
٣٤٤ ذكر تفشي الجدرى بين	والموعظة التي شفع بها ذلك
ال دراويش	الكتاب
٣٤٥ واقعة الجريف	٣٢٧ ذكر إمارة أبي قرجة على البحرين
٣٤٦ واقعة الخلفاية وهزيمة الدراويش	من قبل المهدي
فيها	٣٢٨ ذكر حروب صالح بك الملك
٣٤٧ واقعة أبي حراز	في قداسي
٣٤٨ واقعة القطينة وقتل ساتي	٣٣١ كتاب المهدي لصالح بك
٣٤٨ واقعة الملقون	٣٣٢ كتاب آخر له
٣٤٩ واقعة أم ضبان وقتل محمد علي	٣٣٣ ذكر زحف المهدي من الأبيض
باشا وحملته	الى غدير الزهد
٣٥١ أوراق البون	٣٣٤ خطبة المهدي التي قال فيها «ان
٣٥٣ ذكر وصول البواخر الى سنار	ال دجال سيأتي الى الأبيض بعد
٣٥٤ ذكر خيانة ابراهيم رشدي كاتب	شخصي منها»
غردون	٣٣٥ ذكر حرب المهدي مع أهل

صحيفة	صحيفة
٣٥٦ ذكر ماتداينه غردون من النقود	٣٨٢ ذكر ارسال البواخر الى المتمة
٣٥٧ ذكر مدالية حصار الخرطوم	٣٨٢ ذكر المجاعة في الخرطوم
٣٥٧ وظائف المؤلف بعد الاصابة	٣٨٦ ذكر سقوط أم درمان
٣٥٨ ذكر أحمد العوام واحراقه الجبه خانة	٣٨٨ كتاب المهدي الى فرج الله الزين
وبقية حوادثه	وصاحبه عبد النبي
٣٦١ بعثة الكولونيل ستيوارت ومقتله	٣٨٩ ذكر الاخبار التي تبودلت بين
٣٧١ ذكر أخبار كوتسيه الايطالي	غردون والمهدي
٣٧٢ وصول عبد الرحمن النجومي الى	٣٩٠ كتاب المهدي الاول الى غردون
الخرطوم	٣٩١ الكتاب الثاني
٣٧٥ ذكر مغادرة المهدي الزهد الى	٣٩٢ الكتاب الثالث وهو الانذار
الخرطوم	الاخير
٣٧٦ وفودا وليفر يابن الفرنسي على	٣٩٣ ذكر فرار الصنّجقين عمر والمطا
المهدي	٣٩٤ ذكر مادبره غردون لانتقاد
٣٧٧ ذكر وصول المهدي الى أم درمان	الاوربيين
٣٧٨ كتاب المهدي الى أهالي الخرطوم	٣٩٦ ذكر سقوط الخرطوم ومقتل
يدعوهم الى التسليم والخضوع	غردون
٣٧٩ هجوم المهدي على أم درمان	٤٠٠ مقاله غردون لي حيث استدعاني
٣٨١ واقعة الجريف	الى غرفته قبل ان يحل به المنون

تعيين الكولونيل غردون

نما كما على خط الاستواء

لما مهدت انكلترا أمر التداخل في شؤون السودان واقنعت المرحوم اسماعيل باشا الخديو السابق بتعيين غردون في وظيفة سامية به فاقتنع أصدر أمره في أواخر سنة ١٢٩٠ هـ (يناير سنة ١٨٧٤) بانتدابه لمأمورية سامية في أعلق النيل وكان السير صمويل بيكر مأموراً لخط الاستواء خاضعاً للحكمدارية عموم السودان فتم الاتفاق على أن يخلقه غردون في وظيفته ولكن ليكون الخلف مستقلاً في أعماله وقد كان ومنح مائة ألف جنيه من الخزينة المصرية نفقة لحملته الابتدائية وكان غردون قد حضر قبل تعيينه بنحو شهرين إلى مصر فلما تم تعيينه وتلقى الأوامر من المرحوم الخديو السابق شرحاً لبعض الأوامر التي تلقاها من خارجية انكلترا كما يعلم هذا بالبداية توجه إلى السودان فوصل مدينة الخرطوم حيث كان المرحوم اسماعيل باشا أيوب حكمداراً لعموم السودان فاستقبله بأبهة عظيمة واستعرض له فرقة من المساكر لاداء تحية القدوم واطلقت له المدافع فأكبر الناس شأن هذا القادم وعلوا أنه ليس كبقية حكام الأقاليم. وبديهي أن اسماعيل أيوب باشا لم يستقبله هذا الاستقبال الفائق محابة وتبرعا من قبيل المجاملات الشخصية بل لابد أن تكون أوامر الخديو قد سبقت غردون إلى الخرطوم فكان من الحكمدار انفاذها

وهو ما دخل بسببه شيء في نفس الحكمدار العام من هذا المأمور الجديد الذي سيتنازع في سلطته من جهة ويكون كرقب عليه من جهة أخرى

وقد أقام غردون في سراي الحكومة الكائنة في ضاحية المدينة من
الجانب الشرقى المشهورة بقصر راسخ بك

مرافقة مؤلف هذا الكتاب

للكولونيل غردون في الخدمة

وبعد ثلاثة أيام من وصول غردون باشا طلب من حكامدار عموم السودان
فرز أربعة بلوكات من عساكر الجهادية أبناء العرب مسلحين بأسلحة رامبتون
وان يكون ضباطهم من المعروفين بالخبرة العسكرية والنشاط والاقدام فاجابه
الحكامدار الى طلبه ولكنه لم يحسن انتخاب المساكر والضباط ولا أعطي
الاسلحة من الطرز الجديد المطلوب . وفضلا عن ذلك فان اكثر الضباط
امتنعوا عن قبول هذه المأمورية ابعد الشقة ولعلمهم بما يقاسون من عذاب
السفر ومكافحة الاقوام المتوحشة التي يقصد غردون اخضاعها لسيطرته
ويقال ان الحديو الاسبق لم يكن مع ذلك مرتاحاً لتعيين غردون في مأمورية
بالسودان خيفة ان يكون من ورائه تنفيذ مقاصد انكلترا التي كانت لا تخفى
عليه فعينه وهو كاره وأراد ان يحدث في طريقه المراقيل فاعز الى اسماعيل
أيوب باشا سرا بما أوعز حتى اذا حصلت حركة ضده في السودان اعتذر
اسماعيل باشا بها وتخلص من ورطة ما يتوقعه . ولكن لست آخذ على مسئوليتي
تحقيق هذه الرواية التي كان يصعب على مثلي وقتئذ تحقيقها

وكنت انا اذ ذاك ضابطاً صغيراً أوشبه ضابط برتبة الاسبران (وكانت
هذه من رتب الجيش فوق الصف ضابط وتحت الملازم الثاني) فظهرت
رغبة شديدة في مصاحبة غردون فاحتمر اسماعيل أيوب باشا مني هذه الرغبة

وكان أحد المستخدمين من أصحاب غردون حاضراً خلال الفرز
وشاهد ما كان مني ملاحظاً ما كان من الحكمدار العام فلما عاد الى مقر غردون
أخبره بسوء انتخاب المساكر والضباط وذكر له قصة انتهار الحكمدار
العام لي عند ما أبدت رغبتي في السفر الى خط الاستواء فلم يكن منه الا ان
بعث شكوى تلمذية الى الحديو الاسبق قائلاً ان اسماعيل باشا أيوب
يعرقل مساعي ويضع في سبيل نجاح مأموريتي العقبات. وهو لذلك انتخب
أسوأ المساكر وأردأ الاسلحة عدة لي في مأموريتي. فورد في الحال الرد الى
اسماعيل أيوب باشا بتوبيخ شديد يأمره فيه أن يجيب طلب غردون
في كل ما يطلب حتى لو أمرك أن تصحبه وجب أن تمتثل أمره فوق هذا
في نفس الحكمدار العام أسوأ وقع ووصلت صورة هذا التلغراف الى غردون
باشا من قبل المعية السنية ليحيط علماً بما كان من صدور الامر الجديد لحكمدار
السودان حسب رغبته. ولا يبعد أن كتابة نص التلغراف على هذه الصورة
كان بطلب من الوكالة الانكليزية في مصر كما جرت العادة في مثل ذلك

والذي كان من اسماعيل أيوب باشا بعد ذلك أن دعاني اليه وطيب خاطري
بكلام لطيف قائلاً انما كان انت هاري لك شفقة عليك. ثم علمت ان الكولونيل
غردون طلبني منه بالاسم فاشار عليّ أن أتوجه له في سراي الشرق وان أذكر له
عرضاً ان الذي أبلغه خبر معاكسة الحكمدار العام له مبالغ أو مخطىء في النقل
وعلى ذلك ذهبت الى سراي الشرق وتقابلت مع الطيب الذكر غردون
فرايت منه رجلاً حليماً شفوفاً كريم الاخلاق متواضعاً في حديثه وحركاته
وسكناته مع مخايل شرف النفس وعلاو الهمة وبعد أن سلمت عليه فأحسن
لقياي خاطبني قائلاً « اذا كنت أنت الاسبران ابراهيم فوزي الذي رغب

مصاحبتنا ولقي من الحكمدار الاساءة من اجلنا فقد فوضت اليك امره فرز
الاربعة بلوكات وضباطهم وأسلحتهم «فاجبته يامولاي أنا الذي رغب خدمة
بلده بمرافقتك . وعندئذ أعطاني أمرا للمرحوم أسماعيل أيوب باشا بمضمون
ماقال فاستلمت الأمر وتوجهت الى الحكمدار وسلمته المكتوب فأجسین
مقابلي وأمرني بالتوجه الى القشلاق لمباشرة فرز العساكر وضباطهم وأسلحتهم
من نوع الرامتون حسب رغبة الكولونيل غردون ففعلت وأخذتهم الى سراي
الشرق حيث استعرضهم فأعجبه مرآهم وتناسب أعضائهم وحركاتهم وجودة
أسلحتهم وخاطبني أمام الجميع بعبارات الشكر والامتنان كما أنه خاطب الضباط
والعساكر بما طيب خواطرهم وأطلق وجوههم بالبشر

ثم أمرني أن أجهزهم جميعا للسفر الى جهات خط الاستواء ماعدانحو
٥٠ تقرا يبقون بمعيته بصفة حرس خصوصي له

وعلى ذلك أعددنا أربعة وابورات لسفر العساكر المذكورة وهي (بردين)
(تلحوين) و (صافية) و (المنصورة) وانزلناهم في الوابورات التي سافرت
الى مقصدها في شهر شعبان سنة ١٢٩١^(١)

أما أنا فقد تاخرت حسب أمره لاكون قومنداناً على حرسه . وبعد
بضعة أيام صدر أمره بأعداد الوابور الرقاس المسحى (خديو) ليركبه ونحن
في معيته وقد كان وسرنا على بركة الله في النيل الأبيض فوصلنا (فشوده) بعد

(١) جاء في العدد ٦٩٦ من جريدة الجوائب الصادرة في يوم الاربعاء ٢٧ ربيع أول
عام ١٢٩١ هجرية تحت عنوان مصر مايتى

ذكر في ايحيت المطبوع في الاسكندرية ان الكولونيل غردون الذي عينه الخديو
المعظم والياً على خط الاستواء خلفاً عن السر صامويل باكر أر الى رقيا من الخرطوم
تاريخ ١٤ مارس الى حضرة سعادتلو خيرى باشا مهر دار الجنب الخدي قال فيه

قطع مسافة سبعة أيام. وهناك قابلنا مديرها الرحوم يوسف بك حيسن كرده بالحفاوة اللائقة كما كان لغردون مثل ذلك عند وصوله الى الخرطوم وأزيد. وشاهدنا ما وصلت اليه وقتئذ من درجة العمران والتقدم في الحضارة بعناية الحكومة وعلمنا أن أهاليها من العبيد الشلك والنوير والدنكا آمنون مطمئنون

وبعد أن أقمنا بفشوده يومين تابعنا المسير الى محطة (سبت) وهي المحطة الكائنة على مقرن نهر سبت الآتي من بلاد الحبشة وتبعد هذه المحطة عن فشوده نحو ١٨ ساعة بسير وابور البخار وهي أول جهات خط الاستواء من الشمال ولما القينا عصا التسيار هناك حيث العساكر كانت سبقتنا اليها عزم غردون على وضع أول حجر من أساس أعماله في وظيفته فلما مضى الليل وجاء

وصات الى الخرطوم في ١٢ مارس ولقيت من حضرة اسماعيل أيوب باشا حاكم السودان من الاكرام والالطاف ما يستحق الذكر وقد فعل لمساعدتي كل ما في وسعه أن يفعله اما اعتناءه بالعساكر فجدير بالثناء فقد راقني أحوالهم وأحوال مأواهم ومستشفاهم وهيئتهم وانتظامهم وكذلك اعتناءه بالمكتب وما يتعلق به وقد شاهدت هذا المحل فوجدت فيه نحو مائتي تلميذ ورأيت أن معلمهم يعتنون بتعليمهم وتهذيبهم على أحسن منوال فراقني أن أرسل الى الجناب الخديو انموذجا من خطهم ولا بد من أن الحاكم الموالي اليه قد أرسل الى جناب الخديو الخبر السار عن فتح الخليج في قوندو كورو (كوندكرو) مما سرني غاية السرور لعلمي بأن حنابه الرفيع يحسبه من الامور المهمة وهو في الواقع مفتاح الموقع فأرجو اني عن قريب أتوجه الى قوندو كورو فان كل ما لزمني من لوازم السفر قد حصل بهمة الحاكم المشار اليه فشكر آله على ذلك ولست أقدر الآن على الحكم على الباخرة الكبيرة الراسية اذ لا بد لي قبل الحكم عليها من رؤية البحيرة وفي عزمي أن أستصحب معي رجالا لإنشاء سفن شراعية عند الوصول الى طوبو ويترجح عندي انه مع بذل الهمّة والعناية يتيسر لنا مجاوزة الشلالات فالمرجو من جنابكم أن تصدروا لنا اذنا من الحضرة الخديوية الى الحاكم المشار اليه عند انتهاء السفن في تسييرها الى البحيرة ولا بد لي من التلبث في قوندو كورو وطالهدون التوغل في السيرة حيث ان جناب الحاكم قد بذل أقصى مجهوده في فتح الجنوب فأعظم المسرات عندي أن أكون أول قادم اليه

الصباح أمر بلوكات المساكر وجماعات الالهالي بحفر خندق لمحطة سبت وقرر للعمل أجرة فوق مرتبات المساكر لهم ولللاهالي مثل ذلك فلم يمض أسبوعان حتى تم ما أراد وشيدت عليه الطوابي كما رسمها ثم أنشأ مركزاً للحكومة فيها ناط به أحد الضباط الذين معنا وهو اليوزباشي محمد أحمد أفندي فجعله محافظاً على محطة (سبت) تاركاً له البلك الذي تحت قيادته وأمره بحسن المعاملة والرفق باللاهالي وشدد عليه في منع الاتجار بالرفيق وعدم مروره عليه ثم تركنا هذه المحطة قاصدين جبل الرجاف وكند وكرو حيث يقيم المرحوم رؤف بك (باشا) حاكماً على تلك الجهة خلفاً للسير صمويل بيكر باشا . فلما وصلنا في سيرنا إلى مدخل (بحر الزراف) الذي يستقي من

وأرجو أن انشاء السفن يتم بعد خمسة أشهر أو ستة وأول فرض واجب على حسب ماتلقته هو ادخار المؤنة وهو من صعب الامور التي تقتضي حضوري في تلك الجهة ثم اني بحسب أمر الخديو أعلنت هذه الاوامر الآتية .

بمقتضى ما فوض الى الخديو المعظم من ادارة حكومة البحيرات الكائنة بمحط الاستواء أعلن أولاً . ان التجارة في العاج خاصة بالحكومة . ثانياً أنه لا يسوغ لاحد أن يأتي إلى هذه النواحي من دون تذكرة من حاكم السودان العمومي وهذه التذكرة انما يعمل بها بعد النظر فيها من حكومة قوندو كورو وغيرها . ثالثاً أنه لا يسوغ لاحد أن يجمع رجالاً متسلحين داخل هذه الجهات . رابعاً ان جلب السلاح والبارود ممنوع . خامساً ان كل من يخالف هذا المرسوم يجزى عليه الجزاء بحسب القوانين العسكرية انتهى ثم ورد خبر بالتلغراف بتاريخ ٣ صفر من حضرة حاكم السودان الى حضرة خيرى باشا مضمونه انه في صباح هذا اليوم سافر الكولونيل غردون الى قوندو كورو في سفينة مخصوصة بعد ان أحضر له كل ما يلزمه وهو ممنون لفضل الخديو وشاكر له ثم ورد خبر آخر بتاريخ ٢٠ صفر مضمونه ان الباخرة المخصوصة التي سافرت بعد فتح الشلالات قد رجعت الى هنا وبشرت ببلوغ الارب وفي غد أرسل المحررات التي أرسلها المجردون لهذا العمل والتي حررها أيضاً الكولونيل المذكور عند ملاقاته الباخرة المذكورة

ميمة* (أي بركة) كبرى تسمى (بحيرة السنيورا) ألقينا مراسينا عنده وركب غردون ونحن معه وابوره الحصوصي سائراً في ذلك النهر نحو عشر ساعات لاختبار الطريق هل هي سهلة أو فيها من العقبات ما يمنع وصولنا الى أعالي خط الاستواء فلما قطعنا هذه المسافة وجدنا النهر مسدوداً بالأعشاب الكثيفة فعدنا الى مرسى الوابورات أي الى مدخل بحر الزراف وحولنا مسيرنا الى جهة خط الاستواء من جهة طريق البحر الأبيض وما زلنا سائرين حتى وصلنا الى تلك البحيرة وفيها من الجانب الغربي مدخل لبحر الغزال ومدخل آخر لخط الاستواء موصل الى جبل الرجاف فوقفنا عند ذلك المدخل حيث أمر غردون بقطع أخشاب لوقود الوابورات بدلاً عن الفحم ثم سرنا نحن على وابوره الحصوصي للاستكشاف داخل بحر الغزال فقطعنا مسافة ثلاثة أيام وصلنا في نهايتها الى مشرع يقال له (مشرع الرق) وهو متصل بمشاعر بقية البحار الموجودة ببحر الغزال لغاية مديرية (شكا) ولكن كان من المتعذر تجاوز هذا المشرع لانسداد النهر بالأعشاب الكثيفة الملتفة والحشائش المشتبكة من الشاطئ الى الشاطئ

على اننا لم نحاول اجتياز هذه العقبة الجديدة بل بقينا في مرسى المشرع السالف الذكر وأمر الكولونيل غردون أصحاب المشرع أن يحضروا بين يديه رؤساء الاهالي في تلك الجهة فأحضروهم وقابلهم بمقابلة حسنة ووزع عليهم الهدايا استمالة لقلوبهم فقرحوا وامتنوا وأظهروا تمام الاخلاص للحكومة الحديوية كما أنهم أحضروا لنا الاخشاب اللازمة وعدنا بمد ذلك الى البحيرة حيث اجتمعنا بوابوراتنا والمساكر وقتنا جميعاً قاصدين مدخل البحر الموصل الى جبل (الرجاف) ولكن لم نلبث في سيرنا يومين حتى وقفت الغابات

الكثيفة والحشائش الملتفة سداً منيعاً في طريقنا وقد حاولنا كثيراً أن نفتح الطريق فلم نفلح ولذلك أمر الكولونيل غردون أحد الوابورات بالرجوع إلى الخرطوم ليأتي بالآلات التي تستعمل عادة لقطع حشائش النهر وقد كان وجاءتنا الآلات وباشرتنا بفتح الطريق مدة أربعين يوماً حتى تمكننا من اجتياز الوابورات ونال العساكر ما نالهم في هذه الدفعة من العناء والتعب الذي لا مزيد عليه حيث الأمطار كانت تنساب عليهم ليل نهار كأفواه القرب ولذلك كافأهم الكولونيل غردون بصرف مرتب ثلاثة أشهر فوق مرتباتهم وأجرتهم

وبعد أن تم فتح الطريق سرنا في النهر مسيرة يومين وصلنا بعدها بحيرة كبيرة جداً تسمى (ميرة شانيه) وعليها مشرع كبير يسمى (غابة شانيه) كان كبار التجار مثل أبو عموري وكوچك على وغطاس وغيرهم ينزلون فيه للاتجار بسن القيل فلما وصلنا إلى هذا المشرع استقبلنا شيخه وهو رجل أسود دنكاوى مسن اسمه الشيخ الحداد استقبالا حسناً ونزلنا جميعاً في أرضه حيث أقمنا الخيام وأرسينا الوابورات تجاهنا وبعد استراحة يومين رسم الكولونيل غردون محل خندق وأمر العساكر بحفره فتم لهم ذلك في مدة عشرين يوماً وأنشأ هناك مركزاً ترك به اليوز باشي مصطفى افندي فتجى ببلوكة وسماه مأمور جهات (شانيه) وشدد عليه الاوامر في معاملة الاهالي بالرفق وبمنع تجارة الرقيق منعاً باتاً كما انه أبلغ رؤساء هاته الجهات انهم صاروا تابعين لسلطة الحكومة الحديوية وان ذلك المأمور الذي يتركه عليهم يمثل شخص الحكومة فواجب عليهم أن يطيعوه

وبعد ان وطد نفوذ الحكومة في هذه الجهة اقلعنا بوابوراتنا قاصدين

(الرياف) فررنا في طريقنا على محطة كبيرة تسمى محطة (بور) والفينا بها نحو
أربعمائة من المساكر بأسلحتهم مأجورين للتجار فاستقبلونا بالفرح ولبتنا عندهم
خمس أيام ثم أبلغ الكولونيل غردون رئيسهم بأنهم صاروا تابعين للحكومة
ولأن يقدموا له كشوفاً بالأسلحة والخبز خانة والموجودات التي لديهم مما قررت
الحكومة احتكاره لنفسها فاحضروها وتم بعد ذلك تشكيل مديرية سميت
(مديرية بور) كما كان وعين على المديرية وكيلها رجلاً اسمه (آدم اندي
عاصم) وهو ضابط سوداني كان من رجال حملة بيكر باشا ومقيماً في هذه
الجهة ثم قمنا قاصدين جبل الرياف وكندكرو حيث يقيم رؤف بك باشا
كما أسلفنا وقد وصلنا هاته الجهة بعد عشرة أيام بسفراً في البحر من (بور)
وقابلنا رؤف بك بالمساكر المقابلة المعتادة في مثل هذا المقام وبعد الاستراحة
هنيهة من الزمان أخذ الكولونيل غردون يسأله عن أعمال حكومته وأحوال
الرعية فأخذ المرحوم رؤف بك يقص عليه أحداث محارباته مع أهالي البلاد
حتى قال اننا منذ ثلاث سنوات لم يستقر لنا بالسلم قرار فاجابه غردون بقوله
وأنا يظهر لي أن كل هذه الاضطرابات والحروب ناشئة من سوء إدارتكم
وعدم معاملتكم إياهم بالرفق والعدل وسترى أن كل هاته المساكر والضباط
الموجوده لديك سترسل الى مأموريات أخرى ولا يبقى بد لها غير مئة من
المساكر يستتب بهم الا من العام تمام الاستتباب قال رؤف بك ان هذا
لا يمكن أن يتم لان مئة نفر اذا تركوا وحدهم هنا لا يلبث العبيد ان ينزلوا
عليهم فيقتلوهم عن آخرهم فقال الكولونيل غردون الآن حققت قول السير
صمويل بيكر فيك وما كنت أعهد ضابطاً حائزاً لرتبة الميرالاي يكون مثلك

بهذا الخور وهذا الضعف وسترى أنه يكفي لهذه المديرية خمسون رجلا بدل
مئة وفي الحال أمر أن يحضر لديه مشايخ القرى ورؤساء القبائل وكانوا
حاضرين في مركز الحكومة فجأزه وأخذ يخاطبهم بالفاظ لينة وكلام لطيف
وأحسن عليهم بالكساوى الحر والسيوف حتى انطلقت وجوههم بشرا
وقاضت صدورهم سرورا ثم قال لهم بعد ذلك انى تارك بين ظهرانيكم
خمسین نفرا فقط من عساكر الحكومة لحراسة رايها وتشخيص سلطتها
واتم المسؤولون بعد ذلك عن كل شيء يحدث في البلاد فاجابوه انا عبيد
الحكومة وما دمنا لا يهضم لنا حق ولا يقع علينا ظلم فلا يجمل بنا أن نقوم
في وجه الحكومة ولا نحدث أقل تشويش وستسمع عنا كل خير ومحمد
أما الباعث الحقيقى للكلونيل غردون على تقليل العساكر الى هذا
الحد فوجهان

أولهما بعد الشقة وتعذر نقل الاوازم والمهمات للجيش. والثاني الانتفاع
بهاته العساكر في نقطة (اللادوه) المحتاجة كثيرا الى العناية والحذر

عزل رؤف بك وتعيين الطيب بك عبد الله بدله
وبعد أن انفضت حفلة مشايخ القبائل والقرى التفت الكلونيل
غردون الى رؤف بك وقال له انك لا تصلح لوظيفتك هنا فإليك بالسفر
الى القطر المصري وعين في الحال بدله القائم مقام الطيب بك عبد الله وكان
هذا بكباشى أول الالاي وهو رجل سوداني من قبائل العبيد مثل الذى
عين لمديرية (بور) ثم أمر الوابورات بنقل العساكر الى جهة (اللادوه) ثم
تراى له ان ينقل الطيب بك عبد الله مديرا الى اللادوه وعبد الله أغا

الذين سموا مديرًا للرجاف وهذا الثالث من ضباط الجهادية السود أيضًا
وبعد أن قرر مبادئ النظام في هذه الجهة بارحناها قاصدين الجنوب
ومعنا نحو ستمائة عسكري من أولاد العرب والسودان ومررنا في طريقنا
على شلال أمامه جزيرة عالية جدا فيها أشجار كبيرة فاستحسنها الكولونيل
غردون لبناء مستشفى للمرضى لأنها قريبة للرجاف بينها وبينه نحو ثلاث
ساعات وقد رتب لها سفنا صغيرة (فلانك) وبطها بأسلاك من الشاطئين
ليسهل اجتياز النهر إلى الجزيرة من الشاطئين لكل إنسان وأمر ببناء
منازل للعساكر فشرع الأهالي في بنائها بالفعل ولبننا نحن في هذه الجهة
ثلاثة أيام لم نشعر بعدها إلا بالعبيد قد هجموا علينا محاربين فانتشب القتال
بيننا وبينهم نحو خمس ساعات انهزموا عقبها شر هزيمة فلما علموا أن لا أمل
لهم بمحاربتنا طلبوا الأمان فامنأهم سلموا طائعين فعفا عنهم (غردون) بعد
ما أخذ عليهم اليهود والموائيق وذلك بأن حلقوا بالكجور وهو كمام
يعتقدون فيه أنه وسيط بينهم وبين الإله يدعون به فيستجاب لهم إن
لا يعودوا مرة أخرى لمثل ما فعلوا وبعد أن تم الأمر على ذلك واستقر
السلام في هذه الجهة قنا بعد إقامة نحو ثلاثة أسابيع فيها قاصدين البحيرة الكبرى
التي أمامنا فسرنا مسافة عشرين ساعة مضت علينا في أمطار تزل من فوق
كالسيول المنهورة حتى وصلنا شلالا يسمى (شلال مقي) وهو أكبر من
الشلال السابق كثيرا والماء ينحدر عنه بدوى شديد يصم الآذان ولم يكن
أحد منا يسمع كلام الآخر عند ما اقتربنا منه ولذلك ابتعدنا عنه قليلا ونصبنا
يامنا حيث رأى (الكولونيل غردون) لزوم إنشاء محطة هناك وقد بعث
في طلب مشايخ البلاد والقري فلم يجبه أحد ولذلك أمر العساكر أن يشتغلوا

بالبناء والحفر كما أرادهم ثم أنشأنا زريبة أمامها خندق لأننا توقعنا الشر من أهالي هذه الجهة وقد كان الذي توقعناه فأتينا بينما كنا نعمل عملنا لم نشعر إلا وقد دقت الطبول وصاحت الأبواق وتبعنا ذلك حركة مزعجة من جموع كثيرة تحاول الهجوم علينا فسارعت العساكر للتأهب والاستعداد داخل الزريبة وانتظرنا حتى كان بيننا وبين أولئك المهاجمين مرمى الرصاص ولكننا أمسكنا عن إطلاق النيران حتى يبدووا بالعدوان فلما رمونا بالنبال والنشاب السامة رميناهم بنيران حامية لم يمتثلوها فرجعوا إلى الوراء ثم عادوا فعدنا وتقهقروا ثم عادوا الثالثة فحملنا عليهم حملة منكرة ارتدوا بها مكسورين ولكن أسهمهم قد أضرت بالعساكر كثيراً حتى لو أن سبهما منها أصاب رجلاً بين ظفره ولحمه لما نجا بعد ذلك

وفي اليوم التالي لهذه المحاربة حضروا بأولادهم ونسائهم يحملون النيران في أيديهم ليلقوها على الزريبة كي تحترق وقد زحفوا علينا بسرعة غريبة وظللنا نحن نطلق النيران عليهم لنمنعهم من الوصول إلى الزريبة فلم يرجعوا وتمكن بعضهم من الوصول إليها والقوا النيران عليها ولكن أخشاب الزريبة كانت رطبة فلم تحترق وتضاعفت خسائرهم فلجأوا إلى الفرار وهجروا ديارهم نازحين إلى جبل (مقي) القريب من الشلال للاستعانة بشيخه فما كان من الكولونيل غردون إلا أن أمر المرحوم عبد العزيز بك لبنان (نجيل المرحوم لبنان باشا) أن يقتني أثرهم بسة بلوكات من العساكر مسلحة بالرامتون وأعطاه الذخيرة اللازمة وساروخا حربياً فقام عبد العزيز بك بالقوة التي معه واجتاز النهر إلى البر الشرقي وصار مع العساكر صاعداً الجبل ولكنه أخطأ إذ ترك بعض الجبه خائفة وأخذ بعضها قائلاً إن ما أخذ العساكر في جمعهم كاف لحين

العودة ثم لم يلبث أن التحم القتال بينه وبين سكان الجبل واللاجئين اليه فانتصر عليهم بعد نصف ساعة قتالا ثم امتلك الجبل بكل ما فيه وللقضاء المحتم صاح أحد العساكر عليه قائلاً يا بليك قد فرغت الجبهة خاضعة فأخبر بمض النراجه السود اخوانهم من سكان الجهة بهذا السرفشارت الاهالى مرة ثانية على العساكر وحاصروهم حصاراً شديداً قطعت النيران في أثناءه ثم هجموا عليهم هجمة واحدة أفنواهم بها عن آخرهم وقد مثلوا بعبد العزيز بك تمثيلاً فظيماً سيأتى بيانه .

رقد تمكن شخص بروجى أسود من الهرب وعاد إلينا فاخبرنا بهذا الحادث المشؤم ولما رأى الكولونيل غردون ما أصاب العساكر طلب مدداً من الجهات الشمالية فجاءتنا في نحو عشرة أيام ستمائة نفر جرد منهم الكولونيل غردون ومن العساكر الذين كانوا لدينا حملة تحت قيادته اجتازها النهر وعند ما وصلنا أسفل الجبل قسم العساكر الى أربع فرق جعل على كل واحدة منها قائداً وكان هو القومندان العام وبذلك امتلكننا الجبل من الجهات الأربع وصعدنا بالتدريج فلما شـعروا بنا صاروا يرموننا بالنبال والنشاب فأحدثوا بنا اضراراً كثيرة لا شرافهم علينا من فوق وكان القائد العام ينتقل بيننا من مكان الى مكان مشجعاً مستنهضاً حتى صعدنا لاهلى قمة الجبل وتمكننا من قهرهم فقتل من قتل وأسروا من أسروا والذين بقوا على قيد الحياة طلبوا الامان فأمنهم غردون وأبطل اطلاق النيران عن الاهالى بالكلية وهناك رأينا جثث القتلى من عساكرنا محروقة بالنار ماعدا جثة عبد العزيز بك فقد رأيناها مصلوبة على جذع شجرة قد انفرست في جسمه نحو خمسمائة نشابة لا تزال مفروسة فيه فسألنا الاسرى عن سبب ذلك فقالوا اننا أمسكناه حياً واوثقناه بجذع

هذه الشجرة وأمرنا أولادنا الصغار الذين يتعلمون رمي النشاب أن يرموه به فصاروا يرمونه حتى مات كما ترونه . قالوا ولكن روحه لم تفيض الا بعد ثمانية أيام من صلبه مع استمرار رميه بالنشاب كل يوم فأثر ذلك فينا تأثيرا شديدا وحاولنا أن نخرج من جسمه السهم فتعذر علينا ذلك الا بتزيق الجهم ولذلك اختار الكولونيل غردون تكسير أيدي النشاب الخشبية بالمنشار مع بقاء أسلحته فيه ودفنه على هذه الحالة وقد كان ذلك

وبعد ان وطلدنا نفوذ الحكومة بين أهل الجبل وأقننا بين ظهرانيهم عدة أسابيع قننا قاصدين البحيرة الكبرى وبعد مسيرة يوم وصلنا جهة يقال لها الابدودية بها شلال عظيم جدا وأرضها منحطة ولذلك بعد ان عزمنا على انشاء المحطة بها اخترنا ان تنشأها على ربوة عالية بينها وبين الشلال مسيرة ساعة من الزمان وقد حضر لنا أهالي هذه الجهة طائعين مسلمين قيادهم لنا باسم الحكومة الحديوية وساعدونا على حفر الخندق وبناء الاستحكام الذي انشأناه وبعد انجازة عين الكولونيل غردون لهذه المحطة مأمورا تاركا معه شرفة من المساكر ثم قننا سائرين في وجهتنا وبعد مسيرة يومين من مغادرة شلال الابدودية صعدنا جبالا مملوءة بالعبيد السود وأراضيها خصبة كثيرة المواشي من بقر وغنم وغيرها فلما رأنا السكان كانوا يسارعون الي قم الجبال فيصعدون عليها ويقذفوننا بالحصى ويشتمون ويسبون ومحصل سبابهم (رجعوا ياترك الي حيث جثم ارجعوا أيها الجائعون الذين أتيتم لنا أكلوا أبقارنا وأغنامنا ارجعوا الي بلادكم فلا تراحمونا في أرزاقنا) وقد خاطبناهم نحن باننا ما جئنا الا للتمرج على بلادهم والسياحة الي البحيرة الكبرى فسالنا بعضهم ولماذا انشأتم المحطات وأقمتم الحصون وحفرتم الخنادق وتركتم النقط العسكرية

في طريقكم ثم قالوا (اذا كنتم تريدون ان تقيموا بيننا سرا كز ومتاريس فلا بد ان نهاجكم ونقلتكم عن آخركم وأما اذا كنتم تريدون البحيرة الكبرى فها هي الطريق أمامكم مفتوحة)

أما نحن فقد ظللنا سائرین وعن كلامهم معرضین ومازلنا كذلك حتى وصلنا الى البحيرة وتسمى هناك البركة والميعة العظمى ونعني بها (نياتزا) ولما أقبلنا عليها شاهدنا صحراء متسعة جدا مكتظة بالأشجار وأنواع الخضر وفيها نوع من النبق كبيض الدجاج في حساوة العسل مع طيب الفاكهة فخططنا مرحلتنا ونصبنا خيامنا للمبيت على شاطئ البحيرة وبتنا ليلتنا محترسين محاذرين من هجوم العبيد علينا ولكن لم ينتصف الليل حتى هاجنا سيل نزل علينا من الجبال بقوة تيار جارف شديد فاخذ ما كان معنا من المؤنة والامتعة وألقاها في البحيرة وصرنا في حيرة شديدة حتى الصباح فوجدنا كل ما كان معنا قد ذهب طعمة للبحر الا الجبه خانة فانا كنا احتطنا لها من أول الامر فوضعناها على أشجار عالية فلم يمسسها ضرر

وما طلع النهار حتى أغار علينا العبيد بقوة هائلة ظانين ان السيل قد أخذ منا الجبه خانة ولذلك لم نزل نطلق عليهم النار حتى لجؤا الى الفرار واكتسبنا منهم في هذه الواقعة نحو مائة رأس من البقر وخمسمائة من الغنم وصار طعامنا بعد ذلك اللحم والنبق بلا كسرة خبز ثم استولينا على عشر مراكب من سفن العبيد استعملناها في خدمتنا وفي استكشاف شواطئ البحيرة

وفي ذات ليلة ركبنا هذه السفن وسرنا بالمجازيف للاستكشاف فقامت علينا زوبعة ذهبت بنا كل مذهب في البحيرة وقد خشينا الفرق الا أن الله عز وجل قد نجانا منه وجمعنا بعد انقضاء الليل في هذا التيه على بر السلامة

في نقطة يقال لها (ماقنقوه) ومن فضل الله جاءنا أهلها متوددين واستضافونا فاسترحنا عندهم واكلنا وشربنا مسرورين من حسن معاملتهم وفي خلال ذلك سأل الكولونيل غردون مشايخ الجمة عن أحوالهم فقالوا نحن في فوضى يأكل القوي منا الضعيف ويحكم العزيز الدليل فقال لهم غردون هل ترضون أن يأتاكم حاكم مثلي بقوة كبيرة وسلطة قادرة على توطيد الأمن بينكم ودفع القوى عن الضعيف فقالوا اننا من الفريق المهضوم الجانب المظلوم الضعيف ولا ريب اننا نرضي بكل سلطة تأتي إلينا لتساوي بيننا وبين ظالمينا ثم سألهم الكولونيل غردون أي فريق بينكم الأقوياء المتسلطون عليكم فقالوا له قبيلتنا (أريونجا وبكريك) ولو طلبت مشايخ هاتين القبيلتين ما أجابوك ولا خضعوا لك فقال لهم نحن الآن نطلبهم للحضور من قبيل التجربة وارسل لهم فابوا وقابلوا الرسل بالسباب والشتائم

أما نحن فقد اخترنا أن نرجع إلى جهة (الدفليه) التي هي في البر الغربي للبحيرة وهي الجهة التي اخترناها نقطة للحكومة ولذلك عدنا بمسد يومين فرأينا عساكرنا في أشد القلق علينا لانهم ظنوا ان العاصفة التي هبت قد أغرقتنا في البحيرة

وبعد اقامة نحو عشرة أيام في تلك الجهة قمنا قاصدين مديرية العموم التي مقرها (اللادوه) وقد تركنا في الدفليه نقطة عسكرية تحت قومندان ومأمور الجهة وقد صررنا في عودتنا على كل المحطات التي انشأناها فوجدناها في أمن وسلام ولما وصلنا اللادوه اخذ الكولونيل غردون يخبر المعية السنية في القاهرة والكمندارية في الخرطوم بطلب ما يلزمه من الواپورات والمهمات وسأل ترقى كثير من الضباط الذين معه فكان نصيبي من ذلك رتبة اليوزباشي

وبعد اقامة نحو الشهرين في اللادوه قام الكولونيل غوردون وانا في
صحبته قاصدا الخرطوم وشاهدنا ثمرات أعمالنا في عودتنا من فرح أهالي كل
جهة مررنا عليها وسرورهم بما صاروا فيه من الامن والرغد وحسن النظام
الى ان وصلنا الخرطوم وقوبلنا فيها بما يقابل به الفاتح الظافر

وعقب وصولنا الى مدينة الخرطوم وكان ذلك في أوائل سنة ١٢٩٢
هجريه اتفق الكولونيل غوردون واسماعيل باشا أيوب الحكمدار على قسم
الوابورات والصنادل ودار الصناعة وعمالها قسمين. أحدهما يكون لحكمدارية
عموم السودان. والثاني للحكومة خط الاستواء وعرضاً عن ذلك للمعية السنية
فصدر أمر الحديو لحكمدار السودان بتنفيذه وقد كان ذلك فأخذنا نصف
عمال الترسانة ونصف عددها وآلاتها وأرسلناها معهم الى بحيرة (نيانزا)
حيث أمر الكولونيل غوردون بإنشاء دار صناعة في محطة الدفليه على
شاطئ البحيرة الغربي ثم كان نصيبنا من الوابورات (بوردين وتلحوين والصابيه
والمنصوره وانبابه ونمرة ٩ ووابور الرقاس ووابور الاسماعيليه) الذي كانت
أدواته في المخزن لاصلاحه وأخذنا أيضاً نحو أربعين سفينه بين كبيرة وصغيرة
وخمس شلبات كبار وضعنا فيها كل ما يلزمنا من التمينات والمهام وجميع
ما يحتاج لخط الاستواء



ذكر انشاء ديوان خط الاستواء في الخرطوم

وبعد ترحيل الوابورات المذكورة والامتعة والادوات رأي الكولونيل
غوردون ان ينشئ ديواناً خاصاً بأعمال خط الاستواء منفصلاً عن حكمدارية
السودان ورتب له الكتاب والموظفين وأوجد له الدفاتر اللازمة وسماه

(ديوان خط الاستواء في الخرطوم) وعين عليه رئيساً على افندي سراج المشهور (بتهته) بعنوان (ملاحظ أشغال خط الاستواء)

ومن ذلك التاريخ صارت حكومة خط الاستواء قائمة بنفسها وسمى السكولونيل غردون حكمدارا لعموم خط الاستواء وصارت واردات خط الاستواء من سن فيل وریش ومسك ترسل من فوق لرئيس ديوان خط الاستواء في الخرطوم وهو الذي يؤدي حسابها ويرسلها حسب الاوامر التي تصدر له من الحكمدار

وبعد ان أتم السكولونيل غردون ترتيب ديوانه الجديد في الخرطوم عدنا الى جهة خط الاستواء. وسرورا بنجاحه التمس لنا الاحسان علينا برتبة صاغول أغاصى فلم يكن بينها وبين رتبة اليوزباشي غير شهرين أو ماحوالي ذلك ثم سافرنا على بركة الله بوابور (تلحوين) فلما وصلنا الى جبل اللادوه وكان عمال الترسانة قد وصلوا اليها وانتظرونا بها أمرهم بفك واپور الحديد ونقله قطعاً الى ترسانة البركة (دار صناعة) بالدفليه وتم ذلك في نحو أربعة أشهر وفي خلال هذه المدة كان بناء الترسانة جارياً على قدم وساق ولما تم اصلاح وتركيب الواپور ركبناه وسرنا به في لجج البركة نستكشف جهاتها حيث كان الاهالى يقفون على شواطئها كلما اقتربنا من واحد منها صفوفاً معجبين مندهشين من رؤية الواپورات اذ لم يكونوا رأوا السفن البخارية من قبل وكان يزيد عجبهم كلما شاهدوا ضخامته ويتحIRON في كيفية نقله مع جسامته الى البركة

وفي اثناء سيرنا وصلنا الى جهة (ما قنقوا) التي كانت فيها واقعة المرحوم عبد العزيز لينان فاستقبلونا استقبالاً حسناً وهناك ألقينا مراسينا

ونزلنا الى البر وأمر الكولونيل غردون أن نباشر انشاء محطة بها فأقمنا نعمل
ذلك وكنا قد أحضرنا معنا مدافع وجلة آلات ومهمات حربية فأخرجناها
الى البر واطلقنا واحداً وعشرين مدفعاً اعلانا بفتح هذه الجهة

وما سمع الاهالى أصوات المدافع حتى أطبقوا علينا جموعاً كثيرة
وكلهم شاكو السلاح من الخراب والنشاب كانهم قادمون على حرب

وقد توجس الكولونيل غردون خيفة من حالهم هذه فامر العساكر
ان تكون على التأهب والاستعداد للطوارئ ثم فكر في حيلة نافعة هي أن دعا
مشايخهم وأعيانهم اليه فادخلهم معنا داخل الزريبة التي كنا انشأناها حتى لا يهجم
علينا الاهالى. ولكي لا يتوهموا انهم رهائن عندنا أخذ يوزع عليهم الاعطية
من ملابس وسيوف وزجاجات خمر فقرحوا واطمئنوا كثيراً وسألهم عن
تجارة السن عندهم والقيم التي يتبادلونها فيها فقالوا انها النحاس الاصفر وانواع
الحرز والودع الابيض وكان منها كثير في مخازن السرصمويل بيكر باشا وكنا أحضرنا
جانبا منها معنا فلما راوها أعجبهم كثيراً

ولما وثق الكولونيل غردون بهم أذن لهم في الانصراف الى منازلهم
فانصرفوا شاكرين وبعد قليل أرسلوا لنا عدداً وافراً من البقر والغنم هدية لنا
فأعطاهم الكولونيل غردون جانباً من الودع والحرز مقابل هديتهم فقرحوا
به فرحاً شديداً ثم أخذوا يتواردون علينا بالكميات الوافرة من السن وهو
يعطيهم قيمتها من تلك البضائع الرائجة عندهم حتى اجتمع في مخزن الحكومة
في مدة عشرة أيام نحو الخمس مائة قنطار وقد كثر التردد من الاهالى على
مركزنا ومن عساكرنا بينهم وكانوا بعد ذلك من أصدق رعايا الحكومة
وبواسطتهم جرت فتوحات كثيرة في تلك الجهات وتمت المواصلات بين هذه

المحطة وبين محطة (الدفليه) بواسطة الوابور الذي معنا وبواسطة جملة سفن شراعية
انشئت خلال ذلك

وبعد أن اطمأن الكولونيل غردون على مركز الحكومة الذي شيدناه
في جهة (ماقتقوا) عدنا الى محطة الدفليه ثم توجهنا الى محطة اللادوه مركز
العموم وكان قد تم صعود النيل فركبنا الوابورات الصغيرة التي معنا وعدنا
ثانيا بطريق البحر تارة والبر اخري الى جهة الدفليه كي نرتب الوابورات الصغيرة
والسفن بين كل شلال وآخر حتي تكون الملاحة متصلة بين اللادوه والدفليه تماما
أما الوابورات الصغيرة المذكورة فقد كانت الحكومة أرسلتها لنا قطعا
داخل صناديق فركب بعضها بالخرطوم وبعضها حمل الي بركة (نياتزا) وصار
تركيبه هناك في الترساته كما أنشئت الشللات الجديدة والسفن الشراعية الكبيرة
وبالجملة فقد صارت الملاحة بين البحر الابيض وبين بحيرة اللياتزا سهلة من
كل وجه وأمكن التجار الارباويين والسياح التردد بينهما كما سهل نقل الجنود
والمهمات واللاوازم الحربية كلما أريد ذلك

وبعد أن عدنا الى الدفليه أخذنا أهبتنا من الذخائر الحربية والمؤنة الى
ماقتقوا الشرقية (البركة) حيث استأجرنا نحو ألفي عبد منها لحمل هذه الذخائر
والامتعة ورجلنا حملة الى جهة يقال لها (فاتوكه) وهي من بلاد (كبريكا وأريونجا)
والاول بمنزلة وال والثاني بمنزلة السلطان على بلاد فاتوكه المذكورة وعند
وصولنا اليها قابلنا مشايخها وأهلوها بالعداء على بركة مياه فخاربنا هم نحو
أربع ساعات فقتل منهم عدد كبير جداً ومن لم يمت منهم فرهاربا وبذلك
استولينا على البركة وأخذنا في انشاء محطة على شاطئها ورفعنا علم الحكومة
وأطأنا المدافع اعلانا بفتحها ومكثنا في الاستحكام الذي اقتناه نحو شهر من

الزمن كمحصورين نخابر الاهلين بالتسليم والطاعة فيأبون
فلما مللنا الاقامة عزم الكولونيل غردون على مهاجمتهم . ففي صبيحة
يوم أخذ معه خمسة بلوكات مسلحة بالرامنتون وترك بلوكا واحداً لحفارة
الاستحكام وتوجه اليهم في غلس الظلام فلم تكد العين تقع على العين حتي
أصلتهم جنودنا ناراً حامية فلم يصبروا عليها وولوا الادبار وامتلكنا ذرايرهم
وقرأهم بجميع ما فيها من ماشية ودواب وأثاث فأخذنا هذه الاسلاب كلها
وعيدنا الى المركز على البركة ومن جملة ما أخذنا عدد كثير من نساء وأولاد المشايخ
والاهالي وكان وجود هؤلاء معناداعية الى عودة المشايخ والاعيان الى طلب
العفو عنهم على أن يكونوا عبيداً للحكومة عوناً لها على أعدائها

فلما جاءت رسالتهم الى الكولونيل غردون عصر يوم الواقعة المذكورة
قبل منهم توبيتهم وأخذ عليهم العهد والمواثيق (وهم يمتقدون في الله فقط)
على ما قالوه وسلمهم الاسرى والابقار والاغنام على أن يرسلوا مشايخهم
وأعيانهم فجاءوا طائعين وعالمة الخضوع أنهم كانوا يضعون التراب في أفواههم
كمادتهم ثم اتفق معهم على أن يسيروا به الى جهة (صرولي) من أراضى الملك
أمتيه وأن يأتوا له بالرجال ليحملوا الامتعة والذخائر الحربية بالاجرة فأجابوه
سماً وطاعة ولكنهم قالوا ان أمتيه ملك جبار عظيم السطوة شديد البأس
كبير القوة وعنده الاسلحة النارية والمدافع ونخشي أن يعرف منا اننا نحن
أدلاءكم اليه فيرسل لنا بمدد قوة من رجاله يسفكون دماءنا وينهبون اموالنا
ويهتكون أعراضنا فقال لهم الكولونيل غردون لا بأس عليكم فأنتم الآن
رعية الحكومة المصرية ومن واجباتها أن تحفظكم من أعدائكم وتؤمنكم
في دياركم وانا ذاهبون اليه ندعوه وقومه الى طاعة الحكومة الخديوية فان

الملك أمتيسه وامره في بلاد

وعلى ذلك جردنا حملة قوية كثيرة المدد والعدد ولم نترك في مركز فاتوكه سوي بلوك واحد بضباطه وسرنا على بركة الله الى جهة (مرولي) وهي تبعد عن المركز الذي كنا فيه مسيرة ثلاثة أيام في البحر وكلما أتينا بلدا في طريقنا وجدنا أهلها قد هجروها ولم نثر الا على شيخ طاعن في السن ضعفت رجلاه عن الانتقال به وكأنهم غفلوا عنه فلم يحملوه معهم فسألناه عن فرار الاهالي من وجهنا فأجاب انهم فروا حتي لا يقابلوكم بلا اذن من الملك أمتيسه وأنتم في مروركم لا بد أن تحتاجوا الى شيء من الطعام أو الى شربة ماء على الاقل فاذا بقوا في ديارهم لا يبعد أن يجيئوكم الى ماتسألون ولو بالدرهم وهذا مما يغضب الملك ويوجب نقمته عليهم كما حصل في أمر السياح الذين كانوا آتين من بلاد الزنجبار فقال له الكولونيل غردون اذن الاهالي غير ملومين على مهاجرتهم من بلادهم ثم التفت الى الرجل وقال اننا صرنا نخشى عليك السوء من ملكك لانك قابلتنا وجاوبتنا على سؤالنا فماذا تفعل اذا. فقال الرجل أما أنا فستري مني ماذا أصنع ثم قبض بيده على حربة صغيرة وقال ها أنا ألوذ بكم فاعتبروني واحداً منكم وقد صرت أخشى أن ينم على الحجر والمدر والشجر الى الملك الذي له من كل شيء واش ورقيب . فضحك غردون وقال قد بالغت أيها الرجل فكيف تصل سطوة أمتيسه الى هذا الحد وكيف يكون له من كل شيء رقيب عليكم . فقال الرجل لان جميع الاشجار التي ترونها لا بد وأن تكون مخبئة المدد العديد من أعوان الملك

أمتيسه وأرى أن أخباركم واصله اليه أولاً فأولاً عن كل حركة وسكون فاذا
شئتم نجاتي فاحملوني معكم واحسبوني منكم أنى سرتم فقبله الكولونيل
غردون وأكرمه وأمر بحمله على عنقريب من الحشب فوق أكتاف الرجال
وظل معنا الى أن فتحنا مديرية مرولي



كيفية فتح مرولي

لما وصلنا الى أول بلاد هذه المديرية من حوزة الملك وشرعنا فى بناء
مركز نتخذه محطة أولي لنا أخذ البيد يناوشوننا القتال حتى يشغلونا عن
تشيد المحطة وظللنا على ذلك زمناً طويلاً فلا هم مجتمعون لقتالنا بانتظام ولا هم
تاركونا لهيباً لنا مركزاً نقيم فيه مطمئنين

ثم بدا للكولونيل غردون أن يخبر أمتيسه فماتبه على فرار الاهالى
من وجوهنا وتركهم بلادهم حتى لا نستعين بهم على قضاء حوائجنا ثم أخطره
بأننا آتون باسم الحكومة المصرية وهى قوية السلطان شديدة البأس لا تريد
من هذه البلاد الا أن تعمم فيها المدنية والعدالة وتفتحها لخير التجارة التى بها
يتبادل الناس منافعهم فان كان الملك أمتيسه يريد لبلادهم خيراً صافى الحكومة
المصرية واستظل تحت ظل علمها الوارف والآ آتته بجنود لا قبل له بها وأرته
من قوتها واقتدارها ما يدرك الجبال الرواسى ويرغم أنوف الجبابرة . وهأنا
مقيم بمرولي انتظر منكم الرد بما تستصوبون

فلم تمض أربعة أيام حتى حضر رسول من عند الملك أمتيسه يلوم غردون
على تهديده الملك من حيث لا يعلم كنه قوته وهو فى بلاده وقادر على أن ينزل
به وبمن معه البلاء العظيم فلا تنفعه قوة الحكومة المصرية اذا استنجد بها

مهما كانت عظيمة. ثم سأل الكولونيل غردون عن سبب مجيئه الى بلاد الملك أمتيسه لينازعه فيها قاتلا عن لسان ملكه اتنا راضون عن حالتنا وما بثنا لكم الشكوي أو العوز لحاجة ونحن في غنى عن مدنيكم التي تسلبنا نعيمنا واستقلالنا الذي نحن فيه

وبعد مخبرات دارت على هذا النمط اذن الملك أمتيسه للكولونيل غردون أن يشيد المحطة التي يريد تشييدها في مرولي وأذن للاهالي أن يعودوا الى بلادهم وأن يتبادلوا مع المساكر البيع والشراء . وكان ذلك سببا في زيارة مشايخ وأعيان البلاد للكولونيل غردون فأهداهم الهدايا الفاخرة وخلع عليهم الخلع النفيسة حتي استمالهم كثيرا لجانبه واستعان بهم على حفر الخندق واقامة الاستحكام اللذين اراد انشاءهما وبعد أن أتم بناء المحطة بكل لوازمها رفع عليها العلم المصري وأطلق ٢١ مدفعا اعلانا بفتح هذه المديرية وكان الملك أمتيسه يتظاهر له تجاه كل ذلك بالحب والوداد ويقول انا نكون يدا واحدة وأستمد قوتي من الحكومة المصرية في بسط سلطتي على الرعية وتأمينها واسعادها وكان الكولونيل غردون أرسل الى مصر ليستحضر للملك أمتيسه عربية يركبها — وهي التي كان يركبها التمايشي في أيام دولته كما سيجيء.

أما أراضي مديرية مرولي فهي من أخصب الاراضي الافريقية وكانت بلادها عامرة وأهاليها متقدمين في الزراعة وماشيتها من البقر والغنم كثيرة وملابس أهلها منسوجة نسجا دقيقا من لحاء أشجار هناك يقشرونها ويدقونها دقا يصيرها أشبه شيء بالتيل في خيوطه الدقيقة. وألبستهم الازر يلفونها لفافي أوساطهم ليستروا بها انصافهم السفلي

أما الملك أمتيسه نفسه فكان يلبس القباطي الحريرية من صنع الزنجبار وعلى

رأسه عمامة كعائم أهل مكة وفي رجليه الجوارب والنعال الأحمر ويسكن بناء منظما وكان عنده شاب أصله من أبناء جنسه ولكنه تربى في زنجبار فعرف اللغتين الانكليزية والعربية فوق لغته الاصلية واسمه (مفتاح) فاتخذة ترجماناً له ولكثرة ما كان يأتيه السياح من جهة الزنجبار عرف الاخذ والعطاء ومبادلة الهدايا والسؤال عن الاحوال العمومية

لذلك كان الملك أمتيه أقوي حكام مجاهل أفريقيه وكان أهله على درجة من التقدم نوعا عن أهالى الجمهات الاخرى وقد أحسنوا زراعة الكروم خلاف ما يخرج عندهم من أشجار الفواكه اللذيذة العديدة فى غابات شاسعة يمشي المسافر فى ظلها أياما طويلة لا يكاد ينتهى لآخرها

ولما استقرت قدمنا فى بلاد الملك أمتيه وتبادل الكولونيل غردون معه مخابرات المودة خطر على باله أن يدعوهُ للاسلام لانه دين الحكومة المصرية الرسمي لان الملك أمتيه وقومه مجوس يعبدون الاصنام والتماثيل فأجابه بالقبول وطلب منه أن يرسل اليه علماء لتعليمه وقومه أحوال الدين الاسلامي ففى الحال أرسل الكولونيل غردون له اثنين من أئمة الاورط واثنين من الحلاقين ليجريا لهم طريقة الختان فاستقبلتهم الملك (أمتيه) بالحفاوة والاكرام ثم ضرب موعدا لمقابلة الامامين فتوجها اليه وقابلاه ولكن قد وجدنا عنده أربعة من القسوس وأصلهم من المبعوثين البروتستانت جاؤا اليه من ناحية الزنجبار فجعل هؤلاء عن يمينه والآخرين عن شماله وأخذ يسأل كل فريق عن أصول دينه وكأنه لما تحقق بالسؤال من الامامين أن غردون مسيحي دينه دين هؤلاء القسوس اختار الدين المسيحي وكتب الى غردون يستشيرهُ فى دخوله فى النصرانية بعد ما ترك دينك النقيين ورفيقيهما الحلاقين أياما عديدة مهملين

لا سائل عنهم حتي كانوا يمكثون الوقت الطويل بلا قوت يكاد يقتلهم الجوع
فاضطروا أن يرجعوا من حيث أتوا

ويظهر من ذلك أن (الملك أمتيه) كان مناققا ينظر الى مصلحة نفسه
ويستعمل كل غش وتدليس في طريق الحصول عليها فانه كان يرغب في الدين
الاسلامي قبل ان يتحقق من مسيحية غردون فلما عرف انه نصراني عول عن
رغبته الاولى واعتنق النصرانية دينا . ولذلك كانت عنده الرايتان المصرية
والانجليزية فاذا حضر سياح من الانجليز ادعي انه خاضع لسلطة الانكيز
ورفع الراية الانجليزية واذا حضر أحد من قبل المصريين رفع العلم المصري
بحجة انه تابع للحكومة المصرية ولكن انتهى أمره لرفع العلم الانجليزي دائما
ولذلك تركه الكولونيل غردون على حاله واعتبر (مديرية مرولى)
آخر حدود السلطة المصرية وكانت هذه المدينة مركزا للمديرية المسماة باسمها
وأول من عين لها القائم مقام محمد ابراهيم بك وأصله من مواليد السودان
وشهرته ابن جميعه

وبعد تأسيس المديرية على هذا الاعتبار رجعنا الى مركز (اللادوه)
وكانت طريقنا آمنة مطمئة وفرح أهالى اللادوه بعودتنا فرحاً عظيماً وخصوصاً
لقتوحنا البلاد الكثيرة حتى صارت مدينتهم عاصمة لقطر شاسع كثير الخيرات
والبركات يأملون ان يكون لها مستقبل عمران عظيم كمواصم الممالك الكبرى
وتخلص هؤلاء الاهالي من سلطة التجار أصحاب الكبابين (الشركات)
المستبدين . وعقب أن وصلنا الى اللادوه ببضعة أيام جاءت الاخبار من (اللاتوكه)
وهي جهة بينها وبين (كندكرو) مسافة اثني عشر يوما بان زرائب السيد أحمد
المقاد وجماعة من التجار الآخرين مضايقة من العبيد مضايقة شديدة وقد

اشتد الحصار عليهم وقلّ زادهم وعندهم تجارة واسعة وأموال كثيرة
ويطلبون النجدة في أقرب وقت والا وقعوا في الأسر والقتل ونهب مالههم
فاضطر الكولونيل غردون ان يجهز حملة يبعث بها الى تلك الجهة تحت
قيادة الصاغ محمد اغا عبد الكافي وأصله من ضباط الجهادية السود فصار الى
(اللاتوكه) في طريق كلاها جبال وعرة يسكنها هج العبيد الذين كانوا يتعرضون
له فيقاتلهم ويظفر بهم بأسلحته النارية وما زال كذلك حتي وصل الى الجهة التي
يقصدها ورأى هناك وكيل السيد احمد العقاد واسمه طه بن محمد ومعه
مصريون نخلصهم من الورطة التي كانوا فيها وجاء بهم وبأمتعتهم وبضعة آلاف
حمار من حمر اللاتوكه هي ذات ألوان خضراء تمشي الهوينا كما يمشي البقر وتدر
البانها كما تدر البقر وهم يستعملونها لذلك لا للركوب والحمل وعادوا بجميع
ذلك الى (الادوه) وقد أخذ العجب منا كل مأخذ لرؤية هذه الحمر الغريبة
في شكلها ومعيشتها ورأى الكولونيل غردون ان يوزعها على الضباط والعساكر
فأشار ان تدرب شيأ فشيأ بالركوب والحمل وقد دربت حتى أمكن
استعمالها لذلك بكل صعوبة ثم رأى ان يترك نقطة (اللاتوكه) فلا تكون
تابعة للحكومة المصرية لبعدها وقلة خيراتها

ولما رأى الكولونيل غردون أن جهات خط الاستواء الشاسعة صارت
في قبضة الحكومة المصرية مع ترمى اطرافها وقلة الجنود الذين عنده اختار
ان يضم الى قوته بعض العبيد الذين كانوا عساكر مأجورين لزرائب التجار
وقد قبلوا ذلك فاخذ منهم ألقي عبيد انخرطوا في سلك عساكرنا وصاروا
بعد ذلك أحسن الجنود دربة ونظاماً ولكن كان يراعى في اقامتهم بعدمهم من
مراكزهم الاصلية فالذى أصله من جهة الغرب يبعث به الى نقطة في الشرق

والعكس بالعكس مراعيًا في ذلك تخالف الاميال ونفرة القبائل التي كانت
مستحكمة عملاً بقاعدة احكم كل جهة باعدادها وهكذا كلما احتاج الى عساكر
يرسلها الى جهة ينتخبهم من اعدادها لتأييد سلطته بذلك على الجميع

تعيين المؤلف مديراً لبور والغربية

وبعد مضي بضعة أسابيع على عودتنا من جهة (مرولى) أصدر غردون أمراً
بتعييني مديراً عمومياً على مديرتي بور والغربية وهما من اكبر مديريات خطر
الاستواء وقد أعلن هذا التعيين في خطبة القاها على مجمع من الضباط
وكان تاريخ تعييني هذا تاريخ ترقيتي الى رتبة البكباشي في أوائل سنة ١٩٠٤ هجرية
وبعد ان استلمت الاوامر وكل ما يلزمي من قوت وذخيرة قمت على واپور
(المنصورة) الى مقر وظيفتي

وقد بقيت في هذه الجبهة نحو ثلاثة أشهر أعمل طبق الاوامر التي
كان يصدرها لي مدير عموم خط الاستواء الكولونيل غردون الذي ظل هذه
المدة يغدو ويروح بين شمال القطر وجنوبه وشرقيه وغربيه
وفي خلال هذه السنة بعث لي أمراً بالنزول الى القطر المصري في صحبته
وعين بدلي القائم مقام الطبيب بك الذي سيأتي الكلام عنه. وقد كان ذلك وعدنا
على بركة الله الى القاهرة وقابل الكولونيل غردون يوم وصولنا المرحوم الحديو
الاسبق وكنت معه في هذه المقابلة فأنتم علي بترتبة القائم مقام وكان ذلك في
شهر رمضان سنة ١٢٩٤ لان الكولونيل غردون أحسن الشهادة في حق كثير
وبعد هذه المقابلة عدنا الى قصر النزهة حيث كان غردون نازلاً وظل

عشرة أيام في القاهرة ثم غادرها الى انكلترا . وكنت أخذت اجازة منه أن أقيم في مصر مدة الثلاثة أشهر التي عزم على قضائها في أوروبا الا أنه بعد مضي شهرين ورد لي منه وهو في انكلترا تلغراف أن أبارح القاهرة قاصدا عموم خط الاستواء بصفة وكيل حكمداره العام فصعدت بالامر

تعيين غردون حكمدارا لعموم خط الاستواء

ولم أكد أصل الى بربر في طريقي حتى علمت من وكيل مديريتها بصدور أمر عال من الخديو يعين به الكولونيل غردون حكمداراً عاماً لجميع البلاد السودانية المصرية والسواحل البحر الاحمر وبذلك فصل اسماعيل باشا أيوب من وظيفة حكمدارية السودان . ثم علمت أيضاً بوصول تلغراف للمديرية يفيد عودة غردون باشا الى مصر وقضده مباشرة مصوع . ثم حصلت المخابرة بيني وبينه بالتلغراف فأشار عليّ أن أبقى بالخرطوم الى حين وصوله . وقد كان ذلك فائتي بارحت بربر قاصداً الخرطوم وهناك انتظرت الكولونيل غردون حتي وصل اليها واستقبل الاستقبال اللائق بل الفائت من كل وجه وأكثر من الاعطية والانعامات على مشايخ القبائل والاعيان مما لم يروه قبل من حكمدار . وكان فرمان تعيينه يمنحه السلطة المطلقة التي يتصرف بها على ما يراه موافقا لعمارة السودان وتنظيم أحواله الخ

وعلى أثر ذلك صدر أمره بتعييني باشمعاوناً لحكمدارية عموم السودان

وكانت هي الوظيفة التالية لوظيفة وكيل حكمدار عموم السودان

وفي ذلك الحين صدر أمر خديوي بضم جهات بحر الغزال الى أملاك

الحكومة المصرية وكانت لاتزال في سلطة أصحاب الكبابين (الشركات)

مديريات بحر الغزال

﴿ تعيين المؤلف مديرا لبحر الغزال - وبداية حوادث ادريس أتر ﴾
حضر الى الخرطوم على أثر تعيين غردون حكامداراً لعموم السودان
وخط الاستواء وسواحل البحر الاحمر من جهة بحر الغزال رجل اسمه
« ادريس أتر » وهو دنقلاوى الاصل اشتغل بالتجارة مجتهدا فأثرى وصار
من رؤساء الكبابين . وطلب مقابلة غردون فأجيب طلبه وأخذ يقص
على مسامعه من أعمال سليمان بن الزير باشا - وكان رئيس قومبانية أيضا -
ماهيج أعصابه من أعمال الظلم والقسوة والسلب والفتك والتهتك الخ وحسن
له ضم جهات بحر الغزال الى سلطة الحكومة الحديوية وذكر له من خيراتها
ماحرك أمياله نحوها ولذلك سأل السدة الحديوية اصدار الامر الذى أشرنا
اليه قبل فصدر ثم عقد مجلسا من كبار ضباط الجهادية هناك لانتخاب مدير
لعموم بحر الغزال فاستقر رأيهم على تعيينى مديرا لها وقد أسر الى غردون
وقئذ ان سليمان بن الزير باشا طامح الى الاستقلال ببحر الغزال وانه يجند
حوله جنودا ويستطيل على الشركات التجارية هناك حتى أوجس التجار منا
خيفة ولهذا رغب أن أستصحب معي قوة كبيرة وبعض المدافع والذخائر الحربية
والاسلحة الكافية فاستصحبت ستة بلوكات بضباطهم وعددهم وأخذت جملة
فصائل من الباشيزوق بأسلحتهم ومدفعين جبليين وساروخين حربيين وبلوكين
من الفرسان وسرنا هكذا على ثلاث وابورات وخمس عشرة سفينة شراعية
قاصدين بحر الغزال بطريق البحر الابيض ولما وصلنا الى فشوده أخذنا من
جندها ثلاثة بلوكات من الجهادية أيضا وتابعنا سيرنا حتى وصلنا الى مشرع

يقال له (مشرع الرق) على الشاطئ الغربي من بحر الغزال وهناك تمطل سير السفن بسبب الغابات الكثيفة التي تسد البحر في نقط كثيرة منه فطلعنا الى محطة المشرع وهي صحراء واسعة فأقننا بها زريبة من الشوك مربعة الاضلاع ونصبنا بها الخيام ورفعنا عليها علم الحكومة اعلانا بفتح هذه الجهة ثم أرسلنا رسلا الى مشايخ القبائل فحضروا وأعلنناهم بدخولهم في ولاية الحكومة فأظهروا الخضوع والسرور وتبادلوا البيع والشراء مع العساكر

ثم كتبنا منشوراً الى جميع الجهات اعلانا لوكلاء الكبابين (الشركات) والاهالي بصيرورتهم من رعايا الحكومة المصرية وأن يحضر أولئك الوكلاء والاعيان الى مركز (مشرع الرق) ولم تمض أيام قلائل حتي حضر قناوى بك أبوعمورى ونظاره (وكلاؤه) ومشايخه على القبائل طائعين وحضر أيضا وكلاء الحواجا غطاس وهو من مشاهير التجار وأصحاب القومبانيات الكبيرة وهكذا أخذ رؤساء التجار يفدون واحداً بعد آخر اظهاراً لطاعتهم وسرورهم بامتداد سلطة الحكومة المصرية عليهم وكنا نأخذ من رجالهم الاسلحة وحصص الحكومة من أنواع التجارات المحتكرة لها كالريش والصمغ وشن الفيل ومقدار هذه الحصص كان مقدراً بثلاثة أخماسها الا أنهم كانوا يظهرون التضرد من قلة ماتركه الحكومة والتمسوا في نظير ذلك ان تعفيهم الحكومة من أجرة نقل بضائعهم على مراكبها بين بحر الغزال والخرطوم

وقد استلزم الحال أن نتوجه الى أماكن هذه الشركات التجارية واحداً بعد آخر لقسم حصصها وضبط نصاب الحكومة منها واستصدرنا أمراً من حكمدار عموم السودان باجابة ما التمس أولئك التجار فصدر الأمر بذلك وفي خلال ذلك تبينت من أمر (ادريس أبت) انه رجل غير مستقيم

مثير للفتن ذو سوابق سيئة بينه وبين جميع التجار فرأيت أن أزجه في السجن
لأتدارك ما كنت أتوقع من شروره



بلاد نمم

ومما يتصل ببحر الغزال بلاد النمام وبلاد (القورقرة) التي تكثر فيها
البيضاء ذات الذنب الأحمر

ولذلك أخذت أنقل من مشاريع التجار حتى وصلت إلى تلك الجهات
وأهل النمم حمر الألوان نحاسيون عراة الأجساد غير أن نساءهم يسترن
عوراتهن بالحشائش الخضراء التي يغيرنها كلما جفت وكل ما يملكون من أنواع
الحيوانات وطيور الدجاج التي تفوق العد على قدر ما يناسب حال كل منهم
وكذلك الكلاب ولحمها عندهم أغر ما يأكلون وهو طعام امرأتهم ولذا
كانت قليلة عندهم

وأراضيهم واسعة خصبة تنبت قصب السكر والذرة والموز ينبت وحده
في غابات شاسعة لكثرة نزول الأمطار هناك

وفي طرف من هذه البلاد جبل يسمى (جبل الذنب) لأهليه رجالا ونساء
شفف كبير بالغناء يضربون الألحان على السفاير وهي ضرب من الناي باتقان
عجيب ومن عاداتهم أن ينزلوا في رأس كل عام وقت الحصاد ويمروا على البلدان
وأجرات المحاصيل للتسول بغنائهم فيجمعون قوت عامهم ويعودون إلى
بلادهم وهم يصطادون الوحوش والطيور والقبيلة لأكل لحومها وهم أنعم
أهالي تلك الجهات مراسا وأضعفهم جانبا لا يعتدون على أحد كما لا يعتدي
أحد عليهم

وقد سألت عن الذين يأكلون لحوم البشر منهم فعلمت أنهم أهل قبيلتين فقط من بلاد النتم وليس ذلك من عادة القبائل كلها وأن أكل الانسان عند تينك القبيلتين ليس دائماً وفي كل حال بل اذا مرض أحدهم وغلب اليأس من شفائه أسلمته قبيلته الى الاخرى لتأكله كما تفعل الثانية بمريضهما مع الاولى ومن ذلك يتبين ان اكل لحوم البشر في بلاد نتم ليس غذاء عاديا لهم كما يتوهم البعض بل هي طريقة اتخذوها لبيان معزة أحدهم عند الموت ويرونها ايسى شأننا من دفن الانسان في القبر أو احراقه بالنار مثلاً. ويرون في ذلك راحة لهم من عناء انشاء المقابر واحتياطاتها الصحية

أما سكان قورقورو وهي من ذلك الاقليم أيضاً فهم بيض الوجوه صفر الشعور زرق العيون كأنهم أوروبيون يعيشون في القارة الاوروبية ولكنهم يخالفونهم في زيادة الشقرة في اللون حتي ان الرأي ليستغرب وجود مثل هؤلاء الناس في وسط القارة الافريقية وعلى القرب من خط الزوال

وفي هذه البلاد حيوان يسمى (البمام) أشبه شىء بالانسان في صوته وقامته يستأنس كالقردة وله شعر مسترسل خلف ظهره وعلى جانبيه فائق في طوله جميل في منظره يتنزل به السودانيون كما تنزل العرب في عيون الجآذر والغزلان

وتجاور أهل قورقورو قبيلة تسمى (تيكتيكه) أهلها أقصر ما رأيت قامات وهم على غاية من الوحشية في معيشتهم ونفورهم من غير ابناء قومهم وبعد ما تجولت في هذه المديرية زمناً أصابني مرض شديد اضطرت معه الى الاستئذان في العودة الى الخرطوم فعدت وأخذت معي ما جمعت من سن الفيل وريش النعام ولكن عند وصولي اليها كان الكولونيل غردون قد ذهب

الى سوا كن فاستأذنته تلغرافياً في اعطاء الشركات ما يخصها من تلك السلع فاذن
لى وبلغت قيمة ماخص الحكومة مما جلبت اليها مئة الف جنيه أو دعت
بمخزينة المالية بالخرطوم

شأن ادريس ابتر بعد ذلك

تقدم لى الكلام على ادريس ابتر وزجى اياه في السجن لما تبينته من
حاله فلما عدت الى الخرطوم جلبته ممي اليها مخافة أن يكون في بقائه هناك
ما يجلب الشرور والمفاسد

وكانت عنده في بحر الغزال كمية وافرة من سن الفيل أخذناها منه كما
أخذنا مثلها من الشركات الاخرى ونقدناه ثمنها بعد عودتنا الى الخرطوم .
والمال كما يقال أقوى شفيع للانسان في كل حال اذ تمكن ادريس ابتر لوجود المال
معه من استمالة قنصل المانيا بالخرطوم اليه وبالفعل خابر القنصل الكولونيل غردون
تلغرافيا بان ادريس ابتر قد سجن ظلماً وانه برى من كل مانسب اليه والقنصل
المذكور كان من أخص اصدقاء الكولونيل غردون ويثق به ثقة عمياء ولدى عودة
الكولونيل غردون من سوا كن ذهبت للقائه خارج المدينة على احدى البواخر
ومعي الفريق عثمان رفيق باشا القائد العام للجنود السودانية وقتئذ فأول كلام
فاتحني به رغبته في عودة ادريس ابتر الى بحر الغزال فاخذت اشرح له بأدلة
ما عساه يقع من عودة هذا الرجل وبينت له بأسباب أعماله السيئة الماضية فلم
يكترث بشيء من ذلك وأصر على ارجاعه وكان خطابه لى بالفاظ الاستعطاف لا
الامر حتى انقطع حديثنا بالوصول الى المدينة والاشتغال بما أعد له من الاستقبال
الرسمى وعلى أثر وصوله الى سراى الحكمدارية طير رساله تلغرافية الى

الجناب الخديوي بالقاهرة التمس فيها الاحسان على برتبة الاميرالاي والوسام
المجيدى الثالث اه وما مضى يومان حتى جاءت الاجابة من لدن الحضرة الفخيمة
الخديوية وكان ذلك فى شهر محرم سنة ١٢٩٥ هجرية

استقالة المؤلف

(من مديرية بحر الغزال)

« وتعيينه حاكما على مديريات خط الاستواء وتعيين ادريس ابتر بدله »
ذكرت ما ألمّ بصحتي من الانحراف بسبب سوء تأثير هواء بحر الغزال
عليها فلما رأيت اصرار غردون على الصفع عن ادريس ابتر واعادته الى بحر
الغزال رأيت الفرصة مناسبة لان أستقيل محتجاً باعتلال صحتي والظاهر ان
غردون رأى في هذه الاستقالة أيضا فرصة مناسبة لارضائي وارضاء ادريس
ابتر مما قبل استقالتي وعيني في الحال حاكما عاما على اقاليم خط الاستواء
بدلا من براوت بك الاميركاني الاصل الذي كان حاكما عليها قبل ذلك . ثم
أصدر أمره بتعيين ادريس ابتر مديرا على بحر الغزال والتمس له من الجناب
الخديوي الرتبة الثالثة

ثم أمرت بمبارحة الخرطوم فأخذت فى أهبة السفر وعندئذ استدعاني
الكولونيل غردون للتوفيق بيني وبين ادريس ابتر فأصلح ما بيننا . ويقيني أن مغبة
تعيينه ستكون وبالا على بحر الغزال ومع ذلك قد محضته النصيح فى أمور
كثيرة أخصها أن يكف عن مناوأة سليمان بن الزبير وأوضحت له صعوبة
عمله اذا لم يكن معه على صفاء

وبعد ذلك بارعت الخرطوم قاصداً مقر وظيفتي على وابور (الاسماعيلية)

وسافر هو كذلك الى مقر وظيفته على وابور (الصفية) وظللنا سائرين معا حتى وصلنا الى بحيرة تدعى (ميمة السنيوره) وهي التي بها مدخل بحر الغزال من الجهة الغربية وطريق خط الاستواء بالجهة الجنوبية وهناك افترقنا بعد ما كررت له النصيحة السابقة وما زلت سائرا في بحر خط الاستواء حتى وصلت الى (اللاذوه مركز عموم الاقاليم الاستوائية) وهناك أصدرت منشورا عمومياً أبلغهم به الاوامر الجديدة بتعييني مديراً على تلك الاقاليم وقومندانا على عساكرها وبالاعمال اللازمة لاستتباب الامن العام وسعادة البلاد ثم رأيت أن لا اطيل الإقامة في مركز وظيفتي قبل أن أمر على مراكز المديريات لتفقد حالة المال والاهالي وهكذا سرت أنتقل من جهة الى جهة مدة أربعين يوماً ثم عدت الى اللاذوه ثانية وأقمت بها نحو خمسة عشر يوماً ثم بعدها متابعاً المرور شمالاً قاصداً مديرتي (بور وسبت) وبينما كنت سائرا بوابور الاسماعيلية في سروري هذا شمال مديرية (بور) قبل أن أدرك محطة (شانيه) بنصف ساعة اذ سمعت لفظاً كثيراً من العساكر الذين معي فسألهم عن سببه فأخبروني ان أناسا سائرين على الشاطئ حاملين راية حمراء يستغيثون بنا وهم يطلقون بنادقهم في الهواء استلقانا لنا فقمنا وأخذت منظاري بيدي وتحققت من أمرهم فأمرت برسو الوابور وانتظارهم وبعد هنيهة وصلوا الينا واذا بادريس بك أبتير مدير بحر الغزال مقبلا علينا فاندھشت لرؤيته في هذا المكان وسألته عن سبب قدومه فأخبرني ان سليمان بن الزبير قد هجم على مركز المديرية وأخذ كل ما فيه من الاسلحة والذخائر فاستفهمت منه عن السبب الذي حمله على فعله هذا مع انه أقام في هذه المديرية سنة كاملة لم يقدم في خلالها على مثل هذا الامر فأنكر إدريس بك السبب الحقيقي قائلاً

انه أقدم على هذا الامر من تلقاء نفسه ولا أعلم له من سبب ورجائي اعطائه
عساكر لمقاومة عصيانه وردده عن طغيانه فقلت له لا بد أن تكون أنت
السبب في عصيان هذا الرجل ثم استفهمت عن حقيقة ماجرى من القاضى
والضابط اللذين اصطحبهما معه ادريس بك فحاولا أولاً مداراة مديرهم ثم رأيا
أن لا سبيل الى المداراة ولا مصلحة فيها فأقرا بما كان. وهو أن ادريس أبتر لما
وصل الى زربية شركة المعلم غطاس أدب له مستخدمو الشركة وجلهم من الدناقلة
بنى جلده ما أدبه حوت كثيراً من أنواع المسكرات فلما لعبت بعقله بنت الحان
أخذ يقول انه تعين مديراً غمماً عن ابراهيم بك فوزي وانه أنفق في هذا السبيل
ألف جنيه للقنصل فريدريك الذي تقدم لنا ذكر شأنه معه ولا بد من استعاضته
بتوزيعه على موظفي المديرية ثم لا بد من تجريد حملة عسكرية لقهر سليمان بن
الزير وتخريب زربية وقتله وصار يتقوه بالفاظ السباب والشتائم في حق ابن
الزير فلما بلغ ذلك سليمان بن الزير قام هاجماً على مركز المديرية وكان منه ما كان
مما أخبر به ادريس أبتر وكان ذلك قبل وصول ادريس أبتر الى مركز المديرية
فلما نعى اليه الخبر اعتصم بالفرار لينجو بحياته وكان من أمر اجتماعه بشا في
الطريق ما ذكرناه

وعلى أثر ذلك أرسلت ادريس أبتر الى غردون مخفوراً بمشرة من العساكر
وواحد من الضباط وكذلك أرسلت له الاوراق التي باشرت فيها التحقيق
وفيها «ان ادريس أبتر كان قد أخذ العهد على أولئك الذين قصدوا مدارته في أول
الامر بكم ما حصل منه ثم عادوا الى الاعتراف بالحقيقة» وما بلغ ادريس أبتر
الخرطوم حتى زجه غردون باشا في السجن

تعيين جسي باشا مديراً على بحر الغزال
وبعد أن زج ادريس أبتري في السجن أصدر غردون باشا أمراً بتعيين
جسي باشا وهو ايطالي الاصل مديراً على بحر الغزال وعهد اليه اخضاع سليمان
ابن الزبير ومقاومة عصيانه ولدى وصوله الى بحر الغزال بدأ بمطاردة وحشد
عشرة آلاف جندي لمقاومته وجرت بينهما وقائع عديدة كان النصر في جميعها
حليف جنود الحكومة وفر سليمان بن الزبير الى برية بين بحر الغزال
ودارفور تدعى (حفرة النحاس) فتأثره جسي باشا حتى أدركه وليس معه
أكثر من أربعمئة مقاتل من المييد البازنجر خارت قواهم ولم يعودوا
قادرين على مداومة القتال وكان راجح الذي قيل انه مملوك الزبير باشا من
ضمن أولئك الباذنجر فاستمال اليه نحو نصفهم وزين لهم الفرار والالتجاء
الى التلوات الواقعة بين دارفور وبحر الغزال ريثما يتناسي الناس أمرهم
فيعودوا الى أوطانهم بعد انطفاء جذوة غضب رجال الحكومة على تجار الرقيق
فاطاعوه وفروا الى جهة الجنوب الغربي من حفرة النحاس وقبل أن يتعدوا
عن معسكر ابن الزبير بعشرة أميال انقض عليه جسي باشا وقبض على من
فيه وقتل ابن الزبير واثنين وعشرين رجلاً من أشهر النحاسين الذين معه^(١) ولم

(١) جاء في العدد ٩٨٤ من جريدة الجوائب بتاريخ ٢٥ محرم سنة ١٢٩٧ بقلا عن
الجرائد المصرية . وقد قال أحد مكاتبي التيمس ان الاخبار الواردة من غردون
باشا عند ما كان في دارفور تفيد ان القائم مقام جسي انتصر أخيراً على تجار الرقيق
في اقليم بحر الغزال كما انتصرت الانكليز على الزولوس وذكر المستر جسي خبر نصرته
بالايجاز . وخواء انه لما هجم سليمان أحد زعماء العصاة هزمه المستر جسي واقتفى أثره
مدة أميال فانقلب سليمان الى حصنه ولم يمكن المستر جسي أن يستمر مقتفياً أثره بسبب
عدم وجود المؤنة معه فمكث لغاية ٢٨ ابريل الى أن أنه الذخيرة الكافية فشرع في

تعرض الحكومة على شيء يذكر من أسلابه وغاية ماغنته لا يتجاوز سبع قناطر من سن الفيل ونحو خمسة آلاف من الريالات المجيدى واستولت على سندات بقيمة عشرين ألف ريال بمواعيد مختلفة يؤديها بعض تجار الرقيق لابن الزبير وعثر على أوراق دلت على ان أسباب المصيان كانت مدبرة بينه وبين والده ويقصد هذا من ذلك أن تكلفه الحكومة باخضاع ابنه حيث يبلغ أربه من العودة الى بحر النزال

ثم عاد جسي باشا الى مقر وظيفته وقتل خلقاً كثيرين من النحاسين والذين لهم علاقة بابن الزبير ومكث مديراً على بحر النزال سنة كاملة ثم استقال لاعتلال صحته فاقيل وسار من بحر النزال الى الخرطوم فسواكن حتي ادركته المنية بالسويس قبل ان يبلغ القاهرة وخلفه في وظيفته (موسي باشا شوقي) من الضباط المصريين فاستقر قدمه فيها لخلوها من النحاسين الذين هم مصدر كل الشرور والفتن . أما راجح فانه من أولاد العساكر السود

الاقدام والهجوم وكان معه نحو ١٠٠٠٠ نفر فانهز سليمان الفرصة وجمع ٣٠٠٠ نفر من الرقيق غير ان جسي اعتق بعض أنفاره مكافأة لهم على خدمتهم ثم حصلت مناوشات انتصر فيها جسي وفي ٥ مايو حصلت ماحمة عظيمة انهزم فيها العدو شر هزيمة فمزم جسي على أخذ القلعة بالهجوم ففاز بذلك وهرب سليمان نفسه ومعه نفران وترك جميع الذخائر والمكاتب التي يستفاد منها خيانة أبيه زبير باشا وكذلك ترك ألف جنيه من ريالات فضة و ٦٣٠ رطل عاج وكيس ذهب وحوالات كانت مع التجار المصريين لشراء الرقيق والعاج وریش الطعام يبلغ مقدارها نحو ٢٠٠٠٠ ريال أي ٤٠٠٠ جنيه وغير ذلك من المواد والمهمات وأصدر جسي أمراً بقتل كل من يتعدي على أحد من الاهالي وشنق تسعة من كبار المذنبين عبرة ليعتبر بها باقي تجار الرقيق وقتل ثمانية من الزعماء في الواقعة الاخيرة وفي عزم جسي تجريد الاهالي من الاسلحة بدون فرق وطرده جميع تجار الرقيق

الذين يسمونهم في اصطلاح المساكر (غلمان الجهادية) ولم يكن مملوكا للزبير
باشا ولا لغيره قاده الطمع وحب الكسب الى الانتظام في سلك تجار الرقيق
فانتظم في حملة أبي عموري التاجر وكان حليفا للزبير باشا ثم لابنه من بعده .
ومدة الحرب بين جسي وابن الزبير لم تبلغ أسبوعين كان يدعو جسي باشا في
خلالهما الى الطاعة والابتعاد عن سبل العصيان

فصل المؤلف

هو من مديرية خط الاستواء وتعين أمين باشا بدله
وبعد عودتي من الرحلة التي لقيت فيها ادريس ابر جاءني سائح اسمه
الدكتور (ينكر) يطلب مني ان اجمع له مائة شخص من الاهالي يحملون أثقاله
مدة تجوله في انحاء خط الاستواء وكانت العادة المتبعة عندها اذ ذاك ان نسمح
بمثل ذلك لكل سائح على شرط ان يؤدي أجرة كل شخص ثلاثة غروش
من العملة الصاغ عن كل يوم وان يدفع لكل شخص أجرة ثلاثة شهور سلفاً
وان يكون مكلفاً بلوازمهم اليومية من الطعام فعرضت عليه هذه الشروط
فاكبرها وادعى ان لديه أوامر من غردون باحتساب كل نفقات سياحته على
جانب الحكومة فطلبت منه الرقيم الصادر من غردون فلم أجده عنده شيئاً
من ذلك وأخيراً دفع أجرة شهر واحد لكل حمال من الذين جمعناهم له
وتعهد بدفع الباقي عند عودته وبعد ثلاثة شهور عاد من سياحته وامتنع عن
دفع ما بقى في ذمته من أجرة الجمالين وبعد محاورات كثيرة دفع لهم أجرة
الشهرين الباقيين ثم أخذ في أهبة السفر ومعه شيء كثير من العاج
فاخبرته باحتكار الحكومة هذا الصنف ومنعها الاتجار به وحمله الى الجهات

الشمالية وأفهمته ما تقضى به الأوامر من ضبط مامعه وأخذه لجانب الحكومة فامتنع أولاً ثم رضع ثانياً وكان كثير الالفة والتودد إلى طبيب الحكومة الدكتور شنيذر الذي سمي نفسه بعد باسم (محمد أمين) ثم صار حاكماً على أقاليم خط الاستواء باسم أمين باشا

وفي غضون إقامة هذا السائح بخط الاستواء نقل إلى كثير من تجار الأوربيين هناك أنه مصمم على الوشاية بي عند غردون وأنه لا بد من أن وشايته ستفضي إلى فصله وأنه يرشح أمين أفندي طبيب الحكومة لولاية الحكم على أقاليم خط الاستواء بعد فصله

على أنني لم أكرث بهذا القول وعددته من قبيل الهوس وخصوصاً ما ذكر من أمر أمين أفندي الطبيب لاني وسائر من ممى من الموظفين نعتقد فيه فقدان الروية وعدم الخدق حتى في صناعته التي انقطع لها ودرسها فكيف يكون شأنه إذا عين بوظيفة حاكم لأقاليم بخط الاستواء إدارتها عسكرية ومدار عملها على الحركات العسكرية والمهارة الحربية ثم غادر الدكتور (ينكر) خط الاستواء على إحدى البواخر فكتبت إلى الكولونيل غردون أعلمه بكل ما وقع بيني وبين الدكتور (المذكور) وشرحت له ما علمته من أولئك التجار من نواياه ونوايا أمين أفندي الطبيب ولما وصلت الباخرة إلى مكان يدعي (شيشه) بعد عن الخرطوم بنحو مائة ميل أصابها خلل أوقف متابعة سيرها فخرج السائح منها واستأجر نوقاً وصل على ظهورها إلى الخرطوم وقابل الكولونيل غردون وألقى عليه ماشاء من الأكاذيب والوشايات فاحتدم غيظاً جرياً على عادته حيث كان من طباعه أن يصني لكل واش سبق غيره بالشكوى إليه من غير أن يتحرى صدقه ويقف على كنه قصده

وبعد بضعة أيام أصالح خلل الباغرة فاستأنفت سيرها الى الخرطوم
وبعد وصولها ذهب صاحب البريد ليسلمه للكولونيل غردون فامتنع من
استلامه وأصدر أمراً بفصله من مديرية خط الاستواء وتعيين أمين افندي
الطبيب وكيله حتى تصدر أوامر أخرى . ثم غادرت خط الاستواء قاصداً
الخرطوم حيث أصدر الكولونيل غردون أمراً بتعيينه حاكماً عاماً على إقليم
خط الاستواء فوق ذلك موقع الدهشة والاستغراب لدى الموظفين الذين
لا يرفون لهذا الرجل أهلية إدارية أو عسكرية تبوؤه هذا المنصب الخطير وأيقن
الكل بأن الدكتور (ينكر) هو الذي مهد له هذا السبيل وبوآه هذا المنصب
ولا غرابة في ذلك فإن الدكتور شنيتر قدر على إخفاء دينه وتسمى
بمحمد أمين فليس بعيد علي منافق كهذا استمالة مثل الدكتور ينكر مادام
عالمين من الكولونيل غردون الاصفاء لكل مبادر بالوشاية ولو كان
ذا قصد سيء



قصة الأفيال في خط الاستواء

ومن الأعمال التي تدل على جهالة أمين افندي وبعده عن أصالة الرأي
بعد السماء من الأرض أن الكولونيل غردون كان اشترى من أفيال الهند
الداجنة عدة وجلبها الى خط الاستواء ولما عينت حاكماً على خط الاستواء
سلمها اليّ وأمرني أن أقم لها زريبة من الشوك علي بعد ألف ومائتي متر
من مدينة (اللادوه) وكنا في غداة كل يوم نخرجها من الزريبة ونسرحا في
الفلاة تقات بالحشاش وتختطأ بالأفيال الوحشية وفي أصيل النهار تعاد
الي الزريبة فيتبعها منها بضعة أفيال أو أزيد بعد ادخالها في الزريبة فيقتل

المساكر الافيال الوحشية رميا بالنبل فتأخذ الحكومة أسنانها وتأكل المساكر لحومها اذ هي لذيذة جداً ومحبوبة عندهم وبذلك تقتصد الحكومة ثمن اللحوم التي تجريها على المساكر. وفضلا عن ذلك فان الاقاليم الاستوائية لا توجد بها دواب للحمل ونقل الاثقال من مكان لآخر فكانت هذه الافيال تؤدي وظيفة الحمل في زمن الحروب ونقل الذخائر من أهم حوائج الجند اذ يحمل الواحد منها اكثر من حمل خمس من الابل

وغير هذا وذاك اتى لما غزت بعض البلاد لادخالها في طاعة الحكومة وحملت الاثقال على تلك الافيال كان الاهلون في كل جهة مررنا بها يقابلونا بالاعجاب ويتساءلون كيف أخضع هؤلاء الناس القيل الذي هو أكبر حيوان وكيف ذلوه لارادتهم وقادوه كما تقاد الشاة ولما وصلت الي بلاد العصاة لم يقابلوني بغير تقديم الطاعة والتسليم هم وملوكهم وصرحوا لي بأنهم لا يستطيعون قتالي وقتال جنودي الذين ذلوا الافيال وكان ذلك شأني مع كل بلاد غزوتها بالافيال وأطلق الجنود اسم بلاد الافيال وقبائل الافيال على كل بلاد وقبائل دانت بطاعة الحكومة رهبة للافيال وأطلق الاهلون على اسم (الحاكم صاحب الافيال) وبعد مبارحتي خط الاستواء خيل لامين افندي باشا أن يذبح الافيال الداجنة ليتحقق الفرق بين لحومها ولحوم الافيال الوحشية ولاجراء تحليلات كيمياوية وقد فعل فانظر الي هذه السخافة

وكان في خط الاستواء ثيران من البقر تبلغ الالفين ذلت بأزمة حتى صارت قابلة لحمل الاثقال والركوب كالجمال فذبحها كلها ولو كانت الافيال والثيران باقية لما هلك اكثر الذين رافقوه مع المسترستانلي الرحالة عند مغادرته خط الاستواء كما سنذكر ذلك في موضعه ان شاء الله

ذكر ما حصل للمؤلف من الكولونيل غردون وسفيرة مصر
ولما وصلت الخرطوم قصدت سراي الحكومة واتمست مقابلة
الكولونيل غردون فلم يأذن لي بمقابلته فعدت الى منزلي وأنا مصر على مغادرة
السودان وعدم قبول أى خدمة فيه بعد الاهانة التى لحقتني من السائح الذي
سعي بالوشاية في عند من لم يتحر الحقيقة ولم يعتقد في الاوروبيين انهم بشر
يجوز في حقهم الكذب والخيانة والغرض فعرضت اليه التمس التصريح لي
بالشخص الى مصر فاستدعاني وخاطبني بأنفة قائلاً أنت تريد السفر الى مصر
قلت نعم قال ولماذا قلت اني مكثت سبع سنوات هنا وأود العودة الى وطني
لتبديل الهواء والفرار من وجه السياح الكذابين مثل (ينكر) فقال أهو كذاب
قلت نعم ولو أطلعتني على سمائه بي عندك لا ظهرت لك كذبه واتي ما عاملته
الآن بما لا مندوحة لي منه وهي واجبات وظيفتي وختمت حديثي باعادة
الالتماس بالتصريح بالسفر الى مصر على نفقة الحكومة فقال قد أذنت لك
وأمر بكتابة الاوامر بسفري على نفقة الحكومة ثم طلبت منه كتابا الى الحربية
المصرية مؤذنا باحالي عليها فأعرض عن الاجابة فألححت في الطلب وصرخ
على الرفض فانصرفت عنه وهو مفهم من الغضب وأنا مفهم من الغيظ والكدر
وما مضت أيام حتى غادرت الخرطوم وما زلت سائراً حتى وصلت القاهرة

ذكر ما وقع للمؤلف مع شاهين باشا ناظر الحربية
وفي ثاني يوم وصولي لمصر ذهبت لديوان الحربية لابسا الملابس الرسمية
حيث قابلت شاهين باشا ناظر الحربية والبحرية المصرية فتمثل لي واقفا ببشاشة
وطلاقة وجه وبعد تناول القهوة سألتني وأمارات الدهشة والاستغراب بادية على

وجهه أنت حائز لرتبة أمير ألاي فقلت نعم فقال ومن أين قدمت فأجبت من السودان فقال ما اسمك قلت ابراهيم فوزي فقال هل عندك كتب من حاكم السودان قلت كلا فقال وبماذا نعرفك فقصصت عليه ما كان من امتناع حاكم السودان من اعطائي كتابا فقال ولاي شيء كان ذلك قلت لا أعلم ثم سألتني عن براءة الرتبة التي أنا حائز لها فأجبت به بأن لدي البراءة من رتبة الملازم ثانيا حتى رتبة الامير الاي فقال أود الاطلاع عليها وعند ذلك لم أتمكن كيظم تعيظي حيث قلت له أظن بأنني مختلس هذه الرتبة فان كان كذلك فان لديك الصديق عثمان رفيقي باشا الذي كان قائدا عاما لمساكر السودان فسله مني بنبئك اليقين واذا شئت فان معية الجناب الحديوي تخبرك بما يجعلك في غنى عن توجيه هذه الاسئلة الي ثم انصرفت عنه وهو يلاطفني ويرجوني أن أقابله في الغد



مقابلة المغفور له خديو مصر اسماعيل باشا

وبعد انصرا في عن ناظر الحربية ذهب هو الي سراي عابدين العاصمة وتشرف بمقابلة الجناب الحديوي وقص على مسامعه الكريمة حديثي فأمر ناظر الحربية باستدعائي بين يديه في الغد لمقابلة سموه وفي الغد ذهبت الي ديوان الحربية كما أمرت ولما دخلت على الناظر كان أول خطاب وجهه الي «أنت جئت» كأنه يرتاب في محيئي ثم قال. بعد ساعتين تشرف بمقابلة الجناب الحديوي المعظم فظهرت السرور وبعد انقضاء الساعتين ركبت معه عربته ولما مثلت بين يدي الخديو قابلي بالبشاشة والاكرام وكان ناظر الحربية قد سبقني الي ذلك وبعد الجلوس سألتني عن اسمي فقلت ابراهيم فوزي الذي قابل

سموكم مع الكولونيل غردون وأنا يومئذ حائز لرتبة الصاغقول اغاسى
وقد أحسن سموكم على رتبة البكباشى فى غضون تلك المقابلة وقد تنازل
سموكم بإبلاغى ممنونية الكولونيل غردون منى وثناءه على بالنسبة لما كان
منى من الخدم التى أدتها فى فتوحات خط الاستواء وتنازل سموكم أيضا وخاطبني
بالتفاط التشجيع والوعد بالترقى اذا ظلمت على النهج الذى أوجب ثناء الكولونيل
غردون على

فالتفت سموه الى ناظر الحربية وقال له لو رأيت الكتب التى وردت
على من الكولونيل غردون باللغتين العربية والفرنسوية بالثناء على هذا
الرجل لعلمت انه مستحق لرتبة القربق مثلك فاعتذر ناظر الحربية وأمره
الجناب الحديري بمعاملتى اسوة امثالى فانصرفت بمداسداء الشكر للحضرة
الفضيلة الحديوية وانصرف معي ناظر الحربية وفى نفسه شىء منى فدعاني
لركوب عربته للعودة الى نظارة الحربية وبينما نحن سائرون لمحت منه امتعاضاً
على الكولونيل غردون لانه يكيل الرتب جزافاً فانكرت عليه ذلك وقلت
له بلغنى انك لما كنت حائز الرتبة أميرالاي كنت أصغر سناً منى فقال كلاً
فانى لما رقيت الى رتبة أميرالاي كان سنى اثنين وثلاثين عاماً فقلت له وما
تحتسب سنى قال عشرين سنة أو أكثر بقليل فقلت ان عمرى ثلاثون سنة
وقد نلت الرتب باستحقاق حيث كابدت مشقات وقاسيت صعوبات فى فتح
بلاد جديدة وانتهى الحديث بيننا بالوصول الى الديوان حيث أمرني بالتردد
عليه ريثما يجد لى وظيفة تليق بى فكثت متردداً نحو شهرين لم يعرض
على ناظر الحربية وظيفة تليق أولاً تليق بى

قدوم الكولونيل غردون مصر واستقالته

وفي أواخر سنة ١٢٩٦ هجرية قدم الكولونيل غردون الى مصر لمقابلة الخديو فتوجهت لزيارته بقصر التزهة بشبرا حيث كان نازلا فيه ضيفاً على الحكومة المصرية فقابلني بفتور وكان معه ضابطان أوريان كانا موظفين بخط الاستواء حينما كنت مديراً. ولما رأيت منه هذا الفتور استأذنته بالانصراف فخرجت وأنا مصمم على عدم العود الى زيارته وبعد خروجي انكر عليه الضابطان ما قابلني به من الجفاء وكانا قد بارحا خط الاستواء لتبديل الهواء في الباخرة التي سافر عليها الدكتور ينكر وغادرا الخرطوم الى القاهرة فاوردوبا قبل ان يقفا على شيء من أمري ثم انهما كانا عائدين من أوروبا ولما رأياي مع الكولونيل غردون كانا يظنان اني قدمت معه كالمرءة الاولى والضابطان المذكوران يدعي احدهما الكولونيل (مارنو بك) والثاني الكولونيل (منسون بك) فسألا الكولونيل غردون عن سبب هذا الجفاء فقص عليهما كل شيء من أمر ينكر فاكدا له تزيف كل ماوشى به ينكر وقصا عليه الحقيقة من أولها الى آخرها فلم يقتنع حتى أطلعا على مخاطبات من السائح ينكر والدكتور أمين تدل على انهما كان يلحان عليهما ليوافقاها على دسائسهما ووشاياتهما على فابيا ترفعاً وأنفة من مثل هذه الدنآآت وعقيب ذلك ارسل الى الكولونيل غردون وبالع في الاعتذار ورجائي ان اعتقد بان منزلتي لديه صارت أجل وأرفع مما كانت عليه وانه يتأسف كثيرا على ما لحقني من الاهانة فيما مضى فقبلت عذره واکت حفظ الوداد فكتب في الحال الى نظارة الحرية والى المعية السنية رسالتين يثنى علي فيهما ويسألها توظيفي بوظيفة لائقة

ولما وصل كتاب الكولونيل غردون الى المعية السنية أمر الجناب
الحديوي ناظر الحرية بتوظيفي فاعتذر بعدم وجود وظيفة لائقة فامر به باحالي
على الاستيداع بنصف الراتب الذي هو خمسة وعشرون جنيها
ولم تمض ثلاثة أيام علي احالي على الاستيداع حتي استدعاني الكولونيل
غردون وعينني بوظيفة قائد عام لجنود السودان الشرقي فاخذت في الالهبة
للسفر لمقر وظيفتي

وبينما أنا كذلك اذ بلغني ان الكولونيل غردون قد استقال من وظيفته
وأقالته الحكومة الحديوية فاسرعت وسألته ان يتوسط لي في قبول الاقالة
من هذه الوظيفة ففعل وقبلت وساطته وصدر الامر بعودتي الي الاستيداع
أما الاسباب التي بنيت عليها استقالة الكولونيل غردون فلم أقف على
شي منها وغاية ما علمته من أخبار الصحف وقمئذ أن الخلاف الذي كان قائما
بين مصر والحبشة في مسألة تحديد التخوم لم يعمل فيه الكولونيل غردون بما
كانت تمنح اليه الحكومة الحديوية من حسم الخلاف بالطرق الودية وملافاة
الشحناء بالخبرات السلمية بل كان يود غير ذلك وكانت حالة الحكومة الحديوية
اذ ذاك في ارتباكات داخلية لا يجهلها القارئ وهي التي بدت طلائعها قبل
استقالة المغفور له الحديو اسماعيل باشا ويقرب من العقل تصديق
هذه الرواية

وقررت الحكومة منحه عشرين الف جنيه مكافأة له على خدمته التي
اداما بالسودان فاعتذر عن قبولها وأظهر شما اذ قال انني ما خدمت الحكومة
الحديوية لانال منها مكافأة بل كان قصدي خدمة المدنية ونفع النوع البشري
وغاية ما يمكنني قبوله هو مرتب شهرين باق لي لم أقبضه حتي الآن فدفت

له الحكومة مرتب الشهرين فوزعه على الخدام والطهارة الذين كانوا يتولون خدمته في قصر النزهة ولم يدخر منه غير نفقة وصوله الى بلاده ثم بارح القاهرة الى الاسكندرية فلوندره



تعيين محمد رؤف باشا حاكما على السودان
وبعد استقالة غردون باشا عينت الحكومة خلفا له المرحوم محمد رؤف باشا الذي جعل ادارته قاصرة على الغاء أكثر الحاميات اقتصادا للنفقات وأنزل مرتبات الموظفين الى النصف ورافقه ضباط مصريون روى لنا واحد منهم هو القائمقام اسكندر بك محمد أنه سمعه يقول لم يحسن الجنب الحدو بتوليته على عموم السودان لاني أعرف من تفي عدم القدرة على ادارة شؤون هذه الاقاليم وكان الاحسن أن يمينني مديرا على اقليمى « بربر ودنقله » فقط وفي أيامه ظهر المهدي وكان من أمره ماأنأى على شرحه



ذكر وظائف المؤلف بعد ذلك

وفي أوائل سنة ١٢٩٧ تمين المرحوم عثمان رفقي باشا ناظرا للحرية المصرية فعينني في وظيفة مأمور عمليات اقليم الغربية بمرتب خمسين جنيها مصريا في الشهر غير نفقات السفر وبعد انتهاء العمليات عينت مأمورا لتعداد النفوس باقليم الجيزة ثم عدت الى الغربية لفرز انفار القرعة ثم انتدبت لتحقيق مسألة دعوي جماعة من الضباط على دولة البرنس ابراهيم باشا أحمد بانه غصب منهم تفتيش الزنكون من أعمال الشرقية وبعد مباشرة التحقيق ظهر كذبهم وفساد دعواهم ثم فصل عثمان رفقي باشا من نظارة الحرية وعين خلفا له محمود سامي

(باشا) البارودى وبدأت حوادث المصريين

وفي ابان ذلك أرسلت حكمدارية السودان الى المعية السنية تلغرافاً تخبرها
بأول حادثة جرت لها مع المهدي فأمرت الحكومة بحشد أربعة طواير
نصفها من السودانيين والنصف الآخر من المصريين وتاليف الأي منهم
لأرساله الى السودان وتعيين المؤلف أمير الأي عليه وبعد حشد الجنود أخذنا
في تمرينهم على إطلاق النار بضواحي العباسية ثم بعد ثلاثة شهور أرسلت
الحكمدارية تلغرافاً الى المعية السنية تقول فيه إن ميزانيتها لا تتحمل نفقات هذا
الألأى وانها انتدبت لقتال المهدي يوسف باشا الشلالى وجعلت تحت إمرته
جنوداً نظامية وباشبوزق وأكدت لها قدرته على مقاومة العصاة وإخضاعهم
وأنه لا بد أن يقضي القضاء الأخير على دعوة المهدي قبل أن تشب من طوقها
ولما كنت عارفاً بيوسف باشا المذكور التزمت أن أعرف المعية عنه بأنه كان
نوتياً ثم صار نخاساً من الذين كانوا يجر الغزال ولم يكن عسكرياً ولا إدارياً قط
فلم تلتفت لأقوالى وصدرت الأوامر بحل الألأى وكان من أمر يوسف باشا
مايجي ذكره في حوادث المهديوية وأضيف طابوراً السودانيين الى لواء عبد
العال حلمي (باشا) وقتئذ والآخران الى ألوية المصريين ثم عينت بوخليفة
باشمماون نظارة الحرية ومكثت بهذه الوظيفة حتى إطلاق الدونمة الانكليزية
القنابل على الاسكندرية ثم عينت أمير الأي على أحد الايلات التي جندت
ومتشذ وهو الألأى الاول من الفرقة الثالثة وكانت اقامة هذا الألأى بشفر
رشيد ثم أمرنا بالتوجه الى أبوقير وعسكرنا بها الى ما بعد واقعة التل
الكبير

ذكر ما وقع للمؤلف مع العراقيين

لأتوخي في هذا المقام شرح حادثة العراقيين بل أبين للقاري ما لحقني من السجن والمحاكمة لدخولي في زميرتهم فاقول
لما انهزم عراقي في واقعة التل الكبير وتأثره الانكليز أرسل اليه تلغرافا بابوقير ينبتناهم زيمته وانكساره النهائي ولم نلبث أن جاءنا بعد ذلك تلغراف من المنفور له توفيق باشا الحديوي السابق يخطرنا فيه بالقبض على عراقي وزجه في السجن ويامرنا بالتوجه الى كفر الدوار وتسليم الاسلحة والذخائر لقائد الجنود الانكليزية هناك فامثلنا وذهبنا الى تلك الجهة فوجدنا بها الجنرال (وود) الذي صار بعد ذلك سردارا للجيش المصري وعنده ما أبصرنا أمر جنوده باخذ الاهبة والحدز فقتلوا الاسلحة ولذلك تركت عساكري وذهبت بنفسي الى مكانهم عند قنطرة المحمودية و معي فارسان فقابلنا الجنرال (وود) وسألني عن نفسي فقلت له الميرالاي ابراهيم فوزي قائد الألاي الاول من الفرقة الثالثة فقال وماذا تقصد الآن فاخبرته بتلغراف الحديوي فقال أنت خاضع له قلت نعم فقال ترجل عن جوادك وسلم سيفك ففعلت فرد الى السيف وأمرني بالعودة الى عسكري لأمريهم في وسط صفوف عساكره ونجري تسليم الاسلحة والذخائر عند محطة كفر الدوار وانصرف العساكر الى بلادهم فرجعت الى عساكري وألقيت عليهم التعليمات المذكورة واكدت عليهم بلزوم الادب وقلت لهم في عرض كلامي اذا لم تكونوا شجعانا بواسل في بداية الحرب فكونوا مؤدبين في نهايتها فاطاع العساكر أو اسرى واجتازوا صفوف الجنود الانكليزية بكل هدوء وسكينة وكانت الجنود الانكليزية تؤدي وقت

مرورنا للتعينة العسكرية حتى جاءنا أحديا وراى الجنرال وأمرنا بوضع الاسلحة
والذخيرة في عربات السكة الحديدية ثم انصرف العساكر الى بلادهم وتلطف
الياور في سؤالنا تسليم سيوفنا وأسلحتنا الخصوصية ورايات الالوية فقمنا
وعقب ذلك ساقونا وجميع الضباط وكانوا نحو مائتى ضابط الى سراى
الرميل بصفة مسجونين وخفراءنا من الجنود الانكليزية وكانت معاملتهم لنا
حسنة سيما تقديم الاغذية النظيفة والشاى والقهوة وبعد انقضاء أسبوع جاءنا
الفريق اسماعيل كامل باشا ومعه ضباط من المعية فاطلقوا اصغار الضباط وأبقوا
كل حائز لرتبة القاء مقام فما فوقها وبعضا من الحائزين لرتبة البكباشى وأبلغهم
جميعا خبر تجريدكم من رتبهم وألقابهم ونياشينهم وأنهم كسائر افراد الالهين. ثم
ساقونا الى الاسكندرية فراى رأس التين وبها وجدنا المغفور له الحديوتوفيق
باشا واقفا على شرفة مطلة علينا وعلامات الاسف ظاهرة عليه حيث كانت
الجنود الانكليزية محيطة بنا احاطة السوار بالمعصم



ذكر السجن المظلم

وبعد وقوفنا تحت الشرفة بسراى رأس التين جاءنا عثمان باشا عر فى
محافظ الاسكندرية وقادنا الى سجن باب شرقى بالاسكندرية وأدخلنا من
سرداب لايسع اكثر من شخص واحد الى سجن مظلم لا ترى فيه نور
النهار ولا يبصر بهضنا بعضا من شدة الظلام وفي هذا السجن حشرات من
نوع البراغيث والبق تتسابق على انتراف دمننا ولشدة تراكم بعضها على بعض نحس
بحمل ثقل فوق جسمنا فضلا عن الآلام التي تنكبدنا من امتصاصها حيث يستحيل
معه أن نزور الكرى اجفاننا . وبثنا تلك الليلة ولا فراش لنا غير الارض التي

تشور منها الحشرات وغطاؤنا السقف الذي يطرنا الكثير منها وزد على ذلك الظأ فأننا قضينا تلك الليلة نستغيث ونطلب جرعة ماء فلا نجد لها حتى مطلع الشمس فدخنا علينا الخفراء وكانوا ايطالين لا يعرفون كلمة واحدة من اللغة العربية كما أننا لا نعرف مثلها من لغتهم والمكاملة بيننا بالاشارة والايما وبعد مضي ليلتين في هذا العذاب جاءنا خبر قدوم خدامنا حاملين فرشنا واغطينا وبعض ملابس فتناولها الخفراء والقوها بين ايدينا بغير تمييز فأخذ كل واحد منا يميز فرشه وملابسه وأما الغذاء فان الخفراء حينما يأتيهم الخادم بطعام ويخبرهم باسم سيده يدفعونه لآخر ولنا نعلم لذلك سببا سوي الاهمال وعدم الاعتناء ولم ندفع ضرر هذه المسألة الا بالاتفاق بيننا على تادية ثمن الاغذية من جيبنا حيث صار المتعهد يؤدي لكل واحد غذاءه دون أن يلحقه حيف وبعد خمسة وعشرين يوما غادرنا السجن الى مصر وقد حملنا على عربات العفش ولما وصلنا المحطة وجدنا شرفة من المساكر المصرية تنتظر قدومنا بها فاحاطت بنا حتى أوصلتنا سجن الضبطية حيث وجدنا به عرابي (باشا) ورفقاءه وكل الذين وقعت عليهم تهمة معاضدته وما تقابلت الوجوه ببعضها حتى أقبل بعضنا على بعض لتلاوم متخاذلين كما هو شأن المخدولين وبعد ثلاثة أيام نقلنا الى الدائرة السنية وسجنا فرادي حيث كان خفراؤنا من الجراكسة فانتقموا منا شر انتقام وكانوا يهينوننا بالدفع واللطم والشتائم القبيحة وغير ذلك من انواع سوء المعاملة حتى أنه لم يكن يؤذن للواحد منا بالذهاب الى المرحاض الا بعد اللتيا والتي ويقفون بالباب ويدعونه للخروج قبل قضاء الحاجة وان لم يبادر بالاجابة يلجون عليه ويخرجونه مسحوبا على وجهه. وقد اتصل نبأ هذه المعاملة السيئة برجال الاحتلال فقاموا وقعدوا وشددوا الكير على الخفراء وحالوا بينهم وبين متابعة هذه

الفظائع وانتدبوا واحدا من ضباطهم صار يمر على السجن كل يوم ويسأل
المسجونين فردا فردا عن راحتهم ويتولى بنفسه قطع أسباب الشكوى وإذا
أبلغه مسجون شكوى من أحد الحفراء عاقبة عقابا صارما

وفي غضون ذلك قبض على عدد ليس بقليل من العلماء الازهريين
بتهمة موالاته المراءيين وسجن كل واحد منا مع واحد منهم وكان حبسى مع
واحد منهم يسمى الشيخ احمد عبد الغنى وكان فاضلا وكنت حسبت اني أجد
منه أنيسا يسري عني بحديثه الهوم فنقضي معا وقتنا بشىء من التسلية لكنه
لم يكن ذلك لانه كان يقضى أكثر أوقات الليل والنهار نائما. لا يكاد ينتبه
إلا لاداء فريضة الصلاة أو تناول الطعام فعتبت عليه يوما وطلبت منه أن يقلل
من نومه فاعتذر بأنه مادام متكديرا فلا يفارقه النوم فتعجبت من هذه العادة
التي فطره الله عليها وتمنيت أن أكون مثله في هذه الحالة

وكنّا في كل يوم نساقي للاستنطاق وكان صاحبي الشيخ احمد عبد الغنى
يدافع عن نفسه دفاعا كانت نتيجة سرعة الافراج عنه فبقيت بعده منفردا
أتمني رفيقا بدله ولو كان نواما مثله آنس برويته وأسمع ترديد أنفاسه. وبعد
ذلك ببضعة أسابيع أفرج عني بالضمانة بعد استيفاء المجلس أسئلتى

مسألة احراق الاسكندرية

وبعد خروجي من السجن أخذت الى الاسكندرية لاستنطاقى عن حادثه
الحريق التي حدثت بها فذهبت اليها وتوجهت الى المجلس الذي شكل به التحقيق
هذه المسألة تحت رئاسة محمد رؤف باشا حيث ادعى القائمقام سليمان داود بك
أن (عرايى) أرسلني اليه يأمره باحراق الاسكندرية فظهرت كذبه في ذلك

وبينت للمجلس الحقيقة وهي أن سليمان داود بك أحرق الاسكندرية
من تلقاء نفسه وانت عرابي لما بلغه هذا الخبر أرسلني اليه ومعي
القائمقام نسيم بك الطوبجي قبل غروب الشمس بساعة وقال لنا قولاً له
ان هذه المدينة مصرية وفيها نزلاء أجانب وليست انكليزية حتى يجوز
لنا احراقها انتقاماً من فعل مدرعاتهم باستحكاماتنا وقال ادعوا ليحضر بلوائه
الى باب شرقى فلما ذهبنا اليه وجدناه واقفاً في ساحة المنشية يملأ الطلبة
بزيت البترول ويقذفه على المدينة ويأمر عساكره بنهب ما في المنازل ولما
أبلغناه الاوامر كان جوابه لنا « انتي أرفض سماع هذه الاوامر ولا أفعل
غير ما في ارادتي » وختم كلامه بقوله « يرى الحاضر ما لا يرى الغائب » فتركناه
وعدنا لمرابي فاخبرناه فاستشاط غيظاً وأرسل اليه جماعة من الضباط وأمرهم
بنصحه فان لم يرضخ الامر طوعاً رضعخ كرهناخاف العاقبة وترك الاسكندرية
ولحق بمرابي في باب شرقى فعمقه واكثر من لومه وبعد ان أخذ المجلس أقوالى
واجهنى به فاعدته في وجهه فانكر فجىء بالقائمقام نسيم بك فأيد ما قلته ثم
استشهد بضباط آخرين من ضباط لوائه قال انهم سمعوا منى ومن نسيم بك
ابلاغه أو امر عرابي بحرق الاسكندرية فجىء بهم فشهدوا عليه مؤيدى كل
أقوالنا ولم يكتف بهؤلاء حتى استشهد بغيرهم فشهدوا عليه لاله وأخيراً حكم
عليه بالاعدام شنقاً



تجريد المؤلف من رتبته وألقابه

وعلى أثر ذلك أشخست من الاسكندرية للقاهرة كما أمرني المجلس وبعد
عشرين يوماً أقمها فيها صدر أمر عال بالتصديق على بعض الاحكام الصادرة

على الضباط والتعديلات في بعضها فكان نصيبي من هذا الامر التجريد من كل رتي وألقابي ونياشينى التى احرزتها بالمتاعب والمشقات واقنعهم الاهوال فى فتوحات خط الاستواء وبيد الله كل شيء واليه مصير كل شيء ولا حول ولا قوة الا به

تاريخ السودان القديم

أورد فى هذا الباب طرفا من تاريخ السودان القديم نقلا عن مصادر يتمذر ايرادها فى مثل هذا الكتاب اذ لا يوجد تاريخ لهذه البلاد لما كانت عليه من البداوة فسكانها الاقدمون زنوج يطلق عليهم اسم (النوبة) وفى القرون الوسطى دخلها أعراب من صعيد مصر واختلطت أنسابهم بالنوبة وقامت منهم دولة عربية اخضعت لسلطانها كل السودان المصرى عدا كورد فان ودارفور وتدعى هذه الدولة بدولة (القون) نسبة الى مؤسسها وكان مقرها بمدينة سنار التى تبعد عن الخرطوم مسيرة عشر مراحل جهة النهر الازرق وروى لنا شيخ من السودان ان العرب الذين استوطنوا السودان انتشر الجهل بينهم بعد انقراض جيلهم الاول وأصبحوا لا يعرفون من الاسلام غير الشهادتين فكانت المرأة اذا طلقت فى الصباح تزوجت بآخر قبل المساء وحي لنا ان شاعرا ينظم القصائد باللغة العامية دخل على أحد ملوك القون فانشده قصيدة مدحه فيها وجاء فى آخرها ذكر (طه) صلى الله عليه وسلم فانكر الملك هذا الاسم وسأله مستفهما أمن الصحابة طه هذا فسكت الشاعر فاعاد عليه السؤال قائلا كيف لا تعرف طه فقال أظنه من صفار الصحابة لانني أعرف الا كابر كمل وعمر وأبى بكر وفس على ذلك من أمثال هذه الجهالة

و ما مظالم هذه الدولة فحدث عنها ولا حرج فان الملك وسائر قواده وذوى قرابته لهم ان يأخذوا كل بنت حسناء ويتمتعوا بها كموطوءة بملك اليمين ولا يمكن ان يقل عدد المحظيات في بيت الملك عن الالف ومن دونه عن المائتين

وكانت البلاد الواقعة وراء سنار غنية بكثرة معادنها الذهبية ويجبى الى اولئك الملوك من خراجها القناطير المقنطرة فيصنعون منها الحلبي التي من بينها شكل على هيئة راس (سفنكس) الذي هو من قدماء المصريين ويسمون هذا الشكل « دجاجة » وكان أهل الطبقة العالية من النساء لا يلبسن نعلاً الا من الذهب ولا ينحن الا على أسرة من التبر

وكانت البلاد منقسمة الى مقاطعات ولكل مقاطعة منها وال يجبى الخراج بغير حد معلوم. وقد حدث في بعض السنين ان الملك صادر كل محصولات البلاد فوقعت في مجاعة بلغ فيها ثمن اوقية الذرة مثلها من الذهب وما حال الحال حتى هلك من الناس ما يربو على ثلاثة ارباع السكان ومن عوائد هؤلاء الملوك ان لا يدخل عليهم أحد وعلى راسه قلنسوة أو عمامة بل يدخل مكشوف الرأس حافي الاقدام حاسراً ملابسه الى ما فوق سرته ويجثو على ركبته ويقول « مانجل » اي ملك الملوك ويرددها حتى يأمره الملك بالجلوس فيجلس على الارض جاثياً على ركبتيه وهذه التحية واجبة على كل أحد للملك وسائر افراد أسرته من ذكر أو انثى

وكان من عوائد بنات الملوك أن يخرجن مكشوفات الوجوه كالافرنج وخلفهن اثنيات من الجوارى بحلى كحلى سيداتهن تحمل كل واحدة على راسها طبقاً من الخوص فيه من ضروب الزينة كالذي عليها وعلى مولاتها ومن

أشهر ملوك هذه الدولة الملك (العجيب بن الما نجلك) وتسمى هذه الدولة باسم الزرقاء لان ملوكها كانوا يلبسون فلسوة سوداء لها قرنان طويلان

ثم دالت هذه الدولة بعد أن مضي عليها قرنان وقامت دولة الهمج وهم مماليك (الفون) ثاروا على مواليتهم ونزعوا الملك من أيديهم وكانت دولتهم شبيهة بسابقتها الا أنهم أبطلوا الولاية ومنحوا كل شيخ قرية أو رئيس قبيلة سلطة مطلقة يحكم في قريته أو قبيلته بما يشاء بشرط أن يؤدي للملك كل ما يفرضه عليه من الخراج في كل عام فاغتترف أولئك المشايخ من المظالم والمغارم مالا يحصى . ومن انواع هذه المظالم أن شيخا من مشايخ قرى الجميلين قبض على عشرين رجلا من رعاياه بتهمة أنهم سمعوا به عند الملك فلما أوقفوا بين يديه قال لهم من لم يتمخض منكم كما يتمخض المرأة وولد بيضة كبيضة الدجاجة ضربت عنقه وبعد هنبهة ضرب اعناقهم بعد أن يتمخضوا ولم يلدوا بيضا

وأمثال هذه الافعال الوحشية كثيرة يضيق المقام دون ايرادها وآخر ملوك هذه الدولة (عدلان بن ادريس) الذي سيأتي ذكره وانه اسلم سيفه الى الامير اسماعيل باشا بن محمد على باشا . وقبل الختام نورد نكتة للملك عدلان ابن ادريس وهي أنه كان يد من الخمر في نهار رمضان وكانت له وصيفة اسمها (تام زينه) فاذا جلس في مجلسه والناس حوله دعاها وسألها أغربت الشمس فتجيبه غربت شمسك وشمس رعيتك لم تغرب فيتناول الكأس منها ويشربه وقد صدق هذا القول عليه وغربت شمس ملكه والدوام لله

ضم السودان الى مصر

قضى ساكن الجنان محمد علي باشا محي الديار المصريه لبانتين من فتح

السودان بل تخلص من ورطتين كبيرتين فقد علمت من شيخ ذى منصب
مناصر لمحمد على باشا أن دولة أوروية كانت تسمى لمعارضته باحتلال منابع
النيل فأهتم لهذا الخبر أكبر اهتمام واستشار كثيرا من المهندسين الاوروبيين
الذين جاء بهم من بلادهم الى هذا القطر فافقروا بالاجماع على أن وقوع منابع النيل
تحت برائن هذه الدولة مما لا تحمد مغيبته حيث تصير حياة مصر في يدها
فصمم على انفاذ حملة الى السودان وكانت جنوده من النر غير النظاميين وكان
يتمسك أهوالا من عدم انقيادهم له فيما كان يتوخاه من انشاء جنود نظامية
على الطراز الاوروبي فعول على انفاذهم الى مجاهل السودان ليستريح من
مشاكلهم وهناك احدي الخطتين اما الموت أو الظفر. فان كانت الاول
لا يعدم من جنوده الذين ينظمهم على الشكل الاوروبي عوضاً عن هؤلاء
وان كان الثاني فيكون قد أمن الخطر التي يهدد حياة بلاده. وظل أولئك
الفاتحون يجنون خيرات البلاد المفتوحة بأيديهم وانطلقت يد العزيز يجند
كيف يشاء ويدرب الكتائب وينظمها بلا معارض ولا عدول

هذان هما السببان اللذان وجههما عزيمة المغفور له محمد على باشا الى فتح السودان
فهيأت المقادير له قضاء اللبائتين والتخلص من الورطتين فوفد عليه زعيم
قرية من قري الجميلين باقليم بربر اسمه (بشير بن عقيد) وقرية اسمها (العقيدة)
في الضفة الغربية من النيل شمالي قرية (شندي) بنحو عشرين ميلا فاستقبله
بالاكرام وعرض هذا الزعيم على محمد على باشا انفاذ حملة لفتح السودان وقص
عليه سبب قدومه وهو ان زعيما يدعى (الملك نمر) وشي به عند الملك فارسل
اليه يستقدمه فاعتذر فارسل خلفه شذمة من رجاله وأمرهم بضرب عنقه

عند وقوع بصرهم عليه قعر منهم ولجأ إلى مصر فاخذ محمد على باشا في الاهبة وسير الحملة وجعل قيادتها لابيه الامير اسماعيل فتأدرت القاهرة في أواخر عام خمس وثلاثين بعد الالف ومائتين من الهجرة فاجتازت اقليم دقوله من الشمال بدون مقاومة وفي جنوب هذا الاقليم تألبت قبيلة الشايقية وحاربت الجيش المصري فرجعت مقهورة وسار الجيش إلى الجنوب فقابله سكان اقليم (بربر) بالخضوع واجتاز النهر إلى جزيرة الخرطوم فاعجب الامير منظر الخرطوم وموقعها بين النيلين وكتب إلى والده بما أحرزه من النصر ثم زحف قاصداً (سنار) ولما دنا منها كتب إلى الملك عدلان بن ادريس يدعو إلى التسليم ويحذره سوء العاقبة فكتب إليه الملك كتاباً يقول له فيه «ان مدينة سنار محروسة بالخيول الرومية. وفيها شبان يحبون القتال بكرة وعشية. فلا تغتر بانتصارك على الشايقية. بل تيقن اننا نحن الملوك وهم الرعية.» وما وصل الكتاب إلى الامير اسماعيل حتى زحف بخيله ورجله عليه فالتقي الجيشان في وسط غابة «ابى سقرة» ولا سلاح لدى السودانيين غير الحراب والسيوف فاصلتهم المساركر المصرية ناراً حامية فانهزموا وتأثر الامير اسماعيل بمن معه المهزمين حتى دخلوا مدينة سنار فقصد الامير دار الملك فالفاه جالساً في إيوانه فدخل عليه فوقف خاضعاً بين يديه وصافحه وأسلمه سيفه علامة على الطاعة والخضوع وأجلسه على فراشه وجلس على الارض كواحد من الناس وكان يلتفت إلى من حوله من اتباعه ويقول لهم «هكذا أراد الله فلا راد لقضائه» وبعد هنيئة قام إليه الامير اسماعيل وادناه منه واجلسه بقرينه وحفظ له حرمة ولم يسلبه شيئاً غير الامر والنهي وحذا حذو الامير في اكرام هذا البيت كل الذين تولوا الحكم على السودان

فتح كردفان

وبعد استيلاء المصريين على سنار أنفذ الامير اسماعيل صهره الدفتردار بجيش لفتح كردفان ودار فور وكان فيها قائد من قبل سلطان دارفور يدعي (المقدم مسلّم) فجمع لقتال المصريين سبعين ألف مقاتل من أهل دارفور فلتقاهم الدفتردار ومن معه بنيران حامية فانهزموا وهم وجلون من فرقة المدافع واكثرهم يظنون أن الله أرسل الرعد والصواعق تحاربهم مع المصريين ولأخذوا يكررون الآية (ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته) واستولى الدفتردار على كردفان وأخذ في الاهبة للزحف على دارفور فقا جاء نبأ مقتل الامير اسماعيل في (شندي) فعدل عن متابعة الزحف وقصد شندي محل الواقعة وكان ذلك في أواسط سنة ١٢٣٧ هجرية

مقتل الامير اسماعيل باشا

بعد اتمام فتح مدينة سنار واعلان ضمها لاملاك الخديوية المصرية عاد الامير الى شندي ليجمع المال لنفقة اتمام فتح السودان الغربي فنزل ضيفاً عند زعيم شندي (الملك نمر)

وهنا أبسط للقاريء حقيقة أرى من الواجب عليّ تقريرها فان الاقوال تباينت في ايضاح السبب الذي من أجله قتل الملك نمر الامير اسماعيل باشا. فروي بعضهم ان الامير رأى امرأة هي أخت هذا الزعيم فسأله عنها فقال انها احدي جواري فقال له ممازحاً أطلب منك مائة مثلها فلم يحمل الزعيم هذا القول على المزاح بل ظن ان الامير انما يود التطاول لهتك عرضه فأضمر له الشر وفعل مكيدته التي تراها في هذا المقام

على ان هذه الرواية لا تخلو من انحاء لان المطلع على اخلاق وعوائد اعيان السودان يرى انهم من الرفيع الى الوضع لا يأنفون من تقديم الجوارى لاي ضيف ولو وضعافضلاً عن حاكم ذي مقام سام كالامير اسماعيل باشا وبذلك يمكنني ان اؤكد فساد هذه الرواية وبعدها عن الحقيقة بمبدأ شاسعاً. وهناك رواية أخرى اوردها هنا لاني اعتقد قربها من الحقيقة ان لم تكن هي الحقيقة عينها علي ان السبب الذي أدى الى هذا الاختلاف هو أن الامير وسائر الذين كانوا يرافقونه ذهبوا ضحية تلك المكيدة ولم يفلت منهم أحد ولا ريب ان كل رواية عن هذا السبب يرجع اسنادها الى قاتليه ولا ريب أيضاً انهم لا يقولون الا ما يريد فعاتهم ويختلفون اسباباً تمحو عنهم عاراً ارتكبهوه بقتل الامير في ضيافتهم وليس معه غير نحو عشرين مملوكاً من الجراكسة خدامه الخصوصيين أما الرواية التي أشرت الي أنها القريبة من الحقيقة فهي ان (الملك نمر) عرض على الامير اسماعيل باشا اموالاً طائلة وسأله أن يبعد عنه (الملك بشير بن عقيد) الذي تقدم لنا ذكر وفوده الى مصر ومرافقته الامير فيها وقد ذكرنا ان الاسباب التي أدت الى فراره هي احنة بينه وبين الملك نمر وانه سعى به الى الملك الذي ارسل في طلبه ففر من وجه طالبيه. وفي رواية وان يمكنه من قتله فغضب الامير عليه وانه فصرخ على اغتيال الامير والقدر به قبل ان تأتي رجاله لانه كان يخشى ان يلحقه مكروه من الامير بعد ذلك فجمع قدراً كبيراً من البوص حول الغرفة التي ينزل فيها الامير وفي منتصف الليل أضرم النار فمات الامير من الاختناق بالدخان وفي غداة النهار أخرجت جثته وليس بها أثر من النار وجردت من ملابسها وأخذ النسوة يهينونها بالضرب والبصق والسحب على الارض وفي آخر النهار

أخذها رجل من التجار وكان الفساد قد دب فيها فطلاها بالصبر وخبأها في
بيته وبعد اسبوعين جاءت الاخبار بقرب وصول الدفتردار وأخذ الملك نمر
في الالهبة للفرار من وجه الدفتردار الذي قتل من عشيرة الملك نمر ما يربو
على عشرين ألف رجل وسببا من الصييان والنساء ما يزيد على هذا العدد
وأرسلهم الى القاهرة ولا تزال ذراريتهم موجودة بمجبة (حوش الجاموس) وفي
كثير من البيوتات القديمة . وتأثر الدفتردار الملك نمر وقتل من رجاله خلقاً
كثيراً وانتهى الامر بالتجاء الملك نمر الى بلاد الحبشة وبقي فيها حتى مات
حقيراً ذليلاً

وهبت ثورة من حزب ضد الملك يعرف باسم (الشفائيه) فقتل عمر
ابن الملك نمر واستأمن بقية أولاده الحكومة فأمنتهم وأذنت لهم بالاقامة في
جهة الصوفي عند نهر (أبهر) ويقال ان تصدى حزب الشفائيه لقتل ابن الملك
نمر واضطرار أولاده لمفارقة الحبشة والسكنى في بلاد الحكومة كان بدسية
من حكام السودان ليرتاحوا من مفاسدهم لانهم كانوا يوالون الفارة على بلاد
الحكومة وينهبون ويسلبون ويعشون في الارض الفساد وبموتهم انقطعت
هذه المفاسد واستتب الامن وعادت السكينة وانقطعت القلاقل

شخص محمد علي باشا الى السودان

وعلى أثر المذابح التي أتاها جنود الدفتردار في شندى تمكن الرعب
والفرع من قلوب السودانيين وعول كثير منهم على الهجرة ومغادرة البلاد
التي وقعت تحت سلطة المصريين فشخص المنفور له محمد علي باشا الى السودان
ليتدارك الحالة قبل اتساع الحرق وتمذر رتقه فسافر على طريق النيل فوصل

الى الخرطوم وتمدها الى ماوراء سنار وعاد بقناطير مقنطرة من التبر وتمكن
بحكمته من اعادة الامن الى ربوع السودان وبذل ما خالج أئدة السكان من
الرعب بالامن والاخلاص الى السكينة اهـ

ولاية السودان

في اوائل سنة ١٢٣٨ هجرية اسندت حكمدارية السودان الى المرحوم
عثمان بك فعمل لتسكين خواطر الاهلين واجتهد في تأمينهم واعانهم على
حرارة اراضيهم ليتسنى لهم الخلاص من مخالب القحط الذي كان فاشيا في
السودان طامثا وشرع في تعمير مدينة الخرطوم وجعلها عاصمة
السودان المصري وكان مركز الحكومة منذ الفتح في مدينة (ولد مدني)
التي تبعد عن الخرطوم مسيرة أربعة أيام على ضفة النيل الازرق وهي
ذات هواء جيد بالرغم عن كثرة نزول الامطار بها ولا تزال تلك المدينة
موطنًا لكثير من المصريين

وفي سنة ١٢٣٩ خلف (موحوبك) عثمان بك في الحكمدارية ولا بد ان
يلاحظ القاري ان مدة عثمان لم تطل اكثر من سنة مع العلم بأن مدة الذهاب والاياب
بين مصر والخرطوم تستغرق نصف سنة على الاقل فتكون مدة الاقامة
ومباشرة الاعمال هو النصف الباقي فنقول له ان أولئك الولاة كانوا على الدوام
طامعين للاستقلال بالسودان وساكناً الجنان محمد علي باشا كان كثير الحذر منهم
ولذلك كان يبادر بعزل كل من ارتاب في نواياه وقليل منهم من لم تكن نواياه
مريبة وقد وجه موحوبك همته الى اتمام عمارة الخرطوم فشاد فيها القشلاقات
لاقامة الجنود وأسس بناء دور الحكومة وغرس الاشجار الظليلة في السبل

تستظل بها السابلة وحفر الآبار في الطرقات المغطشة ليستقي منها أبناء السيل ولا تزال هذه الآثار باقية ومنسوبة الى (موحوبك) رحمه الله وجزاه الجزاء الحسن

وخلفه خورشيد باشا سنة ١٢٤١ هجرية وكان ذا دين وورع واستقامة شيد المساجد وأحسن الى العلماء وكان يخرج في كل ليلة متكررا يتفقد حال الجنود والرعية وفي ذات يوم خرج على عادته آخر الليل فمثر على أمة تصنع رقاقاً من خمير الذرة يسميه السودانيون (القرف) فدخل عليها وسألها عن هذا النوع فأخبرته فطلب منها شيئاً منه فجهزته له مع اللبن فأكله واستلذه فما زالت تعرض عليه وهو يأكل حتى رأى أنه كاد يستنفد ما عندها فامتنع وهم بالانصراف بعد أن - ألما عن مولاها وكان ذلك في شهر رمضان فاستدعاه من الغد ليستسمحه من طعامه فإظهر له مزيد السرور والفرح من هذه الضيافة التي لم يكن يتوقعها وبقي خورشيد باشا حاكماً على السودان مدة اثنتي عشرة سنة أي الى سنة ١٢٥٣ حيث خلفه المرحوم أحمد باشا ابودان فافتتح السودان الشرقي وطارد عصائب اللصوصية من قبائل (البارية) وأسس مدينة (كسلا) وحصنها وكان مشهوراً بالشدة على المفسدين وأهل السودان يطلقون عليه اسم (المنصور) وفي أيامه انقطع دابر الفتن والفتن والقتل وأنشئت سبع مديريات في السودان

وفي أواخر سنة ١٢٥٧ هجرية عزل أحمد باشا ابودان وخلفه أحمد باشا المنيكلي فسار على سيرة سلفه الا انه اعتنى بتأسيس أطميان تكون ملكاً للحكومة يزرع فيها قصب السكر فنجحت ولكنها أهملت ممن خلفوه وحاول انفاذ كثير من المشروعات الزراعية ومنها زراعة النيلة لكن من الأسف أن أعماله قويات بهدم الاكثارات ممن خلفه

وفي أوائل سنة ١٢٦١ عزل منيكل باشا وخلفه خالد باشا فبقي إلى سنة ١٢٦٥ حيث فصل وتولى خلفاً له عبد اللطيف باشا وفي هذه المدة بعث بعد ساكن الجنان عباس باشا الأول عزيز مصر المرحوم رفاعة بك فأسس مدرسة بالخرطوم على نمط المدراس المصرية وقتئذ وكان التعليم فيها حسناً ولكن ما لبثت أن عادت القهقري بعد عودة رفاعة بك إلى مصر

وفي مستهل سنة ١٢٦٦ فصل خالد باشا وخلفه رستم بك فأسس المجالس في البلاد السودانية لأحكام بين الناس على طريقة المجالس المصرية إذ ذاك ولم تطل مدة ولايته فقد أدركته المنية في ربيع الأول من السنة التالية لولايته أي سنة ١٢٦٧ بالخرطوم ودفن فيها وتعين خلفاً له سليم باشا الذي أكره على قبول هذا المنصب من قبل المغفور له عباس باشا الأول

وفي أواسط سنة ١٢٦٩ عين على باشا سرى حكمداراً للسودان بدل سليم باشا الذي كان يكثر من الضراعة والاسترحام ليعافى من هذه الوظيفة وفي ولاية هذا الحكمدار في سنة ١٢٧٣ شخص ساكن الجنان محمد سعيد باشا وإلى مصر إلى الخرطوم فوصلها في شهر جمادى الأولى من هذه السنة وتعداها إلى ما وراء سنار وقفل راجعاً إلى القاهرة بعد أن خفف كثيراً من الضرائب وألغى البعض وكان رحمه الله ذا ميل شديد لمسكة حديد إلى البلاد السودانية وفي سنة ١٢٧٤ تميز حسن بك سلامه حاكماً على السودان وسمي باسم (مدير عموم قبلي وبحري السودان) وألغيت الحكمدارية بأمر المرحوم محمد سعيد باشا ولم تعد إلا بعد تولية المغفور له اسماعيل باشا وفي سنة ١٢٧٧ عزل حسن بك وخلفه محمد بك فلم يلبث أكثر من سنة حتى عزل وخلفه موسى باشا حمدي فجند عسكرياً كثيفاً ونازل كثيراً من قبائل الجبال

بقصد اخضاعها فلم يفلح في أكثر غزواته وأخيراً رمى بأنه طامح للاستقلال
وبقي الى سنة ١٢٨٠ حيث توفي بالخرطوم ودفن بها ويقال ان بعض الموظفين
دسوا له السم لما آتسوا منه الرغبة في الاستقلال وهو أول من وضع الضرائب
على الاهلين وقسم الخراج الى قسمين. قسم على المقارات. وقسم على الاشخاص
اما ضرائب المقارات فكانت مخصوصة بالبلاد الواقعة شمال الخرطوم. واما
ضرائب الاشخاص فهي مخصوصة بسائر البلاد السودانية لانهم صالحوه على
ذلك وفرض ضريبة سنوية على القبائل الرحالة وتعين بدله عثمان بك نغرى
وفي سنة ١٢٨١ عزل وخلفه جعفر باشا صادق وفي ايامه تار اللواء
الرابع من الجنود السودانية بمدينة (كسلا) وقتلوا ضباطهم ونهبوا المدينة وقتلوا
كل ابيض واحتلوا مواقع المدينة من الحصون المحيطة بها واستفحل امرهم
فانفذ المغفور له الخديو اسماعيل باشا المرحوم جعفر مظهر باشا ومعه آدم
باشا السوداني فتمكنوا من قهر العصاة والقبض عليهم واستئصال شأقتهم
واصدر الخديو دستورا بمنع تأليف قوة من الاسلحة الراكبة من السودانيين
وان لا يملو فن اطلاق المدافع (الطوبجية) وان لا يحتلوا مواقع منيعة
وان لا يرقى منهم ضباط عظام. وبعد معاقبة الثوار عاد جعفر مظهر باشا الى
الخرطوم واسند اليه منصب الحكمدارية فرفع كثيرا من المظالم وسعي في
نشر العلوم بين الشعب ورفع منزلة العلماء واجرى عليهم المرتبات ولاغرو
فالفضل يعرفه من الناس ذروه اذ كان عالماً تقياً ورعاً فارق الخرطوم وعليه
دين يربو على الالف جنيه لان راتبه لم يقم بحاجاته لكثرة انفاقه على
الفقراء والمموزين ومن كرمه الخاتمي أنه كان يدعو لتناول الطعام على مائدته
الفاخرة اكثر من مائة شخص جلهم من العلماء في كل غداء وعشاء ولا يزال

السودانيون يذكرون له هذه المبرات ويتبركون بسيرته في اكثر الاوقات وهم
مجمعون على ان ايام ولايته كانت غرة في جبهة السودان رحمة الله عليه . وخلفه
ممتاز باشا في سنة ١٢٨٨ فارتكب من المظالم شيئا لم يسبقه اليه احد حيث
أحل الظلم لنفسه وحرمه على من دونه وأوعز الى الاهلين أن يطالبوا بالحكام
والمأمورين بالرشاوى التي تناولوها منهم منذ ضم السودان لمصر ومن امتنع
من أولئك الحكام أوقع به البلاء وضربه أكثر من خمسمائة جلدة ولم يمض
سوى أيام قليلة حتي اجتمع عنده من المال شيء كثير ثم سافر الى سنار فعاد
منها بما يقرب من خمسمائة ألف ريال وفي آخر الامر ظهر سوء عمله فسجن
حتي توفي ولم يحسن في شيء مدة توليته غير تعليم الاهلين زراعة القطن
وفي مستهل سنة ١٢٩٠ خلفه في وظيفته اسماعيل أيوب باشا فتضاعفت
المظالم وتوالت المصائب على السودان وبالرغم عن حنكته في الادارة كان ذا شغف
شديد بجمع المال فزادت الضرائب في عهده حتى أصبح من المتعذر احتمالها ومن
هاته المظالم تمكن في نفوس الاهلين الجنوح الى الثورة والمصيان
وخلف غردون باشا اسماعيل أيوب باشا وقد تقدم لنا ذكره فسي في إزالة
المظالم فلم يفلح لانه كان بسبب جهله باللغة العربية منقادا الي كاتب أسرارته التهامي
بك وكان ظالما يفوق اسماعيل أيوب باشا بمراحل فكان يقلب الحقائق
لغردون باشا ويحسن القبائح وزاد الطين بلة ما جاء به غردون من تحرير
الارقاء ومنع الاتجار بهم فان الاهلين عجزوا عن تحمل هذه المصيبة وبنوا
آيسين من اصلاح معيشتهم لاسباب كثيرة . منها ان الاتجار بالارقاء معين
ثروة كبيرة لهم . ومنها ان أهالي السودان لم يتعودوا فلاحه أراضيهم بأيديهم
كما ان نساءهم لا يخدمن خدما بيتية بأيديهن فكانت مفاجأتهم بأمر تحرير

الارقاء سيئة المنبة وكان مما لا ريب فيه استياؤهم من هذا الامر وخصوصاً ان القائمين بتحرير الارقاء كانوا أوروبيين ولشدة كراحتهم لهذا الامر حملوه على سوء القصد وظنوه اضطهاداً من المسيحيين للمسلمين وقد سمعت واحداً من المشايخ كان يفهم من حوله أن مسألة تحرير الارقاء لم يكن لها أصل من القوانين بل هي اضطهاد ديني كالذي حل بمسلمي الاندلس فقصدت مراجعته في هذا القول فصمت وتظاهر بعدم المعرفة ولما انصرفت عنه قال لمن حوله وهذا كافر أيضاً

وفي مدة حكم اسماعيل أيوب باشا اختلفت النظمات التي كانت تسير عليها المجالس التي تأسست في سنة ١٢٦٦ وتلاعب بها حيث جعل كل أعضائها من رجال السودان الجهلاء الذين لا يعرفون غير تجارة الصنع والمنسوجات وعهدت الرئاسة الى رجال لا يفقهون كلمة من الكلمات التي تتركب منها جمل القانون وفي أكثر الاوقات يكونون أميين والقضايا لا يفصل فيها مع طول المدة فيظل الخصمان يتناظران بالرشوة حيث يحرص المجلس ويشدد على الخصم في الاستنطاق فيحذو حذو خصمه ويقدم المال فينقلب التشديد على الآخر وهكذا حتى يملا الانفاق فيتصالحان

وأما الحكم الاداريون فان أغلبهم من أهل البلاد وهم علة كل خراب وأصل جميع المظالم فقد كانوا يشترون الوظائف بالاموال ولذلك لا يرون بدا من اعتياض ما أنفقوه أضعافاً مضاعفة ولا ريب ان من فوقهم من الحكم لا يصفون لشكوي من أولئك الظالمين ماداموا قد تناولوا رشوة باهظة منهم

وسألت تصرفات المأمورين الى حد أن المطالب بإداء الضريبة يجوز

ضربه خمسمائة جلدة أو يؤدي ولو بضعة قروش ويتفنون في طرق التعذيب، حتى
ابتدعوا مسألة (القط) حيث يوثق الرجل كتافاً ويدخل قط في سراويله فضلاً
عن تطاول أولئك الظلمة على أعراض الناس فيقبضون على كل امرأة حسناء
عجز وليها عن أداء الضريبة ولهذه الأسباب امتلأت قلوب السودانيين بالضغينة
وباتوا ولا هم لهم غير تدير ثورة يتهايم بها الخلاص من هذا النير فاغتم
محمد أحمد المتمهدي هذه الفرصة وادعى المهدوية فقبول بالتصديق والرضى من
كل انسان حتى ان بعض المشايخ قال له أعاهدك سواء صدقت في دعواك
أو كذبت مادمت على عدااء الحكومة وحربها

ترجمة المتمهدي

ولد محمد أحمد المتمهدي في جزيرة (الحناق) الواقعة جنوب مدينة (المرضى)
قاعدة اقليم دنقلة من أبوين دنقلاوين (بربريين) من قبيلة تدعى الحناقية
تسكن هذه الجزيرة وكان أبوه يدعى عبد الله بن فحل وصناعته التجارة ينشئ
السفن الشراعية ويصنع آلات السواقي وكان مولده في سنة ١٢٥٠ هجرية وله أخوان
يدعيان محمدًا وحامداً كانا نجارين كإبيهما وأخت اثني تدعى آمنة واسم أمه (جاره)
وفي هذه السنة أجذبت بلادهم بسبب انخفاض النيل فهاجر أبوه وأخوته وهو
رضيع لم يبلغ عمره ثلاثة شهور واستوطنوا قرية تدعى (كررى) شمال أم درمان
بنحو خمسة عشر ميلاً ولم يحل عليه الحول حتى مات أبواه وتركاه يتيماً تحت
كفالة أخويه اللذين ذكرناهما. ولما بلغ السابعة من عمره كانا يصطحبانه معهما
ليعلماه صناعة المراكب ففي يوم رأي غلاماً ذاهباً إلى الكتائب وبايديهم
الالواح فرغب في ان يكون منهم فعنفه اخواه وحسنا له صناعة

المراكب قفر منهما ولحق بكتاب في شرقي النيل بقرية محاذية لقرية كرري وصاحب هذا الكتاب يدعى (الفكي الهاشمي) كان مشهوراً في تلك الجهة بتعليم القرآن بغير أجر فادره اخواه واخرجاه من الكتاب وحذراه من العودة اليه فلم يكثر بتحذيرها وعاد الى ما كان فيه فقيدها فتغيرت حاله ولازم الحزن والبكاء فرقا له وأعاداه الى الكتاب بعد ان اشترطا عليه المود لتعليم صناعتها بعد حفظه القرآن الشريف وبعد بضع سنوات عاد اليها وتعلم صناعة المراكب وأخذ في الاشتغال بها. ويقول الذين كتبوا سيرته انه لم يشتغل بهذه الصناعة زمناً بل صنع مركبا صغيرة فقط وتصدق بها على أرملة ثكلت ابنها ولكن الحقيقة انه اشتغل بهذه الصناعة زمناً كبيراً خلافا لزمهم ثم فارق اخوته الى جهة مجهولة فلم يهتدوا لمكانه وماتت اخته آمنة غما لفراقه ولحق بمدرسة لرجل من أهل شنقيط يدعي الشيخ محمود كان يعلم الناس الفقه وبعض العلوم الشرعية ثم فارق تلك المدرسة ولحق بمدرسة أخرى لرجل من أهالي ضواحي بربر يدعى « محمد الضكير » وهو الذي سيجيء انه صار داعية له ببربر واسقط المديرية بيده وكان ذا كراهة شديدة لعلم الفقه فانقطع لدروس التفسير والحديث

وفي سنة ١٢٧٩ هجرية عاد الى وطنه وذهب الى الشيخ محمد شريف نور الدائم حفيد الشيخ احمد الطيب أحد خلفا الشيخ محمد السمان المدني وكان معه بالمدينة المنورة فاخذ على يده عهد الطريقة السمانية ومكت ملازما لخدمته الى درجة أنه كان يطحن غذاءه بيده ويطبخ طعامه لا من قلة من يقوم بها بل ليتزلف بهذا الى استاذة وكان ملازما للصوم والعبادة حتي تحصل من استاذة على اجازة الخلافة ثم جاءه اخواه وألحا عليه بالعودة

لمزاولة صناعة المراكب كي يتحصل منها على مال يتزوج به ابنة عم له تدعى فاطمة بنت حاج فامتنع أولاً ثم رضى بهد الإلحاح وذهب الى مدينة الخرطوم واقترب بها وفي ليلة دخوله اجتمع النسوة والرجال ليرقصوا مختلطين كمادة السوادانيين فقام بينهم ومنعهم من الرقص وإبان حرمة فأنصرفوا غضاباً منه وكان في كل معاملاته يظهر الورع والتقوى والزهد والتقشف وعلى أثر اقترانه بابنة عمه انقطع عن العمل فكان أخواه يحرضانه عليه ويستعينان عليه بزوجه التي كانت تهجره ليقبل نصحتها ويسير طوعاً وإرادتها فلم يكثر بشئ من أقوالها ولم يتأثر من هجرها وأخيراً جاءت في يوم من الأيام وهو يقرأ في المصحف الشريف فأمسكته منه وألقته في الأرض فاستشاط غيظاً وطلقها في الحال وخرج من منزلها وافتتح مكتباً لتعليم الغلمان القرآن الشريف ثم أبطل المكتب ولحق بجزيرة (آبا) في البحر الأبيض على مسيرة عشر مراحل من الخرطوم جهة الجنوب وكان بها رجل من قبيلته يدعى أحمد شرفي فتزوج ابنته وكان يقوم بكل ضرورياته من حرفته التي هي صناعة المراكب الشراعية أيضاً وكان أستاذه الشيخ محمد شريف نازلاً بمكان يدعى (المرايع) لا يبعد عن هذه الجزيرة إلا بضعة أميال

وفي أوائل سنة ١٢٩٥ وقع نفور عظيم بينه وبين أستاذه بسبب أنه كان يري منه الميل الى دعوى المهدوية وكثيراً ما كان هو يحرضه على دعواها فأصدر الأستاذ منشوراً الى أتباعه يبلغهم فيه أنه عزل محمد أحمد المتمهدي من الخلافة وأبعده عن طريقته وذكر فيه عيوبه وطموحه الى الدعاوي الكاذبة توصلاً الى الملك والرئاسة فكبر الأمر على محمد أحمد وكاد مريدوه ينفضون من حوله لولا أنه ذهب الى رجل مسن يدعى الشيخ القرشي من تلاميذ الشيخ أحمد

الطيب جد الشيخ محمد شريف فأدخله في سلك الطريقة وجدد له اجازة الخلافة
وكان الشيخ القرشي هذا بالغاً من العمر نحو تسعين عاماً فاقدًا للقوي المميزة
و يؤكدون انه ذو يد مع المهدي في تدبير الدعوى وانه مهد له اتحاضاً بما أخذ
يتكلم به عنه من الشهادات الحسنة وانه يعلم ذلك بطريق الكشف والاطلاع
على الغيب وأشار عليه بالسياسة في انحاء السودان لاستطلاع أفكار الناس
وأخذ اليهود عليهم بنصرته وموازرته اذا صدع بدعوته فعمل ووجد من
قلوب سكان كوردفان المملوءة بكرهية الحكومة ما قوى أمله بالنجاح



حادثة الغلام بكوردفان

ثم عاد المتهمدي من الحلاوين محل اقامة أستاذه الجديد الشيخ القرشي
الى محله بحزيرة آبا - والحلاوين اسم لقرى عديدة على ضفة النيل الازرق
على بعد ست مراحل من الخرطوم جهة الجنوب وسكان هاته القرى يطلق
عليهم اسم (الحلاوين) وهم عرب تناسلو من قبيلة عربية تسكن في جنوب
سنار تدعى (جهينة) وسناتي على ذكر شيء من أخلاق وعادات هذه القبيلة
بعد اذهبي من أكبر أنصار المتهمدي ومنها داعيته محمد بن البصير ولنعاد الى ذكر
المتهمدي بعد عودته الى جزيرة آبافانه . شخص الى اقليم كوردفان فصادف
نجاحاً عظيماً من الاهالي الذين عاهدوه على موازرته ونصرته ثم عرج على
الابيض عاصمة كوردفان فنزل ضيفاً على أحد المشايخ الدناقلة

وفي ذات يوم سمع ضوواء الطبول والموسيقىات بمنزل بجوار منزله
ورأى من الناس الدهشة والاستغراب فسأل عن الاسباب ف قيل له ان فلانا
النجاس يريد ان يتزوج بغلام اسمه (قرقه) فلم يصدق واخيراً دعي اثنين من

أتباعه وذهبوا الى محل البدعة فوجدوا المدعويين والموائد ممدودة والموسيقى
تصدح والدفوف السودانية (الدلوكة) تعزف وجى بشخص يلبس عمامة
وطيلسانا كالعلماء فاجري صيغة العقود ودخل النحاس بالفلام فامسك المتهمدى
سيفه وهم بضرب عنق النحاس وكل من قابله من أولئك الفسقة الضالين
فامسكه صاحباة وحمله الى منزله فاجتمع معه جماعة من المشايخ وذهبوا الى
محل الحكومة يشكون اليها أمر هذه المنكرات فقوبلوا بالاهانة والازدراء
وقال لهم مامور الضبطية (الدنيا حرة) فجاءت هذه الحادثة من الاشياء التي
يتمسك بها المهدي على فساد وكفر رجال الحكومة فعاهده كثير من أعيان
ووجوه المدينة بالطاعة لاول اشارة تبدو منه وقفل راجعا الى جزيرة (آبا)
وبالبحث واجراء التحقيق من رجال الحكومة تحقق ان المسألة الدوية لم
يكن لها أثر من الحقيقة



وفاة الشيخ القرشي وتشيد قبة علي ضريحه
تقدم لنا القول بان الشيخ القرشي من الذين ساعدوا المهدي على دعواه
بما نطق به من الشهادات المسندة الى الكشف والاطلاع على المفييات في
حقه وانه هو الذي اشار عليه بالسياحة في البلاد ولدى عودته الى جزيرة
آبا وافاه نعي هذا الشيخ وانه ترك وصية قال فيها « ان زمن ظهور المهدي المنتظر
قد حان وان الذي يشيد على ضريح قبة وينحتن أولادى هو الامام المهدي
المنتظر » فلما سمع المتهمدى ذلك طار فرحا وجمع نحو ثلثمائة رجل من أتباعه
وذهب معهم الى الخلاوين وشيد القبة من الابن الاخضر وختن أنجال الشيخ القرشي
بعد أن أخذ اليهود على كثير من الناس بتصديق دعواه قبل أن يصدع بها

ذكر اجتماع عبد الله التعايشي بالتمهدي

لا نورد في هذه السطور شيئاً من ترجمته وذلك لنأتي بها عند افضاء الخلافة اليه وانما نذكر هنا طرفاً من اجتماعه به نقلاً عن الاستاذ الشيخ محمد شريف نور الدائم قال «في سنة ١٢٩٥ هـ جاءني رجل من البقارة يروم سلوك الطريقة السمانية على يدي فلقنته أورادها ومكث ملازماً لخدمتي واخبرني انه جاء مع والده من بلاد (الكلكة) جنوب مقاطعات دار فورقاصدين الاقطار الحجازية لتأدية فريضة الحج وانهما فقيران لا يملكان غير عجل من انبقر ذلاله بزمام وامتطياه على مألوف عادة أهالي تلك البلاد ولما وصلا الى بلاد الجمع من تخوم كوردفان الشرقية مات أبوه ولحق به العجل فأقام بمنزلي نحو عامين فكانت اكثر كلامه ممي قوله انك الممدي المنتظر من ارتاب في ذلك فقد كفر فكنت انهاء عن هذا القول ولا ينتهي وفي ذات يوم قلت له انا لست مهدياً وأبغض شيء الى سماع هذه الكلمة التي لا يسير بها غير تلميذي الذي طرده محمد أحمد وقلت له على سبيل السخرية والازدراء اذا كنت ممن يتوقعون ظهور المهدي فعليك به وفي اليوم التالي سألت عنه فلم أجده وأخيراً علمت أنه لحق بمحمد أحمد المشهدي وهو في الخلاوين يشيد قبة الشيخ القرشي وانه حينما وقعت عينه عليه خر على الارض مدعياً انه أغشى عليه وبعد حين رفع رأسه فسأله الحاضرون عن سبب اغمائه فقال نظرت أنوار الهدية على وجهه فصعقت من شدة تأثيرها على حواسي ومن ثم صاحبه وعاد معه الى جزيرة آبا وكان الدنقليون أقارب التمهدي يضطهدونه ويزدرونه وهو يقابلهم بالحلم والصبر حتى أفضت اليه الخلافة فاتمم منهم شر

انتقام» هذه قصة اجتماع عبد الله التمايشي بمحمد احمد المتهمدي ومنها يعلم أنه ذودها، وحيل ومكر وخداع وسنأتي على ترجمته وبقية أعماله في غير هذا المكان

دعوة المتهمدي سرا

وبعد عودة المتهمدي من الحلاوين أخذ يدعو الناس للمهدية سرّاً وبإيعه على الطاعة خلق كثير من قبائل الاعراب النازلين حول جزيرة آبا منهم قبيلتا دقيم وكنانة وكان سبب اقبال هاتين القبيلتين على دعوته هو الخليفة (على بن حلو) الذي لقبه بخليفة الفاروق وكان دقيماً صاحب محمد احمد المتهمدي وكان يستخلفه على محله بجزيرة آبا كلما سافر الى مكان وكان في أول عهده يعلم الصبية القرآن الشريف

وقبيلتا دقيم وكنانة يقال لهم (البقارة) وهذا الاسم يطلق على كل قبيلة ماشيتها من البقر ورجالهم معروفون بالشجاعة وقوة الباس وعاداتهم تقرب من عادات قبائل كوردفان حيث لا تزوج البكر قبل ان يكون لها أولاد من الزنا يعينون أخاها وكل ولد من هذا القبيل يدعى (عينة خاله) ونساؤهم مشهورات بالتربص في السبل وقطع الطرق على المارة لا لاخذ المال بل للفسق ومن امتنع من الرجال أمسكوه من مذاكيره حتى تفيض روحه أو يقع مغشياً عليه وقد أبطلت المهدية هذه العادة منهن فذهبت كأن لم تكن

وعاهده كثير من موظفي الحكومة السودانيين على موافاته بالاخبار واجتمع حوله زهاء ثلاثة آلاف رجل من الاعراب وعمال الحكومة لاهون

عنه وانبرى لتكذيبه أناس من نفس اتباعه ومريديه فأخذوا يبلغون
مأمور المركز حقيقته فيردهم عنه لانه سوداني من قبائل الاعراب التي دخلت
في دعوة وأخيراً رفع أولئك المبلغون العرائض الى الحكمدار محمد
رؤف باشا الذي أحال النظر فيها على (الطيب بك) مدير فشوده فساfer من
مقر وظيفته على باخرة حتى بلغ جزيرة (آبا) فامسك المتهدي وزجه في السجن
فقام اتباعه وقدموا للمدير رشوة مائة أردب من القمح وسفينة شراعية تحمل
هذه الرشوة فاطلقه وهدد الذين أبلغوا الحكمدار وتوعدهم بكل مكروه
اذا عادوا لمعارضته. وقال المهدي للمدير في غضون التحقيق ان الحضر عليه
السلام هو الذي بشرني بالمهدية فقال المدير للمبلغين اتركوا صاحب الحضر
وقفل راجعاً الى فشوده والمدير هذا هو الذي ذكرنا انه عين مديراً في أحد
أقاليم خط الاستواء بدل المرحوم محمد رؤف بك (باشا)

ظهور دعوة المهدي

قلنا انه كان يدعو الناس سرا الى أوائل سنة ١٢٩٨ ثم كان من أمره
مع مدير فشوده ما قوي عزيمته فأرسل الى جميع الذين عاهدوه بالطاعة منشوراً
ختمه بخاتم نقش فيه محمد احمد عبد الله قال في طالعته بعد البسملة والحمدلة
«جاءني النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة ومعه الخلفاء الراشدون
والاقطاب والحضر عليه السلام وأمسك بيدي صلى الله عليه وسلم وأجلسني
على كرسيه وقال لي أنت المهدي المنتظر ومن شك في مهديتك فقد
كفر وان الترك كفار وهم أشد الناس كفراً لانهم ساعون في اطفاء نور
الله ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وأخبرني صلى الله عليه وسلم

بأن النصر يسير بين يديّ اربعين ميلا وأنه صلى الله عليه وسلم يحضر بذاته الكريمة امام جيشي ومعه الخلفاء الراشدون وأن الله تعالى أيدني بالاولياء والشهداء والصالحين من لدن آدم عليه السلام الى زماننا هذا ومؤمني الجن يجهدون مي ولا يهزم لي جيش وان الله ناصرى ومؤيدى على كل من حاربني من الثقلين وان أصحابي كأصحابه صلى الله عليه وسلم وعامتهم اكبر مقاماً في دار الخلد من الشيخ (عبد القادر الجيلاني) وختم بمنشوره بالحض على الهجرة اليه ومفادرة الخرطوم للحاق به والجهاد معه وأرسل تسخاً هديدة من هذا المنشور الى أناس في الخرطوم منهم الشيخ الامين الضير رئيس العلماء بالسودان فاطلع عليها الحكمدار محمد رؤف باشا الذي انتدب (أبا السعود بك العقاد) أحد معاونيه وأصبحه جماعة من الدنقلين سكان الخرطوم وأنفذهم رسلاً اليه يدعونه الى الطاعة ويحذرونه الفتنة ويلغونه أوامر الحكمدار بدعوته الى الحضور عنده فذهبوا على الباخرة (الفاشر) فلما وصلوا الى جزيرة آبا قابلهم كل من فيها بالتكبير على الكفار وكان المهدي يتعبد في سرداب في الارض فامتنع من مقابلتهم أولاً ثم اذن لهم بلاقائه فدخلوا عليه والسيوف مسلولة على رأسه فسألوه عن دعواه فاجابهم بما أوردناه من منشوره فقال له أبو السعود بك ان الحكمدار يدعوك الى الحضور عنده فقال لا أذهب فقال له يا سيدي أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فقبض على سيف كان على نغذه الايسر وكشر أنيابه وقال أنا ولي الامر الآن علي سائر الانس والجان فاستأذن الرسل وهم الناس بضربهم لولا ان شدد عليهم في الكف عنهم وقفلوا راجعين الى الخرطوم

واقعة جزيرة آبا

ولما عاد الرسل الى الخرطوم وقصوا على الحكمدار نتيجة مأموريتهم صمم علي ارسال قوة عسكرية تقبض عليه فانتدب بلوكين من المشاة المنظمين معهم مدفع من الطراز الجبلي وعين ضابطين من رتبة الصاغ قول افاسي (ابراهيم افندي علي وعلى افندي عزمي) وسير معهما أبا السعود بك العقاد وقال لكل واحد منهم انت قائد الحملة فسافروا على باخرتين في أوائل شهر رمضان سنة ١٢٩٧ فوصلوا الى جزيرة آبا قبيل غروب الشمس

هذا ما فعلته الحكومة أما المهدي فان اكثر الناس تفرقوا عنه ولم يبق معه غير نحو أربعائة رجل جلهم من الدنقلين أقاربه علي أثر عودة الرسل عنه لانهم أيقنوا بان الحكومة لا بد ان تخضعه بالقوة

ولما القت الباخرتان مراسيهما بالجزيرة هبط الجنود الى الشاطئ وأخذوا في الالهبة والاستعداد للزحف على محلة المهدي وكان السير متعذراً عليهم بسبب الاوحال المجتمعة من الامطار اذ كان الفصل صيفاً فبدأ الضابطان في العمل هذا يأمر الجنود والآخر ينكر عليه هذا الامر ويقول له انا الرئيس وانت الرئيس فيحتدم غيظاً ويجاوب زميله بالشم ويقول لا بل انا الرئيس فتحاكما الى أبي السعود بك معاون الحكمدار فكان حكمه أنه الرئيس على كليهما فازداد الاشكال عقدةً ومكثوا على هذه الحال الى ما بعد نصف الليل فداهمهم المهدي بمن معه من المقاتلة فقتك بهم ولم يفلت منهم غير بضعة اشخاص منهم أبو السعود بك وقتل الضابطان وغنم المهدي اسلحتهم وذخيرتهم وترامت الاخبار في انحاء السودان بغلو كثير فيها واعتقد البسطاء انها من الاعاجيب السماوية

بل من الكرامات التي خص بها . وعاد أبو السعود بك بالباخرتين ووقع
الرعب في قلوب السكان وأيقن الكل ان أولئك الجنود الابرياء ذهبت
أرواحهم ضحية سوء تصرف الحكمدار وقلة رويته وهجر الخرطوم عدد
كبير من السودانيين ولحقوا بالضواحي

حملة علي بك لطفي

ولما وصل أبو السعود بك الى الخرطوم كان نبأ الفتك بالبلوكين قد سبقه
اليها بالتلغراف فأرسل الحكمدار الى العلماء والاعيان وقص عليهم
ما ذكرناه من أمر المهدي فأشار عليه الشيخ شاکر الرئيس مفتي الاستئناف
بان يتوجه بنفسه علي البواخر الى جزيرة آبا ولا يكل أمر هذه الفتنة لغيره
فزجره الحكمدار وأغلظ عليه القول . ويروي عن بعض الحاضرين انه قال له
أريد أن تترمل امرأتي ويفقدني أولادي ثم ان الحكمدار عين القائمقام علي
بك لطفي الشهير (بابي كوكه) ومعه بلوكان من المشاة ومدافع وسوار يخ ليخفر
جزيرة آبا ويمنع وصول الامداد اليها من ضفتي النيل . وقد يندهش الانسان
من هذه الاعمال الخرقاء وتدركه الحيرة من عمل الحكمدار هذا . اذ كيف
يعقل أن باخرتين تقومان بحراسة جزيرة يزيد طولها عن خمسة عشر ميلا وما
هي الفائدة من هذا الحصر . وأغرب من هذا وذاك أن المتهمدي قام بين
أتباعه وقال لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يصنع من (الطور)
أو (العبيج) وهو نوع يشبه الفلين لحفته وطفياته على الماء شبه مراكب
يجتاز بها النيل الى الضفة الغربية وان الله سيأخذ على ناصية الترك الكفار فلا
يستطيعون ايصال الاذي الينا حتى نبلغ مأمتنا من الشاطئ الغربي ومن هناك

توجه الى دار هجرتنا بجبال (ماسة وقدير) وهي دار هجرة الانبياء كلهم الى
نبينا محمد صلوات الله عليه وعليهم فطير القائمقام على بك لطفى رسالة برقية الى
الحكمدار يخبره بما عزم عليه وسأله أن يأذن له بتدمير سفنهم بالقنابل
وسقط لجة النهر فكان جواب الحكمدار له (اياك أن تعترضهم وقد خابرت
محمد سعيد باشا مدير كردفان وأمرته بالجملة عليهم برأى وبين كردفان والمكان
لدى يهبط اليه المهدي من الضفة الغربية مسيرة أكثر من عشر مراحل
فاجتاز المهدي النهر والجنود تنظره ولا تستطيع ايصال السوء اليه فجاءت هذه
المسألة كرامة ثانية له ولكنها نتيجة عمل الحكمدار ويعتقد كثير من الناس
بسبب هذه الحادثة ان الحكمدار مصدق بمهدية محمد أحمد. أما نحن فلا نصدق
ذلك بل نجزم بصحة ما قاله عن نفسه من عدم القدرة على ادارة بلاد واسعة
كالسودان كما أثبتناه في مبحث توليته على السودان

ولما هبط المهدي الى الشاطئ التف حوله كثير من رجالة دقيم وكنانة
وقدموا له الاقوات وبايعوه على الطاعة والجهاد في سبيل الله وهذا نص البيعة
« ياينا الله ورسوله وبايعناك على طاعة الله وأن لا نسرق ولا نزنى ولا نأتى
ببهتان نفترية ولا نمصيك فى امر بمعروف ونهى عن منكر يايعناك على زهد
الدنيا وتركها وأن لا نفر من الجهاد رغبة فيما عند الله » ويبلغ عدد الذين رافقوه
نحو عشرة آلاف مقاتل سلاحهم السيوف والرماح وجلهم فرسان. أما محمد سعيد
باشا مدير كردفان فانه سار بقوة كبيرة ولم يقابل المهدي ولم يقف له على
أثر وذلك لان الجملة التي كان بها المهدي واقعة فى الجنوب الشرقي من الابيض
قاعدة كردفان وتبعد عنها بعشر مراحل ووجهة سير المهدي كانت الى الجنوب
الغربي فادراكه اذاً من المستحيلات وغاية الامر ان مدير كردفان انضم الى

على بك لطفي واحدا ودخلا جزيرة آبا وقبضا على أناس أبرياء لم يكن لهم
علاقة مع المهدي ونكلا بهم شر تشكيل وقفلا راجمين هذا الى الخرطوم
وذاك الى كوردفان وسار الرجل الى قدير وتوغل في وسط الجبال



ذكر جبل ماسة وقدير

يوجد في الشمال الغربي من فشوده جبل لا يزيد ارتفاعه عن علو جبل
المقطم وشكله كزاوية مستديرة مع فرجة من جهة الشرق وفي داخل الدائرة
بركة يجتمع فيها ماء المطر يسمى هذا الجبل بجبل (القدير) ثم حذفت اداة التعريف
فصار جبل قدير . ولم يكن اسم (ماسة) معروفا لهذا الجبل قبل ظهور دعوة
المهدية وانما اتفق ان المرحوم الشيخ حسن العدوي من أشهر علماء
المالكية بالازهر الشريف ذكر في كتابه مشارق الانوار « ان المهدي
المنتظر ستكون هجرته الى جبال ماسة » فادعي المهدي ان ماسة اسم لجبل
قدير مع ان كل السكان ينكرون هذا اذ لم يعرف به قبل هذا الوقت وبالنسبة
لما للشيخ حسن العدوي من الشهرة في بلاد السودان راجت حيلة المهدي
عند كثير من من البسطاء وعدوها من الآيات الدالة على صدق دعواه
ويحيط بجبل قدير جبال كثيرة سكانها من السود يطلق عليهم اسم
(النوبة) وبلادهم خصبة وفيها الماشية من البقر والغنم بكثرة والخنازير وهي
أحب مايؤكل اليهم والخنزير الواحد يعدل ثلاثة من البقر وفي هذه البلاد النحل
بكثرة والعسل يكاد يضارع الماء كثرة ويسكن في سفوح هاتيك الجبال قبائل
من الاعراب حلفاء للنوبة وبينهم صلات المصاهرة واعراق القرابة وبعض
الاعراب استوطنوا الجبال وتشبهوا بالنوبة في كل اخلاقهم واطوارهم

وقوبل المهدي في مسيره إلى جبل قدير بمقاومات كثيرة أكثرها من النوبة. والاعراب تذبذبوا بين النوبة والمهدي وانتهى الامر بفوزه على جميع الذين ناهضوه ولما وصل إلى جبل قدير أظهر السكان تخوفهم من بقاءه بين ظهرائهم وحاربوه فظهر عليهم ونزل بجيشه داخل دائرة الجبل واقام حرسا من أتباعه على الفرجة الشرقية وأخذ يدعو السكان للإسلام لأنهم لا دين لهم والاعراب يزعمون أنهم مسلمون وأكثرهم لا يعرف الشهادتين فضلا عن غيرها

ذكر جبال تقلي

في الشمال الغربي من جبل قدير جبال تبلغ المائة متدانية من بعضها يطلق عليها اسم جبال تقلي وسكانها عنصر يعرف بهذا الاسم متناسلون من قبائل العرب والنوبة ولغة أكثرهم العربية وكلهم يخضعون لملك يدعونه (الملك) وبلادهم خصبة وفيها معادن التبر وقد حاولت الحكومة إخضاعهم فلم تفلح وفي الأيام الأخيرة استمالت ملكهم (ناصر) فسافر إلى مصر ليقيم خضوعه للمنفور له اسماعيل باشا خديو مصر فاجتمع قومه وملكوا عليهم ابن أخيه وحالوا بينه وبين العودة إلى بلاده فاقطعت الحكومة أرضا بجمعة (معتوق) من أعمال الخرطوم فبقى بها حتى أدركه الموت وبقيت هذه المملكة مرتجة الأبواب في وجه الحكومة فحاول المهدي إيقاعها في قبضته بحيلة دعوته فلم يفلح حيث تصدى لتكذيبه وأظهر اقتراحه على الله ورسوله علماءها سيما القاضي وحصل اجتماع بين المهدي والملك فسأله الدخول في دعوته فاعتذر من ذلك عملا بنصائح العلماء وسيأتي أن المهدي قتل هذا القاضي وظفر التعايشي بهذه

المملكة وخربها ثم لت شعشا وعادت كما كانت



حملة راشد أيمن بك علي المهدي

كانت الحكومة عزلت الطيب مدير فشوده الذي ذكرنا قصة اطلاقه المهدي وخلفه في وظيفته المرحوم راشد أيمن بك وكان ذلك قبل واقعة (آبا) ببضعة شهور

فلما وصل المهدي الى جبل قدير الذي يبعد عن فشوده بنحو ثمان مراحل جهة الغرب والطريق اليه كثيرة الوعر والغابات قام راشد من تلقاء نفسه وسار بحملة الى جبل قدير ومعه (كيكوم بك) زعيم قبائل (الشلك) فهض اليه المهدي وقتك بجنوده وكانوا يزيدون عن ثلاث فصائل (بلوكات) وغنم اسلحتهم وذخيرتهم وجاءت هذه المسألة ضغنا على إيالة حيث زادت في قوة المهدي فاصبح لديه من الاسلحة النارية ما يزيد عن الف بندقية من طراز رامنجتون وقتل راشد بك المدير وكيكوم بك زعيم قبائل الشلك

ذكر من محق بالمهدي من مشايخ كوردفان

قلنا ان المهدي لقي من سكان إقليم كوردفان لما زارهم ما قوي عزيمته على ادعاء المهدوية وقد أخذ عليهم اليهود والمواثق بنصرته والقيام بدعوته وقت الحاجة. ولما شغص الي (قدير) وترامت أخبار انتصاراته على جنود الحكومة في جزيرة آبا وعلى الذين اعترضوا سيره من سكان الجبال قبل أن يصل جبال قدير ثم كان من أمره الانتصار على حملة راشد بك مدير فشوده رفع أهالي إقليم كوردفان رؤسهم للفتنة وهرع ألوف منهم الى قدير ليبايعوا المهدي

ووفد اليه كل من الشيخ (نواي) زعيم قبيلة الحوازمة التي تسكن بين دارفور وكوردفان وماشية هذه القبيلة من البقر ولذا يطلق عليها اسم (البقارة) وهي كسائر قبائل السودان الغربي في القوة والشجاعة والميل الى الهياج والحروب ووفد عليه (اسماعيل بن الامين دلدوك) زعيم قبيلة (القديات) التي هي كالحوازمة في الاخلاق والعادات ومع كل واحد منهما ما تافارس من قومه وباياعه على الطاعة وقال له الشيخ نواي ابايعك على المهدية وان لم تكن مهديا ابايعك على قتال الحكومة وخلق طاعتها

واقعة جبل الجراداة

جبل الجراداة واقع في الشمال الشرقى من جبل قدير ويبعد عنه بنحو ١٥ ميلا وسكانه خليط من اعراب ونوبيين كانوا قد امتنعوا من مقابلة المهدي والدخول في دعوته لما احتل جبل قدير وقد اظهروا عداوتهم له وتحفزوا للوثبة عليه فعاجلهم بعد انهزام راشد بك وزحف عليهم واصلام حربا دلت دأثرها عليهم واباح اموالهم غنيمة لانصاره ثم صفع عنهم ورد اليهم اموالهم بعد ما اذعنوا له بالطاعة وانتظموا في سلك اتباعه. ثم تابع غزواته في سكان الجبال وكثرت عنده الاقوات

تعيين عبد القادر باشا حلي حاكماً للسودان
وفي ربيع الثاني سنة ١٢٩٩ فصل محمد رؤف باشا من الحكمه دارية
وخلقه عبد القادر باشا حلي حيث جعلت له وظيفة لم تكن معروفة قبل
وهي اعتبار حاكم السودان كاحد نظار الحكومة الحديوية ويدعى ناظر

وحكمدار عموم السودان

وبعد عشرين ليلة مضت غادر محمد رؤف باشا الخرطوم قاصداً مصر
وناب عنه في ادارة شؤون الحكمدارية وكيلها ججلر باشا الالماني

حملة يوسف باشا حسن الشلالي

تقدم لي القول اني كنت بمصر لما أرسلت الحكومة حملة الي المهدي
تحت قيادة يوسف باشا حسن الشلالي حيث عرفتها حقيقته وأنه رجل نوتي
جاهل بالفنون العسكرية كجمله بالكتابة والقراءة فلم تلتفت لنصحي بشاء
على الشهادات الحسنة التي شهداها له وكيل الحكمدارية ججلر باشا وانه تعهد
للحكومة بالقبض على المهدي فجردت الحكومة ستة آلاف جندي تحت
قيادته منهم نحو الثلث من الجنود النظامية وضابط برتبة قائمقام واثنان برتبة
بكباشي واثنان من مشاهير السناجق قواد للجنود غير النظامية (الباشبوزق)
فشخص من الخرطوم في منتصف جمادى الاولى سنة ١٢٩٩ هجرية على
عدة بواخر قاصداً فشوده ومنها الى جبل قدير فلقه في الطريق عبد الله
ابن دفع الله ومعه نحو الف مقاتل من متطوعي كوردقان وانضم اليه وتابعوا
سيرهم حتى فشوده ومن هناك ارسل القائد العام بكتاب الى المهدي يدعوه
فيه الى الطاعة ويحذره مغبة العصيان وعرض في خطابه بشيء كثير من
الشتائم التي لا تليق فرد عليه المهدي بكتاب مشهور نقله هنا ليطلع القارئ
عليه اتما للفائدة وهو بنصه

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المنتقم القهار . والصلاة على سيدنا محمد
وآله الاخيار مع السلام. وبعد فمن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن السيد

عبد الله الي يوسف حسن الشلالى ومن معه من الجموع وصل الينا كتابك
وصار معلوما لدينا وقوفكم على الانذار. ومجاهرتكم بالانكار. وكان قصدنا أن
نضرب عن افادتكم صفحا . ونطوي دون اجابتكم كشعا . ولكن أردنا
أن نين لكم غلطكم فيما ادعيتوه بالبراهين السواطع. أما قولك إن إرسال
الطلائع يتافى دعوي المهدي لان علم الغيب ضرورى لها فنقول لك هذا جهل
منك بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام فانه كان يرسل الطلائع كخليفة
اليماني وبلال والزيير بن العوام فلم يكن ذلك منافيا لرسالة صلى الله عليه وسلم
فكيف يكون منافيا لمهديتنا . وقتلنا قتلنا جملة من المتوطنين بهذا المكان
ظالما وعدوانا فهذا كذب صريح لاننا لم تقتل الا أهل جبل الجراداة بعد أن
كذبونا وحاربونا وقد أخبرني النبي صلى الله عليه وسلم بان كل من شك في
مهديتي كافر ودمه مهدور وماله واولاده غنيمة للمسلمين ولما انقاد من بقى
منهم لحكمنا رددنا عليهم أموالهم من أيدي اصحابنا مع انها حلال لهم. وقتلنا
انا قتلنا العساكر غدرا في الوقتين (آبا وراشد بك) وهو قول باطل لاننا
ما بد أناهم بالقتال بل هم الذين بدؤنا بالقتال ولما اجتمعت أرواحهم في الدار
الآخرة شكوني الى الله عز وجل وقالوا ياربنا إن المهدي قتلنا بغير انذار فقلت
ياربي أنذرهم فلم يسمعوا لي واتبعوا ساداتهم وعلماءهم وشهد علي صحة قولي
سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وقال ان المهدي أنذركم فلم تسمعوا له واتبعت
سادتكم وعلماءكم فاضلواكم السبيل وأمر بهم فسيقوا الى جهنم. وقتلنا ان هؤلاء
العساكر ما أرسلتهم الحكومة لحربنا بل ليقتلوا على ما عندنا من الادلة وهو
باطل ايضا لان الحكومة لو كانت تقصد ذلك لما أرسلت العساكر الاغبياء
وأعطتهم السلاح الناري بل كانت أرسلت العلماء وأهل الدراية بهذا الشأن

وقولكم قوموا وتوجهوا الى مكة المكرمة محل المهدي فنقول لكم
اعلموا ان توجهنا اليها يكون بأمر النبي صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي يختاره
الله فاني عبد مأمور وقد أجلسني صلى الله عليه وسلم على كرسيه وقال لي أنت
المهدي المنتظر ومن شك فيك فقد كفر وقال لي ان الترك كفار وهم أشد
الناس كفراً لانهم ساعدون في اطفاء نور الله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره
الكافرون

وقلم اطلبوا من الله اظهار كرامه تدل على مهديتكم فاعلموا اننا لانطلب ذلك
لقوله تعالى «ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر» ومع ذلك قد اظهر الله كرامة لمهديتنا
حيث وجد اسمنا منقوشاً على ورق الاشجار وبيض الدجاج ونحن لانطلب
من الله اظهار كرامة لمهديتنا بل نقف معه عند حد عبوديتنا فان اظهر لنا
كرامات كانت بمشيئته وحكمته يعلمها سبحانه وتعالى ونجهلها

وقلم ما اتبعنا غير الجملاء وأراذل البقارة فاعلم ان أتباع الرسل عليهم
الصلاة والسلام كانوا كذلك وقد قال تعالى حا كياً عن قوم نوح «وما نراك اتبعك
الا الذين هم أراذلنا» الآية ولا بد ان يجعلك الله ومن معك غنية للبقارة
وقلت لا تغتر بإسماعيل الأمين ونواي فاعلم اني منصور على كل من
ناواني من أهل الثقلين وقد أخبرني النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يحضر بذاته
الكريمة أمام جيشي وان عزائيل ملك الموت عليه السلام يحمل راية سوداء
أمام جيشي

وقلم إنكم امسكتكم أربعة رجال من طليعتنا وأرهمتموهم تعذيباً فاعلم أنهم
مأجورون على ذلك ولا بد ان يوقعكم الله بأيدينا وتذوقوا العذاب بما صدقتم
عن سبيل الله

وقلتم ان افندينا ولي النعم أمركم بعدم محاربتنا حتي نتعدي الحدود وهذا قول لا يفوه به غير ضعفاء العقول لاننا تعدينا حدودكم وخالفنا مقصودكم من يوم قتلنا عساكركم بآبأ وبعد هذا ليس بيننا وبينكم خطاب غير الحرب والطمعان والسيف والسنان والسلام على من اتبع المهدي وخشى عواقب الردي ولعنة الله على من كذب وتولي اه

هذا ما كتبه المهدي الى يوسف باشا وقد وقفنا عليه في المجلد الاول من مجموعة منشورات المهدي التي طبعت بالخرطوم بعد سقوطها في قبضة المهدي ولم تقف على صورة الكتاب الذي بعثه له يوسف باشا

وزحف يوسف باشا بمحملته من فشوده في العشر الاخيرة من شهر جمادي الآخرة وانضم اليه جنود من حامية فشوده واحصي المهدي من معه من المقاتلة فكانوا اثني عشر الف مقاتل وزحف بهم للقاء يوسف باشا في الطريق وبات المهدي عند سفح جبل الجرادة والحملة تبعد عنه بمسافة عشرة أميال فلما أصبح كتب منشوراً وزعه بين اتباعه يقول فيه

ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرني بان جميع أصحابي الذين باتوا بسفح جبل الجرادة باتت أرواحهم في الجنة ومن دخل الجنة لا يخرج منها لقوله تعالى (وما هم منها بمخرجين)

وفي اليوم التالي زحف على الحملة وكانت قد أحست بزحفه عليها فتحصنت داخل زريبة من الشوك وبدأ الهجوم عليها من جهة الجنود النظامية فتقهقر بخسارة عظيمة وقتل أخوه حامد وجماعة من مشاهير رجاله الذين ساعدوه على دعواه ومنهم الشيخ آدم بن الاعيسر وأصله من بلاد (فلاتة) بالسودان الغربي وكان صهر المهدي علي ابنته زينب وانهمز الدراويش راجعين

الى الجراة ووقع بقلوبهم رعب شديد فاخذ أحمد بن سليمان أمين بيت المال
بلجام دابة المهدي وحوّله راجعاً الى الجراة فوجم المهدي لشدة ما أصابه من
الذهول حتي أدركه الخليفة محمد شريف الذي لقبه بخليفة الكرار وسأل احمد
ابن سليمان الى أين تذهب بالمهدي فقال الى الجراة لنعشد جيشاً آخر نعود
به الى الحرب فصنعه وأمسك بلجام الدابة وقال للمهدي تذهب ياسيدي
لنموت وأخذ يكررها ويقول نذهب لنموت والذين كانوا حوله يقولون انه
كان في ذهول صيره لا يبي شيئاً

ولما اتى محمد شريف ما آتاه اتبته المهدي كأنه أفاق من سبات
وأدرك انه اذا رجع الى الجراة مهزوماً وثب عليه سكان الجبال سيما
أهل الجراة نفسها واغتنموا فرصة ضعفه وقضوا عليه وعلي دعوته القضاء
الاخير فوطن نفسه على اقتحام المربع ليموت أو ينتصر فتراجع عليه
المنهزمون وزحف امامهم تحت نار حامية حتى دنوا من الزريبة فنزل
عن راحلته واستقبل القبلة وضلى ركعتين وما كاد يفرغ من الصلاة حتى رأي
انصاره اقتحموا المربع وولجوا في الزريبة وقتل صاحب رايته أبو هداية وكان
دنقيا من أقاربه وقتل القائد يوسف باشا مولياً وكان أراد الفرار بشخصه من جهة
الشرق راجعاً الى فشوده فلم يتم له وبعد ذلك دخل المهدي الزريبة وأمر برؤس
يوسف باشا ومشاهير القواد فنصبت حول الزريبة وأقام ثلاثة أيام مشتغلاً
بجمع الغنائم ثم عاد الى محلاته بجبل قدير ونجا نحو مائة جندي ولحقوا
بفشوده فاخبروا بما شاهدوه وقد استتجننا من أقوالهم ان جهل القائد بالفنون
المسكرية كان السبب القوي في هلاك الحملة

على أن يوسف باشا المذكور كان قبل هذه الحملة مديراً لسنار فحدث فيها من المظالم شيئاً لم يسبقه إليه أحد وذلك أنه قبض على سكان قريتين وباعهم وأولادهم أرقاء فمزله رؤف باشا وأبقاه في الخرطوم ريثما تتم التحقيقات ويستاق إلى المحاكمة وبعد عزل رؤف باشا عهد إليه ججلر باشا وكيل الحكم الإدارية قيادة هذه الحملة التعيسة

ذكر ترتيب جيش المهدي بعد ذلك

ولما ظهر المهدي بحملة يوسف باشا رتب جيشه على ثلاث فرق فالفرقة الأولى مؤلفة من قبائل السودان الغربي ورايتها سوداء وقائدها الخليفة عبد الله التعايشي . والفرقة الثانية رايها خضراء وقائدها الخليفة علي بن محمد حلو وهي مؤلفة من القبائل التي تسكن ضفتي النيل الأبيض والقبائل التي تسكن لجبال التي حول جبل قدير والفرقة الثالثة من قبائل السودان الأوسط أي أقاليم الخرطوم وبربر ودنقله وسنار وجعل قيادتها إلى ابن عمه الخليفة محمد شريف بن حامد الذي لقبه بخليفة الكرار ولقب التعايشي بخليفة الصديق والخليفة علي بخليفة الفاروق وجعل القيادة العامة لأخيه محمد عبد الله ولقبه بامير جيش المهدي وأسند القضاء بين الناس إلى الشيخ أحمد بن جباره أفا وأصله ضابط في الجيش المصري القديم سوري الأصل له من الأولاد أكثر من سبعة ذكور لحق بالمهدي أكثرهم وصاروا من أمرائه وخواص دولته وسنأتي على شيء من سيرتهم بعد ولقبه بقاضي الإسلام وعقد له راية على ذوي قرابته ومواطنيه وجعلها تابعة لفرقة الخليفة محمد شريف وانتدب أحمد ابن سليمان أميناً لبيت المال وهو من قبيلة تدعى (المحسن) بمديرية دنقله وبالغ

في مدحه حتي انه كتب اليه يقول ان انتدابك لهذه الامانة كان من الله ورسوله وان اسمه مكتوب تحت ساق العرش احمد بن سليمان أمين الله ورسوله ومهديه وكان مقربا لديه لوقوفه على دخائل اسراره وكان المهدي يمنع أهل بيته من الطبخ والخبز مبالغة في الزهد ويمنع ان توقد في بيته نار لهذا الغرض وكان احمد بن سليمان يصنع له في منزله الاطعمة الفاخرة ويبعثها له فياكل منها وكان بعض جهلة الاعراب يظنون ان المهدي يعيش بلاأكل وفي آخر الامر ظهر أمره مع أحمد بن سليمان ظهور الشمس في رابعة النهار وكان يختار له النساء ويبعث بهن اليه وبالجملة فقد كان صاحب سره ومشيره في كل شيء وسيأتي ذكر قتله في أيام التعايشي وذكر ما افشاه من الاسرار المهمة

ذكر تحريم الدخان

أصدر المهدي وهو في (قدير) منشورا قال فيه بحرمة الدخان وتعالى في تحريمه حتى قال اذا وقع رجل على أمه في جوف الكعبة كان سخط الله عليه أخف من سخطه على مستعمل الدخان ووضع حدا لمن يستعمله ثمانين جلدة وحبس سبع ليال ولم نعلم لذلك من سبب دعاه الى هذه البدعة ووضع حد على شيء لم يعرف تحريمه قطعا من جهة الشريعة القراء وقضى مرة على مدخن بمصادرة أمواله وأخري باسترقاقه وبيعه كما تباع الارقاء. وعقابه على شرب الخمر لا يختلف في شيء عن عقاب مستعملي الدخان. أما القاعدة التي سار عليها التعايشي بعده فهي مصادرة أموال وسي ذراري السكيرين والمدخنين على السواء مع عقوبة الجلد

وأعلن المهدي ابطال تقليد الاثمة الاربعة وقال انه مجتهد وأخذ يكتب

المنشورات متضمنة كثيراً من أحكام العبادات والمعاملات وكان يسمى الزمن الذي قبله زمن الجاهلية أو الفترة

(ونقل) لنا بعض مشايخه انه كان مكبا على مطالعة كتاب إحياء علوم الدين تأليف حجة الاسلام الغزالي وقد أيد ذلك مطابقة بعض مشتملات منشوراته لما في هذا الكتاب. وكتب منشورا يبحث فيه الامراء والقضاة على قطع يد السارق قال فيه مانصه (تقطع يد السارق وان لم يبلغ ماسرقة نصابا بل أقول لكم اقطعوا يده ولو كان ماسرقة أقل من بيضة دجاجة لا بارك الله في وال تركه ولا في أميراستمان به)

ذكر من محق بالمهدي من اعيان السودان الاوسط ما كاد المهدي يصل الى جبل قدير حتى لحق به كثير من اعيان السودان الاوسط وبعدها بايموه على الطاعة وحرب الحكومة كتب لبعضهم بالولاية على جهات من بلادهم وأمرهم باشهار الحرب وكان من هؤلاء المهدي ابن أبي رؤف زعيم قبيلة (جهينة) التي تسكن جنوب سنار وهي قبيلة كبيرة رحالة ماشيتها من الابل ورجالها معروفون بالجبن والكسل وغالب أفرادها ذوو قامات قصيرة كالأقزام ومن الامثال السائرة في السودان (ان كل عشرة من جهينة لا يصرعون رجلا واحداً) فكتب له المهدي عهدا بالامارة على قومه ومحاربة رجال الحكومة وطردهم من بلاده .

ومنهم أحمد بن المكاشفي أذن له بمبايعة الناس له ودعوتهم له وسيأتي الكلام على ترجمة أحمد بن المكاشفي . ومنهم الشيخ مضوي المحسي وأصله من قرية (العيلقون) القريبة من الخرطوم وكان طالب علم بالازهر الشريف ثم عاد الى

السودان وهجر مسقط رأسه واستوطن في قرية بجنوب سنار ثم لحق بالمهدي منها فكتب اليه عهداً أن يبايع له ويجمع سكان القرى حوالى الخرطوم على طاعة المهدي وحرب الحكومة. وغير هؤلاء كثير لم نذكرهم فراراً من التطويل وقد أصدرت الحكومة الاوامر بمصادرة أملاك كل الذين لحقوا بالمهدي من الاهلين ولكن الحكام أساءوا التصرف وجعلوا أوامر الحكومة وسيلة لملء جيوبهم بالاموال كما سنبينه في حادثة سنار



واقعة عامر بن المكاشفي مع سنار

بالقرب من مدينة سنار قرية المكاشفي والد عامر هذا وأحمد الذي ذكرنا نبأ لحاقه بالمهدي ووالدهما المكاشفي كان شيخاً متقدماً وأصله من قبيلة (الكواهلة) التي تسكن حوالى سنار وتعيش بالبان الماشية والزرع ورجالها مشهورون بالكرم والشجاعة وعددهم قليل كما شيتهم وفي أواخر شهر جمادى الاولى علمت المديرية بشخص أحمد بن المكاشفي الى المهدي فارسلت مندوباً لمصادرة أمواله فلم يعثر له على مال فامسك أخاه عامراً وأوسعه ضرباً واهانة ولم يطلق سراحه حتى افتدى منه بالف ريال هي كل ما يملكه من عقار وماشية فبلغ الخبر ناظر القسم محمود سعد الله فاحتدم غيظاً وقال كيف يدفع هذا القدر لمندوب المديرية وانا ناظر القسم فذهب الى القرية وقبض على عامر وبالحق في ضربه وتعذيبه حتى اجتمع جماعة من مريديه ودفموا له مائة وخمسين ريالاً ووعدوه بمثلها بعد أسبوع ثم ان عامراً لما رأي ذهاب كل ما يملكه وانه أصبح فقيراً عزم على مهاجرة دياره واللحاق بالبادية لان له أصدقاء ومریدين فيها من اعراب جهينة فتصدق عليه أناس من أهل القرية

ببعض دواب يحمل عليها نساءه وأولاده فخرج من القرية وانتهى الخبر
الى محمود سعد الله ناظر القسم فاقتني أثره بنحو عشرين راكباً من عبيده فادر كوه
عند حى اعراب وأمسكوا نساءه وبناته والحقوا بهن العار على مرأى منه ومن
سكان الحى وسلبوا ما معهم من الحلى وقطعوا آذانهن وهو موثق كتفا امامهن
وسلبوه والنساء الملابس وتركوهن عراة كيوم ولدتهن امهاتهن وانصرفوا بالدواب
وما عليها وكان عامر لا يفتر عن تلاوة الآية (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا
وان الله على نصرهم لقدير) وما بارح مكانه حتى تألب حوله نحو ألف مقاتل
فادعى انه وزير المهدي ونسل اليه الناس من كل حدب وبايعوه على
طاعة المهدي ومحاربة الحكومة وزحف في اليوم التالي على مدينة سنار في
سته آلاف مقاتل والتقى في طريقه بمندوب المديرية الذي أخذ منه الالف
ريال ومعه أحد الصناجق المدعو محمد أغا النمر تلب فقطصد الايقاع بهما فقرا
وأعلم المدير بأمره ولم يكن عالماً بشيء من ذلك فارسل يعلم الحكمدارية على
جناح البرق فورد عليه الخبر بارسال اثنين من أعيان سنار بكتاب له فانتدب
محمد عبد القادر الفاذنى متمهد طلبات أقوات الحامية ومعه آخر من أعيان
سنار كان صديقاً حميماً لعامر بن المكاشفى وسلمهما المدير كتاباً مملوءاً بالتهديد
والوعيد واليكم ماقلناه بعد عودتهما وأرسل الى الحكمدارية بالتلغراف
لم نبتعد عن منازل المدينة أكثر من ميل واحد حتى قبضت علينا طليعة
العدو واوسعتنا ضرباً وانزلتنا عن دوابنا ومزقت ملابسنا وسأقتنا الى (الديم)
أى المعسكر والسيوف مسلولة حولنا وأوقفنا بين يدي عامر بن المكاشفى
فرايناه في حالة جنون ولا يتكلم الا بالآية الشريفة «أذن للذين يقاتلون
بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير» وسيفه موضوع على نخذه الايسر

فقبض عليه وقال لنا ما الذي جاء بكما فقلنا سمعنا بخبرك وجئنا نبايعك فقال
احسبنا ودنونا منه وبايعناه ولشدة ما اصابه من الدهول قال لصاحبي ما اسمك
مع أن المعرفة قديمة بينهما وكان منذ بضعة ايام ضيفا بمنزله وبعد هنيهة قلنا له
ان المدير اعطانا كتابا لك فصاح باعلى صوته مزقوا كتاب الكافر فتناوله اتباعه
من أيدينا ومزقوه وقال لنا في الغد ادخل المديرية فرجونا ان يكتب لنا امانا
ففعل وأمرنا بالانصراف الى منازلنا فانصرفنا اه وكانت المدينة خلوا من
التحصين وليس بها سوى ثكنة يقيم بها نحو مائة جندي ومدفع من الطراز
الجبلي وفي الغد خرج المدير للقائه خارج المدينة بمائة جندي فانقض عليهم
بمن معه وقتلهم ووقف محمد اغا الترتلب عند المدفع حتى قتل ونجا المدير ووكيله
ولحقا بسفينة في البحر ودخل المدينة عامر بن المكاشفي وقصد دار محمود
سعد الله فقتله وانتهب ما فيها ودخل دار المديرية ووقف علي باب الخزانة
وكان بها نحو مائتي ألف جنيه وقال اكسروا الاقفال فتقدم اليه رجل من
أعيان مديرية المنيا كان منفيًا هناك اسمه الشيخ مصطفى أبو اسماعيل وقال له
انها صارت لك فلا تلتف الاقفال بل اجعل عليها حراسا فاستحسن قوله
ووضع عليها حارسا مسلحا بحربة طويلة وذهب الى سلا ملك المديرية وبينما
هو صاعد عليه فاجأته رصاصة لم يعرف المكان الذي جاءت منه فأصابته
احشاءه ووقع مغشيا عليه فاحتمله أصحابه وعادوا به الى معسكرهم وتراجع
المنهزمون وعاد المدير ورتب الاهالي بكيفية دافعوا بها عن أنفسهم اذ حولوا
رؤس المنازل الى متاريس والذي ساعدهم على الدفاع ان عامر بن المكاشفي
كان يقول لقومه لا تحاربوا بالبنادق لانها سلاح الكفار ومكث العدو يهاجم
المدينة ويضيق عليها الحصار ثمانية ايام حتى وصل اليها السر سوارى صالح

الملك بمائة وخمسين جندياً فدخلها بعد حرب خسر فيها العدو نحو ألف نسمة
وغادر ججلر باشا الخرطوم على باخرتين ومعه السر سوارى عثمان بك الدالي
والملك يوسف لا تقاذ سنار

واقعة الشريف احمد طه

بينما كان ججلر باشا سائراً مجدداً لامداد سنار اذ سمع الصياح من
الضفة الشرقية فألقت البواخر مراسيها ثم وجد عمال الحكومة فأخبروه برجل
يدعى (الشريف احمد بن طه) جمع نحو خمسة آلاف مقاتل وعسكر بهم عند
أبو حراز وهي منتصف الطريق بين الخرطوم وسنار فأرسل اليه السر سوارى
الملك يوسف بكتاب يدعو فيه الى الطاعة فقتله وجنوده واتصل بججلر باشا
ان الالهين متحفزون لخلع طاعة الحكومة فكث بأبو حراز وأرسل تلغرافا
الى القضايف يطلب طابورا من الجنود النظامية لان الجنود التي بالخرطوم
قليلون جدا وبقاؤهم بها لحراسة المدينة ضرورى وأنفذ السر سوارى
عثمان بك الدالي الى نقطة (فداسى) ليمنع الناس من اللحاق بالعصاة وجاء
الشيخ عوض الكريم أبو سن زعيم قبيلة الشكرية بنحو ألفين من قبيلته
ومعه الشيخ محمد الفيل شيخ طريقة المركيين وحاصروا العصاة . ولما وصل
الطابور الى أبو حراز كان عبيد القادر باشا حلي قد وصل الى بربر فأبلغ
الحادثة بالتلغراف فتوجه الى المحطة وأخذ فى الاستفهام عن مركز العدو فأخبر
به فرسم كيفية الهجوم عليه ورتب القوة كأنه يقودها بشخصه وتقدمت
نحو العدو الذي قابله ببسالة شديدة فأوقعت به وقتل الشريف احمد بن طه
وحملت رأسه الى الخرطوم وتابع ججلر باشا مسيره الى سنار فوجد العدو قد

بعد عنها مسيرة مرحلتين فشرع في تحصينها وخندق عليها وأرسل حملة على العدو فشنت شمله وعاد إلى الخرطوم بعد أن ترك بها حامية تقوم بحراستها ولما اتصل بالمهدي خبر قتل الشريف أحمد بن طه استاء وكتب إلى الشيخ عوض الكريم أبي سن والشيخ حمد النيل كتابا قال فيه (قتلتموه خذلة للدين ونصرة للكافرين فاعلموا أن ثأره بعد حين) و قبيلة الشكرية هذه قبيلة كبيرة رحالة تسكن شرق الخرطوم بين النيل الأزرق ونهر اتره وما شيتها من الابل وهي كقبيلة جهينة الا أن رجالها معروفون بالشجاعة وقد بقيت هذه القبيلة على ولاء الحكومة وسيأتي ذكر رؤسائها الذين ماتوا في سجن التعاشي وما آل إليه أمرها من الاضمحلال والقناء. والشيخ حمد النيل من أسرة تدعى (المركين) واجداده معتقدون في السودان ومعروفون بالصلاح منذ ثلاثة قرون تقريبا وقد صادر المهديون ماله ومات حقيرا ذليلا في اسرم انتقاما منه حيث ساعد الحكومة في قتل الشريف أحمد بن طه

ذكر وصول عبد القادر باشا حلي الخرطوم

قدم عبد القادر باشا حلي الخرطوم وقلوب السكان مملوءة بالخوف لقلّة الجنود في الخرطوم وخلو المدينة من كل تحصين ووجود كثير من عصابات الاشقياء حول المدينة متحفزين للوثبة عليها طمعا في السلب والنهب وكان السكان يقضون الليل في حراسة انفسهم فوق أعالي المنازل حذرا من أن يأخذهم العدو على غرة كآخذه سنار

ولما وصل عبد القادر باشا الخرطوم قصد ظاهر المدينة فوجد الميرالاي حسن بك حلي ومعه نحو خمسمائة جندي وثلاثة مدافع من الطراز الجلي

وقد نصبوا لهم سرادقا وصنفوا المدافع في رحبته وليس حولهم متاريس ولا شيء من معدات الدفاع فسأله ماذا تقصد بهذا العمل فقال الدفاع عن المدينة فضحك عبد القادر باشا وأمر بالسرادق فقوض ورتب عسسا لحراسة المدينة وأخذ في جمع عدد من الارقاء وأنشأ ثلاثة طوابير منهم وكان يباشر تمرينهم على الحركات العسكرية بنفسه في كل غدو ورواح واختبر كل الضباط الذين كانوا في الخرطوم فلم يجد فيهم كفاءة ولا أهلية لما يشغلونه من الوظائف حتى أن ضباط الطوبجية كانوا لا يعرفون إطلاق المدافع الا اذا كانت من النوع الذي يطلق في أيام الاعياد والمواسم

وشرع في تحصين المدينة وخندق عليها ووضع على الابراج الحراس فذهب كل خوف من قلوب السكان وتوطدت السكينة وانتشر الامن حوالى الخرطوم

وكان في حدود الحبشة نحو ستة طوابير من الجنود النظامية فاستدعاهم للدفاع عن البلاد

ذكر تدبير مكيدة لقتل المهدي

لما وصل عبد القادر باشا الخرطوم كان المهدي قد تقوت شوكرته في جبل قدير فاتفق عبد القادر باشا مع شخصين من أهالى كوردفان مشهورين بالشجاعة والمخاطرة في سبيل احراز المال يدعي أحدهما (عبدالله بن ابراهيم) والآخر (أحمد بن الحسين) ودفع لهما ثلاثة آلاف ريال ووعدهما بثلاثين الف ريال مجيدي يقبضانها أو ورثتهما على ان يذهبا الى المهدي في جبل قدير ويقتلاه رميا بالرصاص فاذا نجوا من شر الاعداء قبضا المال وان وقعا في أيديهم قبض

المال ورثتها وقد كتب صك بينهما وبين محمد سعيد باشا مدير كوردفان بالنيابة عن عبد القادر باشا الحكمدار وكان ممن حضر هذا التدير (الياس باشا أم برير) أحد تجار كوردفان وكان هواه مع المهدي وذهب الرجلان مصريين على انفاذ هذا العزم فارسل الياس باشا راكباً سبقهما بكتاب الي المهدي أوقفه فيه على ما دبره عبد القادر باشا لاغتياله فاخذ حذره ولما بلغه قرب وصول الرجلين من معسكره قام بين أصحابه خطيباً وأخبرهم ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بأمر الرجلين وما اتفقا عليه مع الكفار وأمرهم بقتلهم وإخبارها بأن المهدي عالم بما جاء به فلما فعلوا اندهش ذاك الرجلان ولم يداخلا شك في ان الامر كما هو وان المهدي علمه من هذا الوجه واعتقدا صدق مهديته والقياماً بأيديهم من السلاح وقصداه تائبين من ذنبيهما وعاهداه على الاخلاص له وبأيامه بيعته المعلومة وصاروا من خيرة انصاره واكابر قواد جيشه . والعامة تبلغ في رواية هذه القصة وتزعم أن الرجلين اطلقا الرصاص على المهدي فلم يصبه وخضعا له عند رؤيتهما هذه المعجزة والحقيقة هي التي أوردناها وسيأتي ذكر قتل الياس باشا صبراً في سجن التعالشي

ذكر حوادث كوردفان

وفي غضون اشتغال الحكومة بأمر الشريف أحمد بن طه وعامر بن المكاشفي قام بدعوة المهدي في كوردفان رجل اسمه عبد العزيز بجهة (دار حمر) وكان المهدي أرسله بكتاب الى ابراهيم بن اسماعيل منعم شيخ قبيلة حمر وابنه اسماعيل

وقبيلة حمر هذه قبيلة كبيرة تسكن في المنطقة التي بين كوردفان ودارفور

وهي رحالة في أوقات معلومه من السنة وتنزل القرى في إبان الزرع وادتر بلادها لأماء فيها ويقضون حاجتهم من الطبخ والخبز بماء البطيخ وكل من عطش اكل منه وفي بعض الجهات يخزنون ماء المطر في جوف أشجار عظيمة تسمي (التبدي) وعوائدهم كموائد من ذكرناهم قبل من قبائل كوردفان ويكثر في هذه البلاد ريش النعام لان الاهلين يقتنونه بكثرة في منازلهم ولذا يكثر تردد التجار على بلادهم للحصول على هذا الصنف

ولنرجع الي ذكر عبد العزيز داعية المهدي فنقول انه قوبل بالاجابة وألفت قبيلة حمر حوله وأول عمل أتاه انه هجم على البكباشي نظم افندي مأمور تحصيل الاموال الاميرية بهذه الجهة على غرة وسلب كل مامعه من هذه الاموال وجرده من كل شيء حتى من ملابسه وقال له اشهد أن الله واحد وان المهدي المنتظر حق ففعل وكان في قلة من الجنود ولم يستطع الدفاع عن نفسه . وكان هذا الداعية جاهلا ابتدع من عندياته مسألة هذه الشهادة وكان يقول ان الشهادة لمحمد رسول الله قد ابطلت والنيت

ثم ان البكباشي نظم جاءه اثنان من شيوخ حمر وحملاه الى بلدة ابو حراز التي تبعد عن الابيض عاصمة كوردفان بنحو أربعين ميلا وهناك جمع جنوده المتفرقة وتحصن بداخل زريبة من الشوك . وعاد عبد العزيز الى جبل قدير حيث استدعاه المهدي ليؤدي ما عنده من الاموال التي انتهبها من نظم افندي . ثم عزله وخلقه عبد الله بن النور فغادر جبل قدير ومضى على نقطة (فوجة) بين دار حمر ودارفور فقتل من فيها من الجنود وقتل عمال التلغراف وقطع الاسلاك ثم قصد أبو حراز وناهض البكباشي نظم افندي فلم يظفر به وتقهقر من وجهه حتى بلغ الابيض بعد عناء شديد ووقعت بلاد

حمر كلها في قبضة المهدوية

وتقدم عبد الله النور الى البلاد الواقعة شرق الابيض وقصد نقطة
اسحف التي تبعد عن مركز (باره) بنحو خمسة عشر ميلا وكان بها الصنجق
محمد أغا ياسين المشهور (بشبوا) ومعه النور بك عنقره من نخاسي بحر الخزال
فداهمها عبد الله النور فقر النور بك عنقره وترك امتعته ونساءه وتقهقر محمد أغا
ياسين بمن معه حتى وصل الى نقطة باره وغنم عبد الله النور طابلاً
حربياً كبيراً كان غنمه النور عنقره من أحد ملوك دارفور وقت فتح تلك
البلاد وقد ظل هذا الطبل موجوداً عند المهديين حتى سقوطه أم درمان .
والتقى عبد الله النور و دراويشه بشرذمة من الجنود المصرية كان انقذها مدير
كوردفان تحت قيادة نظم افندي واشتبك معها بحرب اسفرت عن انتصار
الجنود وهزيمة الدراويش وخسارتهم ألفاً وخمسمائة قتيل ثم رأى قائد الحملة
ان لا فائدة من هذه الحرب مادام الاهلون كلهم مع العدو محاررين الحكومة
مظهرين عدم طاعتهم لها فصدر الامر لها بالعودة الى الابيض

واقعة البركة بكوردفان

اجتمع نحو مائة ألف مقاتل من قبائل البديرية رئيسها عبد الصمد
ابن أبي صفية ومن قبيلة حمر وغيرهم في جنوب مكان يدعى (البركة) وبينهم
وبين الابيض مسافة خمسين ميلاً وجعلوا يوالون الفارة على اطراف المدينة
ويهبون الماشية فارسل لهم محمد سعيد باشا مدير كوردفان حملة تحت
قيادة البكباشي نظم افندي مؤلفة من طابور من المشاة النظاميين وانضم
اليها أربعة ألوية من الجنود الباشبوزق والمتطوعين المعروفين باسم (كبابين)

أى شركات كما تقدم لنا ذكرها فى خط الاستواء وبحر الغزال وسارت
الحملة فكمن لها المدون فى الطريق ليحولوا بينها وبين الماء وناوشوها القتال ثم
هجموا على أحد جناحيها فوجدوا منه واشتغلوا بالنهب والسلب وقبضوا على
الذخيرة فتمكن القائد من إعادة النظام بين الجنود وسار بهم غير ملتفت الى
شئ حتى بلغ مكان الماء فخصنه واستراح هو وجنوده من وعناء السفر
وتجمع المصاة حوله فهاجمهم فى الفلج وقتل منهم أكثر من ألفى مقاتل واسترد
كل ما أخذوه منه لدى هجومهم عليه فى الطريق

وقتل من قواد الجنود غير النظاميين بشير أغا الازيرق وسيف النصر
أغا قائد المغاربة ومن قواد المتطوعين واحدا ومادت الحملة الى الأبيض



ذكر واقعة الطيارة

(الطيارة) مدينة تجارية واقعة على مسافة مائة ميل جنوب الأبيض عاصمة
كوردفان يقصدها التجار لا بتياع الصنع الذي هو من محصولات البلاد
الواقعة بين الأبيض والنيل الأبيض وهى قاعدة مركز الطيارة وسكان
هاته البلاد قبيلتا (الجمع والجوامع) والاولى يطلق عليها اسم (بقاره) لان
أكثر ماشيتها من هذا النوع والثانية تنزل القرى وتشتغل بالزراعة والضرع
مما وكلتاها مشهورتان بالشجاعة والاقدام مثل سائر قبائل كوردفان وعاداتهم
متشابهة ويكثرون من شرب المسكرات والفاحشة شائعة بين نساءهم حتى
ان الرجل يبصر ابنته وأخته وسائر محارمه يباشرن الفاحشة بلا مبالاة ولا
استحياء وانما العيب ان تزني المرأة بعد ان تزوج ومن أكبر العار ان تزوج
قبل ان تلد أكثر من ثلاثة أولاد ذكر تدفعهم لا كبر اخوتها ليعينوه على

حراثة ارضه أو رعاية ماشيته وهؤلاء الاولاد يسمونهم (عينة خالهم) كما سبق ذلك ولا عيب في ذلك كله عندهم وبعد ان تزوج المرأة تحرص على الوفاء لزوجها وتعف عن الزنا. وقد أبطل المهديون هذه العادة وأقاموا الحدود الشرعية على مرتكبيها فبطل التظاهر بها وان ارتكبت خفية

ودخل هاتان القبيلتان في دعوة المهدي وخالعتا طاعة الحكومة على يد رجل يدعي (المنه) كان يعلم الصبيان القرآن في احدى القرى وكان متظاهراً بالصلاح على جهل كثير فكتب اليه المهدي يعده بالخلافة فاجتمع حوله من قبيلتي الجمع والجوامعة ما يربو على خمسين ألف مقاتل هجم بهم على مدينة الطيارة وكان بها نحو خمسمائة جندي تحت قيادة اليوزباشي محمد افندي شافعي ونحو عشرة آلاف من التجار فقتل المساكر كلهم ولم ينبج من التجار الا نحو عشرين نسمة وبقربطون نحو ألف امرأة حبلى وقتل الاطفال شرقتله حيث كانوا يقذفونهم في الجو ويتلقونهم بالرماح وأحرق بضائع التجار ولم يسلم محل تجارى في كل انحاء السودان من خسارة بالغة في واقعة الطيارة لانها المدينة الوحيدة التي يقصدها تجار الصمغ من كل مكان للحصول عليه . وكان من الذين نجوا من هذا الخطب رجل من (شنقيط) فسأله سائل عما شاهدته فقال جاء في الحديث الشريف ما اجتمع ثلاثة من أمتي الا وفي أحدهم الخير وقد رأيت عشرة آلاف من الجمع والجوامعة يجتمعون على قتل صبي وكلهم يحرص على قتله ولا يقولون الا شراً — كلهم ليس فيهم ثلاثة من أمة محمد — وكانت هذه الواقعة في شهر رمضان سنة ١٢٩٩ وكانت المديرية ارسلت مائتي جندي من الباشبوزق وبلوكا من المشاة النظاميين ومعهم مدافع من الطراز الجديد لتعززها الطيارة وبينما كانت هذه الحملة سائرة في طريقها

اذ وثب عليها رحمة بن نوفل شيخ قبيلة الجوامعة في الفين من قومه فثبت الجنود وانتشبت الحرب ثمان ساعات أسفرت عن هزيمة الجوامعة وانتصار المصريين وفقد العدو عدداً كبيراً من جيشه وأرسل الشيخ رحمه يستصرخ قومه فتألب منهم أكثر من خمسة آلاف وأحاطوا بموقع الحملة وفي الغد بدأوا بالهجوم عليها من الامام والخلف وساعدتهم وعورة المسكان وكثرة الانخفاض والارتفاع في أرض تلك الجهة فانقضوا على الجنود وذبحوهم عن بكرة أبيهم وغنموا كل ما معهم من الاسلحة والذخيرة وكانت هذه المذبحة بعد مذبحة الطيارة بليتين ولم تقف المديرية على شيء مما أصاب الطيارة الا بعد هلاك الحملة حيث اتصل بها الخبران مما



ذكر زحف المهدي من جبل قدير الى الالبض لما رسخت قدم المهدي في جبل قدير وتغلب على كل الدين ناهضوه اجتمع عليه خلق كثير من الاعراب سكان تلك الجبال وكان ما ذكرناه من أمر انتشار دعوته في اقليم كوردفان عدا الالبض حاصمة الاقليم وبعض المراكز التي تحتلها حاميات الحكومة وكان تجار كوردفان كلهم يكتبونه ويستحثونه على القدوم اليهم وفي مقدمة أولئك التجار (الياس باشا أم برير) وكان شديد الكره للحكومة كثير الميل لجهة المهدي وقد ذكرنا انه اطلعه على خبر المكيدة التي دبرها عبد القادر حلمي باشا لاغتيال حياته ولما ظفر المهدي بحملة يوسف باشا الشلالى جمع كل ما غنمه من الساعات والاشياء ذات القيمة وأرسلها الى الياس باشا فباعها وأرسلها ثمنها له . واني أرى اتما للفائدة اثبات ترجمة هذا الرجل فاقول . هو من قبيلة الجعليين

التي تسكن اقليم بربر من احدى انفاذها المدعو (النفيصاب) سافر الى كوردفان في العهد القريب من فتحها فاثري من التجارة وكان له تداخل مع الحنكام وميل منهم له بما يقدمه لهم من الرشا فاطلقوا يده حتي انه كان يقتل وينهب أموال الناس وفي الايام الاخيرة بذل مالا طائلا لاحد الحكم فعينه مديراً على اقليم كوردفان فارخي العنان لنفسه وأصاب من الاموال وارتكب من المظالم ما أوجب عزله قبل مضي شهرين على ولايته وقد شق عليه العزل فسمى مجداً كيمود الي المنصب فلم يفلح وفقد وراء هذا السمي جل ثروته ولما أدركه اليأس علل نفسه بمساعدة المهدي عساه أن ينال منه ما لم ينله من الحكومة فخاب ظنه وانتقم الله منه بعبد الله التعايشي حيث قتله صبراً وتقى أولاده وقتلهم مثله (ومن أعان ظالماً سلط عليه)

وكان بين الياس باشا وبين احمد بك دفع الله من تهمار كوردفان عداوة شديدة لانه يشاطره النفوذ وأحمد بك من قبيلة الجمليين أيضاً وكان شديد لولاء للحكومة وسيأتي ذكر قتله مع مدير كوردفان وكان ذا شهامة وشجاعة رحمه الله يحض الحكومة النصيح ويحذرهما من الياس باشا فكانت تقابل أقواله بعدم الاصغاء نظراً لما اشتهر بينهما من العداوة

ولما أحس عبد القادر باشا بنوايا المهدي عن كوردفان أخذ يطلب من الحكومة الامداد لحشد جيش جرار في كوردفان يستطيع مقاومة المهدي واتحاد الثورة التي عمت البلاد وكانت الحكومة اذ ذاك واقعة في الفتنة العراقية ومن جهة أخرى في الازمة المالية المعروفة في ذلك العهد فلم تجبه ولكنه مع ذلك لم يترك حيلة بل جند كثيراً من الصناجق الباشبوزق وسيرهم الى كوردفان وبعث بطابور من الجنود النظامية سيأتي خبر الفتك به في الطريق

قبل بلوغه الابيض واجتمع تجار كوردفان بايماز الياس ورفعوا عريضة الى عبد القادر باشا يسألونه عزل محمد سعيد باشا مدير كوردفان وتولية الياس باشا بدله وكان قصدهم من ذلك أن يسلم المديرية الى المهدي بغير مقاومة متي صار الأمر الناهي عليها فادرك عبد القادر باشا الحيلة واجاب طلبهم وعزل محمد سعيد باشا وولي بدله علي بك شريف وكيل المديرية وبعد بضعة ايام اعاد محمد سعيد باشا لانه كان لا يري في علي بك شريف كفاءة عسكرية لمقاومة تيار المهدي

ولما وطن المهدي عزمه علي الزحف ارسل دعاة كثيرين حوالى الخرطوم ليشغلوا عبد القادر باشا عن امداد كوردفان وقد أفلحت سياسته حيث اشتعلت نيران الحروب واضطر عبد القادر باشا الي العدول عن الاهتمام بامر كوردفان وانقطع ارسال المدد اليها وماتم له الانتصار على أولئك الدعاة الا بعد أن تم للمهدي الاستيلاء على عاصمة كوردفان والقضاء الاخير علي سلطة الحكومة فيها وسيأتي تفصيل ذلك على حدة

نعود الى المهدي فنقول انه ترك أثقاله ونساءه في جبل قديرو وكل حراستهم الي عمه السيد محمود بن عبد القادر

على ان المهدي لم يكن واثقاً بالغلبة على كوردفان لقربها من الخرطوم وكانت عزمته متجهة الي الزحف على دارفور واخضاعها حيث يتخطاها الي جهات السودان الغربي كمالك بورقو وبورنو وأبو ريشه وغيرها من تلك الجهات وبالفعل كانت دعوته قد بلغت ديار (فلاته) من نواحي (تمبكتو) ولكن الياس أم بربر كان يقلقه بكثرة الحاحه عليه بالقدوم الى كوردفان ويوقفه على مافيه الحكومة المصرية من الفوضى بسبب الفتنة العراقية فتقدم نحو كوردفان

وترك أثقاله بجبل قدير ليعود مخفياً إذا قدرت له الهزيمة والفشل

ذكر وصول المهدي الى كابه

(كابه) منهل جنوب البحر الأبيض بمسافة عشرة أميال وماؤه من الأمطار
تجتمع في مكان منخفض ويقصده الأعراب لسقي ماشيتهم وهو أقرب منهل
إلى الأبيض في طريق المهدي وقد استقبله فيها خلق كثير من أهالي كوردقان
ومعه من المقاتلة مائتا ألف أو يزيدون منهم نحو ثلاثين ألف فارس وما كاد يصل
إلى كابه حتى بعث رسولين بكتاب إلى محمد سعيد باشا مدير كوردقان ومن منه
من ضباط الحامية وجميع سكان الأبيض يدعوهم فيه إلى التسليم ويحذروهم من
بطشه وفي ذلك الكتاب ما في غيره من الدعاوى التي يتخطها لنفسه ككفر من لم
يصدق بمهديته وغير ذلك مما تقدم لنا ذكره وكنقش اسمه على ورق الأشجار
ويبيض الدجاج فدخل الرسولان علي محمد سعيد باشا ودفعا له الكتاب وجلسا
بجانبه بغير إذن وأخذوا يسبانه ويتوعدانه بكل مكروه حتى قالوا له إن خيل
المهدي لا بد أن تطأ موضع قدميك وتروث على بساطك هذا . وما وقفت
سفاهة ذينك الرسولين عند هذا الحد بل تناول شخص الجناب الخديوي
فاستدعى المدير كل الضباط ووجوه السكان وقرأ عليهم كتاب المهدي
فكان جواب الضباط أنا لا نسلم لهذا الشقي وفيينا قطرة دم ووقف أحمد بك
دفع الله التاجر الذي تقدم لنا ذكره وقال كما قال الضباط وزاد عليهم أنه أقسم
بالوفاء . أما الياس باشا أم برير وسائر التجار فانهم سكتوا ولم يفوهوا بكلمة
والرسولان مسترسلان في ميدان السفاهة والشتائم مما هييج غضب الضباط
الذين ألحوا على المدير بقتلها فأمر قومندان الجنود اسكندر بك محمد بقتلها

رميا بالرصاص قفل وأخذ المدير في آتمام حفر الخندق واعداد ما يلزم من
المعاقل والطوابي ومعدات الدفاع . ومكث المهدي أياما ينتظر عودة رسوله
ثم علم بقتلها فأرسل ألف فارس تفرقوا في أطراف المدينة يرفعون أصواتهم
بدعوة الناس الى اللحاق بالمهدي في كابه فخرج اليهم محمد بن العريق من
التجار وكان رئيس المجلس المحلي واشتغل المدير بأعمال الدفاع

ذكر استحكام الابيض

مدينة الابيض كبيرة وسكانها يزيدون عن مائة ألف نسمة وكانت
الحكومة خندقت عليها ولكن رأى محمد سعيد باشا ان هذا الخندق لا يقوم
بحراسته أقل من ستين ألف جندي وبداخل هذا الخندق خندق آخر يحيط
بالاماكن الاميرية ومنازل الضباط وأعيان المصريين وقد أعدت الحكومة
منازل لالياس باشا وغيره من التجار داخل الخندق الصغير وشدت عليهم
في نقل أمتعتهم الى المنازل التي أعدت لهم فقرروا ولحقوا بالمهدي في كابه عدا
أحمد بك دفع الله وابراهيم بن عدلان وهما أولئك التجار الذين كانوا
سيما في اغارة المهدي على كوردقان بل كانوا السبب في شقاء السودان كله
وسفك دماء مئات الالوف من البشر لان المهدي كما قدمنا كان لا يبتغي غير
طريق الى السودان الغربي وقد انتقم منهم كما انتقم من الياس باشا وسيأتي
ذكر ذلك في مكانه وهم (الياس باشا أم بربر . محمد بن العريق . الحاج
بان النقا) ولحق بهم من مستخدمي الحكومة (الريج حامد) باشكاتب المجلس
المحلي ومن قواد الباشبوزق (طه بن الجملي) و (ابن تاي الله) و (ابن الحسين)

ذكر هجوم المهدي علي الأبيض

لما لحق الياس باشا ومن معه من التجار بالمهدي في كابه حرضوه على الهجوم على المدينة فامر أخاه محمد بن عبد الله قائد جيشه ان يزحف بالجيش بعد منتصف ليلة الجمعة لست ليال يقين من شهر شوال عام ١٢٩٩ هجرية وأن يتدّى بالمهجوم في الغلس وخطب المهدي على الناس وحثهم على الجهاد وقال لهم ان نيران البنادق لا تصيبكم وانها تحول ماء كما تحولت نار الخليل برداً وسلاماً فزحفوا واستاقوا غزلان الصلاة وغيرها من الحيوانات امامهم وفي الغلس بدأ هجومهم فوقف لهم الجند وقفة الاسود وأصلوهم نيراناً حامية حتى انتصف النهار وتكاثف الدراويش على الخندق مما يلى الجبه خانات فوجوا وتقهقر الجنود بانتظام وحالوا بينهم وبينها ثم هادوا الى مواقعهم الاولى من الخندق بعد ان قتل كل الذين وجوا الخندق وفي منتصف النهار تمت الهزيمة على العدو وخسر اثني عشر ألف قتيل عدا المجروحين حيث كانوا يبلغون ثلاثة أضعاف هذا العدد وسقط محمد بن عبد الله شقيق المهدي وقائد جيشه قتيلاً وقتل يوسف شقيق عبد الله التعايشي وقتل قاضي المهديّة أحمد بن جباره وقتل الشيخ الامين أحد مؤسسي دعوة المهديّة وانقض الاصراب من حول المهدي وارتابوا في صدقه بعد اخباره لهم ان نيران البنادق تحول ماءً ولحقوا بديارهم ولم يعودوا الى معسكر المهدي بكابه . وقد وقعت هذه الهزيمة اسوأ موقع عنده ولم يبق حوله غير نفر قليل من ذوي قرابته والذين لحقوا به من مدينة الأبيض فصمم علي العودة الي جبل قدير أو الاغتصام بجبال دارفور وأوديتها السحيقة فأشار عليه الياس باشا بالدنو من الأبيض ومحاصرتها

لأنها في حاجة عظيمة الى القوات وأوعز اليه بان يكتب منشوراً الى جميع
الفارين يخبرهم بان الذين ماتوا احياء في الجنة وسيلقاهم أهلهم فيها وان النبي
صلى الله عليه وسلم وعده ان لا يقع لانصاره مكروه حتى يفتح الله عليهم
المدينة وانه قد اباح لهم الغنيمة يأخذونها دون بيت المال فتراجع كثير من
المنهزمين فزحف في اليوم الثالث وعسكر في جهة (عد العود) التي تبعد
عن حصون المدينة بنحو خمسة آلاف متر وأقام المتاريس حول المدينة وضيق
عليها الحصار وسنعود الى تمة ذلك

حملة علي بك لطفي

في شهر ذي القعدة سنة ١٢٩٩ انفذ عبد القادر باشا حلي طابوراً من
الجنود النظامية تحت قيادة القائم على بك لطفي لتعزيز حامية كردفان
حيث انتهت اليه أنباء تقدم المهدي نحوها وكان مع الطابور نحو الفين من
الجنود الباشبوزق تحت قيادة افراد من عمد القرى المجاورة للمدينة وقصد
عبد القادر باشا من تجنيد الباشبوزق ان يكونوا على الدوام في طليعة الجنود
يستكشفون العدو وينبهون الحملة على كل كمين في طريقها ولولا ذلك لم تكن
فائدة لاؤلك الجنود الذين يجهلون النظامات العسكرية وفي كثير من الوقائع
كانوا السبب الاعظم في فشل الجنود بما ياتونه من الحركات التي لا تنطبق
على الفنون العسكرية وما كادت الحملة تبلغ حدود كردفان حتى تألب
لناوأتها قبائل الجمع والجوامع فاضطرت الى تشكيل قلعة تدافع بها الهاجمين
وهي سائرة في الطريق التي يكثر فيه الماء وهو منحرف لجهة الشمال وينتهي سيره
عند نقطة (باره) وبعد بضعة أيام وصلت الحملة الى مكان يقرب من باره يدعي (كوا)

والجنود على آخر رمق فقد وامعه الصبر لانهم لم يذوقوا النوم والراحة منذ وصلوا
حدود كوردفان وهجمات العدو متوالية عليهم ليل نهار وكان العدو قد تجمع منه
زهة ثلاثين الف مقاتل ووثبوا على الحملة وبالرغم عما أبدته الجنود من الصبر تمكن
العدو من الولوج في المربع وقتل القائد والجنود كلهم الا كوكبة تزيد على المائة
قادها اليوزباشى السيد أفندي الفوال وتمكن بها من الوصول الى باره وكان لعبد
القادر باشا ميون يسرون خلف الحملة وهم الذين أبلغوه خبر القضاء عليها حيث
أذاع عكسه تسكيناً للأخواتر وتطمينا لسكان الخرطوم

سقوط باره

باره مدينة كبيرة في الشمال الشرقى من الأبيض تبعد عنها بمسيرة
أربع مراحل وفيها بساتين كثيرة بسبب وفرة مياهها وقربها اذ البئر لا يتجاوز
عمقها مترين وأكثر سكانها من المصريين والأتراك ويوجد بها من
الدنقلين عدد كبير :

ولما قامت ثورة المهديين حصنتها الحكومة ووضعت فيها حامية فاغار
العدو عليها عدة غارات ورجع مقهوراً منها ولما ثبتت قدم المهدي في محاصرة
الأبيض سقطت باره في قبضته على شرط ان لا يمس الاهلين بسوء في أموالهم
وذرائعهم ولم يوف لهم بل تناول امراؤه الاموال ومدوا أيديهم الى النساء
فذهبوا اليه وهو يومئذ محاصر للأبيض متظاهرين فاحال ظلامتهم على عبده
الله التعايشى فجمعهم وقال لهم ان الحضر عليه السلام قال له لا ترد اليهم ما أخذ
منهم لانهم يخسرون الآخرة ويمودون الى ما كانوا فيه من شرب الخمر وأغلظ
عليهم القول وتوعدهم ان عادوا الى التظلم. وكان المهدي أصدر منشوراً ضمنه

الثناء على عبد الله التعايشي وقال فيه انه أوتي الحكمة وفصل الخطاب وان
الحضر عليه السلام رفيقه ووزيره ومن رأى في حكمه اعوجاجا ظاهرا ففي
باطنه من الحكمة كالتى فى قصة موسى عليه السلام مع الحضر وكان الذى
أشار على المهدي بكتابة هذا المنشور أحمد بن سليمان أمين بيت المال تمهيدا
لحكمه على أهالى باره والمنشور فيه اختلاف بين نسخته والنسخة التى بيد أمين
بيت المال تخالف التى بيد التعايشي وهى التى طبعت فى مجلد المنشورات
ويقول أمين بيت المال ان عبد الله التعايشي هو الذى أوعز الى كاتب سره
فوزى بن محمود باريه باحداث الزيادة وسيأتي ذكر قتل فوزى وأمين بيت
المال وانهما اقرا بالحقيقة عند القتل اهـ

ذكر كنيسة جبل الدلن

كان جماعة من القسوس الكاثوليك شغصوا الى كوردفان وشادوا بها
كنائس وتوغلوا فى بلاد المتوحشين وجبالهم يدعون القبائل الى النصرانية
وبنوا كنيسة فى جبل الدلن من أعمال كوردفان وكان بهذا الجبل حامية
وضعتها الحكومة للمحافظة على أولئك الدعاة ولمنع الاتجار بالارقاء تحت
قيادة رجل من الاوربيين وكان كاتبه مصريا اسمه خليل حسنين وكان ميالا
الى المهدي ففي ذات يوم أصبح يقص على الجنود رؤيا منامية فخواها انه رأى
المهدي وأنه بشره وسائر الذين فى الجبل بانهم من خيرة انصاره وصفوة محبيه
وكساحم حللا سندسية ووضع على رؤسهم تيجانا زمردية فوقعت هذه الرؤيا
موقع القبول عند الجنود ومالت قلوبهم نحو المهدي وبعث خليل حسنين
بكتاب الى المهدي يقص عليه الرؤيا ويعرض به دخولهم فى طاعته فارسل

لهم مائة فارس من الاعراب ومعهم كتاب يقول فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بصدق رؤيا خليل حسنين وانه يبذل الامان لكل الذين في الجبل حتى القسوس الذين تعهد لهم بالحرية الدينية ودعاهم للقدوم اليه فلبوا جميعاً ولما مثلوا بين يديه قابلهم بالبشاشة وطيب خواطرهم أما خليل حسنين فكوفئ بادخاله ضمن عمال بيت المال وبقي القسوس حتي سقطت الابيض ثم صودرت أموالهم واجبروا على اعتناق الاسلام بعد تمذيب شديد اه

ذكر واقعتي شات والمرابيع

(شات) قرية تبعد عن النيل الابيض بنحو عشرة أميال وهي أول منزل ينزله المسافرون من الدويم الى كودفان وبها تجار لا يتباع الصنع ويسكنها مصريون من أهالي مديرية أصوان وكان بها حامية من الجنود خندقوا على القرية فرّ بهم أحمد المكاشفي قادما من قبل المهدي بالولاية على سنار وقد عززه بامراء كثيرين من أهالي البحر الابيض أشهرهم ابن كريف عهد اليه المهدي بجمع قبائل البحر الابيض ونشر دعوته بينهم ونصرة أحمد ابن المكاشفي الذي تقدم لنا ذكر أخيه عامر بن المكاشفي وما أتاه في سنار ولما وصل أولئك الامراء الى شات التف حولهم الوف من رجال ابن كريف فهجموا على شات وذبحوا من فيها من الحامية وقتلوا النساء والأطفال وأتوا من المنكرات ما لم يسمع بمثله انسان حيث كانوا يسوقون الاسرى من النسوة عمراة كيوم ولا دهن ويتركن عرضة للحر والبرد حتي يموتن من الجوع والظما مقرنات في الاغلال يضربهن كل من مر بهن ثم اجتازوا النهر الابيض الى الجزيرة وكانت بها حامية من الجنود في مكان يدعي المرابيع ففتكوا بها

وانتشرت دعوة المهدي في الجزيرة وعلى الخصوص في البلاد المتوسطة بين
النيلين الازرق والأبيض مثل ممتوق وعبود

ذكر واقعة عبود

عبود قرية تبعد عن النيل الازرق بمسيرة خمس مراحل وكان فيها
نقطة عسكرية فهب الأهليون وحاصروا من فيها من الجنود فأرسل عبد
القادر باشا الى طابور من المصريين كان معسكر آفي مدينة المسلمية يأمره
بالتقدم لانتقاذ (عبود) فتمرد الجند لوشاية وصلت اليهم وقالوا لا نتقدم
وحسبوا ان المسألة حيلة يقصد بها هلاكهم في وسط الصحراء لانهم من
العساكر المرابيين الذين بعثتهم الحكومة بعد اخاد نار الثورة فتدارك عبد القادر
باشا الامر وشخص بنفسه الى المسلمية فاستقبله الجنود وقصوا عليه ما بلغهم
فطيب خواطرم وقال له - اني سائر معكم بنفسى فثابوا الى الطاعة وزحف
معهم الى عبود ومعه من الجنود الباشبوزق عثمان بك الدالى فلما اقتربوا من
عبود فر المدو من حولها وانقذت حاميتها وما كادت تمضي عليه بضع ساعات
حتى وافاه نبا بأن الداعية ابن كريف جمع نحو ثلاثين ألف مقاتل في ممتوق
التي تبعد عنه بمسيرة نحو يومين ووجهة سيره مجهولة ويخشى أن يقصد بهم
الخرطوم ووافاه نبا آخر بتضيق احمد بن المكاشنى الحصار على سنار وجاءه
ثالث بظهور عصائب حول الخرطوم يقودها الشيخ مضوي عبد الرحمن
المحسى الذي ذكرنا نبا شخوصه الى المهدي في جبل قدير ثم جاءه تليفراف من
المعية السنية مضمونه ان الحكومة قد عينت الجنرال هيكس باشا رئيسا لاركان
حرب الجيوش السودانية فيجب ايقاف جميع الحركات العسكرية الى حين

وصوله وانه سيفادر القاهرة بعد بضعة أيام هذا ما كتبتة الممية في حين أن
ايقاف الحركات العسكرية بضع ساعات أقل نتائجه وقوع الخرطوم وسنار في
خطر ربما كان انتاذهما من مخالفه عسيراً

ذكر واقعة معتوق

لم تقف على شيء مما أقنع به عبد القادر باشا الممية بضرورة متابعة
الحركات الحربية فقد زحف بجنوده في اليوم التالي والتقى بابن كريف في غابة
معتوق واصلاه ناراً حامية ففر منهزماً تاركاً نحو ألفي قتيل في ساحة الحرب
وتأثره حتى تفرق أنصاره وبلغ عبد القادر باشا (الكوه) على شاطئ النيل
الابيض ومن هناك قصد الخرطوم على إحدى البواخر وطارده العصاب التي
ظهرت حوالي الخرطوم وقبض على جماعة من زعمائها وأودعهم السجون
وأخذ في الاهبة للحملة على احمد بن المكاشني وانتاذا سنار

ذكر واقعة الداعي

زحف عبد القادر باشا من الخرطوم في ثلاثة آلاف من الجنود
المصريين النظاميين لانتاذا سنار وكان احمد بن المكاشني محاصراً لها منذ
شهر تقريباً ومعه نحو ثمانين ألف مقاتل التفوا حوله من قبائل (جهينة
والكواهلة) وغيرهم ولما وصلت الحملة الى مدينة ولد مدني لحق بها الشيخ
عوض الكريم بن أبي سن زعيم قبيلة الشكرية التي تقدم لنا تعريفها ومعه
عدد كبير من فرسان قومه كانوا يسرون في طليعة الحملة يستكشفون المواقع
والمكامن وبعد اقامة بعض أيام في ولد مدني رتب عبد القادر باشا هيئة
الزحف وجعل صفوف القتال أربعة واعتني بأمر الجناحين اللذين يدافعان

عن القلب وكان العدو في حماس شديد يقتحم النيران بخيله وبصبر تحت
تطاير المقذوفات ويلتحم بالجنود فدبر عبد القادر باشا حيلة قاومت اقتحام
فرسانه حيث صنع آلة صغيرة من الحديد عليها ثلاثة مسامير فاذا ألقيت على
الأرض وقف أحدها وبهذه الحيلة خفت أضرار فرسان العدو حيث يضع
الجنود بينهم وبينه هاته الآلة وزحف عبد القادة باشا من ولد مدني في أواخر
ربيع الآخرة سنة ١٣٠٠ هجرية فالتقى باحمد بن المكاشفي في مشرع الداعي
ومعه ثمانون ألف مقاتل فانتشب القتال بينهما بضع ساعات أصيب في
خايلها عبد القادر باشا برصاصة خرقت ثيابه ودخلت في جوف ساعته ولم
تصبه بأذى وانهزم ابن المكاشفي وتكبده خسارة تزيد على عشرة آلاف قتيل
وتابع عبد القادر باشا سيره نحو سنار ورفع عنها الحصار ولحق ابن المكاشفي
بجبل (سقدي مويه) الذي يبعد عن سنار بمسيرة ست مراحل وأقام عبد
القادر بسنار يرتب معدات الدفاع ويلقى على الحكام الأوامر

ذكر واقعة سقدي مويه

وبعد أيام انفذ عبد القادر باشا حملة من الجنود الباشبوزق تحت قيادة
صالح اغا الملك ومعه صنجقان عثمان بك الدالي والملك الحسين الى (سقدي
مويه) فذهبت الحملة والتقت بابن المكاشفي هناك وثبت القواد وأصلوا العدو
ناراً حامية وفر ابن المكاشفي في عدد قليل من أنصاره وغنموا كل ما في معسكره
من الذخيرة والرايات والطبول التي يدقونها وقت الحروب وعادت الحملة الى
سنار وأقيم لها احتفال باهر وزينت المدينة وبينما كان الناس يتبادلون عبارات
التهنئة والسرور ويقدمونها الى عبد القادر باشا اذ ورد عليه نبأ برقي من الخرطوم

بان الجواسيس اخبروا بسقوط مدينة الابيض عاصمة كوردفان في قبضة المهدي
فاستاء لهذه الفاجعة ولكنه تجدد ولم يوقف من كانوا حوله على شئ من هذه
المصيبة التي نعتت سروره

ذكر رأي عبد القادر باشا في انقاذ الابيض

ذكرنا ما كان من أمر المهدي وانه لما وطن عزمه على الزحف الى
كوردفان أرسل دعائه ليهبوا بالثورة والمصيان حوالى الخرطوم كي يشغلوا
عبد القادر باشا عن الاهتمام بأمر كوردفان وتعزيز حاميتها وقد قرنت سياسته
هذه بالنجاح حيث لم يستمع عبد القادر باشا الغلبة على أولئك الدعاة الابد
أن تم للمهدي الاستيلاء على عاصمة كوردفان والقضاء الاخير على نفوذ
الحكومة في ذلك الاقليم

على انه بعد أن نال عبد القادر باشا الظفر في واقعة (سقدي مويه) لم تزل
امامه عقبة أخرى وهى وجود داعية يدعى ابن عبد الغفار جمع حوله جيشا جرارا
في جهة (كر كوج) جنوب سنار يخشى من تقدمه نحوها وقد لحق ابن المكاشفي
بعد هزيمته من سقدي مويه بجهة النيل الابيض ولكن معاودته الكرة على سنار
كانت متوقعة وقد اطمأن في هذا الوقت عبد القادر باشا على مدينة الخرطوم حيث
وصل اليها عدة الوية من الجنود المصرية التى يقودها الخبرال هيكس باشا
وزحفت فرقة منها لمطاردة ابن المكاشفي في جهات النيل الابيض كملت
حركاتها بالنجاح

كان رأي عبد القادر باشا ان تمده الحكومة بالمال والرجال
فيترك حامية تقاوم دعاة المهدي في الجزيرة وحول الخرطوم ويتقدم هو نحو

كردفان في الطريق الشمالية التي يكثر فيها الماء بعكس الطريق الجنوبية
 التي سارت فيها حملة الجنرال هيكس بحيث تكون جنوده كافية لحفظ خط
 الرجعة وتأليف قوة تكون هاجمة ولا ريب ان هذا التدبير كان كافلاً لتقاذ
 كردفان وارجاع المهدي بصفقة الخاسر المغبون لو مدت الحكومة له يد المساعدة
 ولكن من أين لها ذلك وهي واقعة وقتئذ تحت براثن الثورة العرابية
 ومخالب الازمة المالية وقد كانت الجنود التي ناهض بها عبد القادر باشا
 العدو في حروبه كلها في حالة يرثي لها من شظف العيش وقلة الملابس فقد
 كانوا يلبسون الجلود ويقتاتون بلحوم الماشية التي يفتنمونها من العدو ويلبسون
 في أرجلهم أحذية من جلدها مع كثرة الحشرات والشوك في تلك البلاد التي
 يجتازونها ومع هذا كله كانوا على جانب عظيم من انصبر والسكينة لا يتدمرون
 ولا يتضجرون وقد مضى عليهم بضعة شهور لم يقبضوا مرتباتهم في خلالها
 وقد بلغنى ان عبد القادر باشا بعث يسترحم الحكومة في ارسال ثلاثين
 الف جنيه لصرف تلك المرتبات وقال انه لا يليق بنا ان نسوق الجند وضباطهم
 الى مواطن الموت وأولادهم ونساءهم يتضورون جوعاً فلم يلتفت الى قوله
 حتي انه كان يسأل الحكومة المكافآت بالرتب والنياشين لكثير من الضباط
 فتقابل مطالبه بالرفض والاباء . ويقولون ان سبب ذلك كله هو اسماعيل
 أيوب باشا الذي كان وقتئذ أحد الوزراء فقد أوقف نفسه لما كسبه عبد
 القادر باشا وحمل الحكومة على عدم الاصغاء لاقواله وهو أمر في غاية الغرابة
 يبعد على الانسان تصديقه وقبوله لولا تواتر روايته وتصحيحها عند الكل
 وقد وقف القلم خجلاً عند هذه المسألة ولولا أن تقرير حقيقة تاريخية ساقه
 لما طوعنى في هذا المجال اذ يبعد كل البعد أن يكون وزير من وزرائنا يقف

نفسه لا خفاق مساعى آخر فى مسائل عمومية قد لا يلحقه منها ضرر بل أضرارها لاحقة بالحكومة ومادعاء الى هذا كله غير انه يكره لبغيضه احراز الفخار ونيل شرف الانتصار فاننا لله وانا اليه لراجعون

وقد كان فى امكان عبد القادر باشا لو اجابت الحكومة مطالبه أن يحول بين المهدي وبين كوردفان بوضع الحاميات فى جميع المناهل التى على طريقه وقصارى القول أن عبد القادر باشا كان ذاتد بيرات جليلة يستحيل معها على المهدي أن يبلغ أربه من كوردفان ولو اتبعت الحكومة آراءه فى العدول عن ارسال حملة الجنرال هيكس الى كوردفان لاستطاعت القضاء على المهدوية فى ذلك الاقليم وسنين ذلك كله فيما يأتى

ذكر واقعة ابن عبد الغفار

وبعد واقعة سقدي مويه زحف عبد القادر باشا بجيش جرار الى جهة سنار للقاء الداعية ابن عبد الغفار الذى جمع حوله ثمانين الف مقاتل من قبائل جهينة والكواهلة وغيرهم وأغار بهم على مدينة (كركوج) وقتل خلقاً كثيرين من التجار وأحرق شيئاً كثيراً من بضاعتهم. (و كركوج) هذه مدينة كبيرة على ضفة النيل الازرق يقصد بها التجار من كل انحاء السودان للحصول على الصمغ الذى هو من اكثر حاصلاتها ولكن ثمنه ينقص نحو الثلث عن ثمن صمغ كردفان لجودة هذا ورداءة ذاك والصمغ فى كردفان صنف واحد وهو المعروف باسم (المشاب) بعكس صمغ كركوج فان أنواعه كثيرة يتفاضل بعضها عن بعض وأما السمس فانه من اكثر حاصلات تلك البلاد وثمنه لا يتجاوز أربعين قرشاً لكل أردب ويطلب هذا الصنف لحاجة جميع الاقاليم الشمالية

السودانية لانه لا يثبت بارضها

نعود الى ذكر الحملة فنقول إن العدو ناوشها عدة مرات مناوشات صغيرة كان يقصد بها أن يغرد بها حتى يبلغ الا ما كن الوعرة كثيرة الغابات فادرك عبد القادر باشا هذه الحيلة وأرسل جواسيسه الى معسكر العدو وحيث تمكنوا من الوشاية بين القائد وأنصاره حتى الحوا عليه بوجوب الهجوم على الحملة فهاجمها في الغلس وقبيل منتصف النهار تمت الهزيمة عليهم وتركوا في ساحة القتال أكثر من عشرة آلاف قتيل عدا المجروحين وتابعت الحملة السير جنوبا حتى تمكنت من تفريق العدو والقضاء عليه وقفلت راجعة الى سنار وجرح أربعة من أكابر قواد العدو جروحا بالغة واتم عبد القادر باشا تحصين سنار وانقطعت أسباب القلاقل من الجزيرة وانحصرت المهدوية في اقليم كوردفان وانقشع كل خطر عن الخرطوم التي احتشدت فيها جنود حملة الجنرال هيكس

مأمورية الكولونيل ستيوارت

كانت الحكومة انتدبت الكولونيل ستيوارت بمأمورية الى السودان وكانت سرية فلما وصل الى بربر عرض كتابا على مديرها من المعية السنية وطلب التصريح له باجراء تفتيش عام على كل دفاتر الحكومة ومصالحها ف ارسل المدير على جناح البرق يعلم عبد القادر باشا الذي أمره بالانقياد لكل ما يأمره به الكولونيل ثم قصد الخرطوم وكان معه ايطالي اسمه موسيو داليه سبق له التوظيف في حكومة السودان وكان ذا بغض لجبلر باشا الالماني وكيل الحكمدارية فأخذ يسمي مجد في الايقاع به عند الكولونيل ستيوارت الذي كان بعده بتبوا منصب وكالة الحكمدارية بعد فصلها وكيلها جبلر باشا الالماني

وفي ذات يوم زار الكولونيل ستيورات عبد القادر باشا في سراى الحكمه دارية
فجلس معه وابتدر ججلر باشا بكلام أغضبه وتبادلا عبارات الشتم وتطاولا على
بعضهما بالمضاربة بالكراسى فوقف بينهما عبد القادر باشا ومنعهما من المضاربة
وقصد محادثتها وبعد أيام ترجيا العدول عن معاقبتها حيث اصطلحا واعتذر كل
منهما لصاحبه. ثم غادر الكولونيل ستيورات الخرطوم قاصدا سنار قاقضا رف
فكسلا فمضوع فمصر وأثنى على عبد القادر باشا واستحسن ادارته وأعماله العسكرية
ويقول البعض ان مأمورية الكولونيل المذكور كانت الوقوف على
حقيقة ما ذاعه ذوو المقاصد السيئة عن عبد القادر باشا حيث قالوا انه طامح
للاستقلال بالسودان وقد فند الكولونيل هذه الاشاعة وأظهر سوء قصد
الذين اذاعوها وروي بعضهم أن ساكن الجنان الحديوث توفيق باشا كان يوالي الاسئلة
عن أعمال الكولونيل مما يدل على أن مأموريته كانت ذات اهمية عظيمة

ذكر حصار الايضا

تركنا الكلام على المهدي وقد زحف بخيله ورجله وعسكر في (عد العشر) وتراجع
اليه المهزمون ورتب مقاتليه حول المدينة وأعد المتاريس والطوابي ومنع
دخول الاقوات

أما الجنود فكانوا يخرجون الى منازل الاهالي وياخذون ما فيها من
الغلال والاقوات اذ لا ميرة في مخازن الحكومة ودام الحال على ذلك حتي غاية
شهر ذي الحجة سنة ١٢٩٩ هجرية فنفت الاقوات

وفي مستهل محرم سنة ١٣٠٠ ابتدوا يذبحون الماشية والمجاعة آخذة في
التفشي وذبحوا اللحم الاهلية وبلغ ثمن الاقاة من لحمها مائتين وخمسين ريالاً

وكذلك ثمن الاقة من لحوم الكلاب وبلغ ثمن الكيلة من الغلة سبعمائة ريال
وأخيراً عدم كل شيء من ذلك وحكى لنا واحد من المحصورين أن خادماً أحمد
بك دفع الله كان يوماً حاملاً مائة ريال يطلب بها شراء دجاجة لمولاه فلم
يجدها مع أن ثمن الدجاجة في الابيض كان لا يتجاوز نصف قرش مصري وثمان
أردب الغلة لا يبلغ الريال وحكى لنا ضابط من المحصورين أن أربعة ضباط اشتروا
دجاجة ضئيلة بمائة وخمسين ريالاً واقتسموها بينهم

وكان الجنود يخرجون على شكل مربع في كل غداة الى حوالي المدينة
ليأخذوا حشيشاً اسمه (الحسكيت) وهو كالخسك وفي جوفه حبوب تشبه
الغلة يقتاتون بها ثم نفد هذا الحشيش واشتدت المجاعة على الجنود الذين
أكلوا من أكل الصمغ وتفشت امراض الاسهال والدوسنطاريا بينهم وازداد
عدد الوفيات

ولما وصلت الحالة الى ما تقدم جمع المدير الضباط والموظفين والوجهاء
وشاورهم في الامر فقرروا جميعاً أن يشاطروا الحكومة ما دخروه لقوتهم
وأن يحسب لهم ثمن الارذب بمائة وستة وتسعين ريالاً فتحصلت الحكومة
على ثلاثمائة أردب وزعتها على الجنود فأصاب كل واحد أقل من كيلة كانوا
يخلطونها مع الصمغ ويقتاتون بها ثم فرغت هذه الاقوات وعاد المدير
مفاوضة أولئك الناس فتحصل على كمية يسيرة من الغلة أصاب كل واحد من
الجنود نحو رطلين منها ثم فقد الكل الاقوات وفر كثير من الجنود وأسلبوا
نفوسهم للمهدى واختل النظام وتمرد العساكر على ضباطهم حتي أنهم كانوا
يضربونهم ويهينونهم وتألفت عصابات من الجنود يوالون الهجوم على المنازل
في المدينة ليسلبوا ما يجدونه من الطعام وصار الخندق خالياً من المدافعين

ولولا ما وقع في قلب المدوم من الفرع والخوف بعد هزيمته :لاولى لاستطاع
الاستيلاء على المدينة بلا عناء

على أن الجند كان ينتظر رفع الحصار بواسطة نجدة تقدم عليه من الخرطوم
وقد كان ذلك متوقفا من عبد القادر باشا الذي تقدم لنا أن الحكومة لومدته
بالمال والجنود لكان في استطاعته انقاذ الايض واستئصال الثورة من اقليمها
كله وقد كان المهدي في غضون حصاره الايض يروعه كل يوم ما يرفعه
اليه دعائه من توالى هزيمتهم امام عبد القادر باشا لكنه كان يتعزى برسوخ
قدمه في كوردفان عموما والايض خصوصا

سنة ١٣٠٠ هـ

ذكر سقوط الايض

وفي أواخر شهر ربيع الآخرة سنة ١٣٠٠ هجرية عقد الضباط ومحمد
سميد باشا مدير كوردفان مجلسا للمداولة فقر رأى الكل على طلب الامان
من المهدي بعد أن ايقنوا أنهم غير قادرين على البقاء على هذه الحالة فكتبوا
كتابا يبالونه أن يؤمنهم على ما يملكونه وأن لا يمد يده لغير الاموال الاميرية
فكتب لهم بذلك وزاد أن حلف على المصحف الشريف أمام الملا بالمحافظة
على هذه الشروط . وفي اليوم التالي خرج محمد سميد باشا ومن معه من الضباط
ومن بقي من الجنود وقابلوا المهدي فامرهم باكواخ انزلوا فيها وأمر بمصادرة
أموالهم وأموال كل الذين في المدينة فشرع عمال بيت المال في التنفيذ وأخرج الناس
من منازلهم وأوقف الحاج خالد الممرابي بقبيلته على الابواب يفتشون كل
خارج وينزعون ملابسهم ووضعوا نسوة تفتش النساء فكن يجردن نساء
المصريين من ملابسهن ويفتشن عوراتهن ويقبضن على كل حسناء منهن

وأخرج كل سكان المدينة وأقيم عليهم الحراس في صعيد واحد حيث
يأخذهم عمال بيت المال إلى منازلهم ويضربونهم ويعذبونهم ليدلوا على أموالهم
المخبوءة ودفائنهم المستورة وكثير منهم مات من شدة التعذيب وقيد المدير محمد
سعيد باشا ليدل على ماخبأه من ماله

ذكر مقابلة المهدي حامية الابيض

وفي صبيحة اليوم الذي ضرب أجلا للتسليم خرجت الحامية من المدينة
على هيئة طابور والموسيقى تصدح أمامها فقابلها المهدي راكبا ولما دنت منه
وقفت وترجل هو عن حصانه وجلس على فروة وأذن لمحمد سعيد باشا وضباطه
في الجلوس فجلسوا بين يديه وقبلوا يده ثم سأل واحدا من الضباط اسمه
يوسف شعله عن اسمه فاجابه وكان يوسف شعله مأمورا بضواحي المدينة
وكان مشهورا بالشدة فاجتمع تجار الابيض ساعثون حول المهدي وأشاروا
عليه بقتل يوسف شعله الذي خاطب المهدي وقال له أنت خليفة الرسول
والعفو منك مأمول فعفى عنه ونزع جيبته والبسه إياها ثم التفت إلى محمد سعيد
باشا وقال له أنت قتلت رسولي فاجابه القائم مقام اسكندر بك انا الذي قتلتهما
فقال انهما كانا يرغبان في الشهادة وقد من الله عليهما بها ثم التفت إلى أحمد
بك دفع الله وقال له ان أخاك عبد الله مات كافرا مع يوسف باشا الشلالى
وقد نصحته بالتسليم لى فلم يفعل وأخشى عليك أن تموت كافرا مثله وتحرم
من دخول الجنة فقال له لا أحب دخول جنة لم يدخلها أخى عبد الله ثم انصرف
عنهم ودعاهم إلى طعام فأكلوا وحلقهم على المصحف أن لا يخبأوا أموالهم
لأنها صارت غنيمة له فحلقوا ودخل المهدي المدينة وأقام بسرأى المدير

ذكر احصاء ما غنمه المهدي من الايضا

أحصى ما اجتمع في بيت المال فبلغ ثلاثة ملايين ونصفاً من
الريالات ومائتين وخمسين ألفاً من الجنيهاً وأربعة آلاف أوقية من الذهب
قيمتها ستة عشر ألف جنيه ومن أصناف البندق والمجر والخيري ما يقدر
بخمسة قناطر وأربعة آلاف أوقية من الذهب المصنوع حلياً وأكثر من
أربعين قنطاراً من الفضة

وكان محمد سعيد باشا قد خبأ ماله الذي يبلغ نحو عشرة آلاف جنيه
وأبي أن يظهره للمهدي وكان أمين بيت المال استدل على مكانه من احدي
جواني الباشا فأسر هذا الخبر للمهدي فكتمه وجلس في محرابه ودعا محمد
سعيد باشا وأخذ يذكره بنعيم الجنة وخسة الدنيا ويقول له أظهر مالك فيقول
له ليس عندي مال وأخيراً دعا أمين بيت المال وقال له على رؤس الاشهاد
ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرني بالمكان المخبوء فيه مال محمد سعيد باشا
فأذهب الى مكان كذا من الدار وانبشه تجده فيه فذهب ومعه خلق كثير
فأخرج المال وأذيعت الاخبار بهذه الكرامة وعدها كثير من الناس من
أكبر كرامات المهدي

وبلغ عدد الارقاء الذين غنمهم ألفين وجمع من الملابس والفروشات
وأثاث المنازل شيئاً لا يدخل تحت حصر وانتدب أمين بيت المال
ابراهيم رمضان من أهالي أصوان لبيع الفروشات وانتدب ابراهيم بن
عدلان لبيع الارقاء والماشية وعين كثيراً من كتبة الحكومة كتبة في بيت
المال وجلهم من الاقباط

ذكر القبض علي محمد سعيد باشا والضباط وقتلهم

لم يمض أسبوعان علي سقوط الابيض حتي قبض علي محمد سعيد باشا
وعلي بك شريف وجميع الضباط عدا القائمقام اسكندر بك والملازم الثاني
يوسف منصور ودفع كل واحد منهم الي أحد المشايخ وجمع التعاشي الضباط
وقال لهم ليذهب كل واحد منكم مع أحد المشايخ ليقوم بحاجاته وأوعز الي
أولئك المشايخ أن يشددوا المراقبة عليهم ويبقوهم كأرقاء عندهم وبعد أيام
أصدر أمراً بقتل محمد سعيد باشا وعلي بك شريف ومحمود افندي حسن
فقتل كل واحد منهم بالضرب بالعصى الغليظة علي رأسه وبقي صغار الضباط
في الاسر الي ما بعد هلاك الجنرال هيكرس وزحف المهدي علي الخرطوم
وقد تضاربت الروايات عن الاسباب التي حملت المهدي علي الايقاع
بهؤلاء الضباط ونحن نورد هنا ما قالوه بإيجاز فنقول

روي سلاطين باشا ان محمد سعيد باشا وجميع الضباط كتبوا كتابا بعد
سقوط المدينة الي عبد القادر باشا يخبرونه بما حل بهم وشرحوا له الاسباب التي
أدت الي هذا السقوط وكان من الذين وقعوا علي هذا الكتاب الضابط يوسف
منصور الذي أُلح علي اسكندر بك وأقنعه بالذهاب معه الي المهدي وتقديم أعذارها
عما فرط منهما فأطاعه اسكندر بك لانه أيقن بأن المهدي ينتقم منه مع الباقيين
مادام يوسف منصور مصراً علي اخباره وعند وصولهما اكب يوسف منصور
علي أقدام المهدي يقبلها واعتذر فصيح عنه وكافأه بتعيينه قومنداناً علي الطوبجية
وعدل عن معاقبة اسكندر بك ولم يكافأه بشيء هذا مارواه سلاطين باشا
وقد سمعت من الحاج خالد العمرابي أحد تجار الابيض الذين انضموا

الى المهدي وجعله أميراً من أكبر قواده ان ابن أخته عمر أزرق رأى منا ما
بعد سقوط الأبيض. وهو ان الدراويش الذين قتلوا في واقعة يوم الجمعة وقفوا
بين يدي الله عز وجل وقالوا ياربنا ان محمد سعيد باشا وضباط الأبيض قتلونا
ظلماً وكان النبي صلى الله عليه وسلم حاضراً فالتفت الى المهدي وقال له لك الخيار بين
قتل أولئك الظلمة أو نفيهم من الأرض أو قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف فقال
المهدي أقتل محمد سعيد باشا وعلى بك شريف وانف بقية الضباط وقد قص
على عمر أزرق هذه الرؤيا فامرته بتدوينها على قرطاس قدمته للمهدي في
مجلس كان التعاشي حاضراً فيه ومعه الفقيه جلال الدين القوراوي وكان من
المعتقدين فقرأ المهدي عليهم الرؤيا وقال حقاً اني كنت حاضراً بهذه الحضرة
ثم أمر بالضباط ومحمد سعيد باشا فعمل بهم ما بيناه

وقال آخرون انهم قتلوا بشار محمد عبد الله شقيق المهدي ويوسف شقيق
التعاشي لان المهدي لما دخل المدينة وأخذ يفتش على جثة أخيه فمثر عليها
زرفت عيناه واستل سيفه وقال سيؤخذ بشارك في الآخرة ليوهم من حوله أنه
لا ينتقم لنفسه

هذا وقد مكث الضباط في الاسترقاق وكتب التعاشي منشوراً أباح
فيه أخذ كل حسناء من زوجها وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره
بالحيلولة بينهم وبين أزواجهم الكفار

وقبض على أحمد بك دفع الله ومحمد ياسين وهذا كان ناظر أحد الأقسام
بتهمة أنهما غير مصدقين بالمهدية فنفيهما ثم قتلا وكانا مسجونين عند الحاج
خالد ويقال انه الذي رماهما بهذه التهمة وأخذ المهدي أم الحسن بنت أحمد
بك دفع الله موطوءة بملك اليمين وكتب منشوراً قال فيه ان هاتفا الهيا قال

له لا بأس عليك منها وإنما غنمة النبي صلى الله عليه وسلم
على أن المهدي والتعايشي كانا راغبين في استحياء أحمد بك دفع الله
وارضائه حتى أن التعايشي كان يود إعطائه راية يجمع حولها كل ذوى قرابته
ويكون أميراً عليهم فاعتاظ الياس باشا أم برير من ذلك وحذر التعايشي من
هذا الأمر وقال له أن أحمد بك دفع الله إذا رفعت له راية وانضم إليه محمد
يس فانهما بلا شك يعملان ضد المهديّة وبعد مداوولات كثيرة بين المهدي
والتعايشي أصدر المهدي منشوراً قال أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بقوله
فانتدب التعايشي قريبه يونس بن الدكيم ومعه خمسون فارساً وسار بهم إلى
منقاهما وضرب عنقهما بعد أن دأيا ركعتين وروى يونس بن الدكيم
أن محمد يس لما قدم للقتل أظهر جيناً واهلماً فأنهره أحمد بك وقال له اخساً
فألى أين تفر يا جبان ثم قال للسياف تقدم نحوى يا ابن الفاعلة فتقدم وضرب
عنقه رحم الله الجميع

ذكر ترتيب جيش المهدي وأحكامه

ذكرنا ما كان من أمر المهدي وترتيب جيشه في جبل قدروا أنه جمعه فرقا
ثلاثاً يقود كل واحدة منها خليفة من خلفائه الثلاثة وجعل القيادة لآخيه
محمد بن عبد الله الذي قتل بواقعة الأبيض ونقول الآن أنه بعد انتشار نفوذه
في إقليم كوردفان كله واستيلائه على الأبيض تكاثفت جيوشه وأسند القيادة
العامة على جيشه للتعايشي وجعله مستشاره الذي لا يقطع أمراً دونه وعين
أحمد بن علي قاضياً بدل أحمد بن جباره الذي قتل في واقعة الأبيض ونصب
أربعة رجال دعاهم الأمانة وفوض إليهم النظر في كل العرائض التي ترفع إليه

والفصل فيها وانتدب نحو عشرة رجال دعاهم النواب وفوض اليهم النيابة عنه في نظر المسائل المعظمة التي لها دخل في بيت المال فكان كل فريق من النواب والامناء يحكمون فيما يعرض عليهم من المسائل بغير تحديد وأخذ يوالي اصدار المنشورات بعضها في ذم الدنيا وخستها وبعضها في الاحكام الشرعية من عبادات ومعاملات وفي ذات يوم جاء أحد خدامه (الملازميه) وقال له انه رأى امرأة تزني خلفه على المصحف الشريف وأمر بالمرأة فقتلت رجلاً بالحجارة وخطب في الناس وقال لهم ان أصحابه لا يكذبون ولا داعي لأربعة شهداء مادام الشاهد الواحد يحلف وقضي ان كل المظالم التي اقترفتها الاحكام قبل ظهور دعوته لا يسمع فيها ادعاء وذلك لان ما اغتصبه أولئك الاحكام صار ملكاً لبيت ماله ورده يفقد بيت المال كل ما يملكه . وكان لكثير من الناس ودائع عند تجار الايض فأمر بعدم ردها الى أصحابها اكراما لحواطر أولئك التجار

هذا حال جيشه وأحكامه وأما تقدمه لامتلاك الخرطوم فقد انحلت عزيمته عنه على اثر ماتوالي على دعائه من الهزيمة والفشل وعدا ذلك فان الخرطوم أو انشد كان فيها نحو عشرين الف جندي وامتلاء قلب المهدي فزعا وخوفا من عبد القار باشا وصرح في كثير من خطاباته بان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بترك التقدم على الخرطوم مادام عبد القادر باشا حاكماً على السودان وكان يرفع يديه عقب كل صلاة ويقول (ياقادر اكفنا عبد القادر) وقد وجه عزيمته نحو دارفور ورآى ان امتلاكها اقل صعوبة من امتلاك الخرطوم وسيأتي ذكر تفصيل استيلائه عليها

ذكر فصل عبد القادر باشا والغاء نظارة السودان

في شهر جمادى الاولى سنة ١٣٠٠ اثر انتصارات عبد القادر باشا
علي دعاة المهدي في جنوب سنار صدر امر طال بفصله عن حكمداية السودان
والغاء النظارة وانشاء قلم مخصوص بنظارة المالية لمراقبة حسابات السودان
وقد وقع نبأ فصله اسوأ وقع عند أهالي الخرطوم وسائر مستخدمي
الحكومة والاعراب الموالين لها وقد رفعوا العرائض تباعا الى المنفور له
المهدي توى توفيق باشا يسألونه العدول عن هذا الامر فلم يفعل

ولم يكن هذا الاسترحام قاصراً على من ذكرناهم بل تناول النزلاء
الاوربيين وقناصلهم فانهم اشتركوا في هذا الالتماس وما ذلك الا لان الكل
موقنون بان الطريقة التي اتبعها عبد القادر باشا كانت السبب الوحيد في نجاة
الخرطوم وسنار والجزيرة كلها وكان من وراء أعماله ما قنط المهدي من التغلب
على الخرطوم وقد أصدر منشورات لكل دعائه في الجزيرة يأمرهم بكتمان
الدعوة ما دام عبد القادر باشا حاكماً على السودان وقال لهم ان النبي صلى الله
عليه وسلم أخبره بان دعوته لا تفلح الا بعد مفادته السودان

على ان الانسان يحار من اقدام الحكومة على هذا الامر الذي فتح
باباً للقليل والقال حيث أوله كثيرون بانها غضبت عليه لانتصاره على العدو
أو أنها كانت لا ترى بأساً في تقلص نفوذها من السودان وبسط سلطان
المهدي عليه وقد محضها النصيح وبين لها ان ارسال حملة الجنرال هيكلس ضرب
من الجنون وأن غلبة المهدي عليها ضربة لازب فلم تلتفت الى نصيحة وضربت
باقواله عرض الحائط كما فعلت معي حين نصحتها في شأن يوسف باشا الشلالى

ذكر تعيين محمد علاء الدين حكاماً للسودان

وخلف عبد القادر باشا محمد علاء الدين باشا وأعيدت نظمات الحكماءية والنيت النظارة وكان علاء الدين باشا حكاماً للسودان الشرقي وله مع سكانه صداقة مذكاة مديراً على كسله فلما قبض على زمام الحكماءية وعهدت إليه الحكومة بشراء الجمال للعملة كان أول عمل أتاه أنه أخذ من مال الخزينة نحو مائتي ألف ريال وشخص بنفسه إلى السودان الشرقي لشراء الجمال مع أن مثل هذه المأمورية يقوم بانجازها متمد من التجار ولكن علاء الدين باشا سرب المال إلى جيبه والزم مشايخ القبائل بتقديمها له مجاناً ولا غرامة في ذلك لأن الجمال كثيرة عند أولئك الأعراب ويوجد منها عند كل شخص ما يربو على مائة رأس وقد اشتهر عن علاء الدين باشا تناول المسكرات بكثرة ونقل لنا واحد من خدامه الذين كانوا معه بحملة هيكس أنه شرب زجاجة كنيك قبل أن يقتل بعشرين دقيقة

وتلاعب علاء الدين باشا بأثمان الأوقات التي تقدم للعامة حيث اتفق مع المتمدن على اثمان تبلغ ثلاثة أضعاف الأثمان الحقيقية وقبض أموالاً طائلة من ذلك

وقد سار على سنته حسين باشا الذي ناب عنه في الحكماءية ونشأ من وراء تلاعبه مآثر بالخرطوم في غضون حصارها وسيأتي ذكر ذلك في مكانه ومن سن سنة سيئة فمليه وزررها ووزر من عمل بها. وباع علاء الدين باشا وظائف الحكومة إلى كثير من التجار السودانيين فاغتنموا الفرصة وتملقوا للمهدي بإيقافه على أسرار الحكومة وعهد بالرئاسة على مجلس

الاستئناف الي تاجر بربري اسمه (حمد التلب) لانري له أقل أهلية ترشعه
لهذا المنصب غير أهلية الاصفر الرنان ومثل هذه المخزقة أشياء كثيرة
لايسع المقام تفصيلها وقصاري القول ان الحكومة كانت لانيهم بغير انفاذ
حملة الجنرال هيكس ومحمد علاء الدين باشا كان لانيهم بغير جمع الاموال من
وراء نفقات تلك الحملة التعيسة هذا ماعولت عليه الحكومة وأما المهدي فانه
وقف وقفة المدافع ينتظر قدوم الحملة عليه وأرسل دعاة كثيرين الي دارفور
يجمعون الناس على دعوته ويناهضون الحكومة فيها وسنأتي على سرد كل
مايهم القاريء الاطلاع عليه ثم نعقبه بذكر حملة الجنرال هيكس وبيد
الله التوفيق

ذكر دارفور

دارفور بلاد واسعة في الجنوب الغربي من كوردفان وسكانها ينقسمون
الي ثلاثة أقسام قسم يسكن القرى والديساكر. والثاني يسكن البوادي ويعيش
بالبان الماشية كالألوف عوائد الاعراب. والقسم الثالث يسكن رؤس الجبال
وبين هؤلاء وسكان القرى تشابه في الاخلاق والعادات والمعيشة حيث
يشغل الفريقان بفلاحة الارض واقتراق حيث تجد سكان القرى منغمسين
في الملذات ولهم مهارة في اجادة طبخ الاطعمة وتعدد الالوان الامر والذي
يجعله أهل السودان كلهم وهم مشهورون بالكرم وقرى الضيوف وبلادهم
خصبة وأراضيهم تجود بمحصولات كثيرة وثمر القوت منخفض فيها جداً
حتى أن الاردب من الدخن الذي هو اكثر محصولاتهم لا يتجاوز بضعة قروش
مصرية والقمح يكاد يكون أبخس ثمننا من الدخن ويوجد بدارفور تجار أغنياء

لهم أعظم صلاة التجارة مع القطر المصري يجلبون العاج وريش النعام وغيرها
من سلع السودان

وهؤلاء السكان تناسلوا من عنصر عربي استوطن دارفور منذ أجيال
وسنأتى على ايضاح ذلك حتى يكون القارىء على بينة منه

وفى دارفور جبال كثيرة أشهرها (جبل الحلة) وبه قبور الملوك وفيها
مدن كبيرة أشهرها (القاشر) عاصمة تلك البلاد ومدينة (داره) و (كبايه)
و (كلكل)

وفىها معادن كثيرة من النحاس والحديد والرصاص وأهل دارفور
ميالون للهرج والقلاقل والحروب

تاريخ دارفور القديم

لخصنا للقارىء تاريخ السودان القديم ونرى اهتماماً للفائدة أن نثبت له
تاريخ دارفور القديم الى انحلال دولتها وضمها الى الاملاك الحديوية فنقول
نرح الى السودان الغربى أعرب من تونس وماجاورها من البلاد
الافريقية في أواخر القرن الثامن للهجرة واستوطنوا بلاد واداس وبرقو
ويحكي أن أخوين من أولئك النازحين وصلا الى دارفور اسم أحدهما علي
والآخر احمد المعقور الذي أطلق عليه هذا الاسم بسبب ان أخاه علياً عقر
رجليه بضربة سيف

وتحري القصة أن علياً كان متزوجاً بامرأة بارعة الجمال وكان يحب أخاه احمد
حتى كاشفته بهذا الحب وهو أنكره عليها وتغالي في تعنيفها حتى اضمرت له الشر
وصممت على الايقاع به عند أخيه لئلا يسبقها بإبلاغه شغفها به فتقع هى تحت

خطر المعقوبه فابانت بعلمها أن آخاه راودها عن نفسها فاستشاط غيظا ونادى
بالرحيل فرحل الحى وانفرد هو باخيه في القلاة وخربه بالسيف حتي عقر
رجليه وتركه مصروعا على الارض ولحق بالظعن وأمر أتباعه ومواليه بلعاقه
وطلق المرأة وتابع مسيره الى واداي وأدرك الموالي احمد المعقور في وسط
القلاة فضمدوا جراحه وأبلغوه أمراخيه وأنه كان لا يقصد قتله بل أن يفترق
وسار أحمد المعقور مع مواليه ونزلوا على ملك من الزنوج كان متسلطا على قسم
كبير من دارفور وكان كسائر زنوج افريقيا لا دين له فاكرم وفادتهم وقرب
أحمد منه وكان فادها وشجاعة فاحبه سكان البلاد ولم يمض أمد طويل
حتى توفي السلطان فاختر الشعب أحمد المعقور ملكا عليهم فقام بالسلطنة
أحسن قيام وأخضع كل الاقاليم المجاورة له وترامت أخباره حتى بلغت الاعراب
النازليين بوداي فنزحوا اليه وشدوا عضده وانتشروا في البلاد واستأثروا
بخيراتهم وانقرض السكان الاقدمون ولم يبق غير قليل منهم استوطنوا بين
دارفو وبرقو وأسسوا مملكة هناك تسمى باسم (ابوريشه) وطالت ايام أحمد
المعقور حتى ازال كل الصعوبات من المملكة وجعلها ميراثا لولده من بعده
وسار خليفته علي سيرة والده ثم حفيده السلطان دالي وكان عالما فاضلا رفع
منزلة العلماء ورتب القضاة ليحكموا بالشريعة الغراء وانتشر نفوذ سلطان
دارفور حتي بلغ كوردفان وضاف النيل الابيض وانتشرت الدعوة الاسلامية
حتى تمت البلاد التي يحكمونها

وفي أوائل القرن الثالث عشر من الهجرة افتتح الدفتردار كوردفان
وضمها الى املاك مصر

ولما دخلت كوردفان في حوزة الحكومة المصرية لزم سلاطين دارفور

حدودهم وحشدوا جيوشا جرارة لصد تيار المصريين من بلادهم وكان الافتردار
ينوي التقدم الى بلادهم والقضاء على سلطنتهم فلم يثن عزمه غير نبأ قتل
الامير اسماعيل باشا في شندي حيث قفل راجعا الى شندي كما تقدم لنا
ذكر ذلك وبقيت مملكة دارفور حافظة لاستقلالها ولكن تجار المصريين
الذين كانوا يأتون الشركات في النيل الأبيض قوضوا سلطتها من بحر النزال وكانت
خاصة لها وثقلت وطأة أولئك الحكام على الاهل حيث ضاعفوا الضرائب
على أثر تقدم كوردفان وبحر النزال وتوالت الحروب الاهلية والثورات
الداخلية فضعفت المملكة وكانت تنحل عزائم رجالها وأشهر هاته الثورات
ثورة الرزيقات وهي قبيلة من البقارة يزيد عدد نفوسها على خمسمائة الف
نسمة تسكن بادية جنوب دارفور وكانت هذه القبيلة شديدة الحمية وكثيرة
الرغبة في الاستقلال وقد ناهضت مملكة دارفور مرات عديدة وفي كل
مرة تدور عليها الدائرة فتشوب الى الطاعة ريثما تسترد قوتها فتعود الى الثورة
والحروب

ذكر فتح دارفور

يعلم الكل ما كان عليه المغفور له الخديوي اسماعيل باشا من حب
اتساع المملكة ومتابعة الفتوحات ولذا وجه عنايته لفتح دارفور واستمال اليه
كثيرا من تجارها وأغنيائها وذوى النفوذ في بلاط سلطانها
وكان اقليم بحر النزال يومئذٍ بأيدي التجار لم تنشر الحكومة الخديوية
نقوذها عليه وقد تقدم لنا ان غردون هو الذي أدخلها ضمن أملاك الخديو
وقد باشرت انفاذ ذلك حيث انني أول حاكم عين لها وفي سنة ١٢٨٢ هجرية

وقد على النور له اسماعيل باشا رجل اسمه البلالي من أقرب مقربي سلطان دارفور وأصله من أهالي بورنو فأكرم وفادته واستشاره في أمر فتح دارفور فاختبره بأمر الشركات التجارية التي كانت متسلطة على دارفور وكان الزير باشا وكيلاً لشركة أبو عموري وهو تاجر مصري وكان يوسف باشا الشلالى وكيلاً لأحدى الشركات وكذا النور بك عنقره ومع الزير باشا نحو ألفين من الجنود المعروفين باسم (باذقر) ومع كل من يوسف باشا والنور بك عنقره أكثر من هذا العدد

وقصد البلالي أن يكون رسولا من قبل الحديو الى هؤلاء الثلاثة ويمددهم بأرائه كي يهاجموا تملكة دارفور من الجنوب ليسهل على جنود الحديو مهاجمتها من الشرق

وعلى هذا العزم غادر القاهرة بعد أن أنعم عليه الحديوي بالرتبة الثانية ثم غادر الخرطوم ولحق ببحر الغزال ونزل ضيفا على الزير باشا وقبل انقضاء أيام الضيافة الثلاثة أرسل له بعض أتباعه في منتصف الليل وأمرهم بقتله فذبحوه على فراش نومه وحملوا رأسه الى الزير

ولما علم الحديو بذبج رسوله امتلا غيظاً وصمم على الانتقام من قاتله ومفاجأته بحملة كبيرة تقتص منه فانتدب اسماعيل ايوب باشا لقيادة هذه الحملة وجعله حاكماً على السودان وما كاد يبلغ الخرطوم حتى ندم الزير على فعلته وأخذ يكتب الى الحكومة ويهددها بالاغارة على جنوب دارفور فارتأى اسماعيل أيوب باشا قبول وعده وتأجيل معاقبته لفرصة أخرى

وفي غضون ذلك كتب الزير الى سلطان دارفور يقول ان العبيد لادين لهم وهم عبدة أوثان يحل استرقاقهم شرعاً فكتب اليه سلطان دارفور يقول

صدقته انه ليحل لنا استرقاق العبيد وبائمي (الشطيطة) لان الزير من قبيلة
الجميلين واهل دارفور يسمونهم بهذا الاسم لانهم يذهبون الى بلادهم تجارا
بهذا الصنف

وفي أوائل سنة ١٢٩١ كان الزير باشا والنور بك عنقره قد بلغا حدود
دارفور وكان عرب الرزيقات التي تقدم لنا ذكرهم اعتدوا على قافلة من
التجار كانت مجتازة بين دارفور وبحر الغزال فقتلوا رجالها ونهبوا متاعها فتذرع
الزير بهذا السبب وسأل سلطان دارفور تعويضا عنها فامتنع وأرسل اليه
بجيش جرار تحت قيادة وزيره أحمد شتا فتحالف الزير مع عرب الرزيقات
وقال لهم ان غلبني سلطان دارفور فكونوا معي علي وتأثروني بخيلكم واغنموا
اسلابي وان أنا غلبته فكونوا معي عليه وافعلوا به ما تقدم فرضي الرزيقات
بهذا الشرط وتقدم الوزير احمد شتا ورجاله في تيه عظيم نحو الزير وسلاحهم
الرماح والسيوف لا يعرفون ما البندقية وسروجهم مصفحة بالذهب فصب
عليهم رصاصا كالسيل فكانوا يظنونه رعدا قاصفا ويتلون الآية « ويسبح الرعد
بحمده والملائكة من خيفته » وسقط ألوف منهم قتلى وقتل قائدهم وأكابر
قواده وانهزم الباقي وتمزق شملهم كل ممزق وتأثرهم فرسان الرزيقات
وأثخنوهم قتلا ونهباً وأرسل الزير يعلم اسماعيل أيوب باشا ويطلب منه المدد
فسافر اليه مدير كوردفان في ثلاثة طواير من الجنود النظاميين ومعه مدافع
وسوار يخ فاجتمع عليه وفتحوا مدينة (داره) وتحصنوا فيها وزحف اسماعيل أيوب
باشا بمسكر كفيف من الخرطوم قاصدا دارفور ولما تحصن الجند في داره
جمع السلطان ابراهيم جنده وتقدم نحو داره حتى صار على مقربة من الحصن
فقا جاء الجنود بنار حامية اضطرتهم الى التقهقر فرماه قومه بالجبن فقبض

على كثيرين منهم وزجهم في السجون وضرب أعناق كثير منهم ثم هاجته
الجنود فحمل هو وجماعة من بطائنه وآل بيته ممسكا بيده سيفاً حتى دخل
وسط الجنود وهو يصيح أين صاحبكم الزبير بائع الشطيطة فصبوا عليه
الرصاص كالطر فسقط قتيلاً هو وبطائنه وذوو قرابته ودفنت جثته بالأكرام
اللائق وتقدم الجنود نحو الفاشر عاصمة البلاد واستولوا عليها ونهبوا ما فيها
حتى كانت الريالات مبعثرة على وجه الأرض والطرق مملوءة منها وفي
اليوم التالي وصل اسماعيل أيوب باشا الفاشر ونال حظاً كبيراً من الغنيمة
وبشتد الخلاف بينه وبين الزبير باشا الذي شخص إلى القاهرة لمقابلة الخديو
فمنعه من العودة وكان من أمره ما نحن في غنى عن إيراده ومن ثم خضعت
بلاد دارفور للحكومة وقسمت إدارتها إلى ثلاثة أقاليم (الفاشر) وهي
مقر الحاكم العام و (داره) و (كبكاية) ولكل إقليم مدير وعلى السكل
المدير العام

ولما أبعد الزبير عن دارفور ظن ابنه سليمان أنه وارثه وأنه سيكون
حاكماً مستقلاً على دارفور فخاب ظنه وفي غضون سياحة غوردون في إقليم
دارفور دبر ابن الزبير مكيدة لقتله قبل أن يبلغ حصن (داره) وبينما كان ابن الزبير
وإخوانه يتشاورون في الأمر اجتاز صفوفهم غوردون ودخل الحصن فاندھشوا
حين سمعوا إطلاق المدافع للترحاب به

ولم يمض غير بضع دقائق حتى بعث يستدعي النور عنقره والسعيد حسين وكانا
نحاسين مع ابن الزبير فحضرا وبعد أن جلسا أمر لهما بالقهوة والسجائر ثم سألهما
مما دبراه مع ابن الزبير لاغتيال حياته فقالا إن ابن الزبير يريد القبض عليك
واخذك أسيراً يستفك بك أباه من مصر فقال لهما ولماذا لم تنصحا وتبيننا

له منبة مثل هذا الجنون فقالا انه محاط باشرار من رجال النخاسة وانه لا يصني
لنصحننا الا اذا كان موافقا لما يشير به أولئك الاشرار فصدقهما وأمر السعيد
حسين بالتوجه الي (شكا) وجعله كما عليها وولي رفيقه جهة أخرى ثم استدعي
ابن الزير ومحضه النصيح وحذره وخامة عاقبة الخروج علي الحكومة فتظاهر
بالطاعة فأمره بمنادرة دارفور والحقا يحمر الغزال ثم كان من أمره فيها
ما تقدم لنا ايراده

ولما خرج ابن الزير من عند غوردون استطال بالشتم علي النور عنقره والسعيد
حسين فردا عليه أقبح رد وقال له لولا نال لم يبلغ أبوك ذرة مما بلغ وانا
سبب كل خير له وهما نحن فارقناه وسيكون من وراء فراقنا اياه ما يذهب بحياته
وقد صدقت الايام قولها وسيا تي ذكر السعيد الحسين وقتله في غضون حصار
الخرطوم لحياة ارتكبها

وقبل انصراف اسماعيل ايوب باشا من دارفور عين حسن حلمي باشا
الجويسر حاكما علي أقاليمها وحشد فيها جيشا كثيفا كانت نفقاته عبثا ثقيلا علي
كاهل الحكومة الحديوية لان دخل البلاد لا يقوم بعشرتلك النفقات لاسباب
منها ان الضرائب موزعة علي القبائل بغير قيد فيؤدي الجباة جزأ طفيفا مما
يجبونه ويأخذون الباقي لانفسهم

علي ان التعامل لم يكن بالذهب ولا بالفضة بل بقطع من القماش صنع
أوروبا وكل ثلاثة أذرع قيمتها خمسة غروش مصرية وبقطع من خرق تصنع
هناك اسمها (الدمور) ومن الاسباب الداهية لزيادة النفقة توالي الحروب
الاهلية والثورات الداخلية من المطالبين بالملك من وزراء السلاطين بالرغم
عما اتخذته الحكومة من الحيلة بالقبض علي اكثرهم وارسالهم للقاهرة

وما كادت ساطة الحكومة تم تلك البلاد حتي قام رجل من سلالة ملوكها يدعى هارون وعقد البيعة علي حربها ولقب نفسه بالرشيد واستصرخ سكان الجبال وبعد حروب كثيرة تمكنت الحكومة من طرده من البلاد حيث لجأ الي الجبال فاعتزم غردون هذه الفرصة لتقليل الحامية واقتصاد النفقات ثم تمكن غردون بدهائه من القاء النفرة والشقاق بين النحاسين ليتمكن من اراحة دارفور منهم وذلك بما أتاه مع النور عنقره والسميد حسين وابن الزير

وعلى أثر ذلك ثابت البلاد الي السكينة وأخذت الي الطاعة فقاجأتها المهدوية بدعوتها وحروبها كما تبين ذلك

ذكر راي عبد القادر باشا في دارفور

قبل ان نذكر استيلاء المهدى عليها نأتي على ذكر رأى عبد القادر باشا في دارفور لكيلا يفوت القارئ الوقوف عليه فنقول . قد ذكرنا ان عبد القادر باشا كان يري ان المهدوية يمكن حصرها في اقليم كوردفان حتي تدب عقارب الاختلاف بين انصارها وحينذاك يكون القضاء عليها كما قدمنا ان المهدى كان ذا طموح شديد لدارفور لتكون طريقة الي السودان الغربي أو ملجأ يعتصم به من وجه الحكومة اذا أحس بالفشل وقد كان في غضون حصاره الأبيض يوالى ارسال الرواد ويسعي مجدداً لاستمالة البيوت القديمة ويعد من بقي من ذراري الملوك بارجاع الملك الي نصابه فقام دعاة كثيرون وجمعوا عصابات كثيرة في امكنة مختلفة

على انهم لم يأتوا أمراً جلابل جل ما أتوه انهم قطعوا الطرق بين المدن

وعطلوا سير البريد الذي لا يقدر علي السير الا اذا كان حراسه نحو الخمسمائة
وقد كان عبد القادر باشا يبحث على طريقة تمديد خطوط المواصلات مع
دارفور ولو بطريق الصحراء المعروف بطريق الاربعةين أو من طريق بحر
الغزال فاذا تم له عمل كهذا كان أقل نتائجها تعزيز حامية دارفور حتي تصبح
قادرة على مطاردة دعاة المهدي من البلاد والوقوف في وجه المهدي والحيلولة
بينه وبين دارفور

ولو اتخذت الحكومة من الحيلة ما يمنع تقدمه على الخرطوم واتبعت
مشورة عبد القادر باشا وعدلت عن ارسال حملة الجنرال هيكس كما سيأتي
ذلك في محله لكانت النتيجة مرضية وقاضية على المهدي في كوردفان ولكن
سبق السيف العذل

على انني أقول كلمة وهي ان الحكومة الخديوية بعد اخذها للنصائح عبد القادر
باشا مكنت المهدي من السودان ورضيت بالمذابح والفظائع التي
ارتكبها المهدي وأول هذه المذابح حملة الجنرال هيكس التي أرسلتها كقطعان
من الغنم تنتابها الذئاب من كل جهة

نقول ان حملة الجنرال هيكس أول هذه المذابح اذا قلنا ان الحكومة
كانت معذورة بسبب الثورة المرابية وغير قادرة على ملافاة ما تقدم من المذابح
التي أولها واقعة (آبا) الى سقوط الأبيض

هذا وقد علمت ان المال الذي كان يطلبه عبد القادر باشا للقيام بهذه
الاعمال لا يتجاوز مائة الف جنيه وبهذا القدر الزهيد كانت الحكومة تقتصد
بقية النفقات التي انفقها مؤخرًا علي ازالة دولة المهدي بعد ان دمرت البلاد
وصيرتها خراباً لا تسترد حالتها الاولي الا بعد قرن

ذكر قدوم محمد خالد زقل من دارفور

وفي أواخر سنة ١٣٠٠ هجرية وفد محمد بك خالد زقل وكيل مديرية (داره) على المهدي قادمًا من دارفور برسالة من سلاطين باشا مدير عموم دارفور فاستقبله المهدي خارج المدينة وأطلق له مائة مدفع واستعرض جيوشه أمامه وقدم له هدايا كثيرة من الجواري الحسان وقرأ كتابا من سلاطين باشا على رؤس الأشهاد في المسجد يقول فيه « انني تركت النصرانية منذ زمان مديد ولعنتقت الاسلام ديننا وانني مسلم ومؤمن بالمهدي ومصدق بدعواه وأنا مستعد لتسليم البلاد والدخول في دعوة المهدي » فأثني علي سلاطين باشا ودعا له بخير وكانت ذلك قبل هلاك حملة الجنرال هيكس ببضعة شهور وهنا نورد ترجمة محمد خالد اتماما للفائدة فنقول انه دنقلي من أقارب المهدي يجتمع معه في الجدل الرابع استوطن أبوه دارفور وولد المترجم بها وكان يشتغل بالتجارة حتى حصل علي ثروة عظيمة ثم صار وكيلا لمديرية (داره) وكان ذا دهاء وحيل وزقل لقب له

نعود الى ذكر كتاب سلاطين باشا فنقول يوجد هناك كتاب بعثه سلاطين باشا ولكن مضمونه لم يكن كما قرأه المهدي وليس بعيد ان يكون حرفه كمادته ليبعث به طمأنينة في قلوب انصاره حيث كانوا على وشك مناجزة الجنرال هيكس

وهنا ننقل تلك الاسباب عن سلاطين باشا نفسه فقد قال انه لما أحس بكثرة دعاة المهدي في البلاد أيقن أنه اذا عمد الى اعادتهم الى الطاعة بالقوة لالتبث الذخيرة أن تنفذ ولا يمكن الحصول على غيرها وحينئذ تكون

العاقة بلا ريب وبالأ

وكان على (داره) مدير ايطالى توفى بالحمل وناب عنه فى وظيفته وكيله محمد خالد زقل وكان سلاطين باشا عالما بقرابته للمهدى وقد نمت اليه أخبار ميله اليه ودعوته له سرّاً تخاف سلاطين باشا العاقة فشخص الى (داره) من الفاشر وهناك بث العيون على محمد خالد فتحققت ظنونه وزادت هواجسه منه وزاد الطين بلة انه تحقق تفاقم الخطب وأحس بميل كثيرين من الاهالى لجانب المهدي وعلم ان المهدي لا يمنعه من ارسال جيش لاخذ دارفور عنوة الا تربصه حملة الجنرال هيكس فتسارع محمد خالد فى مايلفه عنه فلم يجحد قرابته للمهدى ولكنه حلف ايمانا غليظة على انه باق على ولاء الحكومة والاخلاص لها فسأله سلاطين باشا أن يكون رسوله لدى المهدي ويحمل كتابه له ويعمل لتأخير زحفه على دارفور حتى الفراغ من حملة الجنرال هيكس فاذا كانت القلبة عليها أسلم سلاطين باشا البلاد للمهدي وان كانت عليه كانت الحكومة جديرة بمكافئته وعلى ذلك بارح محمد خالد زقل دارفور وافداً على المهدي وكان من أمر الاختفاء به ماأوردناه

هذا مارواه سلاطين باشا وقد أصحب محمد خالد احمد أغا الجريدي

قاوش أغاى المديرية

وحكى لنا من نثق بروايته ان وفود زقل الى المهدي كان من الاشياء التى قدر بها المهدي على تسكين خواطر كثير من أنصاره الذين كانوا يحسبون ألف حساب لحملة الجنرال هيكس التى وصلت اليهم انباءها بغلو كثير فكانوا يتحدثون بما لديها من الاسلحة ومعدات القتال بكلام يبعد عن العقل مثل قولهم ان الجنود لا يحملون أسلحة بل الرصاص ينقذف من أفواههم وعيونهم

وأنوفهم وان لديهم نيرانا تسير في الجو كالسحاب ولا تترك شيأ مرت عليه من شجر ومدر الا جعلته رماداً ومثل ذلك كثير لو أردنا إirاده لضاقت عنه المجلدات. ويقول كثير من ضباط حامية دارفور أنهم كانوا يستطيعون النجاة والفرار من وجه المهدي بطريق الأربعين حيث ينتهي سيرهم في دنقله

وهذا زعم باطل لان حامية مؤلفة من بضعة آلاف شخص عدا عائلاتهم التي تبلغ أكثر من اثني عشر ألف نسمة كيف تستطيع الهرب في وسط صحراء لا يقطعها الراكب في أقل من أربعين يوما وليس في هذه المسافة ماء غير أربعة مناهل فقط

وبقي محمد خالد في الأبيض مع المهدي حتى فرغ من حملة الجنرال هيكس فأعادته الى دارفور وجعله حاكما عاما عليها وسيأتي ذكر ذلك بعد حملة الجنرال هيكس

ذكر حملة الجنرال هيكس باشا

لما قررت الحكومة بصفة رسمية ارسال حملة الجنرال هيكس أبلغ المهدي جواسيسه ماعولت عليه الحكومة فأصدر منشورا يحض الناس فيه على الجهاد في سبيل الله وأمر المقاتلة أن يعسكروا خارج المدينة فكانوا يقضون الليل في المعسكر ويعودون في الغداة الى المدينة وكان هو وخلفاؤه يفعلون كذلك وأصدر منشورا الى القضاة والنواب بتأجيل نظر ما يرفع اليهم من القضايا لي ما بعد الفراغ من الجهاد وكان ذلك قبل قدوم الحملة بنحو ستة شهور وأخذ يستعرض جيشه مرتين في الاسبوع. وصفة هذا الاستعراض أن

كل قبيلة تقف تحت رايتها وهو يمر عليهم ويقف عند كل راية يعظم من حولها
ويحضهم على الجهاد في سبيل الله فينتحبون بالبكاء ويمضون الانامل شوقا
الى الجهاد وفي الحقيقة ان الرجل كان واعظا بليغا يعرف كيف يتمكن من إلانة
قلوب أولئك الجهلاء الآن مواءظه كانت مشوبة باكاذيب وخرافات
لا يقبلها غير أولئك الجهلاء ويكاد يكون وعظه خلوا من الحكم الدينية ويرجع
إسنادها الى دعاويه الطويلة المريضة أمثال أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرني
بكيت وكيت

على أن جميع هذه الاخبار المختلفة لا يخفى اختلاقها على جاهل من عامة
المسلمين مثال ذلك أنه كان يقول لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
أخبرني بان اصحابي أفضل من أصحابه لانهم يحاربون النيران ويخوضون
صفوف القنابل والرصاص بخلاف أصحابه صلى الله عليه وسلم فانهم ما حاربوا
غير السيوف والرماح ولم يخوضوا غير صفوفها ولا يخفى ما في ذلك من الكذب
عمدا على الله ورسوله

وأدهى من ذلك كله دعواه أن فضله كفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا ينقص عنه شيئا وأن خليفته عبد الله التميمي أفضل من إبراهيم الخليل صلوات الله
وسلامه عليه والخليفة علي بن حلو أفضل من موسى كليم الرحمن عليه السلام
والخليفة محمد شريف أفضل من عيسى روح الله وكلمته عليه السلام
ودخل عليه مرة شاعر ينظم اشعارا باللغة العامية يدعى ابن التويم وكان يتغالى
في مدح المهدي حتى افتي كثير من العلماء بكفره واسروا فتواهم حيث أيقنوا أنهم
ان اظهروها حكم عليهم بالكفر وقتلوا شر قتلة وقال للمهدي اطلب منك
اعطائي مقاما فقال له اعطيتك مقام حسان بن ثابت رضي الله عنه فخففته

العبرة وبكى وقال ياسيدي إن حسان كان شاعرا مثلي ولكنه كان جباناً
لا يقاتل مع مولاه وأنا شجاع أخترق صفوف القتال وأنا قائد عشيرتي
فكيف أرضي بمقام حسان فقال له المهدي قد أضفنا لك مقام خالد بن الوليد
رضي الله عنه على مقام حسان فانت اذن حائز للمقامين فاستبشر وقبل يد
المهدي. ومنح أحد الموالى مقام زيد بن حارثة وسمى نساءه بامهات المؤمنين
وسمى بيان ذلك في غير هذا الموضع

ومن هاته الاكاذيب انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بان
خمسة الجنرال هيكلس مخدولة وان ارواح كل جنودها تحت مصلاها وانه اذا
شاء قبض على تلك الارواح فيموت الجند جميعه قبل ان يغادر الخرطوم وانه
اختار ان يتركها حتى تقدم عليه ليحرز أصحابه ثواب المجاهدين في سبيل الله
ويفوز من أراد الله به خيرا بالشهادة

وكان أولئك الجهلاء يتلقون هذه الاكاذيب بالارتياح والقبول ولا يجسر
أحد على اظهار الشك فيها لان عقابه القتل فورا

وأرسل المهدي قائدا من قواده اسمه الحاج محمد أبو قرجه وعمر بن
الياس أم برير ومعهما أربعون ألف مقاتل من الجعليين والداقله وأمرهم ان
يمسكروا في مكان يدعى (البساطه) بالقرب من أم درمان فاذا غادرت الحملة
أم درمان ساروا من خلفها بمسافة لا تزيد كثيرا عن مرمى المقذوفات النارية
وهنا نورد طرفا من ترجمة الحاج محمد أبو قرجه فنقول هو أول من حاصر
الخرطوم ثم صار أميرا على السودان الشرقي واصله دنقلي استوطن اسلافه
قرية (القطنية) التي تبعد عن الخرطوم بخمس مراحل على النيل الابيض
وكان تاجرا متوسط الحال لحق بالمهدي في جبل قدير وصار قائدا من

قواد فرقة الخليفة شريف وكان من احزم اصراء المهدي واعقلهم تزوج ابنت حامد شقيق المهدي وكان الامراء يرمونه بالانغماس في الملاذ والمكرف على الشهوات لانه كان لا يجاريهم في التغالى في الظهور بالزهد والتشرف كما عليه المهدي وخلفاؤه وقواده وجميع المقربين منه

وابتدأت الحملة سيرها من أم درمان براً وبحراً حتي بلغت (الدويم) وهي قرية على ضفة النيل الابيض تبعد عن الخرطوم بنحو عشر مراحل وهناك اجتمعت الالوية كلها وأخذت في الالهبة للمسير في الصحراء الى الابيض وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٠ هجرية

وأكرم علاء الدين باشا نحو ثلاثين رجلاً من التجار والموظفين الملكيين على مرافقته وانا ب عنه في ادارة شؤون الحكمدارية وكيلها حسين باشا سري

ورافقه ديلان أصلها من قبيلة الجمع قدما الخرطوم بإيماز من المهدي وصارا دليلين لها ليسلكا بها الطريق المعطشة المملوءة بالغابات وغادرت الحملة الدويم في أواخر شهر ذي الحجة وكان عدد مقاتليها أربعة ألوية مصرية نظامية كل لواء يتبعه أربعة آلاف مقاتل فالجملة ستة عشر ألفاً ومعها ألف جندي من السوارى لابسى الدروع والخود ونحو ألف جندي سوداني وجنود أتراك غير نظاميين كلهم فرسان تحت قيادة الصناجق عبد العزيز بك ويحيى كامل بك وخير الدين بك

ورافق الحملة مكاتبان حريبان لجريدتي التيمس والدانيوز الانكليزيتين وكان عدد الجبال المعدة لحمل الأثقال يربو على ثلاثين ألفاً عدا البغال واسلحتها من طرزرا منجوتون وأربعة مدافع كروب قطار تسعة وستة مدافع مترليوز

انكليزي بست طلقات وثلاثون مدفعا من الطراز الجبلي وستة عشر ساروخا
حربياً أما الذخيرة الحربية فكثيرة جداً والاقوات كافية لمؤنة ستة شهور
وسارت الحملة من (الدويم) الى (شاة) ومنها الى عقبة وما كادت تغادر
ضفة النيل حتى رأت العدو يقلعها بالجلبة والصياح فاضطرت ان تسير
في شكل مربع يحيط بدواب الحمل وكانت لا تقدر على المبيت الا في داخل زريبة
من الشوك وكل جنود يتعمدون الزريبة عن جلب الحشائش لعلف الدواب
يقعون في يد العدو وقد مات اكثر الدواب من قلة العلف ولحق الجنود تعب
كثير من قلة النوم لان العدو كان يقلعهم بصياحه في كل ليلة مرات عديدة
فيقومون للاهبة لصد هجمته فيعود بغير قتال وهكذا حتى مطلع الفجر
ولما بلغت الحملة منهاً اسم (الرهدة) يبعد عن الابيض مسيرة اربع
مراحل قام المهدي يحرض قومه على الجهاد ويقول لهم اذا رأيتم العدو فكبروا
ثم قولوا (اللهم نواصينا ونواصيهم بيدك وانت القاتل لهم) وقبض العدو
على الماني كان مهندساً في الحملة بينما كان يرسم بعض الغابات فارسله الى المهدي
واكد سلاطين انه هو الذي ابلغه ما يقاسيه الجنود من التعب وما هم فيه من
الخور واعتنق هذا الالماني الاسلام وبقي أسيراً بيد المهدي حتى مات ببلاد
الحبشة فاراً من الاسر

وكان الخلاف مستحكماً بين الجنرال هيكس وعلاء الدين باشا حتى قيل
ان اكثر الجنود والضباط كانوا يظهرون لهيكس الكراهة وعدم الطاعة
وفي يوم الجمعة مستهل محرم سنة ١٣٠١ هجرية وصلت الحملة الى (شيكان)
وكان بها غدير مملوء بماء المطر وفي اليوم التالي زحف المهدي وعسكر في
(البركة) على غدير ماء كان يخشى ان تسبقه الحملة اليه وكان عدد مقاتلته المشاة

نحو خمسمائة الف مسلحين بالحرايب والسيوف ونحو ستين الف فارس من
المسلحين بالبنادق وأصلهم من جنود الحكومة السود الذين غنمهم منها
وكان يقودهم حمدان أبو فنجة

وفي صبيحة الاحد ثالث محرم هجم حمدان ابو غنجه بالفرسان على ركن
من أركان الزريبة فوقف له الجنود وقفة الابطال فرجع بخسارة وقتل في
هذه المعركة الميرالاي رجب صديق بك وجورجي بك طبيب الحملة وغنم
العدو مدفعين من طرز مترليوز ونحو عشرين جملاً وبالرغم مما كانت فيه
الجند من المتاعب تمكنوا من دحر العدو واعادة النظام وأصيب عبد
الله بن النور من اكبر قواد المهدي برصاصة في فخذه الايمن وقتل محمد
فوزي كاتب المهدي وأصله رقيق رتبته الحكومة في مدرستها حتي صار
تلفرافياً وأخيراً طرد من خدمة الحكومة لاسباب قانونية ثم لحق بالمهدي
وقتل نحو الفين من مقاتلة العدو

وفي ذلك اليوم أي يوم الاحد فر جندي اسود وأبلغ المهدي ان الحملة
فقدت الماء منذ أمس وان غدير (شيكان) نفذ ماؤه ولم يبق فيه غير الوحل
وان الجنود يأكلون الطين والاولحال من شدة الظما وقد تمردوا على
ضباطهم وسقطت هبة النظام من قلوبهم حتي أن الضابط اذا أمر الجنود
بشيء لا يجاوبونه بغير الضرب وقد مضى عليهم اكثر من أربع وعشرين ساعة
لم يذوقوا فيها طعم الماء وفي صباح الغد أي الاثنين رابع محرم ربما زحفوا
على الابيض لانهم علموا بوجودكم في البركة وخلو المدينة من المدافعين

فلما سمع المهدي هذه الانباء جمع خلائه وقواده والقي عليهم خطبه قال
فيها ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بهلاك الحملة في صبيحة الغد لو لم

تقدموا نحوها

وفي صباح يوم الاثنين الرابع من محرم صلى المهدي بغلس وقسم جنده على ثلاث فرق وأمرهم بالهجوم على الحملة التي كانت غادرت شيكان سائرة إلى الأبيض بنحو ميل وكانت تسير بغير انتظام بسبب ما يقاسيه رجالها من الظمأ فهجم عليها العدو في غضون السير فلم تستطع المقاومة فانقض عليها وذبح كل الجنود ولم ينج منهم إلا مائة وعشرون جندياً مصرياً وضابطان من رتبة ملازم اسم أحدهما محمد حلي والآخر محمد عزمي وأخذ الدراويش يجرّدون القتلى من ملابستهم ويطلقون النيران في أجسامهم مدعين أن النار انماتاً كل أجسامهم اظهاراً لكفرهم وكرامة من كرامات المهدي وزعم المهدي أن احراق النار علامة على أن الملائكة هم الذين قتلوهم لأنهم حاربوا معه في هذه الواقعة كما حاربوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في بدر. وقتل علاء الدين باشا والجنرال هيكس وحسين باشا مظهر ونجا تاجر من الأبيض اسمه عبد الرحمن بان النقا وهو ابن الحاج بان النقا الذي تقدم لنا ذكره مع تجار الأبيض وكان المهدي أوصى بعدم قتله لأنه كان مسجوناً مع الحملة حيث ثبتت خيانتة وأنه كان عيناً للمهدي عليها

وفرق المهدي الناجين من رجال الحملة عبيداً للامراء واكد عليهم باستخدامهم في خدمة خيولهم وأقام ستة أيام في البركة ريثما أتم بيت المال جمع الغنائم والأسلحة وقفل راجعاً إلى الأبيض

هذه تفاصيل مهلكة حملة الجنرال هيكس التي لا يخفى ما خسر الناس من الحزن والذهول لما اتصلت بهم أنباءها في الخرطوم ومصر وقد كان عبد القادر باشا يرى أن لا لزوم لارسال هاته الحملة بمد أن سقطت

الابيض في قبضة المهدي وان خير طريقة يسـتخدم فيها هذا الجيش هو
اقامة معسكرات منيعة على ضفة النيل الابيض عند حدود كردفان لمنع
تقدم المهدي على الخرطوم من جهة ومن جهة أخرى تناوش حدوده لتضطره
الى مهاجمتها اذ لا شك انه يعود مدحوراً منها وقد أدرك القاريء انه كان
لايستطيع الغلبة على حاميات الحكومة بغير الحصار وفقد الاقوات أو
الماء كما حصل في سقوط الابيض ومهلك هاته الحملة التمهيسة وبديهي ان
المهدي كان لا يستطيع الغلبة عليها مادامت محصنة على ضفة النيل وذخيرتها
وميرتها تصل اليها من الخرطوم على طريق النيل

وبهذه الطريقة ينحوي بقية السودان من الوقوع تحت براثن المهدية ويصبح
من المستحيل عليه لاستيلاء على الخرطوم ونشر نفوذه في السودان كله
على ان حصر المهدية في اقليم كوردفان بضع سنين كان ذا نتيجة
مرضية لجانب الحكومة لو لم ترسل الجنرال هيكس لان المهدي جمع حوله
من المقاتلة مثل العدد الذي ذكرناه ولا بد له من نفقات تقوم بحاجات هذه
النفوس ومن أين يقوى اقليم كوردفان على القيام بهذه الاشياء وقد تناقص
محصول الزراعة بسبب ان اكثر المزارعين صاروا جنداً وهجروا المزارع وسكنوا
الابيض مع المهدي وكانت تجارة الصمغ معين ثروة كبيرة لهذا الاقليم وقد
أبطلها المهدي

وعليه لا يلبث المهدي اذا منع من التقدم الى الخرطوم أن يضطر الى
وضع ضرائب فادحة على الاهالى لتقوم بنفقاته وحاميته ولا ريب ان تلك
الضرائب تستنفد كل ثروة كوردفان في عام واحد وفي الثاني تكون مجاعة
يمعز منها من تقديم الاقوات للذين جاؤا معه من القبائل المستوطنة في

جبال قدير وفي أطراف دارفور ولا بد أن أكابر القواد يمدون أيديهم
وينهبون ما بأيدي قبائل كوردفان فتقع النفرة بينهما ولا يخفى أن المهدي كان
يقسم كل ماغنمه لاستمالة الناس وليوهمهم أنه منزله عن ادخار المال وإن
أمنيته هي الدار الآخرة

وبناء على هذه الأسباب يرى المتأمل أن الحكومة أخطأت الصواب
بإرسال هذه الحملة بل قدمت السودان لقمة دسمة للمهدي ثم هي أصرت على خطئها
ولم تشأ انتقاذ السودان بعد هذه الحملة وذلك أنها صمت آذانها عن إرسال
جنود مع غوردون باشا حيث كان في الامكان إعادة حفظ الحالة التي كان عليها
المهدي قبل إرسال الحملة ولكن إرادة الله غالبية على كل شيء لا إرادته لقصائه
ولا حائل دون مشيئته

ذكر ترك السودان

فقدت الحكومة كل جلد لما اتصل بها نبأ فشل حملة الجنرال هيكس
وكان أول عمل أتته أن كتبت إلى الحكمدارية تأمرها بإجلاء الحاميات من
الدويم والكوة وفشوده وسنار لتعزيز حامية الخرطوم وأمرت بترحيل
المصريين على نفقاتها تدريجاً للجلاء عن الخرطوم فأخلت مراكز الدويم والكوة
وفشوده من حامياتها وكان ذلك بمثابة أمر صريح من الحكومة لعموم سكان
السودان بالانضمام إلى راية المهدي والخضوع لجبروته

وكان دعاة المهدي حوالى الخرطوم وسنار لا يجراؤن على الظهور بالدعوة
خوفاً من الحكومة فكتب لهم المهدي يبشرهم بما أتيح له من الفوز ويأمرهم
بإظهار الدعوة ومناوأة الحكومة وسيأتى تفصيل ذلك على حدة

ووثب احمد بن المكاشفي الذي تقدم لنا ذكره وحشد نحو سبعين ألف
مقاتل حاصر بهم سنار ومنع الحامية من انفاذ أمر اخلائها وسيأتي ذكر ذلك
وزاد الطين بلة صدور أمر مال بترك السودان وأخذ أهل الخرطوم
ينزحون الى بربر وأحصى من فيها من المصريين فبلغوا أكثر من مائتي ألف
نسمة يتعذرا جلاؤهم عن الخرطوم في أقل من سنتين وعادت القلاقل ودخل
السكان أجمعون في طاعة المهدي فكانوا يجتمعون خارج القرى والمدن
ويضربون الطبول ويخلمون ملابسهم ويستبدلونها بالجلب المرقعة التي هي
شمار المهدية ويرسلون منهم وفداً الى المهدي لتقديم الطاعة والخضوع ولم يعد
للحكومة نفوذ وسقطت هيبتها وكان المهدي لا يقطع بان الحكومة عاجزة
عن ارسال جنود تمنع تقدمه على الخرطوم ولذلك عاد الى الالبيض وصوب هزيمته
لاسقاط دارفور كما سيأتي ذكر ذلك في مكانه

ذكر فرار وكيل مديرية الخرطوم ومحاqqه بالمهدي
أشرنا الى أعمال محمد علاء الدين باشا حيث أباح وظائف الحكومة الى
تجار السودانين فجعلوا ينزلقون الى المهدي بايقاقه على الاسرار التي تدبرها
الحكومة وكان من بين أولئك التجار رجل اسمه محمد الجزولي توصل لمنصب
وكالة المديرية مع عدم الاهلية ثم أرسلته الحكومة لجباية الضريبة من جهة
المسلمية التي هي وطنه الاصلي فاجتمع لديه أكثر من اثني عشر ألف جنيه ثم
اتصل به صدور أمر الحكومة بترك السودان فقبض على من معه من موظفي
الحكومة وشخص الى المهدي بالالبيض ودفع له المال وأطلمه على ماعولت
عليه الحكومة من ترك السودان فكاد يطير من الفرح وأطلق مائة مدفع

وادعني ان النبي صلى الله عليه وسلم بشره بالاستيلاء على الخرطوم وأن أصحابه
سيغنمون أموالهم كما غنم أصحابه صلى الله عليه وسلم أموال الفرس والروم
وكان لمحمد الجزولي عم يدعي حمد التلب مات مع حملة الجنرال هيكس
وكانت له أموال فاستولى عليها ابن أخيه هذا وأودعها تاجراً ذهب بها إلى مصر
ولما ولي التعايشي قبض على محمد الجزولي وشدد عليه في أداء مال عمه
لأنه لبث المال وثقى معذبا في السجن عدة سنوات حتى مرض به ومات
بعد إخراجه منه بأيام يسيرة ولم ينتفع بنوه بشيء مما اغتاله من مال عمه بل
ذهب كل ما كان يملكه لبثت المال واغتال التاجر ما أودعه من المال وهكذا
منية الظلم ومصير الظلمة

ذكر سقوط دارفور

ذكرنا ما كان من أمر سلاطين باشا وانفاذه محمد خالد زقل للمهدي
ولما هلكت حملة الجنرال هيكس رفع أهالي دارفور رؤسهم إلى الثورة
وجاهروا بخلع طاعه الحكومة واجتمع جيش كبير من الثوار وحاصروا
سلاطين باشا في داره فشاور ضباط الخامية وسائر الموظفين الذين
رأوا عدم قدرتهم على الدفاع وأنهم إذا دافعوا لا يمكن إيصال نجدة إليهم بعد
هلاك حملة الجنرال هيكس وتقلص نفوذ الحكومة من كوردفان فكتب
سلاطين باشا كتابا إلى المهدي عرض فيه التسليم على شرط أن يكون ممال
الحكومة آمنين على أرواحهم وأموالهم فاستدعى المهدي محمد خالد زقل
وكتب له منشورا بالولاية على دارفور من قبله وأوصاه باستصفاء أموال
عمال الحكومة عدا سلاطين باشا فقد أوصاه بكرامه ومراعاته وأن لا يمس

بسوء وانتدب عمر بن الياس أم بربر ومعه نحو عشرة آلاف مقاتل لمرافقة محمد خالد وعمره بجيش يزيد على أربعين ألفاً وخرج لوداعهم مسيرة ستة أميال ثم عاد الى الابيض

ولما وصل محمد خالد الى ظاهر داره خرج للقاءه سلاطين باشا ومعه الضباط والعساكر ودخلوا المدينة وأبرز محمد خالد كتاباً من المهدي الى سلاطين يعلمه فيه بأنه عين أميراً على دارفور وأكد عليه في طاعته وبعد تلاوة الكتاب شرع محمد خالد في استلام الجبه خانات والاسلحة وما في خزينة الحكومة وبعد الفراغ قبض على عموم الضباط والموظفين وصادر أموالهم وشرع في تعذيبهم ليدلوا على ما خباؤه من أموالهم وقتل كثيرين منهم بالتمذيب وكان من بين الضباط رجل اسمه حماده افندي رتبته صاغقول أفندي وكان ذا ثروة تبلغ الخمسة آلاف جنيه غادر القاهرة بنحو ألفين منها وحصل على الباقي من الاقتصاد لانه كان مشهوراً بالبخل والحرص فأمسكه الدراويش وشرعوا في تعذيبه عدة أيام فكان يتحمل التعذيب بثبات غريب ويشتم معذبيه ويقول لهم لماذا تضربوني فيقولون له لتدل على مالك فيقول اذا كان مالي فأى دخل لكم في اخفائه أو اظهاره فيقولون انه مال المهدي فيقول لهم هل مات أبوه وتركه عندي أم كيف تقولون ماله فيشتدون عليه بالضرب والتعذيب ولسانه لا يسكت عن سب المهدي عليه وأخيراً توفي من شدة التعذيب ولم تسمح نفسه أن يدلهم على ماله وقال لهم لو كان مهدياً لعرف المكان الخبوء فيه المال

ولما فرغ محمد خالد من مصادرة أموال المصريين بعث بالاموال الى المهدي وخلفائه وأرسل ألوفاً من نساء المصريين كمعطيات للمهدي وخلفائه

واستكتب سلاطين كتابا الى السيد بك جمعه مدير القاشر بأمره بالتسليم
للمهدي وجمع محمد خالد أموالاً كثيرة وبني داراً لسكناء وتزوج بأخت سلطان
دارفور وابتسم له ثغر السعادة وأخذ في الاهبة والاستعداد للزحف على القاشر
ويروى عن بعضهم ان سلاطين باشا لما أنفذ محمد خالد لم يشأ ابلاغ
الضباط بما كان بينهما من الاتفاق ومادبراه لدفع شرور المهدي عن دارفور
ريثما ينظران عاقبة حملة الجنرال هيكس فثار الجنود وهجموا على دار محمد خالد
ونهبوها حتي ألحقوا العار بيناته وسجنوا كثيراً من ذوي قرابته والمنتمين
إليه وما زالوا مسجونين حتي أطلقهم سلاطين باشا يوم خروجه للقاء محمد خالد
ونقل لنا واحد من أولئك المسجونين ان محمد خالد لم يعمد الي نهب أموال
الضباط عملاً بأوامر المهدي كما أشيع بل لينتقم منهم على فعلهم بال بيته
ونهبهم داره

على ان هذه الرواية قريبة من الصحة وقد سألتنا لماذا لم يشرك معهم
سلاطين باشا فقال لاني كنت عالماً بانه غير راض عن فعلتهم وانهم كانوا قد
هددوه ظناً منهم انه أرسل محمد خالد ليسلم البلاد الى المهدي في حين أن إرساله
كان خدعة ليؤخر تقدم المهدي الى دارفور ريثما ينظرون ما يصير بينه وبين
حملة الجنرال هيكس وعلى كل حال كان وقوع دارفور في قبضة المهدي
ضربة قاضية

ونقل لنا كثير من الضباط ان سلاطين باشا لما رأي ما أتاه محمد خالد
مع المصريين من العذاب الاليم كادت نفسه تهرق وفقد صوابه وذهب الى
دار محمد خالد وقال له على رؤوس الاشهاد لو كنت اعلم انكم تعاملون
ضباطي بهذه المعاملة لاصليتكم حرباً يشيب لها الطفل الرضيع ولسمحت

بموت هؤلاء الرجال في ساحة الحرب وأنا على يقين بأن الواحد منهم لا يموت
إلا بعد أن يقتل عشرة منكم فأخذ محمد يلاطفه ويلين له الكلام وأوصي
بتخفيف العذاب عن بعض الضباط وأطلق البعض . وكان بعض الحاضرين
يتوقع شرا يصيب سلاطين باشا على أثر تهديده لمحمد خالد نقاب ظنهم ولم
يلحظه مكروه

ذكر سقوط مديرية كيكايه

كيكايه قاعدة الاقليم الشمالى من الفاشر وقد تقدم لنا ذكرها وكان
حاكمها ضابطا سودانيا يدعى آدم أفندي عامر وكان رقيقا ثم انتظم في سلك
الجنديّة النظامية حتى بلغ رتبة البكباشي
ولما استولى محمد خالد على داره كتب آدم أفندي الى سلاطين باشا
بصفته مديرا عاما يستشيرهم مما يفعله فوقع الكتاب في يد محمد خالد فامر
سلاطين باشا ان يكتب له كتابا يضمنه انه مصدق بمهدية المهدي وانه لا طاقة
له بمقاومته وينصح له ان يفعل مثله حذرا من ان يخسر الدنيا والآخرة فاطاع
سلاطين باشا وكتب كما شاء محمد خالد

ولما وصل الكتاب الى آدم أفندي اعلن دخوله في طاعة المهدي وخلع
طاعة الحكومة وأرسل وفدا الى المهدي ليلقوه الامر فتقبل الوفد
بالحنافاة وكتب منشورا اتى فيه على آدم أفندي وجعله أميرا من قبله على
الاقليم وقائدا على الجند وأرسل له راية عليها شعاره وأمر ان يزحف بمن
معه من المقاتلة والاسلحة والمدافع وينضموا الى محمد خالد الذي كان وقتئذ
على وشك الزحف على الفاشر

وكتب المهدي أماناً لعاصر أفندي ومن معه من الضباط والموظفين
واكد ان لا يمسهم أحد بسوء في أموالهم واعراضهم وقد كان ذلك ولم يصيبهم
ما أصاب غيرهم من الظلم والحيف ومصادرة الاموال وهتك الاعراض
وما ذاك الا لانهم سودانيون غير مصريين

ذكر سقوط الفاشر

مدينة الفاشر هي عاصمة دارفور منذ دخولها في حوزة المصريين وكانت
مقر السلاطين دارفور

وقد ذكرنا ان سلاطين باشا كان مقياً بها ولكنه غادرها على أثر وفاة
مدير (داره) الايطالي وكان السيد بك جمعه مديراً عليها وقومنداناً لحاميةها
وهو ضابط مصري

ولما استولى محمد خالد علي (داره) خاطب مدير الفاشر ودعاه للتسليم
والدخول في طاعة المهدي على الشرط الذي قبلته حامية داره فاجابه بالرضا
والقبول ولما اتصل به نبأ ما فعله محمد خالد بحامية داره وما عامل به الضباط
من النهب والسلب وأنواع التعذيب صمم على نكث العهد والدفاع حتي آخر
لحظة من الحياة فتقدم نحوه بجيش جرار ومعه مدافع وسوار يخ وجميع الاسلحة
التي انفذها معه المهدي والتي غنمها من حاميات دارفور وهجم على الفاشر
ليأخذها عنوة فقاتلته ببسالة عظيمة والزمته التقهقر بخسائر جمة

وكانت الآبار التي تستقي منها الحامية خارج الاستحكامات ولا آبار
بداخله فهجم المدوليل على تلك الآبار وردمها وأصبحت الحامية بلا ماء تقاسي
الظماً ثلاثة ايام فاضطرت الي التسليم ودخل محمد خالد المدينة وضاعف عذاب

الحامية ونهب أموال رجالها وسبي نساءهم وساق منها قطعاناً كالغنم بمث بها
الى المهدي وخلقائه

وقبض على السيد بك جمعه وكان محمد خالد ينوي قتله ولكنه عدل
عن ذلك ونفاه بجهة (كوى) وبقي منفياً حتى غادر محمد خالد دارفور فأطلقه

ذكر مسألة الحب خانة بدارفور

كان بحامية (داره) ضابط صغير اسمه محمد سليمان وهو من الارقاء الذين
ترقوا تحت السلاح وبعد سقوط الفاشر جملة محمد خالد قائداً على الجنود
السود الذين غنمهم من الحكومة وجعل على حراسة الحب خانات ضابطاً
مصرياً اسمه محمد أفندي اللقاني فآقره محمد خالد في وظيفته ومعه عشرة من صف
ضباط مصريون يشتغلون في الحب خانات بمثل تعبئة الخراطوش وغيرها
وكان محمد سليمان طامحاً لوظيفة محمد اللقاني ليكون ذا وظيفتين فآو عز الى
رجل من اتباعه أن يقذف في الحب خانة قبساً من النار في الوقت الذي يكون
العمال مشغولين فيه بأشغالهم فعمل والتهب البارود وتقاذفت القنابل واحترق
محمد اللقاني وخمسة من عماله ونجا خمسة منهم كانوا قد تغيّبوا عن الحب خانة
في قضاء حوائج لهم فدخل محمد سليمان على محمد خالد وقال له المأمحضك
النصح باجتنب اللقاني وسائر قومه المصريين فانهم احرقوا الحب خانة من
تلقاء انفسهم ليموتوا ويتلفوها اضراراً بنا وان الخمسة الذين كانوا خارج الحب
خانة هم الذين رموها بقبس النار فقبض عليهم وضربت اعناقهم لانهم كفار
مصريون رحمة الله عليهم أجمعين

ذكر قتل عمر اغا ترحوه

ذكرنا أن المهدي بعث عمر بن الياس أم برير مع محمد خالد الى دارفور وقد تقدم لنا الإشارة الى المنكرات التي كان يأتها ابوه الياس ام برير والى ما كان منه من الانحياز لجانب المهدي وشدة بغضه للحكومة

وكان في دارفور صنjqق اسمه عمر اغا ترحوه مشهور بالشجاعة والاقدام وله اليد البيضاء في الحروب التي رفعت أوزارها بين الحكومة والمسمي هارون الرشيد المطالب بعرش دارفور وانه هو الذي قتل وزيره سعد الذي جاء قتله سبب فشل مولاه ولذلك قصة لاياس من ايرادها هنا

وهي أن القاء مقام على بك شريف شهيد كوردفان الذي تقدم لنا ذكر قتله مع محمد سعيد باشا كان يقود قوة لمطاردة هارون ووزيره قهرامنه واوغلا في الغابات فتأثرها حتى لحق التعب فرسانه فأحجموا عن المطاردة الا عمر اغا ترحوه فانه تابع المطاردة بنفسه بالرغم عمالحقه من التعب وفقدان الرفيق حتى أدرك الوزير وقتله وحز رأسه فنازعه خشم الموس (أغا) وقتها (باشا) وادعى انه الذي قتله وبعد التحقيق ظهر فساد دعواه فكافأت الحكومة عمر اغا ترحوه وجعلته قائداً على أربعمئة جندي من الباشبوزق

ولما استولى محمد خالد على (داره) أكرمه وجعله قائداً من قواده وبعثه مع عمر بن الياس لمصادرة أموال قبيلة من الاعراب أظهرت عدم الطاعة للمهدوية فجعل عمر بن الياس همه في احراز المال وانفاذه الى أبيه في الأبيض ويقال انه أنفذاً أكثر من ثلثمائة ألف ريال تخاف أن يكون عمر اغا ترحوه عيناً عليه من قبل محمد خالد فرماه عنده بأنه يدبر مكيدة ضده وانه ينوي

الخروج عليه فقبض عليه وعلى الملازم الاول ابراهيم زيان ويعقوب رمزي
باشكاتب المجلس وكانا صديقين حميمين له وضربت أعناقهم وقيل عن الآخرين
انهما شريكاه في تدبير المكيدة وانهما يجعلان له الاسلحة والذخيرة رحم
الله الجميع

ذكر قدوم سلاطين باشا على المهدي

لما تم لحمد خالد الاستيلاء على دارفور كلها أرسل خطاباً الى المهدي
ببشره بما أتيج له من النصر وقدم له أشياء كثيرة من العنائم وأرسل له
خيولاً عربية تعد بالآلاف فأطلق مائة مدفع ومدفعا اظهاراً للسرور وكتب
له كتاباً بالتفويض العام في كل ما يراه لازماً لتلك البلاد بغير قيد ولا شرط
وأذن له بالمبايعة وأمره بإرسال سلاطين باشا فأدركه وقد غادر الأبيض ونزل
(الرهدة) كما سيأتي ذكر ذلك في مكانه فخرج للقاءه جمع من الناس وكان
ممتطياً فرساً ومتأبطاً كنانة ملوثة بالنبل

ولعل هذا الفرس هو الذي أخبر سلاطين باشا ان الشيخ مادبو أحد
شيوخ العربان أهده له فاعتذر عن قبوله بأن حالته الحاضرة تمنعه من
ركوب الخيل فلاطفه مادبو وقال له العبارة التي نقلها بحروفها واتخذها مثلها وهي باللغة
العامية (إلي عمره طويل يشوف كثير) وقبل منه الفرس ورد له طبولاً
حربية كان غنمها منه في احدي وقائمة وقال سلاطين باشا ان هاته الطبول
عندهم بمثابة رايات الحرب عند الاوروبيين

ولما مثل سلاطين باشا بين يدي المهدي قبل يده وبايعة البيعة التي

تقدم لنا ذكرها وسماه عبدالقادر سلاطين وأمره بلزوم باب التعايشي والاشتمار
بأمره وسيأتي ذكر بقية أخباره

والفرس التي أهداها له مادبو تسمى (صقر الدجاج) أي أنها سريعة
في اقتفاء أثر النعام وادراك الصيد لأن صاحبها كان يقتنص بها

ذكر قتل آدم أم دبالو ملك تقلي

ذكرنا فيما تقدم بعض الايضاح عن جبال تقلي وهنا نذكر ان المهدي
لما كان فاراً من وجه الحكومة الى جبل قدير تقابل مع آدم أم دبالو ملك جبال
تقلي فأكرم وفادته وأضافه خمسة وعشرين يوماً وأهدي اليه شيئاً كثيراً من
التبر والماشية وأمدّه بخمسة مائة فارس من قومه أوصلوه الى جبل قدير وفعلوا
راجعين الى جبال تقلي

ولما ظفر المهدي بحملة الجنرال هيكس رغب الى الملك آدم أن يزوره
في الابيض فأجاب الدعوة وقدم في عدد كبير من قومه ومعه مائتا فارس
مسرلين بالدروع والحدود وخيولهم مغطاة بمخيشات من القطن نخرج المهدي
للقائه بجميع جيشه وأطلق له مائة مدفع ترحيباً بمقدمه واستعرض له جيشه
وأطلقت نيران البنادق أيضاً ونصبت له السرايدات ونحرت النوق لطعامهم
ومكثوا أكثر من أربعة أسابيع وبلغت درجة اكرام المهدي له انه كان يحمل
قصة طعامه بنفسه الى أن يضعها بين يديه حتى يحسده التعايشي الذي كان
يخاف، على مركزه من أي انسان يحس باقبال المهدي عليه

وكان الملك آدم استأذن المهدي في العودة الى بلاده فاعتم التعايشي هذه

الفرصة وأشار على المهدي أن لا يأذن له في العودة ويسأله مرافقته الى الخرطوم
للجهاد معه فانكر عليه المهدي هذا الرأي فاقنعه بأنه لا يرغب في هذا الامر
وانما يقصد اختباره ويتأكد من طاعته للمهدي ففعل المهدي فلم يظهر من
الملك آدم غير الاستحسان والطاعة ثم عاد التعايشي لانهاء بقية مقاصده
فنقل الى المهدي ان الملك آدم ممتعض منه وانه ساخط من فعلته وقد أظهر سخطه
لكثير من الامراء حيث قال لهم ان مهديكم كذاب ولا وعد له وقد غرر بي
وابعدني من بلادي ثم انه يريد مرافقتي له حتى يفرغ من الخرطوم وقد نكث
العهد الذي أعطانيه حيث وعدني بالابوة بعد ايام يسيرة وما زال التعايشي
يسمي به حتى أصدر المهدي منشوراً زعم فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم
أمره بقتل الملك آدم أم دبالو وقاضيه الفقيه أحمد لانهما غير مصدقين بدعوته
فضربت اعناقهما وسط الجيش الذي استقبلا فيه واستعرضاه والي الله
تصير الامور

وهنا نورد صورة كتاب أصدره المهدي نقلاً عن الجزء الثاني من كتاب
منشورات المهدي المطبوع بعد سقوط الخرطوم صحيفة ٣٦ ومنه يفهم ان
جبال تقلي دانت بالطاعة للمهدي وانه يعتبر ملكها حكام من قبله وهو
« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا
محمد وآله مع التسليم وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي بن عبد الله الي أهل جبل
الكدر والصبي والمندل والتم نل وكافة أهل الجبال المؤمنين بالله ورسوله
وتابعين لامرنا فقد أمرنا عليكم عمر بن الملك آدم فقوموا كلكم بحروبكم
معه الى قتال الدج الترك والنصارى ولا تتأخروا عن القيام مع الملك عمر

فن خالفه فقد خالفنا ولا عهد له عندنا ولا يلومن الا نفسه والسلام التاريخ
١٢ شوال سنة ١٢٩٩ «

ذكر قتل المنه

ذكرنا ما كان من أمر المنه وقيامه بدعوة المهدي في كوردفان واستيلائه
على الطيارة وقد بينا ما أتاه من الفظائع والمنكرات
وكان المهدي يعده بتبوأ منصب خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه
ولما زحف المهدي على الأبيض اجتمع عليه «المنه» وزاد في اكرامه وكان يروح
ويغدو الي المهدي وحوله نحو عشرين من خدامه شاهري السيوف حوله
خلافاً لما كانت عليه عادة المهدي من عدم السماح لغير الخلفاء ان يحيط بهم
أناس كحراس اظهاراً لعلو مراتبهم
وكان المنه يضابق المهدي ويستنجزه ما وعده به من منصب الخلافة
فيعده من يوم لآخر لانه كان ينوي خدعة السيد محمد المهدي بن السنوسي
المشهور بهذا المنصب كما سيأتي ذكر ذلك على حدة
وقد اغتر المنه بوعود المهدي وأخذ يذيع بين الناس انه رابع الخلفاء
وكان شديد البغض للخليفة عبد الله التعايشي ويكثر من الوشاية به عند
المهدي الذي كان لا يتبدل ثقته في التعايشي ولكنه كان يداري المنه ويخادعه
لما له من المنزلة عند قبيلتي (الجمع والجوامع) اللتين تسكنان شرق اقليم كوردفان
الذي هو طريق حملة الجنرال هيكس حيث كان المهدي يخشي انتفاض هاتين
القبيلتين عليه وانضمهما الى الحملة

ولما فرغ المهدي من أمر هذه الحملة لم يعد قادراً على احتمال ما وقر في نفسه من المنه فاشخصه الى جهة الطيارة وكتب له بالامارة المطلقة عليها فتأدر الابيض ولحق بقرية له خارج المدينة وبعد أسبوع انتدب التعايشي التي مقاتل من حملة البنادق والفين من الفرسان تحت قيادة حمدان ابي عنجه وسلمه كتاباً من المهدي يأمره فيه بمغادرة الابيض بمن معه من المقاتلة ولا يشمر أحداً بوجهة سيره حتى يدرك المنه ويقبض عليه على غرة ويضرب عنقه ويأتيه برأسه ويصادر جميع أمواله فسار حمدان وبلغ القرية قبيل الفجر واحاط بها احاطة السوار بالمعصم وقبض عليه على فراش نومه وقبض على أخيه ووكيله واوثقوا كثافاً وقادهم الى الطيارة وضرب اعناقهم بجانب الحصن الذي ذبح فيه المنه حامية الطيارة

ولما دنا الجلاد ليضرب عنقه رفع رأسه وقال للحاضرين « اشهدوا أنني لم أذنب ذنباً غير قتلي للمصريين الذين كانوا بهذا الحصن وقد اغتررت بوعود الظالم المهدي وأعنته فانتقم الله مني وسلطه عليّ ومن أعان ظالماً سلط عليه » وحملت الرأس للمهدي الذي أعلن بان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بان المنه منافق ايمانه لا يتجاوز تراقيه وانه ادعى الخلافة كذباً وبهتاناً ولذلك قتله وأظهر التعايشي كتاباً من المنه الى المهدي يقول فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بانه الخليفة الرابع وانه وارث مقام في النورين عثمان بن عفان عليه سحائب الرضوان وانه صلى الله عليه أمره بمقاومة المهدي اذا لم يرضخ لهذا القول

على أن هذا الكتاب ملفق لم يكتبه المنه بل اختلق ذريعة لتبرير عملهم وتسكين خواطر الذين ساعدوا المهدي على امتلاك البلاد واذلال العباد

ذكر قتل التوم بن زعيم

الكبايش وعجيل زعيم الرزيقات

الكبايش اسم لقبيلة بدوية رحالة تسكن صحراء بيوضة الواقعة بين دنقلة وكوردفان وماشيتها من الابل ويشغل رجالها بنقل سلع التجار من كوردفان الى دنقلة وبالعكس وهي قبيلة كبيرة يربو عدد نفوسها على نصف مليون نسمة وعندهم الخيول بكثرة والسيوف والخود والدروع وسائر آلات الحرب التي من هذا القبيل وزعيمها فضل الله بن سالم

ولما وصلت دعوة المهدي الى كوردفان لم يصادف القائمون بها نجاحا عند الكبايش الذين كانوا يجاهدون بولاء الحكومة والبقاء على طاعتها ولما استولى المهدي على الابيض عاصمة كوردفان قصد الانتقام منهم لانهم كانوا يوالون الاعتداء على القبائل التي خضعت لنفوذه ومن ذلك أن الكبايش اعترضوا ظمنا لقبيلة من جهينة كانت تدين بطاعة المهدي ونهبوها فكتب المهدي كتابا الى التوم وصالح ابني فضل الله زعيم الكبايش وعلي بن قریش من مشايخهم نكته هنا بنصه كما هو مثبت في صحيفة ٢٥ من الجزء الثاني من مجموعة المنشورات وهو

«بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي بن السيد عبد الله الى صالح ولد فضل الله والتوم أخيه وعلي ولد قریش انه ان كنتم منقادين لامر الله ورسوله وتابعين لامرنا في المهدية سلموا الدفع الله ولد محمد الجهمي وأهله جميع ما نهبتوه منهم من مال ورقيق ومواش ونهبوا على جميع أهاليكم

الكبايش ومن معهم ان يتركوا جميع العوائد المخالفة للكتاب والسنة
 وتركوا نهب أموال المسلمين ولا تعرضوا لأحد بعد ذلك وأقيموا الصلوة
 في أوقاتها وأخرجوا زكاة أموالكم واحضروا عندنا سريعا بدار الهجرة فانها
 واجبة على كل مسلم فاذا فهمتم ما ذكر قاعدوا جميع ما أمرناكم به وارجعوا
 لجماعة جهينة ما لهم كله فان سمعتم ما ذكر فعليكم امان الله ورسوله وتفوزوا
 برضاء الله وان خالفتم أمرنا هذا فعليكم غضب الله ورسوله بمخالفتكم لأمر
 الله ولا بد من مجازاتكم وخراب دياركم والسلام التاريخ ٢٠ رجب سنة ١٢٩٩ هـ
 ولما وصل الكتاب الى المرسل اليهم اذعنوا بالخضوع للمهدي وهم يبطنون
 له العداء وفعلوا ما أمرهم به ووفد على المهدي التوم بن فضل الله تائبا عما
 فرط من قومه واثقا بامان المهدي

وفي اليوم الثاني عشر من ربيع الاول سنة ١٣٠١ قبض التعايشي على
 التوم وعجيل زعيم قبيلة الرزيقات التي ذكرناها في الكلام على دارفور وضرب
 عنقهما فتأثر الناس لانهم لم يعلموا من سبب لذلك واجتمع الخليفة شريف
 ابن عم المهدي وعمه عبد القادر ساتي على ومحمود عبد القادر وغيرهم من
 ذوى قرابته ودخلوا على المهدي وسألوه هل أمر التعايشي بقتل ذينك
 الرجلين فاجابهم سلبا وانحدرت الدموع من عينيه فقالوا له ان التعايشي
 فعل هذه الفعلة لينفر الناس من مهديتك ويشوه سمعتك فاعزله وول
 أحدنا مكانه وهاهو محمود عبد القادر خير كفؤ لهذه الخالفة فلم
 يجبههم بغير الاسترسال في البكاء وأخيرا أمرهم بالانصراف حتى يأتيه
 النبي صلى الله عليه وسلم ويرشده الى حل هذه المشكلة وزاره
 التعايشي فامرهم بلزوم بيته ريثما يأتيه النبي صلى الله عليه وسلم

وفي اليوم التالي خرج ومعه منشور هو الذي أوردنا فخواه عند الكلام على
مقطوع (باره) وقد اشرنا الى ما كان من أمر هذا المنشور وانه أصدره ليقنع
أهالي باره عن المطالبة بحقوقهم

وقد تضاربت الاقوال في أمر هذا المنشور فقربق قال ان هذا المنشور
أصدره المهدي لاقتناع أهل باره وقال آخرون انه أصدره في هذا اليوم وعلى
كل حال فان المهدي خرج على قومه في اليوم التالي بهذا المنشور وتلاه عليهم
ليكفوا عن توجيه اللوم ونسبة الظلم لعبد الله التعايشي
ويدل هذا المنشور أيضاً على انهما كانا متفقين باطناً على هذا العمل
وهامي صورة المنشور بالحرف الواحد نقلاً عن الجزء الاول من كتاب
المنشورات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد
فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله اعلاماً منه الى كافة عباد الله
المؤمنين بالله وبكتابه أما بعد اعلموا أيها الاحباب ان الخليفة عبد الله خليفة
الصدق المقلد بقلائد الصدق والتصديق فهو خليفة الخلفاء وأمير جيش
المهدية المشار اليه في الحضرة النبوية فذلك السيد عبد الله بن السيد محمد
حمد الله عاقبته في الدارين فحيث علمتم ذلك يا احبابي ان الخليفة عبد الله
هو مني وانا منه وقد أشار اليه سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فتأدبوا
معه كتأدبكم معي وسلموا اليه ظاهراً وباطناً كتسليمكم لي وصدقوه في قوله
ولا تهموه في فعله فجميع ما يفعله بأمر النبي صلى الله عليه وسلم أو بأذن منا
لا بمجرد اجتهاد منه ولا هو عن هوى بل هو نائب عنه في تنفيذ أمره صلى

الله عليه وسلم والقضاء بإشارته فان فعله بكم وحكمه فيكم بحسب ذلك واعلموا
 يقيناً ان قضاءه فيكم هو قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى
 «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة
 من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً» فمن كان في صدره
 حرج لاجل حكمه فذلك لعدم إيمانه وخروجه من الدين بسبب غفلته وذلك
 بشاهد قوله تعالى «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم
 لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً» ولا شك في شرك من
 استنكف عن حكم الله ورسوله سيما بقوله صلى الله عليه وسلم «ان أخوف
 ما أخاف عليكم الشرك الخفي» الخ الحديث مع انه خليفة الصديق وأول
 المصدقين في المهديّة فانظروا لمكانة الصديق عند الله ورسوله بنص القرآن
 العظيم وانظروا لمكانة من أورثه الله مكان الصديقين ووازره بالباطن بالحضر
 عليه السلام فهو مسدد مؤيد من الله ورسوله ويد من أيدي الله لنصر دينه
 بإشارة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وقد ورد في فضله كثير فحيث فهمتم
 ذلك فالتكلم في حقه يورث الوبال والخذلان وسلب الايمان واعلموا أن
 جميع أفعاله وأحكامه محمولة على الصواب لانه أوتي الحكمة وفصل الخطاب
 ولو كان حكمه على قتل نفس منكم أو سلب أموالكم فلا تتعرضوا عليه
 فقد حكمه الله فيكم بذلك ليظهركم ويزكيكم من خبائث الدنيا لتصفي قلوبكم
 وتقبلوا الى ربكم ومن تكلم في حقه ولو بالكلام النفسى جزءاً فقد خسر
 الدنيا والآخرة ذلك هو الحشران المبين ويخشى عليه من الموت على سوء
 الخاتمة والعياذ بالله لانه خليفة الصديق الذي قال الله في حقه «اذ يقول لصاحبه
 لا تحزن ان الله معنا» وقال صلى الله عليه وسلم ان أمن الناس على في الصحبة

أبو بكر وقال عليه السلام ما طلعت شمس على أحد بعد النبيين أفضل من
أبي بكر وحيث علمتم فهو بمنزلة الآن لأن أصحابنا كأصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو المذكور خليفة في الدين وخلافته بأمر النبي صلى الله
عليه وسلم فمن كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ومصدقاً بما يهديني فليسلم
للخليفة عبد الله ظاهراً وباطناً وإذا رأيتم منه أمراً مخالفاً في الظاهر فاحملوه
على التذويض بعلم الله والتأويل الحسن واعتبروا يا أولى الأبصار بقصة موسى
والخضر عليهما السلام حكاهما الله في كتابه العزيز حكم داود وسليمان عليهما
الضلالة والسلام لتسلموا من الشكوك والالوهام وإنما أنذرتكم بهذا رحمة
لكم وشفقة عليكم وليبلغ الشاهد منكم الغائب لئلا تسبوه وتنسبوا إليه
الظلم والجور فهلكوا فامذروا عن أذية أولياء الله فانها أذية الله ورسوله وقد
لعن الله ذلك في كتابه فقال «ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا
والآخرة» كما ان من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب فان الله غيور على أوليائه
فقد علمتم أنه ورد من نقض الكعبة حجراً حجراً ثم حرقها بالنار أهون عند
الله من أن يؤذى ولياً من أوليائه وان الخليفة هو قادة المسلمين وخليفتنا النائب
عنا في جميع أمور الدين وإياكم والوسوسة في حقه وظن السوء وعدم الامتثال
إليه في قوله والمشاجرة له أو لأحكامه والخلاف والحسد فتوبوا إلى الله وارجعوا
قبل أن تذهب حسناتكم وتسلبوا ثواب الإيمان وإنما حماني على هذا البيان
النصيحة في الله وحمایتكم من الوقوع في هاوية الانفس والاماني فمن تاب
تاب الله عليه ومن عاد فينتقم الله منه ويسلط عليه وهذا أمر الله ورسوله
فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم ولا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والسلام

حوادث السودان الشرقي

السودان الشرقي عبارة عن فيافي مترامية الاطراف تمتد من شرق وشمال نهر (أبهر) حتى شطوط البحر الاحمر كمصوع وسواكن وغيرها من تلك الشطوط ومناخم للاحباش من جهات كثيرة وهو عبارة عن اقليم (التاكا) وقاعدته مدينة (كسلا) ومحافظات الشواطي' كمصوع وسواكن وغيرها وسكانه قبائل ضاربة ألوانهم الى لون النحاس أو بعبارة أخرى كلون زنوج أفريقية الجنوبية الذين تختلف ألوانهم عن زنوج السودان الاوسط وهاته القبائل تشبه بعضها في الاخلاق والعادات مع بعض فروع وكلها لا تتكلم باللغة العربية بل بلغات أعجمية لا كتابة لها وتعيش اكثر القبائل كما يعيش الاعراب الرحالة بالبان الماشية ولحومها وماشيتهم جلبها من الابل وتسكن بعض القبائل رؤس الجبال وبعضها يأوي الى كهوف في الارض متسعة تسع عدة قرى في داخلها

ومن القبائل التي تعيش كعيشة الاعراب قبائل (الهدندوه) وبنو عامر والهاباب وأما رآر فالهدندوه تسكن حوالي كسلا وبنو عامر والهاباب يسكنان حوالي مصوع وأما رآر تسكن ضواحي - واكين وهناك قبائل كثيرة اضربنا عن ذكرها فراراً من التطويل

واكبر هاته القبائل قبيلة الهدندوه وعدد نفوسها يتجاوز مليون نسمة وماشيتها من الابل كثيرة جداً ورجالها ميالون الى الحروب وسفك الدماء والغارة على جيرانهم عكس بنو عامر والهاباب المعروفين بالميل الى الدعة والسكون ونوقهم مشهورة بعظم السنام حتى ان الواحدة منها لا تستطيع القيام

بغير مشقة ومن أشهر القبائل التي تسكن رؤس الجبال وبطون الكهوف
(البازيه) وهى قبيلة أعجمية ديانتها مجوسية ولم تخضع للحكومة ورجالها
ذوو بأس وشجاعة يقطعون السبل على المارة ويغيرون على بلاد الحكومة
ومنهم قبائل كثيرة تدين بالاسلام وعوائدها تشبه عوائد طوائف الدروز
واليزيدية

وتنسب قبائل بني عامر والهباب الى رجال من الاكراد مسجونهم
سلاطين العثمانيين فى سواحل البحر الاحمر منذ أربعة قرون أو أكثر فزوج
أولئك المسجونون نساء من الاحباش والزنج وانتشر نسلهم وعاشوا بمعيشتهم
البدوية كالسلافهم الاكراد

أما الزراعة فى جميع أنحاء السودان الشرقى فانها لا تذكر وأكثر القبائل
تعيش بغير الخبز ووجد منهم من لم يذق الخبز مدة حياته وقس على ذلك
سائر البقول فانها غير معروفة عندهم ألبتة

ويوجد فى داخل مدينة سواكن أناس من السكان الاصليين لا يذوقون
الخبز مرة فى السنة وغذاؤهم قاصر على اللحم والابن وطريقتهم فى اللحم واحدة
لا تتبدل وهى انهم يأتون بأحجار يضرعون عليها النار حتى تتحول جراً
فيضعون عليها اللحم حتى ينضج ويصير اللحم لذيذاً واسمه (سلات) ويمكن
لكل انسان أن يحصل على هذا اللحم بثمان بخس اذا الاسواق مملوءة به وثمان
الشاة الواحدة لا يبلغ خمسة عشر قرشاً مصرياً والوعاء الذي يحوى نحو
خمسة وعشرين رطلاً من الابن لا يبلغ ثمنه أكثر من قرشين

ومن ألطف النوادر التي سمعتها ان اعرابيا من قبائل السودان الشرقى
التقى بقافلة سائرة من بربر الى سواكن فرأى بين أيديهم بصلاً يأكلونه مع

الحبز فأعذوه بصلة فأراد أن يهشمها ويأكلها كما رأهم يفعلون فتصاعد ريحها
إلى أنفه فنفذ بها إلى الأرض وأخذ يركض إلى الحي مستصرخاً قومه إلى الانتقام
من هذه القافلة التي جاءت إلى بلادهم بنوع خبيث ينشر بينهم الأمراض
وينقل إلى بلادهم جراثيم الأوبئة والأمراض وبعد عناء شديد تمكنت القافلة
من متابعة سيرها ونجت من الهلكة

ومن ذلك أن رجلاً من أهالي بربر تعرف برجل من كبار الأعراب
فتزل ضيفاً عليه في بربر فقدم له غذاء من طبيخ الملوخية فامتلاً الرجل غيظاً
وقال لمضيفه هل أنا بمنزلة الثور عندك حتى تقدم لي الحشائش الخضراء التي
لا يأكلها غير ثورك فأخذ الرجل في ملاطفته ليقنمه بأن غذاءه وغذاء سائر
مواطنيه من هذا النوع فلم يصدقه وخرج من منزله في أشد حالات الغضب
فسبحان من أقام العباد فيما أراد

وأهالي السودان الشرقي كلهم يتركون شعورهم حتى تبلغ من الطول
أحد النهاثي وشعورهم صلبة قوية يتركونها واقفة غير مسبولة يخالها الراثي
من البمد قبعة من النوع الأسود الطويل جداً ويدهنونها بشحم الجمال أو البقر
وملابسهم هي ملاءة من (الدمور) ولا يلبسون شيأ من السراويل أو الأقبية
ويزعمون أن لباس السراويل والأقبية مما يولد الأمراض في الجسم سيما
أمراض المعدة وحلق الشعر أوقصه مما يولد أمراض العيون وضعف البصر
هذا ما نوردته هنا عن شرقي السودان عموماً حيث نسرده حوادثه وسيأتي
الكلام عن كل جهة بما فيه الفائدة والله الموفق



ترجمة الشيخ الطاهر المجذوب

غير خاف ان عثمان دقنه هو الذي كان داعية المهدي ونائبه في السودان الشرقى وكان عثمان دقنه مريداً للشيخ الطاهر المجذوب ومخلصاً وسيعلم القارىء مما يجيء ان المهدي لم يكن يصطفى عثمان دقنه لهذا الامر الخطير بل الذى اصطفاه له أستاذة الشيخ الطاهر ولذلك رأينا أن نترجمه هنا ثم نعقبه بترجمة عثمان دقنه ليكون القارىء على بينة من أمرهما فنقول

الشيخ الطاهر المجذوب هو شيخ الطريقة المجذوبية ورث هذه السجادة عن عمه الشيخ محمد المجذوب الصغير تلميذ السيد احمد بن إدريس المغربى وأصلهما من بطن من بطون قبيلة الجمالين اسمه المجاذيب نسبة الى جدهم حمد المجذوب ويسكن هؤلاء الناس على ضفة النيل جنوب نهر (أبهر) فى قرية (الدامر) محل ضريح جدهم حمد المجذوب

أما محمد المجذوب عم صاحب الترجمة فانه ولد بهذه القرية ثم هاجر منها ولحق بالحجاز وهناك التقى بأستاذة السيد احمد بن إدريس ومكث ملازماً كبقية تلاميذه مثل السيد السنوسى صاحب الطريقة السنوسية المشهورة بأفريقة الغربية والسيد محمد عثمان الميرغنى صاحب الطريقة الميرغنية أو الختمية وغيرهم كإبراهيم الرشيد نزىل مكة المكرمة ثم عاد محمد المجذوب الى الحجاز بعد أن نال من أستاذة كل رعاية والتفات وتحصل على درجة سامية من العلوم العقلية والنقلية ثم غادر الحرمين الشريفين واستوطن ضواحي سواكن فانتظم فى سلك أتباعه الألوف من رجال القبائل وترامت شهرته فى أطراف البلاد حتى صارت القبائل تحترمه احتراماً زائداً وتحميه حياً فوق العادة

وكانت بينه وبين صاحب الطريقة الميرغنية مناظرات شديدة توارثها
اتباعهما وكانت أسرة عثمان دقنه من أعظم اتباع الشيخ محمد المجذوب. وله
ديوان في المدائح النبوية وتوفي ولم يعقب فورثه ابن أخيه الشيخ الطاهر
المجذوب وكان في بداية أمره على منزلة تقرب من منزلة عمه في قلوب الناس
وله أملاك في سواكن والحكومة تبالغ في احترامه وتتسابق إلى استرضائه
حتى كان من أمره ما سئره ولله في خلقه شؤون



ترجمة عثمان دقنه

هو عثمان بن أبي بكر دقنه نسبة إلى قبيلة (الدقني) وهي قبيلة صغيرة
تسكن سواكن وأصلها منسوب إلى قائد تركي نفاه ساكن الجنب السلطان
محمود وكان عمه وجيهين في سواكن أحدهما على دقنه حاز لقب بك من
الحكومة وكان المترجم صاحب أملاك في سواكن وتاجراً يتردد إلى مصر
في كل عام

وفي سنة ١٢٩٤ هجرية سافر إلى دارفور ويقال أنه قبض عليه مع قافلة
نحاسين وسبق إلى المحاكمة ثم فر منها وفقد كل ثروته التي كانت حوالي عشرة
آلاف جنيه وكان متزوجاً بابنة عبد الغفار الضوي أحد تجار المصريين في
بربر وكان أعطاه عشرة آلاف ريال ليتجر بها فأضاعها ثم لحق بسواكن ومكث
بها فحجر الدائنون على أملاكه

وحكى لنا موظف في سواكن أن عثمان دقنه جاءه متظلاً مما أتاه
الدائنون معه حيث حجروا على كل ما يملكه حتى الضروري لحياته فوجد الموظف
مرتبكاً في بحر أفكار شديدة فسأله عن حاله فقال أتاني تلغراف أن ابنتي

مرينة جداً فقال له اننى أعرف نوعاً من الزايرجة ولكننى اشك فى صدقها
فقال ولماذا فقال لأنها منذ عشرين سنة مضت تخبرنى باننى أصبح ملكاً كبيراً
وشهرتى تطبق آفاق الارض كلها فقال له الموظف لا بأس من سؤالها عن
صحة ابنتي فتناول قرطاساً وقلماً وبعد ساعة رفع رأسه وقال له تقول الكاذبة
ان ابنتك قد زال عنها الخطر وانه يأتيك خبر شفائها قبل ان تقوم من مقامك
. هذا ثم قال انها تقول ذلك ولكننى أخبرتك بانها تكذب على منذ
عشرين سنة ولم يتم هذه الكلمات حتى دخل موزع التلغراف ورفع الى
رسالة قرأت فيها شفاء ابنتي وزوال الخطر عنها فلما سمع عثمان دقنه
هذا الكلام ضحك حتى استلقي على ظهره وقال هذه أول مرة صدقت
فيها ولعلها تصدق بعد الآن واننى لا انصرف من هاهنا حتى اسألها السؤال
الذى لم تصدق في الاجابة عنه منذ عشرين عاماً فتناول القرطاس والقلم وأخذ
يرقم الاعداد وفي النهاية ضحك وقلقه وقال لى انها تقول دنا الاجل فاطرح
الوجل ثم أخذنا فى حديث آخر فاستأذنى بالانصراف فشيئته الى الباب
وكررت عليه الرجاء ان لا يجعل زيارته كبيصة الديك فقال مازحا وهل تحب
ان تكون بيضة دجاجة فقلت نعم فقال يفعل الله ما يشاء وانصرف فلم أره
حتى سمعت بظهوره فى ارباض سواكن وانتشار نفوذه فى كل انحاء السودان
الشرقي ويبد الله كل شيء

وقد كان عثمان مشهوراً منذ حداثة سنه بالميل الى العبادة ومواظبة
الصلاة وملازمة أورداد الطريقة وكان مشهوراً بالشفقة والرحمة
هذا وقد رأينا صوراً كثيرة يقال انها صورته ولأول وقوع بصرنا ادركنا
انها غير حقيقية بل هى صور وهمية او خيالية تبعد عن الحقيقة بعداً شاسعاً وغاية

ما يقال فيه ان قتل ساعديه واعتدال قامته يدلان على القوة والفتوة
واشتهر عن عثمان الشره في الاكل حتى انه يأكل الحروف المشوى وحده
وكما اشتهر بالنهم فقد عرف عنه الصبر على الجوع حتى انه في اكثر أسفاره
وغزواته يصبر عن الغذاء اياما معدودة ويقتصر على اكل ورق السدر وغيره
من ورق الشجر الكثير المرارة والحاصل انه غريب الشكل في اخلاقه وعاداته
وسياتى ذكر كثير من هذه الغرائب

ذكر وفود عثمان دقنه على المهدي

كانت الخطابات بين المهدي والشيخ الطاهر المجذوب متبادلة منذ وطن
المهدي نفسه على انتقال هذه الدعوى ويقال ان اول خطاب وصل الى الشيخ
الطاهر من المهدي مؤرخ في شعبان سنة ١٢٩٨ يخاطب به كل المشايخ ومثل
هذه الخطابات كثير وقد اخترنا هذا للنورده هنا نقلا عن الجزء الاول من كتاب
المنشورات وهو بنصه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد
فن العبد المقتدر الي الله محمد المهدي بن عبد الله جزيل السلام الي كافة الاخوان
من المحبين ومشايخ الدين لا يخفى في عزيز علمكم أن المؤمن لا عناية له الا فيما
يرضي الله من كمال الايمان والاتباع على السنة والكتاب وبصرف الهمة في
هذا الوجه يتولاه الله ويقوم بحظوظه في الدارين واذا التفت الى حظوظه
وصرف همته الي ذلك وكله الله على نفسه ولم يحصل له من حظوظه شيء
الا بالتعب القلبي والبدني واتم ايها المؤمنون الذين يظن بكم المعاونة على

تقويم السنة ومعلوم أن جاء الدنيا ولذتها لا يؤثره العاقل العارف لأن ما في
الدنيا مفارق يصير كأنه لم يكن ولذتها لا تنق بحسرتها بل عين اللذة تصير عين
الحسرة حتى لا يجد بيده شيء فالعاقل العارف لا يسعى إلا في رضا الله وعلى
ذلك يا حبابي أني لم أقدم على تنبيه الناس أحسنهم على النعيم لأقامة السنة إلا
بأمر من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ولا يكذب على سيد الوجود إلا
من لا خلاق له عند الله ومع ذلك شهد على ذلك جمع من الاتقياء الذين
يعتبرونهم ومكانهم عند الله لا يخفى وفضلا عن ذلك تعلمون هذا الزمن وما
فيه من البدع وما لهم تحصن من ذلك إلا بالقرار بالدين وطلب الهجرة بالدين
في هذا الحال وارد كتابا وسنة ووعيد من ترك الهجرة وارد كتابا وسنة كما
لا يخفى وقد كاتبت على أمر النبي صلى الله عليه وسلم جميع أهل الدين بالليم
علي دين الله وأقامة السنة وقد ضمن النبي صلى الله عليه وسلم من يكون
معنا وما ذلك إلا امر من الله ورسوله فإن كانت قد بلغتكم تلك الأجوبة
السابقة فهذا إليكم لتشعروا على ذلك فإن هذا الأمر ما بثته إلا بعد أن خرج من
سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ثم تكرر مرارا عديدة وفضلا عن ذلك أن
من مثلكم لازم يكون لمثل هذا الأمر أول قائم ويحث عليه ومعلوم أن من
تركه وصده عنه فعليه أثم وأثم من صدهم جميعا وأعلموا انكم ان اتبعتم هذا
الأمر صرتم من المقربين والا كان عليكم أثمكم وأثم من تبعكم وهذا الأمر
حقيقة من الله ورسوله ولا يخفى انه لا يميز على الله أن يظهر قدرته في أضعف
خلقه ويظهر الدين على كراهة أهل معصيته فمن أعرض عن ذلك فحسبه الله
فان مات قبل ظهوره لم يأمن عقوبة الله في اعراضه عن الحق وصده لمن اراد
الاستقامة والهجرة لله ورسوله ومعلوم أن من لم يتبع هذا الأمر يخذل في الدارين

ومن حصل له شك يظهر له فيما بعد كما بين والسلام شعبان سنة ١٢٩٨ «
ولما حاصر المهدي الأبيض كان يوالى ارسال الخطابات الى الشيخ الطاهر
بستحثه فيها على مناوأة الحكومة والقيام بدعوته في السودان الشرقى وأذن
له بمبايعة الناس نيابة عنه وانه أمير من قبله على هاته البلاد فبعت اليه الشيخ
الطاهر بوفد من أتباعه يرأسه عثمان دقنه ومعه كتاب يقول فيه ان عثمان
دقنه من خيرة مريديه وأصدق أتباعه وانه من رجال الحزم والعزم وانه
لا يفضل أبناء النازلين من صلبه عليه وان إمارة شرق السودان خلق بها
أكثر منى واننى لأستنكف أن أكون تابعا لأفضل مریدی عثمان وأكون
مستشاره ومدير أموره وأنصح لكل أتباعى بالقيام بنصرته وموازرتة وان
المانع لى من قبول هذا الامر انفسى هو الطمع فى السن وعدم القدرة
على الانتقال والقيام والقعود اذ هي من ضروريات هذا المنصب وبكفينى ان
أكون أول من يذعن بالطاعة لعثمان وفى ذلك من التفضيد والحض لعموم
أتباعى ما يقرن عمله بالنجاح

ولما قدم عثمان على المهدي وجد الأبيض سقطت فى قبضته فتلقاها
بالخفاوة والاكرام

ولما اطلع على الخطاب داخله بعض الريب فى أمر الشيخ الطاهر وتردد
فى قبول ما أشار به عليه لانه لم يكن وأثقا بانه يرفض قبول الرئاسة لمثل هذه
الاعذار ويهديها الى أحد مريديه وبعد بضعة شهور تحقق ان الشيخ الطاهر
مصيب فى كل ما قاله وخصوصا لانه ملازم للخلاوة والانفراد ويتألم من الغوغاء
وليس بين أولاده من ينهض بهذا الحمل الثقيل وبعد مداوالات كثيرة بينه وبين
التمايشى أيقن بصحة القول وعزم على انفاذ عثمان دقنه واسناد هذه المهمة اليه

وكان ضمن هذا الكتاب ان الحكومة عولت على انفاذ حملة لقهر المهدي وسيكون طريق هذه الحملة من ثغر سواكن الى بربر وأشار على المهدي بوجوب المبادرة بإرسال عثمان لان أهالي السودان الشرقي كلهم متأهبون للقيام معه وخلع طاعة الحكومة فيتعذر سير الحملة الى بربر وتتهياً للمهدي الفرصة للاستيلاء على الخرطوم لان قيام الثورة في ضواحي سواكن يضطر الحكومة الى اعادة الجنود الى مصري ترسلهم عن طريق دنقله أو العظمور فلا يصلون الخرطوم في أقل من عامين على ان هذه الطريقة كانت تأتي بالنتيجة المذكورة لو لم يردد المهدي في قبولها لان الاشهر التي أقامها عثمان عند المهدي كانت كافية لبلوغ معظم الجنود بربر فلم ينجح عثمان فيما كان دبره له أستاذة من عرقلة سير الحملة وسد الطريق في وجهها وان نجح من جهة أخرى حيث خلع أهالي شرق السودان أجمعون طاعة الحكومة والتفوا حوله وبلغ ما كانت تحمته بالارتقاء اليه زائرجته ونال فوق ما كان يتمناه ثم أخذ أمره بالاضمحلال وساءت أفعاله وثقلت وطأته على الذين شدوا أزره وتجردوا النصرته وكان سقوطه مساوياً لارتفاعه كما سنشرحه بعد

ذكر أوبة عثمان دقنه الى سواكن

لما اقتنع المهدي بسلامة نية الشيخ الطاهر خاف أن تفوته فرصة عرقلة سير الجنود من سواكن الى بربر فسير عثمان دقنه من الأبيض في شهر ذي القعدة سنة ١٣٠٠ وكتب له منشوراً الى جميع أهالي السودان يعلمهم بأمر دعوته ويأمرهم بطاعته وموازرته وقد بحثنا على صورة هذا المنشور في مجلدَي المنشورات فلم نظفر بها ولكن عثرنا على منشور كتبه بعد ان وصل

الى سواكن يعظه فيه واتباعه ويزهدهم في الدنيا
أما المنشور الذي يتضمن توليته فنورد فخواه نقلا عن مصادر أخرى
وهو بعد ذكر ما أصاب الاسلام من الضعف وما انتابه من تعطيل الحدود
انني قد وجهت اليكم الشيخ عثمان بن أبي بكر دقته السواكني نائبا عني فيكم
فبايعوه ووازره وانصروه وانني أرف لكم بشري ما أتاح الله لي من
النصر والاستيلاء على كوردقان كلها ولكم البشري أيضا بان الله سينصركم
ويثبت أقدامكم ويورثكم السودان الشرقي ويهلك من فيه من جنود
الحكومة لقوله تعالى (ألم نهلك الأولين ثم نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين)
وأما المنشور الذي تضمن عبارات الوعظ والتهديد فان بعضهم يقول انه
صدر مع هذا المنشور وهذا قول لا نصيب له من الصحة اذ المنشور يتضمن
عبارات كثيرة من المدح والثناء على عثمان دقته مما يدل على انه صدر بعد
ان عاد عثمان الى سواكن وبدأ بتثيل رواياته التي أدهشت المهدي نفسه كما
أدهشت العالم كله لانه لم يكن يتوقع منه مثل هذه الاعمال الباهرة وهاهي
صورة المنشور بنصها نقلا عن الجزء الاول من كتاب المنشورات صحيفة ٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن
العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الي حبيبه وصفه وعونه
ونائبه في اقامة دين الله ذي الرأفة بالضعفاء عباد الله المستسلمين المنيبين الى
الله والشدة على المتكبرين اعداء الله عثمان بن أبي بكر دقته وقاه الله كل
محنة وجعله الله من أعلا أهل المكرمة. حبيبي ان الدين قد انهدم بسبب تشييد
الحظوظ النفسية السفلية التي تزول عن قريب وتحجب عن دوام النصيب

فشمر انت واخوانك التابعون لنا عن ساعد الجدة على ترك المشتبهات النفسية
ومقاساة الشدائد التي تقرب الى رب البرية فيدوم خيرها في الدار الآخروية
والمعلوم أن الخير الذي لا يدوم خير منه الشر الذي لا يدوم لان صاحب الخير
الذي زال أشد الناس حسرة وتوجعا وصاحب الشر الذي زال أشد الناس
فرحاً وسروراً فلما علم العاقل المؤمن بما عند الله عاقبة خيرات الدنيا زهداها
لشؤمها عند الفوات وشدة حسرتها عند الممات مع انها تشغل مما في الآخرة
وتصرف عن القيام لله خالصا والوثوق بالله صادقا فانيبوا لما عند الله واكتفوا
بالله ولا تتنعموا في دار البلايا ودار الظالمين الاشقياء فتصرفوا بذلك عما أعد
للمتقين واقتدوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الاعراض عن الدنيا
ومتاعها واصبروا على الجوع والخضوع لما عند الله بالقلب القنوع واعلموا انه
لو كان في الدنيا خير لصبها الله على عبده المؤمن ولا عطاء كل ما عند الكفار
ولكن ليست هذه الدنيا محل العطاء ولا دار الجزاء ولا زمن السراء فاعرفوا
ما خلقت له من الاكتساب منها الى محل الاجتماع بالاحياء ودوام اللقاء فيها
يا احبابي ولا تعطلوا بهذه الدار مع من تعطل بها لغروره بمحض البلاء قال الله
تعالى «انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم أحسن عملا وانا لجالعون
ما عليها صعيذاً جرذاً» فخير الدنيا مؤد الى الوقوع في الهوي الخلاء وانظروا
ثواب ما فيها من البلاء اذ قال الله تعالى (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع
ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا أصابهم
مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
وأولئك هم المهتدون) فانظروا العطاء الذي في البلاء وهو الصلاة من الله مع
الرحمة والهداية اذا كان البعد راضياً أو صابراً على مراد الله لما عند الله معتقداً

أولوية الله له وشفقته عليه فيحسن به الظن زيادة عما يحسنه في أبيه الشفيق
عليه الذي يعلم خبرته وقدرته وغناه فيعلم يقينا أن أباه الموصوف بتلك الصفات
لولا محض الشفقة عليه وإرادة الخير له لا يفصده ولا يسقيه الدواء المرّ العفن
البشع ولا يأخذ ماله إلا لزيادته له فكذلك المؤمن بالله وبأولوية الله يعلم أن
عند الله خيرا لا تزنه السموات والأرض وما فيهما ويعلم أنه قادر على إعطائه
كل خير ويبيده خزائن الخيرات ولكن المعلوم أن المريض إذا أعطاه أبوه
لذيذ الاطعمة عجلت بموته وإذا أباح له الملاعب والشهوات عن الحبس للتعليم
كبر سفيها جاهلا وكذلك حكمة الله في صرف النعم عن عبده وتنفيره عنها
في الدنيا من هذا القبيل وأعلا علما في ضرره بالحاضر الذي يعقب حسرة
طويلة ولذلك فعل بأصفيائه ما فعل مما هو معلوم وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم (أشدكم بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل) والاعبار في هذا
المعنى كثيرة من الكتاب والسنة فانظروا ما ناله العبد بالبلاء في قوله تعالى
(وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون أولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) فقوله قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون
هو حسن ظن بالله معرفة به لكثرة أياديهِ ونعمه عليه واشتياقا اليه دون
الشهوات التي تكون قبل لقائه فالمعلوم أن من انتسب إلى ملك واخلص في
انتسابه له وعلم الملك أن له حقيقة عمل له كل احسان ورفعته بكل درجة وإذا
علم الملك أيضا من قلب ذلك الشخص أنه إلى أبدِه مستعد من قلبه أنه
لا يرجع إلى غيره أعدله ما يقدر عليه من حسن المأوى فكذلك العبد المؤمن
لما يعلم أيادي الله عليه وأولويته له مع معرفته أنه قادر وغني وخبير يفرح
بما يقضيه عليه قائلا إنا لله يعني نحن ملك الله وهو الأول بنا منا ولما يعلم

انه لا مرجع له الا اليه مع معرفة أياديه وعظمته وما أعده في الآخرة يشاق اليه فقط ويصرف نظره عن ما يعطله قائلًا وإنا اليه راجعون فيثيبه الله بصلوات عليه فيصلي عليه كما صلي على أحبائه من الانبياء والمرسلين والملائكة والمقربين ويرحمه الرحمة الخاصة التي تليق بعظمته وبما ظنه في الله قد سلك طريق الله والجنة فهداه الله الي ذلك لان الجزاء من جنس العمل ومن جاهد يهديه الله كما قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) فلا تطمعوا أحبائي في غير ربكم ولا تتشوفوا لغير دار الدوام مما يزول ويعقب حسرة تطول فتنعموا ببلاء الدنيا لحسن الظن بالله وأعرضوا عن متاع الدنيا التي تعقب الشقاء وحشوا اخواننا الذين معكم بالحال والمقال وكونوا كما قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون) ووطنوا أنفسكم على الرضا بقوله تعالى (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) لتنالوا بالرضا والصبر على مراد الله تحسينا لظنكم بالله الصلوات والرحمة والهداية كما ذكرت ذلك ولا تغفلوا عن ذلك والسلام»

(ملحق)

وانه يا حبيبي بعد وصيتي هذه فليكن اعتمادكم على الله تعالى في كامل أموركم تصديقا وامثالا لقوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) فالتوكل على الله كنز المؤمن لان المؤمن كنزه ربه كما ورد وحيث ان مطمح نظره ربه وصل اليه وجازاه ومن اعتمد على غير الله خذله في محل حاجته كما لا يخفى

ذلك وأيضاً لا تعتمدوا على الكثرة بل اجتهدوا في الصفوة التي هي الاعتماد على الله وحده وزهد الدنيا والتشوف الى ما عند الله في دار البقاء فالذي عندكم ينقد وما عند الله باق فان الكثرة بغير الله خذلان فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين فاصبروا على مراد الله راجين له وانظروا لنصرة الله ولا تمانوا للقوة الاخرى فقد قال تعالى (ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً) فانظروا لذلتكم الحقيقة التي هي عجزكم من أنفسكم اذ أنتم من نظفة مذرة فعل بكم ما ترونه من كمال هيكلكم بقوته والروح التي تتحركون بها هي بيد الله قل الروح من أمر ربي وبنيها الانسان خير منه الطين لانه يصير منتناً ومن نظر هذا المني عرف ان ملكوت كل شيء بيد الله فلا يخشي من غير الله وهو الذي له الخلق والأمر فلا تخشوا الناس واخشوا الله الذي بيده كل شيء وقوموا بأمره له فقد قال الله تعالى (ولينصرن الله من ينصره) فاعتمدوا على الله واكتفوا به واشتاقوا الى الذي عنده والسلام

ولما غادر عثمان دقنه بربر وجد آخر حملة من الجنود نازلة على منهل بين بربر وسواكن اسمه (ككريب) فاخذ يبكي وينتحب ويقول لمن معه ثب على هؤلاء الكفار لنقتلهم فلم يوافق أصحابه وكانوا بضعة أشخاص ثم تابع مسيره والناس يفدون عليه لاخذ البيعة وتقديم الطاعة والخضوع ومع ذلك كان يكم أمره ولم يجاهر بدعوته حتي يجتمع بالشيخ الطاهر

وقد سلم المهدي كتاين بخط يده الى عثمان ليوصلهما له في أحدهما ان نائبه علي السودان الشرقي هو الشيخ الطاهر ويأمر الناس بمبايعته وفي الخطاب الثاني استعطاف له والحاح بقبول هذا المنصب وانه اذا كان مصرأ

على الرفض وعدم القبول فليكن الأمر الناهي في باطن الأمر علي عثمان دقنه
وقد أوصي المهدي عثمان دقنه بترك الامارة لاستاذة اذا رضى بما كتبه
المهدي وان أصر علي رأيه الاول فليكن مؤتمراً بكل ما يأمره به وفي كلا
الحالين ان المسؤول الحقيقي أمام المهدي هو الشيخ الطاهر لا عثمان دقنه
كل هذا يدل على أن المهدي لم يكن واثقاً بعثمان دقنه وقد اتفق الطاهر
وعثمان علي ان يكون الثاني منفذاً لكل أوامر الاول

علي ان عثمان دقنه لم يكن واجداً في نفسه أقل شيء من استاذة وكانا
علي حالتهما الاولى وعثمان أطوع له من يده وكل الاعمال التي كللت بالنجاح
الباهر في أوائل أمر عثمان دقنه كانت من أعمال استاذة وسيأتي ان الشيخ
الطاهر لما لحق بالتمايشي في أم درمان ظهر الخلل في أعمال عثمان دقنه فاعيد
الي سواكن فتدارك الخلل وبعد وفاته هزم عثمان من توكر وتفرقت من
حواله القبائل وقصارى القول ان الفاعل الحقيقي لكل ما جري في السودان
الشرقي هو الشيخ الطاهر وان عثمان دقنه لم يكن الا آلة في يده وهذه
حقيقة لا ينكرها الا الذين يجهلون الحقائق ويحكمون بالاشاعة

ذكر لحاق الشيخ الطاهر بعثمان دقنه وذب المسجونين
كان جواسيس الحكومة في كوردفان أبلغوا الحكمدارية في الخرطوم
أمر عثمان فمؤلت على القبض عليه قبل وصوله الي سواكن فلم تفلح ويقول الثقات
انه قضى عدة أيام في بربر عند صهره والحكام لاهون عنه بالرغم عن تشديد
الحكمدارية في القبض عليه

ولما قرب عثمان من (هندوب) التي لا تبعد عن سواكن بأكثر من خمسة

أميال بعث يعلم الشيخ الطاهر وكان مقيماً في سوا كن مغموراً بنعماء الحكومة
الى درجة انها كانت تكاف المسجونين بقضاء حوائجهم الذاتية كالأبنية وحفر
الآبار اسوة أعمال الحكومة

وفي اليوم الثامن من شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٠ هجرية استأذن الشيخ
الطاهر الحكومة لينادر المدينة الى هندوب حيث عزم على حفر بئر فيها
وتشييد مسجد فأعطته الحكومة ثلاثين مسجوناً من المصريين ليقوموا بهذا
العمل وفي اليوم التالي شخص من المدينة ومعه كل أسرته

ولما أطلع عثمان الشيخ الطاهر على ما كتبه المهدي وألح عليه في
قبول الامارة لم يتغير عن عزمه الاول وقام في وسط الجمع وباع عثمان بيعة
المهدي ونزع ملابسه ولبس شعار المهدي الذي هو القميص المرقع وقبض
عثمان على الثلاثين مسجوناً وذبحهم وكان ذلك ضحوة يوم عيد الاضحى فكان
الناس يقولون نضحى بهؤلاء الكفار

والتفت القبائل كلها حوله وبايعوه اقتداء بالشيخ الطاهر وترامت
أخباره الى كسلا ومصوع ودخلت جميع القبائل في طاعته ماعدا قبيلتي بني
عامر والهباب ثم غادر عثمان ومن التف حوله هندوب لقربها من سوا كن
ولحق (سنكات) لبعدها ومنعتها بالوعور والغابات

هكذا وقد بقي بعض القبائل يبطن الولاء لعثمان ويظاهر الحكومة
بالطاعة حتى كانت واقعة سنكات وقيام الاهلين عن بكرة أبيهم بالثورة وخلع
طاعة الحكومة



ذكر واقعة سنكات وقتل توفيق بك

لما عسكر عثمان في سنكات أصدرت الحكومة أمراً إلى محافظ
سواكن بوجوب القبض عليه فانتدب توفيق بك مأموراً توكر وستين جندياً
للقبض عليه ولم تكن الحكومة عالمة أن عثمان معه نحو عشرين ألف مقاتل
واستصحب توفيق بك شيوخ قبيلتي الشعياب والنوراب اللذين أكدا له
سهولة القبض على عثمان وأقسما له أن يكونا عونين له وما كاد توفيق يصل إلى
(سنكات) حتى فرا منه ولحقا به عثمان الذي بدأ يهاجم الجنود وهم بالرغم من قتلهم
يردونه ويدفعونه بخسائر وفي آخر الأمر تحصن توفيق بك داخل زريبة من
الشوك واحتفر متاريس ليدافع بها حتى صار من أمر الحملة أن عثمان فتك بها
بعد هزيمة الحملة التي كان يقودها محمود طاهر باشا وتلتها هزيمة بيكر باشا كما
يأتي سرد ذلك

ذكر حملة محمود طاهر باشا

لما قررت الحكومة ترك السودان وإخلاءه عهدت إلى محمود طاهر
باشا قيادة خمسة آلاف من الجنود لانتفاذ توكر وسنكات فشخصت الحملة من
سواكن إلى ترنكيتات بحراً ثم سارت براً من ترنكيتات قاصدة توكر
وكان عثمان قد علم بأمر هذه الحملة فحشد جيشاً جراراً يزيد عدده على
خمسين ألف مقاتل كلهم في نهاية الحماص وكن بهم في منتصف الطريق بين
توكر وترنكيتات ولم تقطع الحملة مسيرة عشرة أميال حتى خرج عليها الكمين
من كل ناحية وداهمها على غرة فأوقع بها ولم ينبج منها غير القائد وقليل من
الجنود وغنم عثمان كل ذخيرتها ومدافعها

وعلى أثر ذلك جاءت الانباء الى الحكومة بزيادة الخطر على الخرطوم
وعوات على اجراء عمل من شأنه أن يسهل اخلاءها وصار العدو يشن الغارة
حول المدينة ولولا البحر لاستولي عليها فأرسلت الحكومة البريطانية سفنا
حربية حافظت على المدينة ومنعت وقوعها في قبضة العدو

حملة بيكر باشا

لما هزمت حملة محمود طاهر باشا انتدبت الحكومة بيكر باشا
قومندان الجندرية المصرية ومعه نحو أربعة آلاف جندي وفي أواخر المحرم
سنة ١٣٠١ هجرية استعرض المغفور له الخديوي توفيق باشا جنود بيكر
باشا في القاهرة وأبدى سروره من حسن انتظامهم ثم غادر بيكر باشا
القاهرة قاصداً سواكن ومكث أياماً يخبر رؤساء القبائل بخبرات سلمية فلم تسفر
عن نتيجة مرضية ثم أبدى رغبته الى الحكومة أن تاذن له بمخاطبة قبائل مصوع
عساه يجد منهم حلفاء يعاونونه على فتح الطريق الى كسلا ومنها الى الخرطوم
فصادفت مأموريته بعض النجاح حيث وجد قبائل بني عامر والهاباب ينفرون
من المهدوية ولذا لم يدخلوا في طاعتها فتولد عنده أمل النجاح وأخذ يخبر القبائل
الواقعة بالقرب من كسلا فلم انها كلها دخلت في طاعة المهدوية ورفعت لواء
العصيان على الحكومة

وبعد بحث طويل علم أن الطريق من مصوع الى كسلا مملوءة بالغابات
ومحاطة بكثير من الصموبات وان الطريق من كسلا الى الخرطوم بمعية
وانه يخترق صحراء قاحلة فعاد الى سواكن واخذ في الالهبة للاحف علي توكر
لانتقاذها وانتقاذ سنكات

وفي شهر ربيع الثاني سنة ١٣٠١ هجرية ابجر بيكر باشا بحملته من سواكن الى
ترنكيتات اي في طريق حملة محمود طاهر باشا ثم سار بحملته في ذلك الطريق ولشدة
وعورة المسلك وتكاثر الغابات المظلمة والاشجار العظيمة كانت القوة سائرة
علي هيئة (يولج) تتقدمها المدافع وبجانبيها الفرسان وكان العدو كامنا في الطريق
فوثب عليها عثمان واختلطت مقدمته بمقدمتها فحاول القائد تشكيل قلعة من
المشاة ولكن اسراع العدو في الهجوم وخفة حركاته حالا دون اتمام العمل
فركن من في الساقة الي الفرار والقوا ما بأيديهم من الاسلحة وأثنى العدو
فيهم قتلا وضربا فكانت جملة الخسارة نحو ثلاثة آلاف قتيل ونجا القائد
ولحق بترنكيتات وغنم عثمان كل الاسلحة والمدافع التي كان فيها عدد من
الطراز الكبير جداً

على ان هذه الهزيمة جاءت تلو التي قبلها وبلا سباب عينها الا أن جنود
بيكر باشا أطلقوا نيرانا كانت كافية لارجاع العدو القهقري لو لم يختلط
فرسان العدو بفرسان الحملة فتقوض الجانب الذين يحمونه من هيئة المربع
المستطيل فكان الفشل من نصيب الحملة ولا يعزب عن فكر القاريء ان
هذه الحملة جاءت مذبحتها بعد مذبحه الجنرال هيكس فكانت الدهشة بمصائبها
عظيمة وان توفيق بك كان قد وصلت اليه أخبار تقدمها فكان الامل يملأ
جانيه بأن تنقذه فلما بلغه ما أصابها خرج بجنوده القليلين ليخترق صفوف
العدو إما له وإما عليه فخرج في حالة تدل على ما كانت عليه من الشجاعة التي
ضاعفها اليأس وما كادت جنوده تفارق الزريبة حتي أحاط بها العدو من كل
جانب ومكان وعدده يربو على ستين ألفا أي لسكل رجل من رجاله ألف
من رجال عثمان فقتل هو ووجنوده بعد دفاع اعترف له ووجنوده بفضل الاعداء

وتوفيق بك هذا سوري الاصل كان نصرانياً ثم اعتنق الاسلام ودخل
في خدمة الحكومة

وعلى كل حال فان عثمان نال في أعماله نجاحاً ما كان المهدي يتوهمه
وجاءت أعماله في شرقي السودان معطلة لما كانت عليه سرعة المواصلات
بين بربر وسواكن وتقوى به ساعد المهدي حيث كفاه مكافأة جزء
ليس بقليل من قوات الحكومة كان في الامكان أن تحول بينه وبين تقدمه
الى الخرطوم لو عمدت الحكومة الى ارسالها مع غردون لدى عودته
ومن المدهش ان الحكومة في تلك الايام قصدت فتح طريق من
مصوع الى كسلا فالخرطوم وهي تجهل ما في تلك الطريق من العقبات الكؤود
والصحاري القاحلة ولو عمدت الى فتح هذا الطريق على شاطئ النيل لم تقم
في طريقها صعوبات كالتى قامت في وجه بيكر باشا لما عاد فشلا من مخبرة
القبائل من كسلا ولا أضاعت الاوقات في الاشياء التي لا تعود بفائدة فلا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم

واقعة الجنرال جراهم في النيب

ولما فشلت حملة بيكر باشا قررت الحكومة الانكليزية ارسال قوة
عسكرية لقهر عثمان دقنه وفتح الطريق بين بربر وسواكن وعهدت بقيادة
هذه الجنود الى الجنرال جراهم فوصلت هذه القوة الى سواكن في أواخر شهر
ربيع الثاني سنة ١٣٠١ وبعد بضعة أيام ابحرت منها الى ترنكيتات
على ان المصائب التي حلت بالملتين السابقتين دعت الجنرال جراهم
لاخذ الحذر وعدم الاغترار فصار بحملته وعدد مشاهيها ثلاثة آلاف وفرسانه

ثمانمائة ونحو أربعمائة من المهندسين والطوبجية وجعل الفرسان في جانبي المربع ثم سار المربع من ترنكيتات قبيل الظهر ورافق بيكر باشا الجنرال جراهم هذا ما كان من أمر الجنرال جراهم أما عثمان فقد تحصن في التيب واحتفر خندقاً صغيراً أحاطه بمناريس وضع عليها مدافع الكروب التي غنمها من الواقعتين السابقتين ولكنهم كانوا بلا مؤخرة تحفظهم من الخلف فكانت هذه الغفلة مما شجع الجنرال جراهم فتقدم هاجماً على العدو وكان ضمن رجاله جنود من الذين شهدوا واقعة بيكر فجبنوا ولم يثبتوا في الدفاع وولوا الادبار وكانت مقذوفات العدو متواصلة ومع ذلك لم تجاوبها قنابل الجنرال جراهم وأخيراً تقدمت الحملة حتى صارت على بعد ميل واحد من حصون العدو الذي كانت نيرانه وقنابله شديدة جداً عليها وهناك أخذت نيران الحملة وقنابلها ومترليوزاتها تجاوب مقذوفات العدو وكان أحد جوانب الحملة عرضةً لمقذوفات العدو فأراد القائد ابدال شكل المربع بطريقة تصير الأضرار خفيفة فلم يفلح وجرح كولونيل انكليزي فاغتنم عثمان الفرصة وزحف بكتبة غربية ثم اشتبك مع الحملة وصار القتال بالسلاح الأبيض وبعد بضع ساعات انفصل الجيشان ووضعت أوزار الحرب وخسر عثمان نحو ثلاثة آلاف قتيل وتقهقر إلى (توكر) وتابع الجنرال جراهم مسيره متأثراً له فلم يصادف مقاومة في طريقه وكان عثمان يقصد من هذا التقهقر ان يغتر الجنرال جراهم ويتأثره فإذا توغل في الغابات وأدرك جنوده بعض التعب يكر عليه ولكن الجنرال أدرك الحيلة وقفل راجعاً من توكر ولم يتأثر العدو وقتل بكباشى انكليزي وجرح بيكر باشا وقد وصلت أخبار هذه الهزيمة إلى غردون في الخرطوم وهو في أوائل

الحصار فكانت مما ضاعف احزانه وسيأتى ذكر ذلك على حدة

ذكر تقدم عثمان دقنه الى سواكن

قلنا ان عثمان كان يقصد بالتقهقر التفرير بالحملة حتى تتأثره فلما أدرك قائدها الحيلة وقفلت راجعة الى سواكن أخذ يعض أنامل التندم لفوات الفرصة حيث كان في امكانه معاودة الكرة عليها في طريق توكر أو بعد احتلالها اياها فزحف على سواكن وتحصن في مكان يدعى (طمية) وأرسل قسما من رجاله يناوشون المدينة حتى يضطروا الحامية الى الخروج اليهم فاشتدت وطأتهم على المدينة وكادت تسقط في أيديهم لولا نيران السفن الانكليزية التي اضطرتهم الى النكوص على اعقابهم مرات عديدة وكان ذلك مما أياس الجنرال جراهم الذي كان آملاً فتح الطريق بين بربر وسواكن

ذكر واقعة طمية

ولما كثرت غارات العدو على سواكن حمل الجنود الانكليز على العدو وخرجوا فتقهقر المغيرون أمامهم حتى بلغوا طمية ولما تراى الجمعان لزم الجنود خطة لدفاع وتحصنوا داخل زريبة من الشوك فانقض العدو عليهم ليلا وذبح عدداً كبيراً منهم وما زالوا في دفاع حتى مطلع الفجر فانقسم الجنود قسمين وشكلوا مربعين أحدهما يقوده الجنرال بول والثاني يقوده الجنرال دافيس وتقدم هذا نحو العدو الذي قابله بثبات مدهش وفتك باكثر الجنود واختلط بهم فتدارك القائد الامر وتقهقر بانتظام حتى صار حيال مربع الجنرال بول وأخذ المربعان في اطلاق النار على العدو

مما فتقهر بخسائر جمة وبلغ عدد من قتل من الجنود الانكليزية نحو أربعة
آلاف ويقال ان جنود الجنرال دافيس أظهرت جبنا واحجبت عن اطلاق
النار حتي تمكن العدو من الدنو منها وعادت الحملة الى سواكن
أما عثمان فقد أعاد الكرة على سواكن وأخذ يوالي حث القبائل على
الجهاد وذلك كله ليمنع تقدم أى قوة الى بربر يشتد بها ساعد غردون وأرسل
دعاة كثيرين حصروا كسلا كما سيأتي ذكر ذلك في مكانه

ولما اتحد المربعان تقدمت الجنود قليلا الى معسكر العدو وأشعلت
النار في معسكره وأحرقت خيامه واسرت كثيرا من العائلات والنساء
ولحق العدو بعض خور اضطره الى عدم تأثرها حتي بلغت سواكن
وقد تعالي مكاتبو الجرائد الانكليزية في وصف هذه الحادثة الى حد
انهم قالوا بان الدراويش اشجع رجال في الدنيا وأكثر الناس خبرة
بفنون الحرب

على أن الحقيقة عكس ما قالوا لان القوم لم يكونوا الا في الدرك الاسفل
من الغباوة والجهل وما أظهروه من الشجاعة كان نتيجة ما كان يقال لهم عن
نعيم الجنة وحياة الشهداء فهم يريدون احراز ذلك والتمتع به. هذا وقد امتدح
المجذوب بن الشيخ الطاهر عثمان دقته بقصيدة طويلة عقب هذه
الواقعة مطلعها

بطل تهاب بنو الاصيفرياسه لم لاوساء صبايحهم تكرارا
والقصيدة طويلة اكتفينا بايراد مطلعها لخلوها من الفائدة وتضمنها الغلو
في المدح والخروج عن حد الادب في ذم الحكومة وهجائها

ذكر تقدم الجنرال جراهم الى بربر

وفي غضون ذلك وردت الاخبار الى القاهرة ولندره بقطع الاسلاك
التلغرافية بين الخرطوم والقاهرة وشرع العدو يحاصر الخرطوم فقررت
الحكومة الانكليزية ارسال حملة الجنرال جراهم لفتح الطريق بين بربر
وسواكن وأمرت الجنرال جراهم بالحملة على عثمان دقنه واختراق الصحراء
للوصول الى بربر

وكان لعثمان دقنه عيون في داخل سواكن يبلغونه كل أخبار الحكومة
ونواياها ولما سمع هذا الخبر سر به وعزم على عدم مقاومة الحملة بالقرب من
سواكن وإخلاء الطريق لها حتى تتوغل في الصحراء وهناك يشور في وجهها
ويتمكن من إبادتها

ولما خرج الجنرال جراهم كان علي حذر شديد وتقدم في الصحراء
مسيرة يوم وليلة ثم علم بحقيقة ما دبر له وعلم أنه ان تابع مسيره كانت عاقبته
لا تختلف عن مغبة حملة الجنرال هيكل فصمم على العودة إلى سواكن قبل أن
تطرا ظروف تجعل السلامة في خبر كان فعاد ولم يصادف كيـدا في
ذهابه أو إياه

ولما سمع عثمان بعودة الجنرال جراهم أسرع اليه ليهاجمه قبل أن يبلغ
سواكن فلم يفلح وبلغت الحملة أمنها سالمة غير ظافرة بشيء مما كانت تتوق اليه
وبهذه الحملة ختمت رواية الجنرال جراهم حيث غادر سواكن وانصرفت
أمال الحكومتين المصرية والانكليزية عن فتح الطريق بين سواكن وبربر
وأصبح الامل ضعيفا من اسعاف غوردون وامداده من جهة السودان

الشرقي حيمال ما أظهره عثمان من القوة والبسالة اللتين أدهشتا العالم أجمع
وشددت عزائمهم وقوت أمله في الاستيلاء على الخرطوم ووقوع السودان
كله تحت قهره وجبروته

وفي غضون ذلك كانت القبائل التي حول بربر رفعت رأسها للثورة
وسقطت بربر في يد المهدي والجلالة أن جميع حركات الجنرال جراهم لم
تعد باقل فائدة بل كانت مما قوى ساعد العصاة بما غنوه من الأسلحة والذخيرة
والى الله مصير الأمور

وانسحب الجنرال جراهم من سواكن بكل عساكره ولم يترك غير مائتين
منهم ليقوموا بحراسة المدينة مع السفن الانكليزية
وكان انسحاب الجنرال جراهم من سواكن بعد أسبوعين مضيا على حصر
غوردون وقطع الاسلاك البرقية بين الخرطوم ومصر

ذكر حوادث كسلا

كان السيد محمد عثمان الميرغني شيخ الطريقة الميرغنية مقبلا في قريته
(الحتمية) بجوار كسلا وقد خاطبه المهدي مرات عديدة يدعو به الى القيام
بدعوته في إقليم (التاكا) فكان لا يجاوبه بحرف واحد واعرض عن إجابته
كل الاعراض

وفي شوال سنة ١٣٠١ كتب له خطابا ملأه بالوعود والوعيد وصرح له بان
لأنجاة له الا باحد امرين اما اللحاق به أو القيام بدعوته تحت إمرة عثمان
دقنه وعرض له وسأله ان لا يأتي من رئاسة عثمان دقنه عليه لان ذلك لا يؤخر
مثله عن نصره الدين ولو كان عثمان (شيلكاويا) نسبة الى قبيلة (شلك) في

مقاطعة فشوده وهي قبيلة من العبيد لادين لها ينام افرادها على الرماذ ويغسلون وجوههم ببول البقر ويمشون عراة كيوم ولدتهم أمهاتهم وهما هي صورة المنشور بنصها نقلا عن الجزء الثاني من المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد
فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه في الله محمد عثمان بن
محمد الحسن ميرغني كان له مولاه النبي امين

أما بعد فجزيل السلام ورحمة الله وبركاته عليكم وعلى من لديكم ثم نعلمكم
انه قد تكررت المخاطبات منا الى عباد الله بالدعوة الى الله والالتابة الى
ما عنده والقيام بأمره والالتقياد له والخروج عن النفس والعلاقة المعوقة
وكل من أخلص لله وكان أمره لله قد اتصل لدين الله معنا ومن لم يجتمع
وقام بأمر الله على قصد إعانتنا وقاسى الشدائد لصفاء سريرته في إثارة ما عند
الله فهو منا والينا ولو مات على ذلك فخير ان يتصل بربه ويتنعم عنده بما
لا يوصف من النعيم المقيم ويستريح من شؤم الدنيا وقد كاتبناك خاصة غير
مرة رعاية لمقامكم وشفقة عليكم وظنا للخير بكم فما رددتم الينا جوابا ولا
حضرتم للهجرة ولا حصلت منكم غيرة للدين بأعمال حركة في جهتكم وما
أدري ما المانع لكم من ذلك مع انكم أولى بالفرح بنا واجابتنا ونصرة دين
الله تعالى من كل أحد فما الذي أخركم حتي فاتكم العوام وأنتم المارفون
وأولو الشرف والمقام وذوو الالباب الذين قال الله فيهم «ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار آيات لا ولي الالباب الذين يذكرون الله قياما
وقموذاً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت

هذا باطلا سبعا لك فقنا عذاب النار ربنا أنك من تدخل النار فقد أخزيت
 وما للظالمين من انصار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم
 فآمنّا « وأنت من أعظم من يعد ويظن بالصدّاقة والاخلاص لله في مثل هذا
 الامر وما عهدتك أنك تتباطى على قدر هكذا لانك جد عارف بعظمة
 ما عند الله وخسة الدنيا وما فيها ووجوب الهجرة الى اذانه لا يخفى على من
 دونك نورا اني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم محي ما اندرس من الدين
 ومظاهر آثار المرسلين ومن المعلوم ان المهدية اختبار لمن يدعي الدين فكل
 من كان لدين الله الخالص صادقا لا يأبى التمسك والانقياد والتواضع لحوز ما عند
 الله الدائم ومن كان باطنه حب الجاه وما يجبي اليه من الهدايا والوظيفة عند
 غير الله مال الى ذلك وتوقف وصرف جماعة من الناس عن الدين الواصل
 كما كان ذلك دأب القسيسين والرهبان الذين كانوا يرفقون رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ويستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به خوفا من فوات
 الجاه والوظيفة عند الناس وما يجبي اليهم من الهدايا والقطائف حبا لمتاع الحياة
 الدنيا وما ذلك عند الله بمخلص ولا يتولى العبد عند لقاء الله قال تعالى « ليس بآمانكم
 ولا آمانى أهل الكتاب من يعمل سوء فيجز به ولا يجده من دون الله وليا ولا نصيرا »
 وقال « وما يغنى عنه ماله اذا تردى » الى غير ذلك وأنت يا حبيبنا ممن لم يكن
 دينه على حرف ان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه
 بل أنت ممن يطلب رضا الله ولو تقطعت اربا اربا وقاتت عنك المطالب
 النفسية لما تعلمه من عظمة الله ونعمته وشدة عقابه لمن وقع فيه وكل ذلك
 أنت خبير به وشانك ان تربى من آتاك هكذا فاستعمل ذلك وتبصر عاقبة
 أمرك فانه لا غناء لك من صلاح نفسك واكتساب ما عند الله وأنت من

أعظم من يقبل النصيح تواضعا لله الذي خلق وأحيا واليه المرجع ومن أخص
المؤمنين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه فإذا بلغك جوابي هذا فاما
ان تهاجر الى أنت ومن معك من الاصحاب المحبين من غير نظر الى علاقة
واما ان تحاصروا الترك الذين في جهنم وتجاهدوا من اغتر بزينة الدنيا ولا
رضاء لنا عنكم الا بهذين الامرين فان فعلتم احدهما رضينا عليكم والا فلا
وقد تعلم انه لا يتحول أحد بغير الله فلا تخافوا اعداء الله الذين نواصيهم بيد
الله واستعملوا أمر الله فيهم ولا تأبوا بلاء الله لكم لتصفية الايمان والنور
عند الرحمن فالي متحجب الفرار من بلاء الله تعالى الذي فيه لكم الكرامة
والفخامة والله تعالى يقول «ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين
خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا» وكيف لمثلك ان يركن الى
الراحة وترف المترفين في دار الظالمين فانهم همتهك وقوا بالله عزمك وشر
فيما يرضيه جهدك وقد ذكرتك بهذا امثالا لامر الله تعالى لقوله «وذكر فان
الذكرى تنفع المؤمنين» هذا واذا توكلتم على الله ورغبتم في الجهاد والمحاصرة هناك
فاتحدوا مع عثمان دقنه مع جميع الامراء الموجودين هناك ولا تخالفوا عثمان
دقنه في شيء ولا تأنفوا من ذلك فان منزلتكم عندنا معروفة وأولى التقدم
المذكور في ايثار ما عند الله والرغبة في وسع درجات الآخرة لمعلومكم ان
ما عند الله خير وأبقى ومعلوم ان العاقل يسعى فيما هو خير ولا سيما وقوة
احاطتكم بمعرفة عظمة ما عند الله ومعرفة خسة الدنيا وما فيها فلذلك لا يخفى
ان المخلص في طلب ما عند الله يطلب قلبه ان يشيد الدين وبؤيده ولو مع شاكوى
وان قصد المؤمن المصدق حوز رضاء الله والسعي فيما يقربه من الله ومن
كان على حرف من الدين فرح ان وجد الرياسة والمال والمنافع الفانية وان

لم يجد ذلك نازع أو أعرض أعادنا الله وإياكم من ذلك إذ أن ذلك للمناقضين الذين قصرت همهم على الدنيا فرضوا بها واطمأنوا غافلين عن آيات الله تعالى ولم يجعل الدار الآخرة إلا للمؤمنين المخلصين قال الله تعالى «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً» فارادة العلو مفهومة وإرادة الفساد أعظمها حب الدنيا اذ هي رأس كل خطيئة ولظننا ببراءة ساحتكم عن ذلك كاتبناكم أولاً من ابتداء أمر المهدي لظن الخير فيكم وقيامكم بخالص الدين وما نظن توقفكم عن الهجرة والجهاد الى هذا الآن الا بحسد الحاسدين وصرف المعرضين فاذا بلغكم جوابي هذا فحققوا ظني فيكم وقد ذكرنا لكم ان ذا الكشف الصادق والدكم السيد الحسن أشار الينا مراراً وتكراراً بالمحلات وبعض الصفات التي تحققت فبعد هذا فثلكم أولى بالقيام بما لله وإيثاره على جميع المشاهي والسلام شوال سنة ١٣٠١

ولما وقف السيد محمد عثمان الميرغني على كتاب المهدي له أرسل يدعو القبائل لاجتماع عام عند سفح جبل (تكروف) فاجتمع ألوف منهم فقام فيهم خطيباً يسألهم أن يعرضوا عن دعوة المهدي وحذرهم الفتنة فكان جوابهم له السخرية والازدراء فعاد الى قريته واخذ في الالهبة لارحيل ومحض النصيح لكل من قابله بمغادرة السودان الى الحبشة والقرار من وجه الفتنة وقال لاتباعه فروا بدينكم وغادروا (التاكا) الى بلاد الحبشة ومنها الى مصوع فسواكن لان الطريق من كسلا الى مصوع كانت مملوءة بدعاة المهدي واكثر القبائل دانت بالطاعة لعثمان دقته ولم يتخلف عليه غير قبيلتي (بنى عامر والهاباب) لانهما أتباع الطريقة الميرغنية واوغلتا في البلاد حتى قرب مصوع وتخلقت عليه قبيلة (الحران) وهي قبيلة تسكن شرقي نهر أتيه بين حدود الحبشة وكسلا ورئيسها يدعي (عجيل)

ففرح باكثر قبيلته الى بلاد الحبشة حيث امدد الملك يوحنا بما يحتاجه وجعله
مرابطا في حدود بلاده يدفع عنها غارة المهديين ويوالي الغارة على بلادهم
وسنأتي على بقية حوادثه

ونقل لنا بعضهم عن الشيخ مضوي عبد الرحمن انه قال لما دخلت حدود
الحبشة فارأى من عبد الله التعايشي قابلي الشيخ عجيل الجبراني بالحفاوة والاكرام
فلما حضرت صلاة المغرب قام يصلي بالناس اماما وبعد تكبيرة الاحرام رفع
صوته بالقراءة فقال ياسيدي محمد عثمان الميرغني الكبير ياسيدي الحسن ياسيدي
محمد عثمان الصغير وصار يعدد أسماء آل بيت الميرغني صغيرهم وكبيرهم
ذكورهم واناثهم بيا النداء حتي جاء علي آخرهم ثم كبر للركوع ثم رفع وسجد
ثم عاد للقراءة بمثل الركعة الاولى ولما انتهت الصلاة كان بجانب رجل من أهل
العلم فالتفت اليّ مسرعا وقال اياك ان تفوه ببنت شفة فقد مضى علينا سنوات
نصلي هكذا وقد ضربت أعناق كثيرين لاقل كلمة ابدوها في الاعتراض علي
هذه الصلاة فالتزمت السكوت وكانت قبائل شرقي السودان الى اوائل القرن
الثالث عشر من الهجرة مثل سائر زنوج افريقية ولم ينتشر الاسلام بينها الا
بعد ان استوطن السيد محمد عثمان الميرغني بين ظهرانيهم

وقبل وصول هذا الكتاب الى السيد محمد عثمان كان رجل يدعى
الكميلابي جاء من قبل عثمان دقته بدعوة المهدية وقطع الاسلاك التلغرافية بين
كسلا وسواكن وقتل صنجا اسم جباره اغا كان يجي الضريبة من الاهل
فانتدبت الحكومة راشد كال باشا قومندان حدود الحبشة في قوة
كبيرة للقبض على هذا الداعية وبعد مسير القوة اياما عديدة صدر لها الامر
بالعودة فعادت بغيران تصادف كيدا

ويقال إن السبب في رجوع الحملة هو أن جماعة من أعيان البلاد
كتبوا عرائض على لسان البرق للحكومة يظهرون ولائهم وطاعتهم للحكومة
وكان ذلك خدعة لها فاعترت الحكومة وأصدرت الأوامر برجوع الحملة
ويوجد في صحراء (ريره) التي بين النيل الأزرق ونهر أبترة قبيلة الشكرية
التي رفضت الدخول في دعوة المهديّة محافظة على ولائالحكومة
والى هنا نكتفى بإيراد حوادث السودان الشرقي حيث نشبع الكلام عليها
بعد إيراد حوادث الخرطوم وسقوطه في يد المهديين والله الموفق



✽ الخرطوم قبل قدوم غوردون عليها ✽

ذكرنا أن الحكومة لما اتصل بها نبأ هزيمة الجنرال هيكس وهلاكه ارتبكت وأمرت بجلاء حاميات الدويم والكوة وفشوده وسنار لتعزز حامية الخرطوم حتى تصير قادرة على حفظ خط الرجوع الى مصر حيث عولت على اخلاء الخرطوم وترك السودان غنيمة للمهدي

ولما اتصل النبأ بوكيل الحكمдарية حسين سري باشا اذاعه وأخذ الناس في الالهبة للرحيل ولكن معدات النقل لم تكن كافية فكانت أجرة الشخص في المراكب الشراعية لا تقل عن عشرين ريالاً مجيداً من الخرطوم الى بربر وأجرة حمل الجمل من هذه الى كروسكو لا تقل عن خمسين ريالاً مع أن الاولى كانت لا تتجاوز ثلاثة قروش والثانية ثلاثة ريالات وتوات الانذارت من المهدي الى سكان الخرطوم بالتسليم وكان وكيل الحكمдарية يقول للناس جهاراً انزحوا من الخرطوم الى مصر أو الى المهدي فقد تركت الحكومة بلادكم والقت زمام أحكامكم الى المهدي فكانت هذه الاقوال مما جراً الاهلين المتحفزين للثورة وخلع نير الطاعة عليهما

هذا وقد ظهر دعاة كثيرون سنورد أخبارهم ونستقصي أعمالهم للوقوف عليها حتى لا يفوت القارئ شيء منها



ذكر عصيان الشيخ العبيد بدر

الشيخ العبيد بدر من قبيلة اسمها (المسلمية) تسكن في الفيافي التي

تبعد عن ضفة النيل الأزرق شرقي الخرطوم وتعيش بلبن الماشية الصغيرة والزراعة

وكان الشيخ العبيد هذا أمياً يرعى غنم الناس بالاجرة ثم تظاهر بالانخراط في سلك الطريقة القادرية وكان على جانب عظيم من الذكاء والفطنة استخدمهما بين أولئك الاعراب حتى اجتمع حوله أتباع كثيرون ومما اشتهر عنه ان اعترافاً قال له ان حماري ضاع فقال له شرب سمناً فشربه ولما احس بالاسهال خرج الى الفلاة فعثر على حماره وسط الاشجار فعد أولئك الاغبياء ذلك من اكبر الكرامات للشيخ العبيد وشرب السمن للدواء شائع في السودان كله حتي ان الدواء اما ان يكون السمن أو الكي بالنار أو العشبة أو الرقية بالقرآن

وكان الشيخ العبيد مشهوراً بين قبائل جهته يقصده الناس من اطراف السودان التماساً لبركته ولمداواة مرضاهم وعلاجاته قاصرة علي السمن ويسميه دوا (الفقيه سمن) ويعمل لبعض المرضى عمليات جراحية لمرض كثير الانتشار هناك وهو آفة في الرجل يسميها السودانيون (النبت) وفي الغالب ان عملياته تقرر بالنجاح ويرقى بعض المرضى الذين يصابون بالامراض العقلية التي يطلق عليها العامة لبس الجن لا بدان المصابين بها

وقد حصل الشيخ العبيد على ثروة طائلة من هذه الاشياء واهب بح نافذ الكلمة بين القبائل التي تسكن شرقي الخرطوم وصرعى الجانب عند كل قبائل السودان وهو يسكن في قريته التي تبعد عن الخرطوم مسيرة مرحلتين في الضفة الشرقية واسمها (ام ضبان) أي ان الدباب كثير فيها وسيأتي ذكر قتل محمد علي ونحو ثلاثة آلاف جندي بهذه القرية

ولما ظفر المهدي بحملة الجنرال هيكس أرسل كتابا الى الشيخ العبيد يدعو الى الدخول في دعوته وان لا نجاة له الا بالقدوم عليه او حصر الخرطوم وعرض له بذكر الشريف أحمد طه الذي تقدم خبر قتله وكان الشيخ العبيد ملازمًا لحياد مدة قيام المهدي بكونه دقان فكان يظاهر المهدي ولا يحب ان تسمع عنه الحكومة الميل بلهته فكان اذا سأله سائل عن حقيقة دعوى المهدي يجيبه بمبارته المشهورة وهي (اذا كان مهدي جيد لنا وان كان مامهدي شين لنا) ومعناها اذا كان مهديا فانه جيد لنا وان لم يكن مهديا فاي شيء لنا وهذا الجواب يدل على ما كان عليه هذا الرجل من الدهاء وكان رسل المهدي واتباعه اذا جاؤهم يقابلهم بالاكرام ويسر اليهم انه منهم واذا جاء عمال الحكومة اظهر لهم الطاعة ونوه لهم عن الضعف بعبارة عامية مشهورة ايضاً وهي (أنا جنيزه محنطه وجديده مكشنه) ومعناها انا كالجنائز المكفنة ان حملت الى المقابر فانها لا تقاوم أو كدجاجة مطبوخة بالبصل لا تقاوم من يريد أكلها ويقول البعض ان الرجل ولو انه أول من حاصر الخرطوم وقتل عدداً كبيراً من جنودها في واقعة أم ضبان فانه مكره اخاك لا بطل وكان الشيخ العبيد قبل ظهور المهدي بعدة سنوات يكره دخول مدينة الخرطوم ويقول كلمة مشهورة ايضاً (بركة القيوم ما أدخل الخرطوم) أي أسأل القيوم أن لا يدخلني الخرطوم وكثير من أتباعه يقولون انه عالم بطريق الكشف وخرق حجب المغيبات بما يصيب أهل الخرطوم من البلاء ولذلك كان يخشي ان يصيبه ما يصيبهم الي غير ذلك من الامور التي ليس في وسعنا ايراد جميعها في مثل هذا المؤلف لعدم فائدتها

وحاصل القول انه رجل من أدهى أهل بلاده ولذا لم تقدر على الحكم

بحقيقة نيته بل تترك الحكم ويقرب من الظن انه كان مكرها لا بطلا والله
أعلم بالصواب وهذه صورة الكتاب نقلا عن الجزء الثاني من المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد
فن العبد المفتقر الي مولاه محمد المهدي بن عبد الله الي حبيبه في الله (العبيد
بدر) وقاه الله جميع الضر ووفقه على ما عند الله يسر ومن معه من المحبين
حبيبي قد تكررت المخاطبات الي عباد الله الانابة الي ما عند الله والالتقياد لامر
الله والخروج عن النفس والعلاقة المعوقة وكل من أخلص لله وكان امره لله
قد اتصل لدين الله معناه ومن لم يجتمع وقام بامر الله علي قصد اعانتنا وقاسى
الشدائد لصفاء سريره في ايثار ما عند الله ومات علي ذلك اتصل بربه وتنعم بما
لا يوصف من النعيم واستراح من شؤم الدنيا كأحمد بن طه الشريف
المعلوم الذي جاهد الترك ومات علي صدق حبه واتباعه وكذلك أمثاله قال الله
تعالى « ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أؤذى في الله جعل فتنة الناس كعذاب
الله » فحاشا ان من له معرفة يجعل فتنة الناس في الدنيا كعذاب الله
في الآخرة بل هان عليه كل تعب ومشقة في الدنيا ليسلم من عذاب الله
الذي لا يساوى عذاب الناس في جنبه بشيء ما ولا سيما ما عند الله من الخيرات
التي لا تزن الدنيا جميعها فيها شيأ قليلا كما ورد فمن نظر ذلك هان عليه قوات
كل متعة في الدنيا ومفارقة كل حبيب بالنظر الي الدوام العظيم كما هان عليه
مقاساة شدائد لدنيا بالنظر الي شدة عذاب الآخرة وانك من أعظم من
يعد ويظن بالصدقة والاخلاص لما عند الله وما عهدتك انك تتباطى
علي قدر هكذا مع انك جد عارف بمظمة ما عند الله وخسة الدنيا وما فيها

ووجوب الهجرة الى اذانه لا يخفى على من دونك نوراً انى خليفة رسول
 الله صلى الله عليه وسلم محي ما اندرس من الدين وسنة رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ومن المعلوم عند ذوي العرفان ان المهدية اختبار لمن يدعى الدين
 فكل من كان لدين الله الخالص صادقاً لا يأبى التمسك والانقياد والتواضع
 لحوز ما عند الله الدائم ومن كان باطنه حب الجاه وما يجبي اليه من الهدايا
 والوظيفة عند الناس توقف عن الانقياد لاجل ذلك وصرف جماعة من
 الناس عن الدين الواصل لله كما كان ذلك دأب الاحبار والقسيسين والرهبان
 الذين كانوا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستفتحون به فلما جاءهم
 ما عرفوا كفروا به خوفاً من قوات الجاه والوظيفة عند الناس وما يجبي اليهم من
 الهدايا والقطائف لمتاع الحياة وما ذلك عند الله بمخلص ولا يتولى العبد عند
 لقاء الله قال تعالى «ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سواً يحزبه
 ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً» وقوله تعالى «وما يغني عنه ماله اذا
 تردى» الى غير ذلك وذلك من المعلوم عندك وانك ممن لم يكن دينه على حرف
 فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه بل أنت ممن
 يطلب ما عند الله ولو تقطعت اربا اربا وفاتت جميع المطالب النفسية لما تعلم
 ما هو عند الله من العظمة التي لا توازيها جميع المطالب بل من فاته ذلك ووقع
 في عقاب الله الذي هو معلوم بالشدة أحب ان يفتردي بجميع ما في الدنيا من
 محبوباته التي لا يبقى له منها عن قريب اثر شيء منها وكل ذلك وأنت تربى به
 من أتاك فاستعمل ذلك حبيبي فانه لا غناء لك من صلاح نفسك واكتساب
 ما عند الله وانك من أعظم من يقبل النصيح تواضعاً لله الذي خلق وأحيى واليه
 المرجع وقد وعد وأوعد كما قال تعالى «وذكر فان لذكرى تنفع المؤمنين» فليس

بمد الله شيء ولا أصدق من قوله وانك من أخص المؤمنين الذين يستمعون
القول فيطيعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب
وفقني الله وإياك والمسلمين لما يحب ويرضى فاذا بلغك جوابي هذا فاما أن
تهاجر أنت ومن معك من الأصحاب المحبين ومن يطلب ما عند رب العالمين
من غير نظر الى علاقة وإما أن تحاصروا الخرطوم وتجاهدوا من اغتر بزينة
الدنيا ومتاعها عن الصدق مع الحي القيوم حتى نأتيكم ولا رضاء لنا عنكم الا
بهذين الأمرين فاذا فعلتم رضينا عليكم وأنت تعلم انه لا يتحول أحد بنير الله
فلا تخافوا أعداء الله الذين هم نواصيهم بيده واستعملوا أمر الله فيهم فانه أحق
أن يخشى ولا تأبوا بلاء الله لكم لتصفية الإيمان والفوز عند الرحمن فالى
متى الفرار من بلاء الله تعالى الذي فيه لكم الفخامة والكرامة فقد قال الله
تعالى « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم
مستهم البأساء والضراء وزلزلوا » الى غير ذلك من كلام الله في هذا المعنى فلا
تطلبوا الراحة وترف المترفين في دار الظالمين وكل ذلك ذكرتكم به لانك
أهل لذلك وممن له الصداقة مع رب العالمين والسلام اه

وفي اوائل شهر صفر سنة ١٣٠١ قامت عصابات من اتباع الشيخ العبيد
وقطعت اسلاك التلغراف بين الخرطوم وبربر فارتاع لهذا الحادث وكيل
الحكمادارية وارسل وفداً برئاسة أحمد بك على جلاب مدير الخرطوم وسر
التجار وثلاثة من الاعيان ولما دنا رجال الوفد من ام ضبان قابلهم اتباع
الشيخ العبيد بالشتم والسباب وقالوا لهم لما ذا جئتم يا كفار الله اكبر عليكم فلم
يجابوهم بشيء بل دخلوا على الشيخ العبيد الذي قابلهم بالحذر الشديد وقرأ
عليهم ما كتبه له المهدي فقالوا له نحن عازمون على التسليم والدخول في طاعة

المهدي والمخابرة دائرة بيننا وبين مصر وقطع اسلاك التلغراف يعطل هذه
المخابرات وكرروا عليه الرجاء بوجوب التصريح باعادة اصلاح ما تلف من
تلك الاسلاك فاجاب الى ذلك وعاد الوفد الى الخرطوم وارسل وكيل
الحكمدارية سفييتين بخاريتين عادتا بعد اصلاح التلغراف

وعلى اثر هذه الحادثة سقطت هيبة الحكومة سقوطا نهائيا من قلوب
القبائل المجاورة للخرطوم وعدوا ذلك ضعفا وهنالا مزيد عليهما لحقا الحكومة
وما اتصلت الحادثة بالمهدي حتي أيقن بما عليه الحكومة من الضعف الذي
يجعل وقوع الخرطوم في قبضته ضربة لازب وفي غضون ذلك كان محمد بن
البصير داعية المهدي في الجزيرة قد استفحل أمره ودانت بطاعة المهدي على
يده أكثر قبائل الجزيرة وبلدانها

ولما أذن الشيخ العبيد للحكمدارية في اصلاح ما تلفه جماعته من الاسلاك
التلغرافية قامت عليه قيامة الداعية ابن البصير وشدد عليه النكير وكتب الي
المهدي يعلمه بان الشيخ العبيد مذنب يظن الولاء للحكومة ويخضع للمهدية
فكتب المهدي له كتابا جعله آخر خطاب وكتب الي جماعته يستميلهم اليه وهذه
صورة ما جاء الكتابين

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد
فجزيل السلام من عبد ربه الوائق بمولاه محمد المهدي عبدا لله الى حبيبه
العبيد بدر وكافة من كان لله وبذل نفسه في نصرة الدين من عباده المؤمنين
أما بعد فالذي نعلمكم به أيها الاخوان أنه تكررت منا اليكم المخاطبات
والانذارت والمواعظ المكررات التي يهون في جنبها ارتكاب كل صعب

شديد في طاعة الملك المجيد وقد كنا نعدكم للنائبات التي تزل من عدم الصبر
عليها أقدام الثقات لتعمير بواطنكم ووقوفكم بذكر الله ودلائلكم لخلق الله
وعكوفكم على قدم الصدق الذي تنافس فيه أهل الله وحزبه وأنتم أهل دراية
ومعرفة وقد علمتم أن القلب إذا خلا من غير الله يمتلئ نورا ويفيض منه
إلى خلق الله ولا شك أن الرباني المتمسك بالله كامثا لكم شأنه هكذا وسيماه
وعلامته هي عدم الخشية من أحد غير الله وإلى الآن أنتم معدودون عندنا
لأجل ذلك وقد بلغنا عنكم عدم الاهتمام والقيام لمآل الكفرة حيث ندبكم
محمد بن الطيب البصير لذلك فتخلفتم عن إجابته وما كان لكم أن ترغبوا بانفسكم
عن الله ورسوله وتشاركوا المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاي
عذر لكم بعد أمر الله ورسوله وأمرنا هذا وإن كنتم في أشد البلايا فإن
الدين بالبلوي يزيد تجملا ولا يعرف الذهب من الزيف إلا بحرقه في النار ولا
يرغب عن ملة إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام إلا من سفه نفسه
وما أراكم أن ترضوا بذلك لكونكم عندنا من الأخيار فاطلبوا ما عند الله
فالبدار البدار وتوبوا مما توقفتُم لأجله فإنه لا شيء يمتدح به ويستحي المؤمن
إذا وقف بين يدي الله تعالى وينكس رأسه ذليلا منكسرا حيث أثر الغير
على محبة الله وتأنى من طلب الله لأجل شيء ظنه عذرا وتوانى عن نصره الله
فيود أن تسوى به الأرض من شدة وجله وخجله من الله حيث انكشف
له حقيقة حاله عند الله وبعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور فإذا بلغك
جوابي هذا فشمروا وقوا عزمكم في الله وشد حزام العزم والحزم وتوكلوا على
الله واعتصموا به وانتصروا بالله فنعم المولى ونعم النصير وبوصول جوابي هذا
إليك أجمع همك في الله وأرسل لجميع أتباعك وأحبائك وأهلك وعشيرتك في

الله وجاهر في معاداة الكفرة واقطع السكك وبارز بالعداوة ظاهراً وباطناً
بالقتل والاسر والرباط والحصار ولا تتوقف ابداً لامر ما ان كنت ممثلاً
مصدقاً بمهديتنا افعل ذلك ولا تبال بحكم ما فعل محمد الطيب البصير وان
خشيت فانضم اليه وهاجر من محلك الذي انت فيه واتحد معه كيد واحدة
فلا يكون لك بد عن هذا أبداً فخرض المؤمنين على القتال وسلم نفسك
واتباعك من الحساب والسؤال فان من قصد الله ورسوله واقامة الدين يجاهد
عدو الله ورسوله ولو مع شاكوى فلا تغر نفسك فلا يكون رضاي عليك
الا بفعل ما أمرتك به من أحد الامرين مع عود الافادة الينا عاجلاً لنعلم
ما أنت عليه والسلام

ولا تجاوبنا بغير ما أمرناك به ولا تبسط لنا الاعتذار وما قد أنذرك
ومن بلغه الانذار لاحق له في الاعتذار والسلام

« الثاني » ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد
من عبد ربه محمد المهدي بن عبد الله الي احبابه في الله المؤمنين بالله وبكتابه
خصوصاً دفع الله تلميذه العبيد ولد بدر وكافة عصيته ورجاله واتباعه اجمعين اما
بعد فالذي ندلمكم به أيها الاحباب انه جاء الحق وزهق الباطل وقد علمتم
ان خروج المهدي وظهوره كقيام القيامة يتضح فيه أهل الدين والايمان
ويكشف عن الصادقين من الاحباب وانتم أبناء الطريقة وخدمتها المريدون
لحرث الآخرة والمجتهدون فيها وهذه سنة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد ظلمت وايدها الله بظهورنا وأوجب عليكم طاعتنا ونصرتنا في الله لاقامة
الدين وترك كل ما ألهي وشغل من مال وبنين وحيث فهمتم ذلك فانتكم الهجرة

الاولى وكان الله ورسوله والجهاد في سبيله أحب اليكم من كل شيء سواه
فبمجرد وصول جوابنا اليكم صحيفة رافعه محمد الناصر تحزبوا في الله احزابا احزابا
وجهزوا حالكم واستعدوا للقتال والجهاد للكفرة بكل ما أمكنكم وانضموا
الى العبيد بدر وبمجرد سماعكم بحلولنا بالبحر الابيض تقوموا بكامل رجالكم
خفافا وثقالا وقابلوا الخرطوم بجهتكم التي يقال لها القبلة وحاصروا أعداء
الله وضيقوا عليهم فان الله يخزيهم وينصركم عليهم فاني موعود بالنصر والظفر
عليهم باذن الله تعالى ولو كنت وحدي فمن تخلف بعد مجيئنا قدمه هدر
وماله وأولاده غنيمة للمسلمين يكون معلومكم ذلك وبعده السلام
وأیضا كتبنا لوالدكم العبيد بالحصار والجهاد تجاه القبلة للخرطوم وان
يساعدكم على هلاك الكفرة فتعاونوا عليهم فان المؤمنين كالبنیان يشد بعضه
بالبعض يكون معلوم والسلام

وسنعود الي ذكر تأثير هذين الكنايين

ذكر غارة الشيخ مضوي عبدالرحمن علي ارباض الخرطوم ونهب الماشية وهزيمته

في أوائل شهر صفر سنة ١٣٠١ جمع الشيخ مضوي نحو الف رجل
أغار بهم على الخرطوم ونهب نحو ألفي رأس من الماشية كانت ترعى خارج الخندق
ولما تأثرته الجنود فر الى جهة الجديد على بعد مرحلتين من الخرطوم
جهة النيل الأزرق ثم انتدبت الحكمدارية اللواء ابراهيم حيدر باشا في الفين
من المشاة المصريين فأبحر من الخرطوم على باخرتين حتي بلغ الجديد فقابله
الشيخ مضوي براياته وبنوده فصبر لهم حتي اقتربوا من المربع وأصلاهم

ناراً حامية فلم يستطيعوا الثبات عليها وولي قائدهم مذهباً ورأساً سقط نحو مائتين
منهم قتلى وتفرقوا في القلعة ومنذ ذلك اليوم اختفى أثر الشيخ مضوى ولم
يوقف له على خبر إلا بعد أن زحف أبو قرجه وابن البصير وحاصروا الخرطوم من
جهة الجريف كما سيأتي ذكر ذلك في مكانه



ذكر الداعية محمد بن الطيب البصير

تقدم لنا تعريف قري الحلاوين عند ذكر الشيخ القرشي أستاذ المهدي
ونقول الآن كان في الحلاوين رجل اسمه الطيب البصير كان أستاذ القرشي
هذا قبل أن يجتمع بالاستاذ الكبير أحمد الطيب بن البشير ناشر الطريقة
السمانية في الاقاليم السودانية وكان الطيب البصير ضريراً فسماه أستاذه بصيراً
وكان ورعاً تقياً ذا شهرة كبيرة وسيرة حسنة في أيامه توفي في منتصف
القرن الثالث عشر من الهجرة الشريفة وله أولاد أرشدهم محمد بن البصير
ولما أباد المهدي حملة الجنرال هيكل أرسل إلى ابن البصير يأمره بالقيام
بدعوته وكان المهدي زوج ابنته فاحجم في بادئ الأمر وأخذ يدعو الناس
سراً ولم يقدر على المجاهرة

وكان في مدينة ولد مدني رجل سوري اسمه محمد اغاجبار وهو والد
أحمد جبارة قاضي المهدي الذي ذكرنا خبر قتله يوم واقعة الجمعة بالبيض كان
يدعو الناس سرا للمهدي بهذه المدينة

ولما اتصل بالحكمدة هذان الخبران انتدبت أحمد بك على جلاب
مدير الخرطوم وشددت عليه الأمر بالقبض عليهما فذهب على أحدي
البواخر واحاط بالقرية التي فيها ابن البصير وبعد أن قبض عليه أوكاد قدم

عليه ابن حبوبه شيخ هذه القرى وعرض عليه عشرين الف ريال على أن يترك ابن البصير فقبض المال وكف عن القبض عليه ثم تابع مسيره الى ولد مدني فافتدى منه محمد اغا جبارة بأربعمائة ريال وعاد الى الخرطوم ولم نعلم بماذا اعتذر الى الحكمه دارية

ذكر واقعة العسكري بالحلاوين

لما وصلت كتب المهدي الى ابن البصير ومعها شئ مما غنمه من المصريين في حملة الجنرال هيكنس كملايس الضباط ونياشينهم أرسل يدعو قبائل الدباسيين والحوالده وسائر أعيان القرى فاجتمعوا عنده في يوم السوق الاسبوعي فتلا عليهم كتاب المهدي وأمرهم بالمبايعة فبايعوا واخلعوا ثيابهم ولبسوا المرقعات ثم ضربوا طبول الحرب

وكان في السودان عسكري من الجبابة أرسله حاكم الخط ليدعو الصراف الى تسليمه ما قبضه من الضرائب فقام الصراف ولطم العسكري على وجهه ثم أحاط من في السوق بالعسكري وقتلوه وكان الذين في السوق يبالغون ستين ألفاً كلهم غموا سلاحهم في الجثة وأخذ من في القرى يهرعون الى السوق كي يغمسوا أسلحتهم في جثة العسكري تفاءلوا بأن سلاحهم سينفخ في أجسام كل الجنود ومن ثم أعلنت البلاد كلها دخولها في طاعة المهدي واخلعها طاعة الحكومة

وقال بعضهم ان هذه الواقعة كانت قبل شخوص المدير الى الحلاوين والحقيقة انها كانت بعدها لانه اذا كانت قبله لم تعتمد الحكومة الى ارساله ولكانوا قاتلوه بدل ان يرشوه

ويقول كثير من الناس ان هذا المدير كان ذا ميل الى المهدي وقد آمنه على ماله وأولاده ووعدده بالجزاء الحسن وقد قبض غوردون عليه في غضون حصار الخرطوم واطنه لم يتحقق لديه شيء مما نسب اليه والرجل مات قتيلا يوم سقوط الخرطوم رحمه الله وتجاوز عنه

ذكر كتاب من المهدي الي الشيخ السنوسي

قلنا ان المهدي نصب خلفاء ثلاثة وسمى كل واحد باسم خليفة أحد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين عدا عثمان بن عفان عليه سحائب الرضوان وانه كان ينوي اهداء هذه الخلافة الى حضرة الشيخ محمد المهدي بن السنوسي وفي سنة ١٣٠٠ كتب كتابا مع الطاهر اسحق من أهالي البلاد الواقعة غربي دارفور الى الشيخ السنوسي يخبره بانه كان ينتظره لاقامة الدين والجهاد في سبيل رب العالمين حتي أنته المهديّة الكبرى وان النبي صلى الله عليه وسلم اجلس ثلاثة من أصحابه على كرسي خلفائه وأبقي كرسي عثمان بن عفان رضي الله عنه له وقال هذا لابن السنوسي عاجلا أو آجلا وقال ان ثورانيك تحضر معنا في حضرات كثيرة ورجا منه القدوم عليه أو القيام بدعوته في جهته والغارة على مصر . قال الرسول لم يجابوب السنوسي بخطاب بل قرأ كتاب المهدي وقال انني لم ابلغ منزلة الغبار الذي تار في أنف فرس عثمان بن عفان رضي الله عنه في احدي غزواته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا جواب عندي على هذا الكتاب ثم أمر الرسول بالعودة من حيث جاء وهذه صورة الكتاب نقلا عن كتاب المنشورات أيضا

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن
عبدربه الفقير اليه محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه في الله الخليفة محمد المهدي
ابن الولى السنوسي فيا أيها الحبيب الواقف على سنة النبي المرشد المرقى العباد
الى مقام التقريب قد كنا يا حبيبي ومن معنا من الاعوان نتظرك لاقامة
الدين قبل حصول المهديّة للعبد الذليل وقد كاتبتك لما سمعنا باستقامتك
ودعايتك الى الله على السنة النبوية وتأهبتك لاهياء الدين بان نصير اليك
ونجتمع معك فلم ترد الينا المسكّابة وأظن عدم وصولها اليك حتى انى ذا كرت
جميع من اجتمعت معه من أهل الدين والشيوخ والامراء المعينين فابوا ذلك
لهوان الدين عندهم وتمكن حب الوطن والحياة في قلوبهم وقلة توحيدهم
حتى بايعوني الضعفاء على الفرار بالدين واقامتة على ما طالب رب العالمين
وقنعت نفوس من بايعنا من الحياة لما يرون لادين من الممات ولا زال المساكين
الذين لم يبالوا في الله بما فاتهم من المحبوب يزددون وفيما عند الله يرغبون
حتى هجمت المهديّة الكبرى من الله ورسوله على العبد الحقير والله هو الفاعل
المختار الذى هو على كل شيء قدير فامرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
اكتب بها الشرق والغرب من غنى أو فقير فصديق بها من أراد الله سمعاده
وكذب بها الاشقياء وصاروا في النكير مع ان النبي صلى الله عليه وسلم قد
خلفني بالمهديّة مراراً بالجلوس على كرسيه والبسني سيفه بحضرة الخلفاء
والاولياء والاقطاب والملائكة المقربين والحضر عليه السلام وأعلمت انه
لا ينصر على أحد بعد إتيان سيف النصر اليّ من حضرة صلى الله عليه وسلم
ولا زال التأيد من الله ورسوله يزداد وأنت منا على بال حتى جاءنا الاخبار

فيك من النبي صلى الله عليه وسلم انك من الوزراء لي ثم لا زلنا ننتظرك حتي
أعلمنا النبي الخضر عليه السلام بأحوالك وما أتم عليه ثم حصلت حضرة عظيمة
عين فيها النبي صلى الله عليه وسلم خلفاء خلفائه من أصحابي فجلس أحد أصحابي
على كرسي أبي بكر الصديق وأخدم على كرسي عمر وأوقف كرسي عثمان
وقال هذا الكرسي لابن السنوسي الى أن يأتيكم بقرب أو طول وأجلس أحد
أصحابي على كرسي علي رضوان الله عليهم أجمعين ولا زالت روحانيتك تحضر
معنا في بعض الحضرات مع أصحابي الذين هم خلفاء خلفاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأعلم وإن كان لا يخفى عليك ان المهدي كالم الساعة لا يعلمها على
الحقيقة الا الله كما بينه المحققون كالسيد احمد بن ادريس فانه قد قال كذبت
في المهدي أربع عشرة نسخة من نسخ أهل الله وقال سيخرج من جهة لا يعرفونها
وعلى حال ينكرونها وكذلك قال محيي الدين في بعض تفاسيره الى غير ذلك
من أقاويل المحققين ولا سيما وان المهدي لا تدعي لكثرة أعدائها وقوتهم وعلى
انها لما ظهرت أنا بين أظهرهم في أشد الضعف والقلّة فلولا انها من الله
تعالى لما مكثنا في الدنيا يوماً واحداً من شدة قوتهم وضعفنا وهم محتاطون
بنا من كل جانب فآتي الله في قلوبهم الرعب ومسددهم بالحيلة وقد أمرنا
النبي صلى الله عليه وسلم بالمجرة الى جبل بالغرب يقال له (قدير) بلصق جبل
يقال له ماسه فجمعوا جموعهم اليها صراراً فقتلهم الله وأحرق جلودهم بالنار
يرى ذلك الخاص والعام علامة لشقاوة من أنكر مهديتي وقد أعلم صلى الله
عليه وسلم ان من شك في مهديتي كافر وكررها ثلاثاً وصراراً يقول من أنكر
مهديتي ومن خالفني فابي أمرى كافر فمن أراد الله له السعادة صدق بمهديتي
ومن لا جعل الله له شكوكاً وشبهات صدقه عن الايمان بمهديتي فيخذه الله في

الدنيا قبل الآخرة الا من أراد الله تعالى له الهداية بعد فاذا بلغك جوابي هذا
اما ان تجاهد في جهاتك الي مصر وجهاتها أو تهجر الينا والسلام ه رجب

سنة ١٣٠٠

وكان الناس متشوقين للوقوف على ما يجاوب به السيد السنوسي ولما لم
يعلم شيأ من ذلك تداول الناس ما نقلناه عن الرسول وأمسك المهدي عن
الكلام في شأن السنوسي حتى كانت أيام الخليفة التعايشي فصعد المنبر في ذات
يوم وقال ان المهدي أخبره بان خلافة عثمان أمرها مفوض له وانه ان شاء أبقاها
للسنوسي وان شاء أعطاها غيره وكان يقصد بهذه المقدمة إعطاء الخلافة
لأخيه يعقوب أو لابنه عثمان الذي لقبه بشيخ الدين ثم رأى له من أميال
العامه انه ان فعل ذلك لاقى من تشنيعهم مالا يأمن مغيبته وربما اتخذوا البعض
ذريعة للازدراء بأقوال المهدي وحجة لاظهار كذبه وفريته على رسول الله
صلي الله عليه وسلم حيث قال في خطابه للسنوسي ان نورانيتك تحضر معنا
في حضرات كثيرة

وقد كان المهدي يجزم بان السنوسي يقع في حبال كذبه ويسقط في
هواة غدره نخاب ظنه ولم يعد قادراً على الخوض في أمره بما اعتاده من
تكفير كل من اعرض عن دعوته ورغب عن متابعتها بعد الذي شاع عنه من
الثناء عليه والاعجاب بأمره مما تضمنه هذا المنشور

وتوجد أقوال غير متواترة عن المهدي انه قال ان رسول الله صلي الله
عليه وسلم أخبره بان السيد السنوسي سيموت قتيلاً بسيف دعوته وانه طرد
من الحضرة النبوية منذ أعرض عن دعوة المهدي وهذه الاقوال معزوة
الى عبد الله التعايشي لانه يرمي بها الى تمهيد الخلافة المزعومة لابنه أو لأخيه

والحاصل ان اعراض السيد السنوسي عن دهوة المهديّة جعل أهالي
(واداي) و (باقرمه) وغيرهم من ممالك السودان الغربي أعداء الداء للمهدي
ودعوته وسيأتي ذكر حروبهم للمهدوية وقيامهم لمناجزتها في السودان الغربي
وعلى ذكر ممالك السودان الغربي نقول ان أميراً من أمراء بلاد
(فلاته) اسمه عثمان بن محمد فوديه كتب له المهدي كتاباً قال فيه ان النبي صلى
الله عليه وسلم بشره بأنه يكون وزيراً من وزرائه وأنه يحضر معه في الحضرة
فاجابه بكتاب طويل قال فيه انه كان حاضراً معه في حضرة فيها جميع الانبياء
 والمرسلين والملائكة المقربين وان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بطاعة المهدي
ونشر دعوته في السودان الغربي فسر المهدي بهذا النبأ ولكنه صادف مقاومات
عنيفة من السيد السنوسي وكل ملوك السودان الغربي الزمت به بترك هذه
الدعوة والتبرأ منها بعد ان اتصل به نبأ موت صاحبها

ذكر فخر الدين مدعي الخلافة

كان لنجاح المهدي وانقياد الناس له وتصديقهم لما جاء به من الاباطيل
والخرعبلات وقع سيئ عند كثير من رصفائه والذين على شاكلته وبدأت
عليهم علامة الندم على ما فاتهم من الفرصة لان منهم من كان مشهوراً بالصالح
وحوله من الاتباع ما يربو على شهرة المهدي وعدد اتباعه
وكان جماعة من المشايخ يكتبون له أنهم رأوه في الحضرة وشهدوا جلوسه
على كرسي النبي صلى الله عليه وسلم كما يزعم ويزيدون على ذلك انه صلى
الله عليه وسلم أمر باعطائهم كذا وكذا أو بولايتهم على بلاد أو بتبويثهم مناصباً
من مناصب الخلافة فكان هو يقابل كل هذه الدعاوى بالتكذيب وعدم

التصديق ويقنع منتحلها بان الحضرات والاجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم لا تكون لغيره ألبته وانه لا ولاية ولا كشف في زمانه وانه خاتم الولاية كما انه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وقد حذر أرباب الطرق ومنهم من اعطاء اليهود وابطال اجتماعهم واذكارهم ومن فعل ذلك منهم نكل به شرتكيل وما ذلك الا ليتفرد بالسلطة المطلقة في الامور الدينية والسياسية

وبعد مقتل الشيخ المنه بايام ادعى غلام من أولاد المشايخ المشهورين أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بأنه خليفة الخليفة عبد الله التعايشي وانه سمع هاتفاً يقول له انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالعدل. فاجابه المهدي بخطابين فيهما أن الخليفة عبد الله التعايشي هو في باطن الامر المهدي وفيه أن الحضرة عليه السلام رأي الاولياء مجتمعين في بيت المقدس يستبشرون بظهور المهدي ووزارة عبد الله التعايشي له وأن الشياطين يقولون كنا نعيش بالمرء والخذاع والآن لاعيش لنا لان المهدي ظهر ولو أشير بالخلافة لغير عبد الله لوجدنا في المهديّة دخولا وفي الكتاب الثاني تاويلات لما رآه مدعي الخلافة وهما صورة ماجاء الكتابين نقلا عن كتاب المنشورات

« الاول » ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن العبد المفتقر الي الله محمد المهدي بن عبد الله الي حبيبه نحر الدين حسن فقد بلغنا جوابك وتلونا وفهمناه وذلك مطلوب كل مؤمن شفيق ومن ينيب الي الملاء الاعلى وأحسن الرفيق وقد بلغنا عنك سرارا وتكرارا من الواردين

والمرتدين وبعض من أهل العيان أنك قد تظاهرت للناس بالخلافة وتحكيها
عن النبي صلى الله عليه وسلم مع أن الله أظهرنا رحمة للامة وجعل هذا الامر
منوطا بنا ومتوقفا علينا وأيدنا على ذلك بما لا ينكره الا كافر والحمد لله اذ
جئت منيبا بلا سيف فترجو الله على جوابك هذا ان يزيل عنك كل حيف
ولكن حبيبي ان المؤمن المؤثر ما عند الله بسبب ايمانه لا بدان يبتليه الله تعالى
على صدق ايمانه فان كان ما ادعاه من الايمان حقيقيا صبر ورضى واحتسب
أجره على الله حيث ان النصيب نصيب الآخرة قال الله تعالى «أحسب الناس
ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله
الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين» وخيث انك كاتبتنا بادعاء الحالة المطلوبة في
الايمان فاعرض على عبد الله الذي جعله النبي صلى الله عليه وسلم خليفة أبي
بكر الصديق وأجاسه على كرسيه في أول تأييد المهدي وتواتر بذلك التصديق
الي ان أظهر الله الدين بموازرتة وقد أنانا خبر من الحضر عليه السلام ان
الاولياء اجتمعوا في بيت المقدس يقولون الحمد لله الذي أظهر المهدي وجعل
عبد الله وزيره وثم وجد اجتماع الشياطين وهم مهتمون يقولون كان عيشنا
بالغش والمكر والخداع والكذب فأتى المهدي وقطع علينا عيشنا ولولا ان
عبد الله وزير له وكان الخليفة غيره لكنا نوجد في المهدي دخولا فالآن أعرض
عليه قبل وصولك اليها فان كانت صدقا يتضح وتصبر وترض فيما يحكم به
عليك ثم بعد ذلك تلاقيني بالعفو والرضى وتكون من أصحابنا المقربين
والسلام ٢ شوال سنة ١٣٠١ « الثاني »

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم

وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى الاخ في الله
نخر الدين ان امر الخلافة من الله ورسوله الذي عرض لك كما كاتبتنا بذلك
وقلنا لك لما تأتينا نبين لك معنى ذلك وانك اذا كنت سمعت هاتفا من قبل
الله باناجعلناك خليفة في الارض فهو أن الله جعل كل أحد خليفة عن آباءه وكل
قرن خليفة عن القرن السابق قال الله تعالى «ثم جعلناكم خلائف في الارض
من بعدهم لننظر كيف تعملون» وقال تعالى «هو الذي جعلكم خلائف في الارض
فن كفر فعليه كفره» ونظائر هذه الآيات كثيرة وأما قوله جعلناك خليفة في
الارض فاحكم بين الناس بالحق فبعد أن عرفت ان الخلافة مجرد الوجود في
الارض بعد موت اهلها السابقين وقوله لتحكم بين الناس بالحق هو قوله صلى
الله عليه وسلم كلحكم راع وكل راع مسئول عن رعيته فالرجل راع على أهل بيته
وأولاده يحكم بينهم بالحق ليزيل عنهم الفساد ويدلهم الى رب العباد ويكون
لهم خير هاد فيكون إما مالهم كما تعالى «ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قررة
اعين واجعلنا للمتقين اماما» فقرة الاعين من الازواج والذرية هم المتقون وابوهم
امام لهم في تقوى الله وطاعته والقيام بالحق كما سبق في الحديث الآنف ذكره
وأما الرؤية النبوية اذا تحققت في كونك خليفة عبد الله فهو أن عبد الله دال
لجميع الخلق الى الله وهو خليفتنا على ذلك وانت خليفة على أهلك وذريتك واما
عبد الله في الباطن فهو المهدي لانه أول دال الى الله في آخر الزمان وانت خليفته
على أهل بيتك وذريتك فهذا بيان ما أشكل عليك وطلبت بيانه منا والسلام
٤ شوال سنة ١٣٠١

وبعد اطلع مدعى الخلافة على الكتابين قدم على المهدي فقبض عليه
التعاليشى وسجنه حتى مات واحجم الناس عن ادعاء مثل هذه الخزعبلات

وتركوها للمهدي الذي يزعم ان ظهوره أغلق أبواب المعيشة في وجه الشياطين
واهمهم لالكونه المهدي بل لانه اكذب منهم ويفوق عليهم في المكرو الخداع
ومن النكات المضحكة انني كنت أقرأ هذين الكتابين على أديب مصري
فقال لي ان صح هذا الخبر فلا بد أن يكون الشياطين رأوا المهدي قد فاق
عليهم في مقام الابل اس وتولي غواية الناس بما جعلهم يحسدونه على نجاحه

ذكر جمع الغنائم وعسري بيت المال

كان كثير من الأمراء واتباعهم اخفوا كثيراً من الغنائم ولم يسلموها
الى بيت المال فانتدب المهدي كثيراً من الأمراء في كل البلاد التي خضعت
له ليجمعوا ما يعثرون عليه في أيدي الناس ويواصلوا التجسس والاستعلامات
السرية عن حال الناس ليعلموا من كانت عنده أشياء من الغنائم فتدمر
الناس من هذه الحالة فاخذ يطيب خواطرهم بإصدار منشورات عديدة في
ذم اخفاء الغنائم وتغالي في تلك المنشورات بما لم يعهد له مثيل

وقد كان المهدي وقتئذ واقعاً في أعسار مالية شديدة وما في بيت المال
لا يكفي نفقاته ونفقات أقاربه الذين كانوا يتناولون من بيت المال نصيباً وافراً
اذ كانت أعلى مرتباتهم خمسمائة ريال واقبلها خمسون ريالاً فكتب اليه كثير
من القواد والأمراء يعرضون باحمد سليمان أمين بيت المال وأنه يخص أقارب
المهدي بالعطايا الوافرة دون غيرهم وكان عبدالله التعايشي المحرك لهذه الحركة
لان أمين بيت المال كان لا يساويه في العطاء بأقارب المهدي ويمنع أقاربه العطاء
فكتب المهدي منشوراً قال فيه انه مجتهد وانه يفعل ما يشاء وكتب اليه بعض
الناس بنصوص شرعية عن الواجب الذي يتعين اتباعه في أمر توزيع الغنائم

وقسمتها فاجاب عليها كلها بمنشور نشبه هنا نقلا عن كتاب المنشورات ليقف القارئ على مراوغة المهدي وهربه من الحقيقة وبعد المنشور صورة حضرة يعظ فيها الناس وان الذين يخفون الفنائم سيصيدهم من العذاب ما يقطعهم عن صحبته وكل هذه الاخبار موضوعة على النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم انه من خليفة رسول الله محمد المهدي بن عبد الله إعلاما منه لكافة أمرائه ونوابه وجميع عماله في سائر الجهات والاقطار مع جملة الفقراء والفقهاء والعلماء والعمار والتجار خصوصاً أحبابه وأتباعه المهاجرين والانصار متع الله جميع العاملين بها بالنظر الى وجهه الكريم في دار القرار اللهم آمين. أما بعد اعلوا أحبابي انكم عندنا من الاصفياء الاخيار الناطرين بنظر أولى النهى والابصار واني قد وليت عليكم بولاية الله ورسوله لاقامة الدين وجئتكم داعياً الى الله ومبلغا عنه ما حملته اليكم اقفوا آثار من سلف من المهتدين السالقين وعلى نهج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين ولم يكافنا الله واياكم باقامة الدنيا والسعي فيما هو مضمون وليس من عرفنا الاصفاء الى طلاب الدنيا لنأتي لهم بما فات منها ونجتهد لهم في مصالح تديرها فكل ذلك في أم الكتاب مكتوب ومختوم وانما قصدنا منكم جميعا المعاونة في تقويم الدين القويم واني في ذلك كواحد منكم ولوددت ان لوقام به غيري وصرت من جملة اعوانه فما كان الا ارادة الله من تحملي باقامة الدين وقد بلغكم من الانبياء والرسل ما بلغكم من اعراضهم عن الدنيا ومباعدة أصحابهم منها مع ان الدنيا هي فانية وعند الله لا شيء وانها أهون عنده من جيفة بالية واني دواما

ادلكم على الله وانهاكم عنها وتطلبون الصرف من بيت المال ونسيتم
 ما دعوتكم اليه حتى حملكم انكم تهملوني بالتعريض بالمخاطبات وتورون
 بالشيخ أحمد سليمان وانما فعلتم ذلك كي تطلبوا الصرف في زعمكم لاجل اقامة
 الدين الذي لست أولى به منكم حيث طلبتم الصرف منا لاقامته وتشيدته
 ولو شاركتوني في الدين وصرتم فيه مثلي لكان لكم ان لا تطلبوا الصرف
 مني الا بعد العجز عن الكليات والجزئيات حيث انكم من جملة المهملين
 للدين والمطلوب حينئذ ان يكون المؤمن مع أخيه كالدين تفصل احدهما
 الاخرى وان المؤمنين بعضهم من بعض والمؤمنون أوليائي وأعواني حيث
 يقول الله «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض» واذا كنتم كذلك فاذا
 صدق الايمان فليست أولى به منكم بحسب انصافكم بهذه الشروط وأما
 بحسب الاتفاق فيه فقد أنفق أبو بكر ماله وعمر وعثمان وعلي والزبير وطلحة
 فناء لانفسهم وأموالهم في نصرة الدين فقد صاروا لنصرة الدين مع رسول
 الله صلى الله عليه وسلم كنفسه بل انهم فدوه بانفسهم وأموالهم وأولادهم
 وأهلهم برضى من أنفسهم حتي انهم يقدون طعنة الشوكة لرسول الله صلى
 الله عليه وسلم بارواحهم فضلا عن الفير. أحبابي فانا لم آتكم ان تقيموا بي
 دنياكم وتسالوني عن صلاحها وانما كان سؤالكم لي واجتهادكم معي فيما
 حملته فقط مع مراعاة ما كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم له
 في كامل أحوالكم وأموركم ومع ذلك لما رأيت انه لا بد لي من اجابتكم
 فيما طلبتم جعلت لرد ظلامتكم وقضاء حوائجكم اعوانا ولفصل قضاياكم نوابا
 والجميع من بعضكم البعض فتركتم نوابي وأعواني وفضلتم تهملوني بالتعريض
 وتسبون أصحابي وأعواني وتؤذونني فيهم وقد بلغكم ان أصحابي كأصحاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيتي كاهل بيته وأنتم تعلمون منع ذلك في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف تؤذونني في أصحابي وتنقمون قسمة الله تعالى لكم وتطلبون ما لم يكن لكم مع انكم ليس لكم حق ولا نصيب لكم في مال الأبيض قطما من جهة كونه غنيمة لانه مما افاء الله به علينا لكونها فتحت بغير قتال فماله كله في بيت المال خاصة وانما كان أعطائنا لكم منه من باب التفضل والاحسان فقط وأما بالنسبة الى الصرف فليس لكم فيه حق الا بعد العجز عن الجزئي والكل كما ذكرنا وبعدها طهارة السرائر من التكذيب والجحود والانكار وحل عقدة سرائر الاصرار وبعده التجرد معى لاقامة الدين حيثما كان وبعده ذلك الرضا بقسمة الله تعالى في القليل والكثير دون التشوف والتمنى الى ما فضل الله به بعضكم على بعض في الرزق فانها قسمة أزلية كما قال جل من قائل « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا » الآية فهو قضاء سبق كما في الحديث القدسي. أحبائي انكم بايعتموني على المهدية وتزعمون انكم مصدقون بمهديتي وتعلمون الوقائع التي حصلت في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد مما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فمعلوم ان في حنين أخذ أموالا كثيرة مما غنمه من حنين فاعطاه للمؤلفة قلوبهم من أهل مكة وكما لا يخفاكم انه قد بذل لآبناء مرضعته حليلة أموالا كثيرة مع ان المجاهدين غيرهم مساكين وضعاف وعطاياء صلى الله عليه وسلم كثيرة حتى عرفوه بانه يعطي عطاء من لا يخشى فاقة وذلك كله مع وجود المجاهدين كما تقدم آنفا وما ذاك الا بعلمه صلى الله عليه وسلم وفيما رأي من أحوال الصحابة من الجوع والعري سابقا ومن الضرر الذي لم يحصل على أهل صحبتنا في هذا الزمان فرأى أموال قريش وأموال بني

قريظة والنضير فتمنى ان يكون له شيء من ذلك يزيل به ضرر أصحابه وأهل بيته فقال الله تعالى « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم ولا تحزن عليهم » الآية فمع انه صلى الله عليه وسلم يري المجاهدين والمساكين أعطى أغنياء من أهل مكة لتأليفهم وضعاف الانصار الذين لم يعرفوا ما حواه رسول الله صلى الله عليه وسلم من التأليف وعود المصلحة على المجاهدين مما أعطاه وغيره من الحكم فانه أولى لهم وقد فعل في الافياء ما تعلمون مع انه حاصر هو وأصحابه مدة طويلة وغير ذلك مع انكم في زعمكم بعم نفوسكم وبذلت أموالكم فلم أمسكتوها ولم تسلموها لبيت المان ولم تأكلوها وتنفقوها على أنفسكم في إقامة الدين حتي تنفذوها بل تؤخرونها وتطلبون غيرها فانظروا لحالكم معي وحال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ولكن أقول ان الصحابة رضوان الله عليهم مسلمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يأتي ويذر ويعلمون انه المبين للوحي تفصيلاً وانه عنده من العلم ما لا يعلمونه وأنتم بايعتموني على المهدية وتزعمون أني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم واني لكم ناصح أمين وأولى لكم من أنفسكم وأدري بصلاح شأنكم وما تعلمون ماذا أريد ان أفعل فيما بعد في الغنيمة ولا تعلمون ما يعلمه الله مما انطوت عليه سرائركم أفي الغنيمة استحقاق لكم ولا تعلمون ما أفعله فيها وهذا الكلام كنتم تحكونه لي ولا تحكونه بالحبيب أحمد وغيره وأولي ان كنتم انصاراً أن تعاينوني فيما حملت به من أمر الخلق وهذه الغنائم راقدة مدة طويلة اطلب الاصحاب في تفريقها فما وجدت ذاهمة يقوم بأمرها وقسمتها مع انه ورد لي فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يقسم وفيما يخص بيت المال للمسلمين وتعلمون ان كنتم من أهل العلم

الخلاف في كون القرآن ينسخ بالقرآن وبالحديث ينسخ القرآن وتزعمون اني مجتهد ولو كنتم مصدقين بمهديتي لما اهتمتموني حتى تقولوا ما قلتم فנסأل الله تعالى ان يمن علينا وعليكم بالثبات على الايمان الكامل فتوبوا الي الله جميعاً أيها الاحباب واسلكوا نهج اصفياء الله وأمناء دينه واصرفوا وجوهكم عن الدنيا وأقبلوا للواحد المتعال ولا تشغلوني بطلب الدنيا وكثرة السؤالات الخارجة عن مقتضاها وارفعوا حوائجكم الي بالصدق مع الاقبال ولا تعرضوا لي بنصوصكم وعلومكم عن المتقدمين فلكل وقت ومقام حال ولكل زمان وأوان رجال وقد علمتم ان من صدق مع الله في بيعته في نفسه وماله فبمجرد بيعته خرج عن حكم نفسه فضلاً عن ماله فلا يفعل شيئاً بدون اذننا ومشورتنا هذا في خاصة نفسه وأما بالنسبة الي ماله وهو تحت يده أمانة الله ورسوله حيث بذله لله وصار ملكه لنا فلا يصح له فيه الانفاق في غير اقامة الدين خصوصاً الصرف والاسراف في المباهات كما علمتم والسلام

(ملحق)

وانه أحبائي بعد هذه المواعظ والتذكار وبيان الخيرات والاشرار وبيان طريق السلامة وقرب يوم القيامة فمن لم يتعظ ويهتد ويتجرد ويصف من الغنائم والاموال من الامراء فليصر عزله مع تجريده جبراً عن ما يضره فان الجاهل عدو نفسه كما علمتم انه لما حصل التذكير للاصحاب عندنا في غنائم الابيض قد أوعدنا بان من لم يتجرد من الغنائم ويصف من عطب الدنيا ويرغب فيما عند الله ويتوكل على الله وحده لا تصير له إمارة لكون امارتنا للارشاد لما عند الله والخروج من دار الملاهي واذا كان الداعي هالكا وميتا فكيف السلامة للاتباع فلا نولي ميتا لا يصلح نفسه والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالى الكريم . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله مع التسليم . (وبعد) سأذكر البعض من الوقعات التي وردت فى الغنائم وغيرها باختصار فبعد أن وردت الواردات فى كيفية الغنائم وضررها بالابيض حكيت للاخوان حضرة حصلت فوق السموات وكان النبي صلى الله عليه وسلم يطلب الاصحاب فلا يصل الى ذلك المحل الا الاصفياء الزهاد الخالصون من العلاقات الدنيوية وتمطل منها بعض من الاخوان لاجل علاقاتهم فلم يطيقوا الصعود اليها من علاقاتهم فأعلمت بذلك من انقطع بسبب علاقته الدنيوية من الرقيق والاموال فتجرد لله عن ذلك وصعد الى الحضرة المذكورة وثم حصلت حضرة قعد النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جمع من المقربين ويجلسنى عنده فيما روى ويفرز بيننا عوداً طويلاً أملس كأنه شعبة الخيمة الوسطى التي تقوم عليها وفى رأسها الثمر ويقول صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة شجرة الصداقة فكل من له صداقة فليصعد عليها فيصعد عليها قوم وينزل من فيها آخرون فلا يقدرّون على الصعود عليها لينالوا ما فوقها من الثمار فكان ما فوقها هو نصيب الآخرة ولا يناله أحد الا بالصدق فى الايمان والطلب لما عند الرحمن فأعلمت من تمطل عن ذلك بسبب العلاقات الدنيوية فتجردوا عن ما عطلهم وثم حصلت أيضاً شجرة الصداقة فى وقت آخر وطلب الاصحاب بالصعود لنيل الخيرات فوقها فصعدوا الاصحاب الا الذين أكلوا الغنائم فامتلات عليهم سمفاً فكلموا أرادوا أن يتعلقوا بها ليصعدوا فوقها يزلقهم السمغ الذى عليها وبعض من الاخوان الذين عندهم ولم يحضر المذاكرات حصلت له رؤية وكان المذكور قبل رؤياه متأسفاً على فوات مذاكرتنا للاخوان

في كيفية الغنائم والتجرد عنها لمن هي عنده من الانصار قال ولما أعلمني من
حضر المذاكرة عزمتم على اخراج ما عندي من الغنيمة وهو أمة وحمارة
وقليل من الدراهم قال وبعد عزمي باخراجها ودفعتها لبیت المال أخبره بعض
اخوانه بانك كيف تخرج هذه الامة الواحدة التي لا خادم لك غيرها ومن
يخدمك ان أخرجتها وأى شيء تركب ان أخرجت هذه الحمارة الواحدة وان
قام الامام للسفر لا بد أن تشتري بالجميع جملاً تسافر عليه مع المهدي للجهاد
قال فطاوعت من ذاكرني من الاخوان بذلك وعزمت على ترك اخراج
المذكورات لبیت المال قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم أتى للخليفة
عبد الله يذاكره فقال المذكور في نفسه لما فالتني مذاكرة المهدي فليكن
الاسراع مني لحضور مذاكرة النبي صلى الله عليه وسلم للخليفة عبد الله قال
فلما حضرت وجدت المذاكرة قد تمت الا اني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول للخليفة عبد الله عند فراقه له لاي شيء لم تستوعب أمر المهدي فالذي
يأمرك به المهدي كله افعله هذا معنى كلامه للخليفة عبد الله قال ثم أتيت للخليفة
عبد الله لاسمع منه مذاكرة النبي صلى الله عليه وسلم فوجدت مع الخليفة بعضاً
من ملازميه يصلون معه فقطع الصلاة وقال لي أين الخادم أي الأمة التي من
الغنيمة فعدم اتيانك بها لبیت المال أفسد علينا صلاتنا قال وقال لي الخليفة
عبد الله لاي شيء لم تتجرد من الغنائم أما سمعت قول المهدي انه قال تجردوا
فما لك لم تتجرد قال فقلت له ما عندي الا شيء يسير فقال هذا القليل أده لبیت
المال ولو قرشاً واحداً ومثل هذا كثير وبعض من الذين لم يتجردوا من الغنائم
تحضر لهم تماسيح تمنعهم من حقوق المهدي وأصحابه الصادقين فتغرقه حتى
كان أحد من الاخوان عنده ازار من الغنيمة فقبضه تمساح وأوقعه في المهالك

فاستغاث بالله وبرسوله وبالمهدي فأدركه المهدي فحماله ليخرجه فأمسكه حجر
لم يتركه يسلم حتي أقسم انه يعطى ثمن الازار تخلص ثم ان المذكور قوم الازار
بنحو ستة دراهم أو أقل فدفعه لبيت المال فسار مع الاصحاب وغير ذلك
فيأحبائي ان السعيد يخلص في الدنيا قبل الآخرة فهناك تسبق الاصفياء
ويعطى أهل حطام الدنيا فقد رؤى ان القيامة قد قامت والمهدي مع أصحابه
الاصفياء دخلوا الجنة بلا حساب ولا رؤية هول ولا مشقة وأحد الاخوان
عنده قليل من المال والله أعلم لم يذكر من قلته فحبس من الدخول وصار
يصيح ويبكى من شدة الهول حتي خلس بعد نصف ساعة فدخل الجنة
والاهوال لازالت على الآخرين فصاروا يتخلصون واحداً بعد واحد على حسب
صفائهم وتجردهم من الدنيا فبعضهم يخلص فيصل بعد ساعة وبعضهم بعد
ثلاث ساعات الى أن خلس آخر الاصحاب نصف النهار ونصف النهار في ذلك
اليوم خمسمائة عام ونصف الساعة نحو الاربعين سنة في ذلك اليوم فمن ذا الذي
يطيق هذا الهول فيرضي لنفسه مثله بسبب متعة قليلة في أيام قليلة هي في
حكم العدم فيرتب بسبب ذلك هذا الهول الشديد والسكر الذي يقف فيه
جائماً عطشاناً نحو الاربعين سنة أو أكثر فتجرد ذلك الاخ الذي خلس بعد
نصف ساعة وحتم أن لا يطلب في الدنيا مالا قليلاً ولا جاها مادام فيها حياً
حتى يلاقى الله تعالى هذا وليعلم الاخوان ان من كان مؤمناً بالبعث وقرب
الآخرة وجسابها وكثرة خطرها وضررها ورفعة الدين آمنوا وعملوا الصالحات
وعظم فوزهم وملكهم المقيم الدائم ويعلم شؤم الدنيا وهوانها على الله وشؤم
ماتعقبه من الحسرة الطويلة فليتجرد لله لينال جزيل الدرجات ويفوز بدائم الخيرات
وليصر من أبناء الآخرة مادام حياً ولا يطلب الدنيا ومتاعها فانها قد انقرضت

وهذه الايام آخرايامها كما لا يخفى صدق ذلك ولا يجتمع للعبد متاع الدنيا ونعيم الآخرة
كما ورد أنهما ضربتان وكالمشرق والمغرب فبقدر ما يقرب العبد من المغرب
يبعد منه المشرق وروى ان بعضا من الاصحاب الذين اكلوا الغنائم وتمتعوا
وماتوا قبل اخراجها والحال انه أراد اخراجها فمات قبل اخراجها انه حبس
وعذب ووتج عليه وقيل له ان المهدي انذرك فبعد انذاره تريد ان تجمع لك
متاع الدنيا مع نعيم الآخرة ذق المذاب الاليم فلا عذر لك وغير ذلك وفيما ذكرته
كفاية لمن له عناية وورد عن الاخوان الذين ماتوا واستشهدوا في حال صفتهم
وصدق انابتهم لما عند الله انهم تنعموا نعمة عظيمة لا تخطر ببال ولا تقاس
منها ان بعضهم روى في نعيم عظيم وحوور وولدان وفرش وأسرة وقصور
وخيم وغير ذلك فيقال له صف لنا هذا الذي أنت فيه من النعم فيقول هذا
شيء اكرم الله به عباده المخلصين فلا أقدر أن أصفه ولا أعده فانه لا يوصف ولا
يعد وبعضهم يرى ان هبوب الجنة تدخل في مسامه وجميع جسده كالدخلان
الذي يخرج من بيت القش فيجد لها لذة أشبه بلذة الجماع ولكن تلك التي
في الجنة أحلى وألذ أضاعفا مضاعفة لا تخطر ببال ويلتذ بها بجميع جسده
ويسمع لنساء الجنة نغمات لا توصف لذتها وهن يمشين في الهواء كشين
على أرض الجنة فيمشين على وجه الأرض ويطرن ويزرن أزواجهن ويقفن
معهم في الجهاد ويهلان لهم فان استشهد أخذنه ومضين به الى دار نعيمه وان
جرح ولم يستشهد قعدن معه يمرضنه الى ان يموت أو يطيب من الجرح *
وبعض الاصحاب من شهداء وقعة الشلالى يرى في نعيم عظيم وقصور كثيرة
فيقول أحد الاخوان الأحياء انكم قد أنزلتم هذا المنزل الكريم وتنعمتم هذا
النعيم العظيم فاین منازلنا ونعمنا فيقول لا تشفق فان أصحاب المهدي الصادقين

معه لهم منازل ونعم كمثل هذا فامض معي لأريك منازلكم فيريه منازل عظيمة
ونعما نخيمة فيقول متى نلحق بهذا ونخرج من هذه الدار الكدرة المتعبة
فيقول له لا تشفق فإن أصحاب المهدي يصلون قريبا فيتنعمون بنعمهم هذه
وبعضهم يري بعض اكابر الصالحين المتقدمين فيأله عن مقامهم مع مقامات
أصحاب المهدي الذين ماتوا فيقول هيات فإن أصحاب المهدي من علو درجاتهم
لا نراهم فهم واقون مرق عظيم وكثيرا يري انهم يغبطون أصحاب المهدي
ويقولون ليتنا كنا أصحاب المهدي لما يرون من عظيم مكانتهم وفضلهم عند الله
تعالى وبعضهم يستشفع بالاصحاب ويقول اطلبوا المهدي أن يجمعني من أخس
أصحابه فاني راض برتبة أخسهم وافرح بها ان وجدت ذلك ومثل هذا كثير مما
رؤى في اللجنة للاصحاب الصادقين فهيا أيها الاحباب ان القدوم الى ما عند
الله قريب « اه

وكانت هذه الشدائد في إبان عودة غوردون ويمكنني أن أقول لورافق
غوردون لدي عودته جنود يحولون بين المهدي وبين الخرطوم لتحقيق
امنية عبد القادر حلمي باشا التي تقدم لنا ايرادها وهي ان ثروة كوردفان لا تقوم
بحاجة المهدي وجيوشه اكثر من سنتين ثم يعقبها ضيق شديد ثم تكون
النتيجة انفضاض الناس من حوله وتكاثر الانتفاضات عليه من الاهل وفي
ذلك القضاء عليه وعلى دعوته قبل تمكنه من الاستيلاء على السودان برمته



ذكر بنات محمد بن الحاج احمد ام برير

لا هالي السودان عادة من اقبح العوائد واشنعها وهي ان الرجل يقدم
ابنته أو من له الولاية عليها الي من شاء هدية يطؤها المهدي اليه كملوكة

يمين ولا حرج عندهم من هذه العادة بل يتفاخرون بها وهي شائعة عن
الجمليين أكثر من غيرهم وفي الغالب يقصدون بها الزاني من حاكم ذي سلطة
يرجى نواله ويتقى وباله

وقد قدم كثير من أعيان السودان بناتهم كمحظيات للمهدي وخلفائه
وقواده حتى بلغ عددهن نحو مائة ومن هؤلاء محمد بن الحاج أحمد أم بربر
ابن أخى الياسام بربر فانه قدم بناته الثلاث هدية للمهدي وقال له على رؤس
الاشهاد تمتع بهن ياسيدي الامام المهدي المنتظر فاني اهديهن لك وملكتك
إياهن فاجابه قبلت منك وانما لا يجوز الجمع بين الاخوات فقال له كيف
لا يجوز وانا قد وهبت لك المتعة بهن فاعاد عليه المهدي قوله لا يجوز فانظر
الى جهله المركب وتفرقته العمياء بين حرامين كأن وطأ الحرة بملك اليمين جائز
دون الجمع بين الاختين أو الاخوات

وكان المهدي يتبسم من الضحك وأبمارات الفرح بادية على وجهه لانه
كان يرى أن مثل هذه المنكرات من أدل الدلائل على أن القوم يحبونه وينقادون
له انقيادا أعمي ويتقربون اليه ببناتهم ولا يلتفتون الى تحريم شرعي كأنهم
لا يحرمون الا ما حرمه وكأن كل حرام حلاله حلال عندهم

ثم قال المهدي للحاضرين مكانكم حتي أختار واحدة من البنات وبعد
هنيهة عاد وقال قد اخترت كبراهن نخذ الاثنتين فقال أبوها لا آخذها بل
اتركهما لتكونا خادمتين لك وما زال المهدي يرفض قبولهما والرجل يلح
عليه حتى التفت الى جلسائه فرآى بينهم محمد بن عبد الكريم من اقاربه فقال
قد وهبت إحداهما لمحمد بن عبد الكريم ثم وهب الثانية الى أمين خاتمه عبد
الكبير بن احمد الكناني

وفي اليوم التالي غدا ابوها الى صهره المهدي ودفع اليه كتابا مملواً
بالاعذار وبسط الحاجة وسأله في آخر الكتاب مبلغاً من المال فأندهش
المهدي من سخافة الرجل الذي كانه يطلب ثمن بناته فانصرف الى داخل
بيته ووعده بالاجابة على كتابه فقدمت له المرأة كتاباً آخر من ايها وجد
فيه ما في الكتاب الاول فلم يطق الصبر وخرج الى مكان جلوسه ودعا
بدواة وقلم وكتب الى صهره كتاباً موجزاً نورد هنا صورته نقلاً عن
كتاب المنشورات وهي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد
فمن عبد ربه محمد المهدي بن عبد الله الى حبيبه وصفيه محمد بن أحمد أم
برير وفقه الله للخير ومن معه من الاهل وانجاءهم من ظلمة القبر حبيبي
ان المعطي والمانع هو الله كما أن النافع والضار الله والناس أشياع لا قوام لها
بقبح ولا نجاح والمعلوم ان الجثة قيامها وحركاتها وتصرفاتها بالروح والروح
من أمر الله واذا أخذ الله سره الذي هو الروح من الجثة وقعت والحركات
زالت منها فمن هنا يعلم ان تصرفات العبد هي من الله اذ هي من الروح الذي
هو أمر الله كما قال الله تعالى « قل الروح من أمر ربي » فالؤمن يكون واثقاً
بالله راجياً ما عنده وخائفاً منه فقط لان من نظر التوحيد بالحقيقة لا يري
مع الله شيئاً من لا إله الا الله. ومن محمد رسول الله المخبر عن الله بمغيبات
الآخرة من ان خيرها جسيم والدنيا لا تزن جناح بعوضة وانصرف قلبه من
الحسيس الذي هو الدنيا وما فيها الى النفيس الذي هو ما عند الله في الدار
الآخرة فما عندكم ينقد وما عند الله باق. هذا وان المبلغ الذي ذكرته ان شاء الله

يصل اليك ولكن لا تقل ان القوام به بل ان القوام بالله وهو ضامن الارزاق وما على العبد المؤمن الا ان يسعى لنصيب الآخرة لانه لا نصيب له في الدنيا ولو كانت تزن عند الله جناح بعوضة لا عطاها المؤمن ولذلك قال الله «ولولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبیوتهم أبوابا وسرراً عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لمامتاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين» والسلام

ذكر نهب اموال التوم شيخ عرب الكبايش

ذكرنا قصة قتل التوم شيخ عرب الكبايش وبعد بضعة أشهر مضت على قتله أصدر المهدي منشورا بأن جميع ما كان يملكه صار حقا لبيت المال فانتدب محمد بن ادريس بن عمه والحاج محمد أبوقرجه ومعهم نحو ألفي مقاتل فذهبوا الي (جبره) شمال كوردفان وقبضوا على أموال الشيخ التوم ونسائه وأولاده وعادوا الي الأبيض وبلغ ما قبضه بيت المال اكثر من عشرة آلاف بدنة من الابل وثلاثة آلاف رأس من البقر ونحو عشرين قطيعاً من الغنم وبلغ ما ذبحه محمد بن ادريس والحاج محمد أبو قرجه لغذائهما وغذاء من معهما من المقاتلة نحو نصف هذه الاعداد

ولما عادوا الي الأبيض وسلموا ما بأيديهم الي بيت المال قدم كثير من رفقاتهم تقارير لأمين بيت المال علم منها ان ذينك الاميرين لم يقدموا الي بيت المال غير الماشية والاشياء التي لا يمكنهما اخفاؤها وانهما اخفيا كل ذي قيمة من الذهب والفضة ويقدر ما تسرب الي جيبيهما عدا ما تسرب الي جيوب انصارهما بعشرة آلاف أوقية من الذهب ونحو عشرة قناطير من الفضة ولا غرابة في ذلك

فإن الرجل كان معروفاً باتساع الثروة وقبيلته الكبابيش أكبر قبيلة في السودان
وأكثرها ماشية ومالا

ولما استوثق أمين بيت المال بصدق الذين رفعوا إليه التقارير عرض على
المهدي وجوب القبض على ذينك الأميرين وإرغامهما ليؤديا إلى بيت المال
ما اغتالاه فرفض المهدي العمل بما أشار به أمين بيت المال تطيباً لحاطر
ذينك الأميرين اذ هو في حاجة لاكتساب مودتهما

وكان من جملة الغنائم عشرة دروع من الحديد قديمة جداً وعدد ليس
بقليل من الخيول العربية وقسم المهدي النساء كجوار وخص عبد الله التعايشي
بالنصيب الاوفر منهن وأطلق سراح الذكور من أولاده وتركهم في حالة يرثى
لها من الفقر المدقع يسألون الناس في الطرقات وأبواب الدور ولا يجدون
من يمن عليهم بكسرة خبز غير افراد قليلين من المصريين وكلما رأهم أحد
من الدراويش يقول انظروا كيف صارت عاقبة ذراري الكفار الذين لم يصدقوا
بالمهدي ويؤمنوا بدعوته ومات اكثرهم جوعاً في الطرقات وسيأتي بعد ذلك
ذكر مصادرة أموال قبيلة الكبابيش وفنائها عن بكرة أبيها والدوام لله وحده

ذكر قدوم الشيخ الحسين زهراء علي المهدي

الشيخ الحسين زهراء من قبيلة صغيرة تسكن قرية قريبة من «الحلاوين»
عند مكان يدعى «وادي شعير» فارق بلاده في نحو العشرين من عمره ولحق
بالقاهرة ومكث فيها أكثر من سبع سنين كان يتلقى العلوم في خلالها
بالأزهر المعمور وكانت ذا ذكاء مفرط وقريحة وقادة قل ان توجد بين
السودانيين حتى قال مشايخه انه نابغة في العلوم المعقولة والمنقولة ممّا خلافاً لمواطنيه

من الطلبة السودانيين وتلقى دروساً في الفلسفة والطبيعات زادت قريحته
اتقاداً ثم عاد الى بلاده وفتح مدرسة في قريته وانقطع لافادة العلم فافاد
فائدة تذكر

وكان من عادة الحكومة ان تمديد المساعدة لكل الذين وقفوا
نفوسهم لتثقيف عقول الاهلين وإزالة جهالتهم مع ان جلهم ان لم نقل كلهم
يضرون اكثر مما ينفعون اذ هم اغمار لا يعرفون من العلم غير حفظ الفاظ
القرآن وقليل منهم من يحفظ متن رسالة ابن أبي زيد القيرواني في فقه
المالكية ولم تلتفت الحكومة الى الشيخ الحسين بما تلفت به الى اقرانه
فوغر صدره منها وعظمت سخيمة صدره عليها

ولما ظهرت دعوة المهدي وتصدى العلماء لدحض حجج منتحلها
واظهار تخرص مدعيها كان المتوقع ان يحذو الشيخ الحسين حذوهم وخصوصاً
فيما كان من ترهات المهدي الذي يزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه في
اليقظة وأمره بتلك الخزعات التي جاءت كلها ناقضة لما هو معروف من
شريعته صلى الله عليه وسلم وحسبنا ان هذه الدعوي مضادة للشريعة
المطهرة فلم يتصد الشيخ الحسين لتكذيبها سيما وقد كان مشهوراً بين الناس
بالورع والوقوف عند حد الشرع فجاء امره بالعكس حيث كان يحرض
الناس سراً على نصرته وموازرتة وقد ارسل له المهدي هدايا من المحظيات
اللواتي أصلهن حرائر مصريات استرقهن المهدي عملاً بفريته التي قال فيها انه
صلى الله عليه وسلم اخبره بان من أنكر مهديته كافر دمه مهدور وماله
وأولاده غنime للمسلمين فوطئهن الشيخ الحسين ولم يتقيد بالشرع كما كان
يظن به الناس

ولما ظهر المهدي على حملة الجنرال هيكس وفد عليه الشيخ الحسين
 فقابلته بالحنفاوة والاكرام وكان الامل يناجيه بأنه سيصبح في دولة هذا المهدي
 حائزاً لاسمي مرتبة ومتربماً على دست اكبر ووظيفة وما كادت تمضي عليه
 بضعة أيام حتى رأى ان هذه الدولة تبغض العلم والمتعلمين ولا يتولي وظائفها
 غير الجاهلين فتولاه الياس مما رأى فكتب قصيدة طويلة قدمها الى المهدي
 ظاهرها مدحه ونصحه بوجوب اسناد الوظائف الى العلماء وفي القصيدة
 مغامز كثيرة تدل على ما خاشره من اليأس لما رأى ان اكبر وظيفة لدى المهدي
 مسندة الى أجهل رجل من اتباعه هو عبد الله التعايشي وقد اخترنا ايراد هذه
 القصيدة برمتها للاطلاع عليها وهامى بنصها

برح الحفا ما الحق فيه خفاء	وتوالت الآيات والانبياء
فالامر جد والقلوب مريضة	والداء داء والدواء دواء
والحادثات مصاعق بمنابر	بمظاتها تتواضع الاشياء
والحق أظهر ان يرى بشواهد	لم لا وقد قامت به الاسماء
والشمس في أوج السماء من مغرب	بهرت عليها هيبة وبهاء
والبدر قابلها فتم كماله	وتقلدت بمقودها الجوزاء
ودرار أفلاك الملاذات على	أقطابها فزهت بها العلواء
وتكاملت في كل مجد أبجد	لما استقام زمانها الاشياء
مان ترى الا جيلا زاهراً	بهرت في حلل اليها زهراء
وسقته من خمر الهوى بعيونها	ولي شقور شفاهاها لمياء
بالآية الكبرى التي بظهورها	كل الرضي وانجابت الاسواء
مهدى رب العرش منتظر الوري	والي الولي والاكرمون وراء

السابق ابن السابقين الى الهدى
 وبهم تبليج كل غصن مشر
 تسقى بمذنب رائق من البحر
 وهمى وجاد على الانام بما ترى
 بشري لنا بظهور مهدي الوري
 جمعت حذافير الولاء لنا به
 رفعت منه يد بقدرة قادر
 بمكانه الامن المؤبد وقته
 أنتم بامر كان من جد القضا
 وله الاشارة من ألت بربكم
 ما حالهم ما بالهم لم يسموا
 من يحفظ التنزيل من يدري الذي
 من يحفظ الاخبار عن أهل النهى
 ويرد أشكال الامور لشكاهها
 ويرى القبيح بداية ونهاية
 مثل الذي في بحر جهل ليله
 لا والذي خلق النوي وهدى الوري
 علماء أمة أحمد ناشدتكم
 أرضي وترضون الضلال بعيدا
 ويخيب ظني فيكم وعشيرتي
 ونكون دون الدون من بين الوري

من مشر تحت بهم زهراء
 بحلاه تزهو روضة خضراء
 من فيضها ملأ البحور الماء
 من غيثه الهامى عميم سماء
 إيه ونمحي بعدها نعماء
 وعلى الجميع من الامام خباء
 فوق المباني ما عليه بناء
 والارض أرض والسما سماء
 جار وقد حكمت به الاسماء
 طوعا له وليس مع العلماء
 نفسى لهم مما يشين فداء
 فيه ومن لم يدر ذاك سواء
 وتعين ذلك فطنة وذكاء
 ولها عليه من الثناء سناء
 ويروم أحسن ما الاله يشاء
 داج وأشرق ما يراه مساء
 وله وراء مماتهم إحياء
 ردوا جوابي انكم علماء
 ظهر الهدى وانجاب عنه قذاء
 أنتم وتقمع جمعنا الغرياء
 كاتا يدي احسانا خرقاء

ردوا علي أعينكم من شامت
مهدي أمة أحمد بي لم تذر
فتنكرت من ذاك كل مقاصدي
مالي سواك وليس بعدى من جفا
وأرى على بوقت عدلك دائماً
وأنا المصغر بين ظهرائهم
لم تعرف الأيام قبلك منزلي
واستعملتني اليوم في عاداتها
أجملت فيما لا أرى اجماله
ومواضع التفصيل دوني شأنها
فلسان حالي ألكنته فهاهتي
جهل الولاية أمات دين محمد
وتراكت ظلماتهم بين الوري
يا ابن النبي محمد ووليه
أنا عبد عبد أستعيز بذمتي
مأبى استهانوا بل بشرع محمد
واماته الجم الغفير مهاجرا
فتناولنه من اللثام واعطه
واشرط عليهم ما أردت من المهدي
رسم تفرق بالسنا فله الهنا
وكسته أثواب الرضا مهدي

لكن أجيدوا فالجواب شفاء
خلا يدوم له لدى اخاء
فاذا الجميع سوي علاك هباء
لكن بذاك جري على قضاء
بين الوري تكبر الاسماء
حسبي التصاغر انهم اكفاء
ولذلك لم يرفع على لواء
فأطعنهن ولى اليك رجاء
حقا ولكن للامور مضاء
لعبت بها من دوني الاهواء
بعضال داء مالدیه دواء
وأهيله ماتوا وهم أحياء
لما اطمأن لهم ودام ولاء
وأمينه ماذا اليك مرء
أبدا اليك ولى هنا أعداء
فعليه من أثر الدمار حياء
وله بماء سمائك الاحياء
صنف الكرام فأهله العلماء
يمطوا اليهود لانهم أمناء
اذ ناله بعد الفناء بقاء
تتلو المضرة أختها السراء

فقدابها يختال في حلل البها
كم أرتعى من روض دانية الجنا
طارحتها تحف الكلام فنوعت
واذا نسيات الصبا دعت الصبا
ترتاع ان هتفت بها من كوة
عاش ابن سينا جهده أوصافها
دقت ورقة وارتقت في سكره
كيف التواصل والقوى نهت السري
فتزلت حاجاتها في سوح من
وتركتها وكفى لقائي مرة
تلك الذي جهد الزمان لوصلها
حتى بالاطاف المهيمن مكنت
فقدابها متصرفا في أهله
ودعا بها لله دعوة قاهر
فأجابه أهل النهى في طاعة
وديار من ناوي الهدي منقضة
حاكت بها يسري الشمال عجائبها
في ثان أيام الدنية عطلت
في تاسع من رابع في الثان من
والله دمر من طغي وأباده
ولقد تبدد جسمه برماحهم

ولكل شيء شدة ورخاء
نمر الرضي تدنيه لي وجناء
تحف الملام وهاجها ادلاء
لوصالها تتصل الاعضاء
سحرا لتجديد السلام رخاء
بشفائه فاذا هي العنقاء
بلمي شفاه دونه الصهباء
اذ مسها من ضعفها الاعياء
بمحولهم تنزل الضعفاء
اذ لا يدوم مع الزمان لقاء
وله بذلك غدوة ومساء
أغراضه منها يد ييضاء
يعطى ويمنع من يرى ويشاء
سمعت بعز مكانها المظاء
سفكت بها قبل اللقاء دماء
وسقوفها بين السقوف هواء
شمالا تفتقه يد عسراء
بيض المها وجواهر ونساء
بعد المئين واللاء ور مضاء
حتى تولى قتله الضعفاء
فكانه من خلقه أشلاء

صالوا به وذويه بين حصونهم
شادوه بالحصن القوى وأيدوا
في كل مزغال شرارة بندق
وكروهم كالرعد بين صواعق
الله أكبر أن يرد وجوهمهم
ولجوه عمدا باختيار صادق
وقت بذمة أحمد ومحمد
فعلوا وما فعلوا ولكن لا بهم
وسموا خراطيم الشقا بحوازم
نوح الحمام تنوح غير موسد
تنشاق بعد عبير عنبر مسكها
وبنات آرام ترامت من ذوى
فصل الطلول هناك عن أسيافهم
وامرر بهم وعلى الديار فيها
واغش القبور بمنحة وهدية
واستجوب الاطواد صرعى بينها
وتخط خط النار تعرف خط من
والنار ترعى في الجسوم كأنها
ما النار شأن النار أعجب ما أرى
عنها استفد خبرا وكن متبصراً
عبر تجل على قلوب ذوى الذكا

في خندق غرت به الاذواء
بالنار من في النار فهي جناء
رام طوي من في يديه خواء
للمسلمين وكل ذاك عداء
عن شأنه أو تمنع البأساء
ولهم يد في فتكه خرقاء
مهديم وجنوده شهداء
رام بهم ولهم بذاك سخاء
بيض بكت آثارها بيضاء
بعد الوساد وعينها وسناء
رمم الانام وذا التراب وطاء
أوج العلا ما عندهن غطاء
ورماحهم في الكافرين رواء
ان الديار من الدمار هباء
ان القبور ببعضها شهداء
ماذا الرغام وفي النفوس اباء
مج الهدي لما نهاء شقاء
عشب لعمري ان ذا لبلاء
تجربى بهم وجسومهم سوداء
في أمرها وليعلم منك بكاء
إيه وتكسف بينهم ذكاء

أَنظَن تِلْكَ كَرَامَةً مَّا نَوَسَةٌ
 وَهَدَى لَدِينِ مُحَمَّدٍ مَنْ يَهْتَدِي
 هُم وَالَّذِي بَرَأَ الْوَرَى هُم لَا سَوَى
 وَفَدَا النُّفُوسَ أَنَا فَاتَى دُونَهُمْ
 هُم كَالنَّجُومِ هَدَى وَفِي الْجَدْوَى نَدَى
 مَاذَا الَّذِي نَقْتَسِمُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ
 مَا دُونَهُمْ مَرْمَى مَرِيدٍ صَادِقٍ
 فَسَوَى خِلَافٍ أَحْمَدُ هَدَى الْوَرَى
 إِلَّا الَّذِينَ غَدَا عَلَى آثَارِهِمْ
 ذَاكَ الرَّفِيقُ الزَّمَهُ وَاتْرَكَ غَيْرَهُ
 وَاعْصِمُ سَقَاءَكَ بِالْوَكَاةِ مِنَ الظَّامِ
 وَاصْحَبْ خَيْرَكَ فِي الثَّرَى خَوْفَ الثَّوَى
 وَاحْلُلْ أَسِيرَكَ هَاهُنَا إِنْ تَسْتَطِيعُ
 خَفِضْ عَلَيْكَ فَلَا خَطَرٍ بِرَسُولٍ
 وَعَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ صَلَّى الَّذِي
 وَكَذَلِكَ سَلِمَ ذَا الْعِلَامِ أَنْ شَدَّتْ
 لَا وَالَّذِي ضَلَّتْ بِهِ الْآرَاءُ
 وَبِهِ تَخْصِصُ فِي الْمَهْدَى الْخُلَفَاءُ
 كُلُّ النُّفُوسِ لَهُمْ سَوَاى فِدَاءِ
 بِي وَالَّذِي بَرَأَ الْوَرَى ادْوَاءُ
 بَلَّ الصَّدَا مَا بَعْدَهُمْ أَظْمَاءُ
 فَقِيَاسُهُمْ بِسَوَاهِمِ اغْوَاءُ
 هَلْ بَعْدَ عَرْشِ الْإِسْتِوَاءِ بِنَاءُ
 كُلِّ الْإِنَامِ مِنَ الْخِيُورِ فِضَاءُ
 أَهْلُ الْوِلَايَةِ وَالصِّفَا الْأَمْرَاءُ
 رُبَطُ الْجِيَادِ لَغَيْرِ ذَاكَ نَوَاءُ
 مَا نَى الْفِضَاءِ إِمَامٌ قَصْدُكَ مَاءُ
 بَيْنَ الْمَنَا وَخَطَا الْخَطَا بِهِمَاءُ
 مَا نَى الْقِيَامَةِ لِلْأَسِيرِ فِدَاءُ
 طَوْرًا وَطَوْرًا شِدَّةٌ وَرِخَاءُ
 وَصَلَ الصَّلَاتِ فِطَالُهَا الْمِظَاءُ
 بَرَحَ الْخُفَا مَا الْحَقُّ فِيهِ خِفَاءُ

وَلَمَّا أَطْلَعَ الْمَهْدِي عَلَى الْقَصِيدَةِ التَّبَسَّ عَلَيْهِ فَهَمَّهَا وَتَرَدَّدَ فِي حُلِّ مَعْمِيَّاتِهَا
 فَدَفَعَهَا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ التَّمَايَشِيِّ الَّذِي أَطْلَعَ عَلَيْهَا كَاتِبُهُ فَوْزَى بْنُ مَحْمُودٍ بِأَدْيِهِ
 فَلَمْ يَهْتَدِ إِلَى فَرْهِمٍ مَا أَبْطَنَهُ النَّازِظُ وَغَايَةَ الْأَمْرِ أَنَّهُ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ التَّمَايَشِيِّ
 إِنَّ النَّازِظَ لَا يَقْصِدُ بِقَوْلِهِ . جَهْلُ الْوَلَاتِ أَمَاتِ دِينَ مُحَمَّدٍ . غَيْرَكَ وَأَنَّهُ يَنْصَحُ
 لِلْمَهْدِيِّ بِتَوَلِيَةِ الْعُلَمَاءِ وَإِقْصَاءِ الْجُهَلَاءِ وَيَقُولُ إِنَّهُمْ أَمْنَاءُ وَأَنْتَ وَأَمْثَالُكَ خَائِنُونَ

فقبض التعاشي على الشيخ الحسين وزجه في السجن وبعد أيام أطلقه. بعد أن قاسي من العذاب أشده وأخذ عليه المهود بعدم العودة الى مثل هذه النصيحة وقال له في عرض كلامه سبب سلامتك أن تنسي كل ما تعلمته من العلوم وتصير كأنك لا تعرف كلمة واحدة منها وأن تتعلم من علومنا ولا تقرأ من الكتب غير منشورات المهدي لأن كل الأحكام والشرائع التي كانت قبل ظهور المهدي قد نسخت بظهوره فاجاب الشيخ الحسين على هذه الأقوال بالسمع والطاعة

ويذهب بعضهم الى ان الشيخ الحسين كان ذا نظر سياسي أعماه عن النظر الى مفتريات المهدي حيث يرى أن المهدي سيشيد دولة وطنية سودانية وحجة الداهيين الى هذا موجودة في هذه القصيدة حيث يقول وتقمع جمعنا الغرباء . وقد جاء هذه التلميح في مقام الاحتجاج على العلماء الذين تصدوا لتكذيب المهدي ونقض حججه الواهية وفيه رمز الى تبرير الوسطة التي انتجت هذه الغاية

وقال آخرون انه يقصد بالغرباء عبد الله التعاشي وقومه البقارة الذين خاف عاقبة تمكنهم من البلاد لأنهم غرباء وبلادهم واقعة جنوب دارفور وحاصل القول أن القصيدة تحتمل تاويلات كثيرة ليس في وسعنا ايرادها كلها وسنعود الى بقية أخبار الشيخ الحسين وقتله قبيل فتح أم درمان

ذكر انذارات المهدي للشيخ محمد الامين

الشيخ محمد الامين البصير رئيس العلماء بالسودان ولد بضواحي الخرطوم وأصله من قبيلة اسمها (المحس) فقد بصره منذ طفولته وحفظ

القرآن الشريف قبل أن يبلغ الماشرة من عمره وانقطع لدراسة العلوم الشرعية على يد أستاذه الشيخ أحمد بن عيسى الأزهرى تلميذ مولانا الشيخ أحمد الدردير المشهور حيث قضى ثلاثاً وثلاثين سنة في صحبته وتلقى العلوم عليه ثم عاد إلى وطنه بالسودان وإلى ينسب انتشار العلم في تلك الاقطار وكان الشيخ أحمد بن عيسى بحراً زاهراً في جميع العلوم العقلية والنقلية تقياً ورعاً له قدم واسع في الإصلاح

ولزم الشيخ محمد الأمين أستاذه حتى نال من العلوم نصيباً وافراً وظهر عليه النجاح والذكاء فلقبه أستاذه بالبصير عكس الضير

ولما ولي جعفر مظهر باشا حكمداية السودان رفع منزلة الشيخ محمد الأمين وعينه رئيساً لعلماء السودان وكان يقول لا يفتى وأمين بالسودان تنوياً بما عرفه من فضله ووزارة علمه في فقه المالكية

ولما ظهرت بدعة المهدي كان أول من تصدى لتكذيبها فالف نصيحة ملأها بالأدلة الشرعية على بطلان ما ادعاه المهدي وشفعها بأثبات امامة مولانا أمير المؤمنين السلطان «عبد الحميد خان الثاني» وأثبت نيابة المغفور له الخديو محمد توفيق باشا واستنتج أن المهدي خارج على الإمام وسرد الأدلة الشرعية التي تدل على رسوخ قدمه في الشريعة المطهرة وسيأتي ذكر تلك الرسالة وغيرها من رسائل العلماء التي ألفت رداً على المهدي في غير هذا المكان

وكان المهدي شديد البغض للشيخ محمد الأمين حتى كان يعبر عنه بقوله أعمى البصيرة الذي أضله الله على علم وختم على سمعه وجعل على بصره غشاوة

وقد تبودلت بين الشيخ والمهدي خطابات عديدة كان الشيخ يحضه

التصح فيها ويدعوه الى التوبة فكان يجاوبه بالمغالطة والاستمالة وهذه صورة
ما جاء في كتابين من المهدي له وفي أحدهما يقول ان البيان لا يهدي وانما
الهادي هو الله ويقول في الثاني انك لا تجهل أن النبي صلى الله عليه لم يكن
أصوليا ولا نحويا «الاول»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد
فن عبد ربه محمد المهدي بن السيد عبد الله الى شيخ الاسلام المكرم والاستاذ
المعظم الشيخ محمد الامين جعله الله من المكرمين لا يخفى على عزيز علمك وجليل
فهمك ان البيان لا يهدي وانما الهادي هو الله تعالى وقد أعلم الله نبيه صلى
الله عليه وسلم بان ليس عليه الا البلاغ وانه لا يهدي من أحب وإني قد كاتبك
لظن الخير فيك وأعلمتك بالحقيقة التي لا كذب فيها ولست فيها بمتحيل ولا
بمتصنع وانما هو الحق الصدق الآتى من الله ورسوله فقد أيدنى الله تعالى
بالمهدية الكبرى ومعلوم انه لا يكذب على الله ورسوله الا من لا خلاق له
عند الله تعالى ومن يعلم علم يقين ان متاع الدنيا قليل لا يزن جناح بموضة
لا يؤثره ولو آثره على ما عند الله زال كأن لم يكن وأعقب عليه حسرة لا آخر
لها فلا يؤثر جاه الدنيا على التقوي والاقتداء بالانبياء والاصفياء الا من لا عقل
له واني عبد مسكين لا طاقة لي بقوام أدني شيء فلو لا اني على نور من الله
وتأييد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدرت على شيء ولا ساغ لي
ان أحكى شيئا وما أخبرت عن النبي صلى الله عليه وسلم بما أخبرت الا بأمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أخبرني صلى الله عليه وسلم بأخبار ليست
عند الاولياء ولا عند العلماء وقد قال تعالى «ويخلق ما لا تعلمون» وقد جمع النبي

صلى الله عليه وسلم أرواح الذين أنكروا مهديتي من الاولياء العارفين والعلماء
 العاملين ووبخهم غاية التوبيخ وعدد عليهم النعم الدينية والدنيوية والظاهرية
 والباطنية وما صرف عنهم من البلايا الحسية والمعنوية وقال لهم ما شكرتم
 نعمة الله تعالى حيث أنكروا مهديتي فلان وقد اعطاكم الله نعمًا فما شكرتموها
 حيث لم تصدقوا بمهديتي فلان وفلان هذا قد شكر نعم الله فولاه عليكم واعطاه
 المهدي فكيف تنكرون حصول المهدي له قالوا تبنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه
 وسلم اطلبوا منه العفو فطلبوا مني العفو فمن له سعادة صدق باني المهدي
 المنتظر ومن لا جعل الله له عوارض تصده عن التصديق بالمهدي لي وقد
 دلت كرامات على صدق اخباري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن
 لا تنفع الكرامات والآيات من أراد الله شقاوته وقد أخبرني النبي صلى الله
 عليه وسلم مرارًا أن من شك في مهديتي كفر بالله ورسوله وان من عاداني
 كافروا من حاربي يخذل في الدارين وماله وأولاده غنيمة للمسلمين وليكن
 معلوما عندكم اني لا أفعل شيئاً الا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم والجهاد الذي
 حصل للترك فانه أمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرني صلى الله
 عليه وسلم بأسرار كثيرة الى آخر فتح البلاد بالدين والسنة وببعض ما يحصل
 فيها واني منصور دائماً على من عاداني واقسم صلى الله عليه وسلم باني منصور
 ومنظور من الله تعالى وقد كشف لي يوم القيامة وان الترك الذين قتلهم
 شكوا للحق عز وجل وقالوا يا الهنا ويا مولانا الامام المهدي قتلنا من غير
 انذار فاقول يا رب انذرهم وأعلمتهم فلم يقبلوا قولي وتبعوا قول علمائهم وصالوا
 على وحضر شاهداً على ذلك سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وقال لهم ذنبكم
 عليكم الامام المهدي أعلمكم وأنذرکم فما قبلتم وسمعتهم قول علمائكم فاقبل

بعضهم على بعض يتلاومون فقال الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم
لكنا مؤمنين وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن
الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وأما عدم تسليم أهل الدولة من أول
الامر فانها حكمة أزلية ووقت تسليمهم علمه عند الله وفي ذلك اسوة برسول
الله صلى الله عليه وسلم حيث لم تسلم له الملوك من أول الامر وقد حصلت
له صلى الله عليه وسلم وأصحابه مشاق عظيمة ومقالات كثيرة مع الاكابر
وعلماء اليهود والنصارى الذين كانوا يدعون انهم يكونون أول اتباعه صلى الله
عليه وسلم وكانوا يستفتحون به وكل ذلك وهو صلى الله عليه وسلم خير خليفة
الله عز وجل واني مقتف أثره ومهتد بنوره وقد أخبر ان الترك لا يطهرهم
الا السيف الا من تداركه الله بلطفه وقد أخبرني صلى الله عليه وسلم ان الامة
تهتدى لى بدون المشقة التى حصلت له صلى الله عليه وسلم واتباعه واني مخلوق
من نور عنان قلبه صلى الله عليه وسلم وبشرني صلى الله عليه وسلم ان أصحابي
كأصحابه وان عوامهم لهم رتبة عند الله تعالى كرتبة الشيخ عبد القادر الجيلاني
فان الفضل بيد الله تعالى يؤتيه من يشاء وقد يدخر الله للمتأخرين ما عسر على
المتقدمين ولكن لا يخفى عزيز علمك ان العلماء ينكرون كثيراً من أمور
المهدي لانه ليس على معتقدهم الذين يظنونونه ولانه يخالف مذاهبهم فلمهديتي
من الله دلائل فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ومما يخبرك بعدم معلومية
عين المهدي للعلماء اختلاف الروايات وكثرة الاقوال عن أهل الكشف
والمعلوم ان ما علمه في ازله لا يكون على هذه الروايات الكثيرة وقد وردت
فيه أحاديث منها المقطوع والموضوع والضعيف بل الحديث الصحيح ينسخه
الحديث الصحيح كما ان الآيات تنسخها الآيات والتصديق بالمهدية صعب

لا يوفق له الا من أدركه الله بسابق سعادة لانه لا يهتدي الى معرفة حقيقته
الا الاولياء العارفون الذين لم يحجبوا عن رؤية نبيهم صلي الله عليه وسلم وأما
ما ذكرت في رسالتك الى معلوم جواب كل كلمة منها في اصابة أمري لمن
أنصف وكنت أردت ان أبين جواب كل كلمة ولكن قد علمت ان الهداية
ليست من كثرة البيان وانك ان اعمنت النظر بعد تصديقك بمهديتي
وجدت جواب ذلك أوضح من الشمس كما علم ذلك كل من صحبني من العلماء
على التصديق ممن هو دون علمك في الظاهر ولو علمت حقيقتي لما كنت
تكتب لي ما كتبه ولما وسمك الا المماونة لي على ما قلني الله تعالى فتدارك
عمرك فقد مضى ولا تؤثر على اجابتي أهلا ولا مالا ولا جاها لتفوز بالفوز العظيم
والخير الجسيم ولا تعاون الظلمة بعد هذا فانه لا يخفأك ما أحدثوه في الاسلام
وقد أخبر النبي صلي الله عليه وسلم فيهم باخبار كثيرة ومثلك تكفيه الاشارة
والسلام « الثاني »

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد
فجزيل السلام من عبد ربه الوائق بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الي سلم
الشريعة المحمدية المستفيض من رحمة ربه بالموم النقلية حبيبا وصفينا في
الله على المحبة الايمانية الاصلية محمد الامين كان الله في عون ووفقه لمرضاته
ولزوم طاعته آمين أما بعد فالذي نعلمك ايها الحبيب ان المتحابين في الله على
منابر من نور يوم القيامة وأن من أراد الآخرة سعي لها سعيها وشتت شمله
في الله ليكون من ابناءها وأهلها وبذل جهده في طلبها ليدرك ما فات من أمرها
وقد أوتيت من العلم بها وبحقارة الدنيا وخسستها نصيبا وافرا ونرجو الله ان

يكون نور العلم معك حجة لك وانى قد عددت وكررت لك الانذارات
 والمواعظ التي تشهد حقيقتك بها وخاطبتك سابقا قبل كل الناس وخصصتك
 بالحقيقة التي لا شيء بعدها وندبتك الى الاجابة لداعى الله فلم تجب دعوتي ونظرت
 الى الثقل والعلائق المعوقة القاطمة عن الله ولحسن ظني فيك ومحبتى لك
 فى الله وارادتى لك البر والخير الدائم والنعيم السرمدي والملك الكبير عند
 الله لم أياس من مخاطبتك ولم اتوقف عن دعوتك لاني مأمور بذلك المنهاج
 على سلوك قدم الحق ومتابعة النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الله
 تعالى لارشاد امته وانت جدير بذلك لان أحوج ما يكون لك المال اليه
 وغاية المعرفة بالله اجلال الله وتمظيمه والقيام بامرہ حيثما كان على الراس
 والعين سيما وانت من اكابر العلماء الوارثين قدم الشريعة المحمدية ومقتدي بك
 فالى متى ترضي لنفسك التخلف عن اجابة الله ورسوله وترضي لها أن ترغب
 عن ملة ابراهيم ومحمد عليها الصلاة والسلام حبيبي ان كنت كما ظننت فيك
 من الايمان بالله واليوم الآخر فالماضي لا يعاد فبوصول جوابي هذا اليك اترك
 المواطن والمساكن وحبها ولا تنظر لمال ولا ولد ولا أهل ولا أحد بل
 لاتراع الا أمر الله ورسوله والمبادرة للهجرة ولرؤية الضر والنفع من الله
 فقط كما ورد كتابا وسنة ولا تراع غزارة علمك وكثرة فهمك ولا تستعقر
 طلبنا لك فعاين ما عند الله الذى منه الحول والقوة وبادر لاجابتنا بهمة
 وشفقة ولا تخش بعدها من عقاب ولا عتاب فانت فى أمان الله ورسوله
 وأماننا اذا طاوعت الامر كما ذكرنا فلا نرضى عليك الا بالهجرة فقط دون
 أمر آخر وما أراك أن ترضي بغير ذلك فأحسن بظننا فيك ولا تحوجنا الى
 خطاب بعد هذا حيث علمت عزمنا عليك بالهجرة فلا غدر لك أبدا عنها

حبيبي وقد كتبت لك سابقا لجودة فهمك وزيادة فطنتك فيما هو حقيقة بلا
 تصنع لتجيب الدعوة الى الله وتنتفع قبل الناس ولكن حبيبي تعلم ان من
 كبر وبلغ الغاية في الكبر عاد الى التسافل الى أن يكون أرذل من كل شيء
 والصغير لا زال يزداد فلا تنظر حبيبي لكبرك في السن والعلم وصغري في
 السن والعلم فانك تعلم ان الله يختص برحمته من يشاء ومن له نور ايمان
 لا يخفى عليه مهدي بنظر نور الايمان وكثير من العلماء الاكابر الذين لهم سابق
 سعادة رأوا ذلك فرجعوا عما كانوا عليه وأتوني نادمين وانك تعلم ان النبي صلى
 الله عليه وسلم ما كان أصوليا ولا نحويا بل نبيا أميا وخصه الله بخاصية لا يعلمها
 الا هو مع انه يقيم وبين أميين ولم يكن في آباءه ملك الى آخر ما استنبأ عنه
 هرقل أبا سفيان ليري به الحقيقة والتأهل للنبوة فعرفها مما أفهمه به ولكن
 حجبها ما تعلمه من الملك والجاه والصيت وحب متاع الحياة الفانية ولم ينف
 عنه ذلك شيئا كما تعلم ذلك فلا تتوقف لما تظن من قصورى فسلم الامر لله
 وانقد لتسعد ولا تكن ممن حجبها الجاه والمال الفانيان فانقطع عما عند الله
 ولا تكن ممن حجبته الكبرياء عن التواضع لله والانقياد للحق فانك تعلم
 ان علماء اليهود والنصارى كانوا يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستفتحون به
 فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به خوفا من مفارقة الجاه والرياسة وما يجبي اليهم من
 الهدايا والقطائف التي يتمتعون بها في الحياة الفانية وقد ساعدوا الكفار
 والمشركين لطلبهم متاع الحياة الفانية ولئلا يزاحموا الفقراء المساكين الذين
 الذين خرجوا عن الجاه والمال واختاروا ما عند الله لاستحقاقهم لهؤلاء وتكبرهم
 عليهم وبنظرهم لكبريائهم وجاههم وما يجبي اليهم من متاع الحياة الفانية أظلم
 عليهم أن ينظروا نزة ما عند الله وان الشاكرين العارفين نعمة الله في الدين

هم الذين اختاروا فراق كل عزيز لأجل ذلك وهان عليهم فراق الوطن والاهل والاولاد والاموال لما ان حدها قريب ليس لها عند الله جدوي وانما يبقى ما اكتسبه العبد مما يقربه الى الله زلني قال الله تعالى «وما أموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلني» ولثلا يقف المؤمن مع ما ذكر عن ايثار الله وطلبه قال الله تعالى «قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم» الخ واذا أراد المؤمن السفر لطلب الله ورسوله وايثار ما عنده وهجس له الاهل والبنون والاموال كفاه قول الله تعالى «ومن يتوكل على الله فهو حسبه» وقول النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل والمال والولد» وان المؤمن يعلم من نور الايمان ودلالة القرآن ان الذي وجه وجهه له هو الذي يخلفه في أهله ولا يخفي عليه حالهم وفضل الله أوسع من فضله عليهم وهو أقدر من قدرته وأدلة ذلك من الكتاب والسنة متضحة ومثلك حبيبي لا يعرف باكثر من ذلك وما تعبت لك في النصيحة الا لارادتي لك الخير والسلام ربيع الآخر سنة ١٣٠١



سقوط شكا وحفرة النحاس

«شكا» إقليم واقع في الصحراء التي بين بحر الغزال ودارفور وسكانه أعراب جل ماشيتهم البقر ويطلق على جميعهم اسم «البقاره» ومنهم قبائل الرزيقات والهباية وبنو هلبه وغيرهم من قبائل البقارة

ولما استولى المصريون على دارفور افتتح غوردون باشا «شكا» وجعلها مديرية وكانت مملوءة بالنحاسين ولهم فيها شركات تقيم معسكرات يطلق عليها اسم (الديم) أي المعسكر وهي توالي الغارات على بلاد العبيد للسلب والنهب

وحفرة النحاس بالقرب من شكا جعلها غوردون مقاطعة ووضع فيها
حامية وفيها معدن نحاس كبير استخرجت منه الحكومة شيئاً كثيراً الى عهد
غوردون ثم أهمل أمره من خلفه من الحكام ونقلت الحامية منها وسيأتي
ان الخليفة التعايشي اعتنى بأمره واستخرج منه شيئاً كثيراً من النحاس واكتشف
معدنا للارصاص ومعدنا للسكحل استخرج منهما شيئاً كثيراً

وكان في شكا أخوان نخاسان دنقليان يدعيان محمد وكرم الله كرجساوي
وقدا على المهدي بعد سقوط الابيض في قبضته وأخبراه بقدرتهما على نشر
دعوته في «شكا» وحفرة النحاس وبحر الغزال ولما استولي على دارفور أشخصهما
الى شكا في الف مقاتل فقد ماعليها وكان بها الصاغ منصور أفندي حسن
ومعه أكثر من الف جندي جلهم من الجنود غير النظاميين يطلق عليهم اسم
(الخطرية) أي المتطوعة

ولما صار كرم الله كرجساوي على مقربة من شكا كتب الى الخطرية
يعلمهم بقدمه وسألهم اللحاق به فاجابوا دعوته ولحقوا به واجتمع عليه نحو
خمسة آلاف مقاتل من الدنقليين النحاسين فكتب الى منصور أفندي حسن
يدعوه الى التسليم والدخول في دعوة المهدي وبعث له بكتاب من سلاطين
باشا يخبره بتسليمه للمهدوية وتصديقه بدعوة المهدي وقد كتب هذا الكتاب
بناء على رغبة المهدي

ولما وقف منصور أفندي على الكتابين توقف عن التسليم في بادئ
الامر واستشار من معه الجنود وكانوا نحو ثلاثمائة فكرهوا ان يقاتلوا
جميعاً وانفقوا على التسليم وكتبوا الى كرجساوي يسألونه ان يأمنهم على أموالهم
واعراضهم فكتب لهم بهذا كله واقسم لهم بالايان المغلظة على الوفاء فسلموا

أنفسهم وأسلحتهم فلم يلتفت الي شيء مما اشترطه على نفسه بل قبض على منصور أفندي ومن معه من الضباط والموظفين المصريين وعذبهم عذاباً ألماً ليدلوا علي أموالهم وأخذ نساءهم وبناتهم غنيمة له ولا نصاره ولم يس أحد من السودانيين بسوء

ولما دانت له البلاد بالطاعة تقدم نحو حفرة النحاس وضم الي جنده من فيها من النحاسين وأرسل للمهدي بالوف من الارقاء وبخمس ماغنه من أموال المصريين وبناتهم وأخذ في الاهبة للتقدم الي بحر الغزال

سقوط بحر الغزال واسر لبتن بك مديرها

بحر الغزال هي البلاد التي تقدم لنا الكلام عليها قبل ايراد حوادثه وكنت أول حاكم ولي عليها باسم الحكومة الخديوية لما عينني غردون مديراً عليها فأعلنت ضمها الي الخديوية وقد سردت أكثر حوادثها الي خروج سليمان ابن الزير علي الحكومة بها وتولية «جسي باشا» عليها وقتل هذا الخارج له واشياعه واقضاء النحاسين منها

وأقول الآن بعد ان غادر جسي باشا بحر الغزال خلفه في وظيفته موسى شوقي باشا من الضباط المصريين وكان وكيله انكايزيا اسمه «لبتن بك» ثم عزل موسى شوقي باشا وخلفه لبتن بك

ولما استولى كرجساوي علي شكا تقدم نحو بحر الغزال بخمسة آلاف مقاتل أويزidon وأرسل الي لبتن بك انذاراً دعاه فيه الي التسليم ومع الانذار كتاب من سلاطين باشا يختلف فخواه عن الكتاب الذي أرسل الي منصور أفندي حاكم «شكا»

وكان مع لبتن بك نحو الف وخمسمائة جندي جاءهم من « الخطرية » فخذلوه
ولحقوا بكرغساوي ولم يبق معه غير عدد قليل من المصريين من الضباط
والموظفين وهبّ الاهلون المبيد واصلحوا دخولهم في طاعة كرغساوي ومنعوا
وصول الاقوات الى لبتن فاضطر هو ومن معه من المصريين الى التسليم بعد ان
استأمنوا كرغساوي فامسواهم ثم قبض عليهم وأذاقهم عذاباً مرّاً واستصغف أموالهم
وهتك اعراضهم ثم بعث بهم جميعهم أسراء للمهدي

وفي غضون مسيرهم في الطريق استأنس رئيس الحراس بلبتن بك
واسراليه انه يبنض المهدي ويعلن الولاء للحكومة ولا ملبتن بك على خضوعه
بغير مقاومة فكشف له دخيلة أمره وقال اني لم أسلم الا لما رأيت جندي
خذلني والتف حول عدوي ولو لا ذلك لدافعت حتى آخر نسمة من حياتي
وعندي ان الموت أفضل من الوقوع في يد هؤلاء البرابرة المتوحشين

ولما وصل لبتن بك الى المهدي أخبر رئيس الحراس المهدي بما دار بينه
وبين لبتن بك من الحديث فأسره المهدي ولم يطلعه

ولما سمع لبتن بك بقدم غردون الى الخرطوم كتب له يعلمه بأمر تسليمه
ويشرح له الاسباب التي تقدم لنا ايرادها ودفع الكتاب الى قبلي اسمه
صالح شنوده كان كاتباً في بحر الغزال

وكان لبتن بك لما قابل المهدي اعتنق الاسلام على يده فسماه

عبد الله

وغادر صالح شنوده معسكر المهدي قاصداً الخرطوم فقبضت عليه
طلائع المهدي وأعادوه الى المهدي فاخذ مامه من الكتب وعذبه حتى اطلعه
على الحقيقة فزجه في السجن وقبض على لبتن بك وسجنه وبالع في تعذيبه

ثم أرسل له كتاباً وهو في سجنه يقول فيه ان رئيس الحراس لما أخبره لم يلتفت الى اخباره بل كانت يتوقع أنه سيحسن اسلامه بعد مواجهته له وشرح له مسألة القبض على صالح شنوده وقال له انك اذا ثبت في سريرتك ورجعت عن غوايتك لا بد ان يأتي خبر من الغيب عن ذلك ولا بد ان النبي صلي الله عليه وسلم أو الحضرة يخبرني بامرئ وبقي لبني في اسوء عذاب وسنعود الى نتمه اخباره حتي وفاته

وكان سقوط بحر الغزال في أواخر شهر جمادى الأخرى سنة ١٣٠١ هجرية وهما هي صورة كتاب المهدي الي لبني بك نقلا عن كتاب المنشورات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد
فن العبد المفتقر الي الله محمد المهدي بن عبد الله الي عبد الله المسلماني وقاه
الله السوء وجعله من أهل التداني كان سابقا أخبرنا الاخ الصادق وفي
المهدي الذي جاء صحبتكم من كوردفان بانه أظهر لك انه لم يكن راضيا بالمهدي
وقصد بذلك الوقوف على حقيقةك فاعلمته بان التسليم الذي حصل منك
ليس على غرضك وانما هو لعدم المواز على الحرب لاجل أن المساكر التي معك
سلمت جميعها وأظهرت النفاق معها وانك على ما أنت عليه من الكفر
ومراكنة الترك فصفحننا عن ذلك أملا في أنك ان لا قيتنا يصف إيمانك ويتم
تصديقك وتسليمك لنا بالذاكرة ولما قابلتنا ذا كرتك وأعلمت ان أمرنا هذا
الهي وان الله اذا أراد أمرا امضاه ولم تنفع في مقابله مدافع ولا جيوش انكايه
ولا غيرها ولا بواير ولا كافة الحيل اذ انه لا يغلب الله غالب وكل ذلك لتصفي
معنا سريرتك ويصير لك الحظ الوافر عند الله وتنال سعادة الابد وتكون

من الاصحاب المؤمنين الذين لهم عند الله حسن المسكانة العظمى وكل ذلك
خير لك ابدى حتي ظهرت خيانتك وتصميمك علي النفاق بمكاتبتك لغردون
واظهارك له انك لم تسلم باختيارك وانك منتظر نجدة الانكاي واظهارك
له ان جماعتنا اكثرهم مرضي جاثعون لا يقدرّون علي حرب شهر كل ذلك ظهر
عند ضبط صالح شهوده لحياته أيضا فمن الآن وصاعدا ان تبت من سريرتك
بينك وبين الله واعتقدت ان هذا السجن لتصفيتك وتجريدك عما يضرّك عند
الله وصدقت مع الله في تسليمك لنا لا بد ان يظهر لنا على سميتك أو باخبار
من الغيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من الخضر عليه السلام وان
لم تتب من سريرتك وبقيت على نفاقك كذلك فلا بد ان يظهر لنا فتريد عذابا
علي عذابك والآخرة أشد عذابا وأشد تنكيلا فان أراد الله بك خيرا يهديك
وتظهر هدايتك لاتباعنا والصدقة معنا وان أراد الله شقاوتك وعذابك في
الدنيا والآخرة تصمم علي ما أنت عليه من النفاق ولا تقل ان الهداية التي
تنفع بادعاء اللسان فان ذلك لا ينفع كما رؤي عليك حين أتيتنا من عدم الصفا
علي وجهك فان اهتديت من سريرتك ستري خير الدنيا والآخرة ان شاء
الله تعالى والسلام ٢٠ محرم سنة ١٣٠٢

ذكر عودة غردون الي السودان

لما سقطت وزارة شريف باشا وخلفتها وزارة نوبار باشا كانت الحكومة
الحديوية في ارتباك فقدت معه كل تدبير وذلك انها كانت لا تكاد تقرّ شيأ في
السودان حتى تنقضه قبل أن يمض علي تقريره يوم أو بعض يوم
وبينما هي في هذه الحالة عرضت عليها الحكومة البريطانية تعيين

غردون باشا بوظيفة حاكم عام على السودان ومنحه سلطة مطلقة . وكان هذا
المرض في شهر صفر سنة ١٣٠١ هجرية

وفي منتصف شهر ربيع الاول أعلنت الحكومة رفض هذا الاقتراح
ثم لم تمض بضعة أيام حتى تلقينا من مصادر الاخبار الرسمية نبأ مفادرة
غردون لوندرة قاصدا القاهرة حيث أمر بتقديم نفسه لجناب السرافلن
بارنج قنصل جنرال انكرا في مصر

وفي يوم ٢٦ ربيع اول سنة ١٣٠١ كان وصول غردون القاهرة وفي
اليوم التالي اجتمع بالسرافلن بارنج وتلقى منه كل التعليمات التي يجب عليه اتباعها
في مأموريته

ذكر العفو عن المؤلف وارجاع رتبه والقباه

ونياشينه اليه ومرافقته غردون الى السودان

قصصت في اول الكتاب ما اصابني من تجريدي من رتبي والقبابي ونياشيني
التي احرزتها في ايان مرافقتي لغردون في خط الاستواء لما كان حاكما على
الاقاليم الاستوائية وقد مضى على نحو سنة ونصف

وفي شهر ربيع الاول سنة ١٣٠١ جاءني خطابان أحدهما من الجنرال
وود باشا سردار الجيش المصري والآخر من نوبار باشا رئيس الوزارة
يرجوني كل منهما ان اقبله في الغد فذهبت الى السردارية وقابلت وود باشا
فأخبرني ان غردون بعث اليه بتلغراف يعلمه بعزمه على مرافقتي له في
العودة الى السودان فأجيبته بأنني مطرود من خدمة الحكومة فقال
اني لأجهل ذلك ولكن غوردون سيطلب لك العفو من سمو الخديو

المعظم وختم كلامه بلزوم أخذ الالهبة والاستعداد الى السفر فودعته
وانصرفت بعد ان وعدته بأخذ الالهبة ثم ذهبت الى نوبار باشا فأعلمني ان
غردون بعث اليه بتلغراف كالذي بعث به الى وود باشا وكان حديثه مميّ كحديث
وود باشا فانصرفت عنه بعد ان أكد عليّ في الاستعداد للسفر

وفي يوم وصول غردون باشا الى محطة سكة حديد القاهرة كانت غاصة
بالمستقبلين من ضباط الانكليز وموظفي الحكومة ورجال التشريفات الحديوية
ولما وصل القطار الذي كان يقبله استقبل بكل حفاوة وكرامة ولما
وقع بصره عليّ تقدم نحوي وصاحني مخاطباً انك يا عزيزي متوجه ممي
الى السودان فسردت عليه مالحقني من التجريد والطرده فطيب خاطري
قائلاً سأطلب من الجناب الحديو العفو عنك وارجاع كل ماسلب منك
فشكرته ثم قدمني لكل الذين استقبلوه من الانكليز وسرد عليهم تاريخ
مرافقتي له في المرتين السابقتين ثم اركبني معه العربة الى منزل وود باشا حيث
كان مدعواً الي مأدبة هناك وبعد وصولي لهذا المنزل استأذنته في الانصراف
بعد ان أكد عليّ في العودة اليه في الغد

وفي نحو الساعة التاسعة صباحاً عدت اليه بمنزل وود باشا فقابلني بوجه
باش وقال لي اذهب الي نوبار باشا لاستلام الاوامر بسفرك فقلت في نفسي
كيف أستلم الاوامر بالسفر قبل صدور العفو وترددت قليلاً ثم امتثلت
وذهبت الى نوبار باشا فقابلني بالاكرام واجلسني بجانبه وقال ان غوردون
باشا مسافر على عجل وإنه يرغب مرافقتك له وانني أعطيك راتب ثلاثة شهور
كرتب أمير الاي ثم انك لا تبلغ بربرحتي أكون قد التمت من الجناب
العالى الحديو العفو عنك وارجاع كل رتبك ونياشينك لك وسأرسل لك

البرآآت والنياشين قبل وصولك الى بربر فقلت له لا يمكن ذلك ابدا ولا
أرضى بمغادرة القاهرة قبل ان أحرز رضا مولاي الحديو وأتحصل على العفو
منه فاخذ يراجعنى ويقسم لى الايمان المغلظة بصيرورة ذلك لا محالة فلم أقبل
وما زال يراجعنى وانا مصر على الرفض واخيراً استأذنته في الانصراف وعلامات
الغضب ظاهرة على وجهى فقصدت محل غوردون وأخبرته بما جرى بينى
وبين نوبار باشا فاستاء وقال لى لم يكن اتفاقى مع نوبار باشا هكذا تم ركب
عربيته قاصداً السراي الحديوية وتقابل مع الجناب الحديو وعرض على
مسامحه طلب العفو عنى فاجابه بان هذا مطرود من خدمتى ومعه من هم
أرفع منه ومن هم دونه ولا يوافق العفو عنه دونهم فقال له يا مولاي انك
جدير بالعفو عنهم كلهم فقال ولكن الظروف غير الجدارة واننى أعطيك
ضابطا بدله ولو من ضباط حرسى فالح غوردون فى الرجاء وقال إننى رغبت
مرافقة اثنين كانا معى وحضرا معى فتوحات خط الاستواء وهما ابراهيم
فوزي وكاتبى محمد بيك التهامى الذى أسفت لفقده البصر مما كان حائلا دون
مرافقته لى وأخذ يسرد على مسامع الحديو الخدمات الجليلة التى قمت بها
معه من رحلة خط الاستواء والخدمات التى اديتها فى غضون ولايته على
السودان فوعد الحديو بالعفو عنى فشكره غوردون وانصرف وارسل الحديو
يدعو الوزراء للاجتماع عنده

ولما عاد غوردون من السراي الحديوية قص على كل مدار بينه وبين
الحديو من الحديث ثم دفع الى كتاباً بالفرنساوية وأمرنى بإيصاله الى الحديو
فى الساعة الثانية بعد الظهر فحملت الكتاب وذهبت الى الممية اتعثر فى أذيال
الحجل وأعص انامل الندم ولات ساعة مندم وتمثل لى ما فرط منى فى ولاء

العرايين باقبح صورة وزاد عليه تبكيت الضمير حيث تذكرت ما كان من
الجناب الخديو ونصحه لي بالابتعاد عن المسألة العرايية وتذكيره لي بنعم
والده على واني ان تابعت العرايين كنت مقابلا لهاته النعم بالعقوق والكفران
فلم التفت الى الذكرى بل انعمت في الفتنة العرايية وكان ما كان حتي كاني
فقدت العقل وعدمت الرشد ولا حول ولا قوة الا بالله

ولما دخلت المعية السنية وجدت طه باشا ويوسف شهدي باشا جالسين
في أودة التشريفات ومعهما كثير من الضباط فسلمت عليهم فلم يردوا تحيتي
وظهر على وجوههم التقطب والعبوس والتفتوا الى محققين ثم أداروا وجوههم
يتغامزون على فتقدمت وجلست بجانبهم غير مكترث بشيء مما أبدوه وبعد
هنية دخل علينا زكي بك تشريفاتي خديو فاندesh لرؤيتي بهذا المكان
ولكنه تجلدوا أخى ما خامره وحياني قائلا (طيبين يامسيو فوزي) فقلت
له (طيبين يامسيو زكي) وبعد هنية أشار الى بالدنو من مجلسه
وابتدرنى بقوله . ألم تعلم يا أخى ان ضباط الثورة المطرودين محظور عليهم
الرجوع الى هنا فقلت نعم فقال وما الذي جاء بك فقلت أقصد التشرف بمقابلة
الحضرة الفخيمة الخديوية فقال انى اخشى عليك من زيادة الغضب وألح على
بالمدول عن هذا القصد فشكرته وأخرجت له كتاب غردون فنظر الى
العنوان وأسرع بإيصاله الى الخديو ثم عاد وقال لي على مسمع من الحاضرين
ان الجناب الخديو يسلم عليك وبعد خمس دقائق تحظى بمقابلته فاندesh
أولئك الذين لم يردوا تحيتي والتفتوا نحوى يرحبون بي بقولهم (مرحباً) فلم
التفت اليهم ولم أرد تحية واحد منهم وقالت فى نفسي واحدة بواحدة
وبعد مضي الخمس دقائق دخلت على الجناب الخديو فوجدته واقفاً

فلم أتمالك نفسي ووقعت على قدميه وأنا أقول (العفو يا أفندينا) حتي انحنى
على وأخذ بكنتي وهو يقول (استغفر الله قد عفوت عنك وردت عليك
رتبك والقابك ونياشينك وكل ماجردت منه) وكررها ثلاثا فوقفت على
اقدامى فجلس وأمرني بالجلوس وأخذ يعاتبني وأنا لا أقول له غير « وكان أمر
الله قدراً مقدوراً » ثم استدعي خيري باشا المهر دار وقال له انني عفوت عن
ابراهيم بك فوزي ورددت له كل ما سلب منه فدعا له بطول البقاء وأمنت
على دعائه وبعد برهة عاد ومعه البراءة والنياشين فوقف الحديوي على قدميه
وسلمني البراءة وقال لي اذهب الى منزلك وتقلد بزة عسكرية لاقلدك
النياشين بيدي فذهبت وبعد برهة عدت فقلدني النياشين بيده وجلس وأمرني
بالجلوس وقص عليّ فخوي الشهادات الحسنة التي شهد بها غردون عن
سلوكي معه في الايام السالفة وأعرب لي عن أمله في نجاح غردون وأوصاني
بطاعته وحذرنى من مخالفته ووعدني بالالتفات ونوال الخيرات ثم انصرفت
شاكراً بعد ان ودعني بأرق الفاظ. المجاملة

ثم قصدت محل اقامة غردون وأنا متقلد نياشيني ومتحل بملابسي الرسمية فاستقبلني
بالضحك الذي يشف عن زيادة السرور وأمرني بأخذ الالهبة حيث السفر في
الساعة التاسعة من مساء الغد من محطة بولاق الدكرور فعدت الى منزلي
وأنا مشغول بأخذ الالهبة للسفر ومقابلة المهثين من الاهل والحلان

وقصصت على غردون كل ما دار بيني وبين الجناب الحديو من الحديث
وكتب الى المالية بصرف مرتب ثلاثو شهور مع نفقات السفر وفي اليوم
التالى قبضت المال وتأهبنا للارتحال والحمد لله على كل حال

ذكر سفر غردون باشا

في مساء يوم ٢٨ ربيع أول سنة ١٣٠١ في الساعة التاسعة مساءً أعد قطار خصوصي في محطة بولاق الدكرور ليقبل غردون باشا ومن معه الي أسيوط فازدحمت المحطة بالمودعين وفي مقدمتهم نوبار باشا رئيس الوزراء ومعه النظار وقنصل جنرال الدولة الانكليزية وعدد عظيم من ضباط جيش الاحتلال والموظفين الانكليز وبعض من رجال التشريفات الحديوية

واتصل بي ان عبد القادر حلمي باشا تحدث مع غردون يومئذ في شأن مأموريته وقال له انني أتوقع لك شراً مادمت قاصداً السودان بلاجند وأما مأموريته السلمية فاني أنجزم منذ الآن بأن المهدي وأعوانه لا يقابلونها الا بالسخرية والازدراء على انني أقول لك لو كان معك الفاجندي فان أخبارهم تصل الي المهدي بنحو كثير وخصوصاً اذا ذاع ان جنوداً غيرهم قادمون لامدادك وفوق ذلك فاني أشك في وصولك الخرطوم سالماً فأجابه غردون على كل ما قاله بقوله ان معي الله وحده وخاطب عبد القادر حلمي باشا الكولونيل ستيوارت الذي ذكرنا انه سافر بمأمورية سرية الى الخرطوم في عهد ولاية عبد القادر حلمي باشا عليها واختارة غوردون لمرافقته بما خاطب به غردون فأجابه انني لا أشك في صحة كل ما قلته ولكنتي رجل عسكري أطيع أوامر رؤسائي طاعة عمياء لان أقل احجام مني يعد جينا واني لا أرتاب في انني ذاهب لحتفي بنفسي

وفي الساعة العاشرة سافر القطار بين هتاف الجماهير قاصداً أسيوط التي وصلناها في صباح الغد فاستقبلنا مديرها وتناولنا طعام الغداء على مائدته

ثم ركبنا باخرة في النيل الى أصوان وهناك قابلنا قسوس من الكاثوليك كانوا دعاة للنصرانية في السودان وهجروا الخرطوم لما أحسنوا بأحداق الخطر بها فقضينا معهم بضع ساعات كان غردون يسألهم في خلالها عن الاحوال فكانت أجوبتهم لا تختلف عما قاله عبد القادر حلمي باشا لغردون

ثم غادرنا أصوان الى الشلال وركبنا باخرة هناك قاصدين كروسكو وبعد مسيرة يومين وصلناها فالفينا الجمال ومعدات السفر كلها في انتظارنا فعينى غردون قومنداناً للحملة وأخذت في الاشتغال بتجهيز وحزم الامتعة حتي الظهر ثم أقيت التنبيهات على رعاة الجمال بأن السير يبتدىء في الساعة الثالثة بعد الظهر وعدت الى الباخرة وأخبرت غردون بجميع الترتيبات وكان جالسا على ظهر الباخرة ومعه الكولونيل ستيوارت والجنرال جراهم أحد قواد جيش الاحتلال وكان عين لمرافقة غردون الى كروسكو ثم جلسنا نحن الاربعة لتناول طعام الغداء فقال غوردون للجنرال جراهم انني التمتست من الجناب الحديوى الاحسان على الكولونيل ستيوارت وابراهيم فوزي برتبة اللواء ليكون الاول وكيل والثاني قومنداناً للعساكر البرية والبحرية فأجابه الجنرال جراهم بالاستحسان

وبعد الغداء طير رسالة برقية للجناب الحديوى بهذا الالتماس ثم امتطينا الجمال وغادرنا النيل في طريق الصحراء قاصدين آبار المرات التي هي منتصف الطريق بين « ابو حمد » الواقعة على ضفة النيل وبين (كروسكو) وسنمود الي هذا الموضوع في غير هذا المحل

ذكر كتاب غردون الى المهدي وهديته

قبل أن يغادر غردون كروسكو كتب كتابا الى المهدي ومعه هدية من نوع الهدايا التي تقدم لمشايخ الاعراب كالبنش وغيره وخوى الكتاب كما يأتي بالايجاز « اننى اعترف بك سلطانا على السودان الغربي كله وملكا مطلقا على كل اقليمه التي هي كوردفان ودارفور واثني لما بلغني ما اصاب أهالى السودان من سفك الدماء وتوالى الحروب خاصرني غم شديد ولذا قد عينتى حكومة جلالة ملكة بريطانيا العظمى وامبرا طورة الهند واليا على السودان وصادقت على ذلك الحضرة الفخيمة الخديوية واثني من صميم قواذى ارغب توثيق عرى العلائق الودية بينى وبين سلطنتكم وأرجو ان تسمحوا باعادة المواصلات التلغرافية وأظن ان أدوات ذلك قد تلقت فى غضون الخطوب وقد أصدرت الاوامر الى مركز الحكمدارية بأن يعطى لكم كل ما تطلبونه من أدوات التلغرافات وأن يستقبل رسولكم كما يستقبل أعظم سفير وقد داخلى حزن شديد لما علمت بقطع طرق السودان الشرقى التي جاءت حائلة بين المسلمين وبين مكة المكرمة التي يقصدونها فى كل عام لاداء فريضة الحج وزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام فهما بنا لفتح هذا الطريق والقاء السلاح لنشيد أركان الراحة ونوطد دعامم السلام

هذا ملخص خطاب غردون للمهدي وسنأتى على اجابة المهدي عليه بعد وقد طير رسالة برقية الى الحكمدارية يأمرها باستقبال سفير المهدي باطلاق المدافع والزينات واعطائه كل ما يطلبه من أدوات التلغراف فقوبلت هذه السياسة من الخرطوم بالدهشة والاستغراب ولكن الآمال كانت

تمثيل لهم ان غردون لا بد أن يكون معه جنود يجبرون المهدي على قبول
مثل هذا الامر ويمنعونه من التقدم الى الخرطوم على ان الامر الذي
لامراء ولا جدال فيه ان المهدي كان يرضخ صاغراً لما رسمه له غردون
لو كان هناك جنود ولو بضعة آلاف

الخرطوم وغردون

ما كاد نبأ تعيين الجنرال غردون يبلغ الخرطوم حتي كان الاهلون
المصريون في فرح شديد ظناً ان غردون لا بد أن يكون قادماً بعناية كبرى
من الحكومتين البريطانية والحدوية وانهما لا يتخليان عن مساعدته بجنود
يقدر بها علي ارقام المهدي ومنعه من التقدم اليهم فأرسلوا اليه بالتلغرافات
وفي كلها التنويه بأنه محط الآمال

وأرسل علي لسان البرق منشورات فيها الاعتراف بسلطة المهدي علي
السودان الغربي وانه عين من قبل الحكومة البريطانية الخ ما جاء في
خطابه الي المهدي

وزاد انه تجاوز عن المتأخرات من الضرائب والاموال الاميرية وتجاوز
عن ضرائب ثلاثة أعوام في المستقبل

وأرسل تلغرافاً بفصل حسين سري باشا من وكالة الحكمادارية وتعيين
الكولونيل دي كوتلجف بدله وهو انكليزي كان في الخرطوم منذ سنة
بمهمة سرية

وأرسل تلغرافاً ايضاً بتعيين عوض الكريم أبي سن زعيم قبيلة الشكرية
مديراً للخرطوم وسنأتي علي ترجمته وأخباره بعد

وأرسل ايضا على لسان البرق أمراً بتعيين الفقيه عبد القادر بن أم صريوم
قاضيا لقضاة السودان

ذكر وصول غردون الى ابو حمد

وبعد مغادرتنا كروسكو ظللنا سائرین أربعة أيام بلياليها لم نذق الراحة
فيها غير ساعتين في كل يوم وليلة وماؤنا وزادنا على ظهور المطايا لا يرى المسافر
في تلك الصحراء القاحلة طيراً ولا وحشاً ولا شجراً حتي ألقينا عصا السفر عند
آبار «المرات» وهي واقعة في منتصف الطريق بين أبو حمد وكروسكو وماؤها
ملح لا يستقر في جوف شاربته حتي يأخذه الاسهال

وبعد استراحة ليلة وبعض يوم استأنفنا المسير قاصدين أبو حمد
وبعد مسيرة أيام وليال أخرى وصلنا أبو حمد وهي أول حدود مقاطعة بربر
من جهة الشمال وأول حدود اقليم دنقله من الجنوب وسكانها يقال لهم
(الرباطاب والمناصير) وهم من جنس قبيلة الجمالين التي ستتكم عليها بعد
وبلادهم قاحلة وكلها مكسوة بالحجارة ولا قوت لاهلها غير ما يجلب الى بلادهم
من محصولات البلاد الشمالية والجنوبية

ويحكى ان رجلاً من الرباطاب كان يأكل نوما من الحبوب اسمه
(قوسيل) فسقطت من يده حبة وكان الظلام حالكا فصرخ صرخة ارتجت
لها جوانب قريته فنسل الناس نحوه يصيحون هل لدغتك أفي فقال سقط
من يدي ثور قوسيل فاصطكت أسنانهم وسقطوا على الارض لعظم تأثرهم
لانهم يعدون الحبة كشور من البقر والقوسيل نوع من اللويا

واستقبلنا في أبو حمد حسين باشا خليفة مدير بربر ومعه أعيان المديرية

فألقى عليهم غردون خطبة أبان فيها أنه تجاوز عن كل المتأخرات لغاية سنة ١٨٨٣ كما أنه تجاوز عن ضرائب ثلاث سنوات في المستقبل وأنه أطلق لهم النخاسة وأثنى الاوامر الصادرة بمنع هذه التجارة فقال له أحد شيوخ الاعراب انك صافيتنا من هذه الضرائب وانا لا نأمن أن يخلفك حاكم آخر فيعود الى جبايتها ما دامت اسماؤنا في بطون الدفاتر فقال له صدقت وسأصدر الاوامر باحراق هاته الدفاتر لزيادة الطمأنينة فشكروا ودعوا له وللخديو

ثم قال لهم وبعد مضي الثلاث سنين أنظر في تخفيض الضرائب وتزيلها حتى تكون أقل بكثير مما هي عليه الآن ثم قال واثني أحدركم من الركون الى المهدي الكذاب خصوصا وأنتم تعلمون انه دنقلي كاذب في كل ما ادعاه وأنه لا يقصد غير تقويم معاشه وتسليطه عليكم فصاحوا جميعاً بصوت واحد انا ندافع عن سلطة الحكومة بما ندافع به عن أبنائنا وأنه يستحيل علينا ان نخضع لهذا الكذاب فشكروهم وأحسن على كثير منهم بالرتب والنياشين على ان ذلك كانت منهم محض خداع لانهم كانوا يخشون ان يكون مع غردون جنود

ثم طير غردون رسالة تلغرافية الى السرافان بارنج يقول فيها ان المقابلة والمحادثة التي دارت بينه وبين الاهلين في أبو حمد تبشر بنجاح مأموريته وتزيد ثقته بالفلاح سيما وان الاهلين وعدوه بان يقبضوا على كل داع يقوم بدعوة المهدي بين ظهرائهم

وقضي غردون جزءاً من الليل في مشاهدة الالامب التي أقامها الاهلون احتفاءً به وهي لعبة (الدلاوكة)

وفي الغد استأنفنا السير على ظهور المطايا الى بربر حيث كانت البواخر في

انتظارنا وكنا كلما مررنا بقرية استقبلنا أهلها بالابتهاج والفرح وكانت
غردون يوزع عليهم الملابس والدرام وبعد مسيرة خمس مراحل وصلنا بربر
فالفينا بها شردمة من العساكر مصطفىة في انتظارنا ثم أطلق واحد وعشرون
مدفعاً ترحيباً بقدم غردون وبعد الاستراحة في سراى المديرية ابتدئت
المقابلات فدخل عليه قناصل الدول وحادثوه في شأن مأموريته ولم يخفوا
عنه ما داخلهم من الارتياح في نجاحه فقابل تصريحاتهم بعدم الاكتراث
ثم دخل عليه موظفو الحكومة فكانت آراءهم كأراء القناصل فقال لهم
ان الجنود على اثرى قادمون من مصر ثم دخل عليه الاعيان فوعدهم بالاجتماع
عنده بعد الظهر.

وبعد تناول طعام الغداء عقد جلسة من الاعيان وكبار الموظفين للمشورة في
أمر المهدي فقال له الاعيان ان المهدي اشتدت شوكته وخضع له السودان
الغربي كله وان لديه من الاسلحة خمسين الف بندقية من طراز رامنجتون
وخمسين مدفعاً وانه لا يخضع أبداً لما جئت به الا اذا رأى قوة تضارع قوته
أو تربو عليها فقال لهم مهما يكن من أمره فان الحكومة الحديوية أقوى سيما وان
حكومة جلالة الملكة فيكتوريا تساعدنا وانه لا بد من ان نقره عاجلاً أو
آجلاً ثم ختم أقواله بالقاء الاوامر المشددة على الكل بالاخلاد الى السكينة
والابتعاد عن المهرج وأسباب الفتن

ذكر مغادرة غردون بربر

وبعد قضاء ثلاثة أيام في الراحة من وعشاء السفر أبحرنا من بربر
قاصدين الخرطوم على احدى البواخر وكنا كلما اقتربنا من الخرطوم نرى

من الاهلين نفوراً منا حتي بلغنا (السبلوكه) وبينما كانت الباخرة تمخر الماء
عند جبل الرويان اللذين هما جيلان على ضفتي النيل يخترقهما النهر اذ
سمعت صياحاً في الضفة الغربية فامسكت النظارة الممظمة فابصرت بها
عشرة أشخاص ممتطين خيولهم يصيحون بقولهم (نحن مظلومون يا أفندينا)
ثم أبصرت كينا خلفهم يبلغ مائتي فارس يتوارون وراء الجبل وخيل لي من
هيئة ملابسهم المرقمة انهم عصاة يقصدون الوقعة اذا لقت الباخرة مرساها
فقلت لربان الباخرة الذي كان ممسكاً نظارته أيضاً ان هؤلاء يقصدون البطش بنا
ونحن ومستخدمو الباخرة لا يربو عددنا على خمسة وعشرين رجلاً وان
غردون اذا سمع صياحهم الذي لم يكن الا خدعة أمر برسو الوابور واذا
رسا الوابور وقعنا في حبالهم بلا ريب ولا سبيل لا قناع غردون بسوء
قصدهم كما انه لا سبيل لنجاتنا الا بشيء واحد وهو انه اذا أمرك بإيقاف الباخرة
تعتذر له بان هذا الشاطئ مملوء بالصخور ولا يمكن الرسو فيه فتردد الربان
في قبول ما أشرت به عليه وقال لي ان أمرت برسو الباخرة امتثلت الأمر
فاخذت ألق عليه وبينما نحن في المحادثة خرج غردون من غرفته وما كادت
اذنه تسمع الصياح حتى أمر الربان برسو الباخرة فامتثل ولم يلتفت الى
ما حدثته به فقلت لغردون ان هذا مكان قفر وليس حوله قرى وانني أرى
وراء هؤلاء الصائحين كيناً والأولي بنا ان نعدهم بالنظر في ظلامتهم بعد خروجنا
من بين الجبلين فغضب غردون ولم يكثر بنصيحتي وقال لي أرى انك بعد
رجوعك للقاهرة فقدت ما كنت أعرفه فيك من الشجاعة والجرأة وأظن
ذلك نتيجة الانغماس في الترف فقلت له لم يكن شيء مما رأيت وظننت بل
انني رأيت الكمين وهو ما دعاني للريبة في أمرهم فازداد غضبه ودخل غرفته

وأعرض عني كل الاعراض وما كاد يبلغ فرفته حتي أطلق علينا أولئك
المقظلمون النيران وظهر الكمين على سفح الجبل فاطلع غردون فرآي
المشرة صاروا مائتين يطلقون النيران علينا ويسهوننا باقبح السباب فأخذ
يضحك ويقول لي لا تؤاخذني يا عزيزي فوزي فقد بالغت في لومك مع
ان الحق معك وأنا المخطيء

ثم انابعد خروجنا من بين الجبلين لم نر أحدا وعرجنا على مكان يدعى
(ولد أبو حليمه) فيه محطة للخشب الذي يوقد للسفن فالقت الباخرة مراسها
لأخذ ما يلزمها من الخشب فالفينا بهذه الجهة شيأ كثيرا من الخشب في
مكائين متقاربين ولم نجد أحدا من الحفراء أو المتهمدين بجانبه فخرج نوتية الباخرة
وأخذوا يحملون الخشب الى داخل السفينة وانا واقف أحتم على الاسراع
وخرج غردون وجلس في ظل شجرة تبعد عن النهر بنحو مائة يarde
وبينما نحن دائبون على العمل لحث شخصا لم أكن رأيته قبل في السفينة
فدنا مني وحياتي فرفته واذا هو جندي من جنودى الذين كانوا معي في خط
الاستواء يعرفني جيدا ويعرف غردون فأجبت أن استطلع ما عنده من الاخبار
فقطع على الكلام وقال اننى عائد من حيث جئت انما جئت لاخبرك للصدقة
القديمة بيننا بان سكان هاته الجهة سمعوا بتقدمك مع غردون وسيهجمون
عليكما في هذه اللحظة وانصرف مسرعا وعاد من حيث جاء فأسرعت الى
غردون فوجدته غائبا في لجة أفسار فابتدرته بقولى قم بنا بسرعة الى الباخرة
فقد طرأ أمر يمنعني من الكلام فقام معي مسرعا ولم يبد أقل مراجعة وصحت
بالنوتية ادخلوا الباخرة ولم نكد ندخل حتي هجم على السفينة عدد كبير فأسرعنا
الى قطع الحبال وتأخر عن الدخول شخصان من النوتية لاذحام الطريق الموصلة

من البر الى السفينة فقتلها العدو وأخذ يطلق النار علينا ويسبنا
وبعد ان توسطت الباخرة لجة النهر قصصت على غردون أمر ذلك
المسكري فتعجب وأثنى عليه وعلى مروءته وأظهر رغبة شديدة في مكافأته
على حسن صنيعه

ثم تابعنا مسيرنا حتى وصلنا أم درمان فالفينا بها نقطة من الجنود قابلتنا بالحفاوة
وأطلقت المدافع وبعد ان تفقدنا حصونها تابعنا سيرنا الى الخرطوم
على ان غردون استشعر بان مأموريته لن تصادف نجاحاً وانه كان مخطئاً
في قدومه بلا جنود وانه تسرع ولم يثبت في ارسال تلغرافه الى السرافلن
بارنج ولكن كان عنده بقية أمل حيث كان ينتظر اجابة المهدي

وصول غردون الى الخرطوم

ولما أبحرنا من أم درمان رست بنا الباخرة في (المقرن) أي نقطة
اجتماع النيلين الأبيض والأزرق وبعد أن ادت الحامية التحية العسكرية أخذنا
نتفقد الحصون فسر غردون من متانتها وأثنى على العساكر وشجعهم ثم
استأنفنا السير الى الخرطوم وهناك ألفينا العساكر مصطفىين والاهلين
محتشدين نخرجت من الباخرة انا والكولونيل ستيوارت صحبة غردون فاندesh
الناس وقالوا أمن هؤلاء الثلاثة يخاف المهدي ويترك التقدم علينا ان هذا
لشيء عجاب

ولما وصلنا الى سراي الحكمدارية وقف غردون عند السلامك ودفع
فرمان توليته الى الشيخ حسين المجدي رئيس أساتذة المدرسة الاميرية فصعد
على منبر الخطابة وقرأ الفرمان بصوت مرتفع والناس منصتون لسماعه كأن

الطير على رؤسهم ثم أطلقت المدافع ثم صعد على المنبر ابراهيم بك مأمور الضبطية وأخذ يملئ عليه هذه الخطبة وهي « يا أهالي السودان عمومًا ان الجناب العالي الخديوى يسلم عليكم صغيراً وكبيراً أحراراً وعبيداً انا وذكوراً وكذلك جلالة الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا العظمى وامبراطورة الهند وانكم لا تجهلون شفقتى عليكم ومحبتى لىكم وقد ساءنى ما سمعته عنكم حيث نشبت الحرب بينكم وتعمطت تجارتكم وسفكت دماؤكم ومنعتم من تادية فريضة الحج التى هى من أركان الاسلام وزيارة قبر النبي عليه السلام وقد أساء هذا الحال كلا من جلالة الملكة وسمو الخديو المعظم فانتدبت من قبل حكومة جلالة الملكة لا كون واليا على السودان ومرخصا فوق العادة وقد صار فصل السودان عن مصر فصلا تاما وفوض الى الحكم المطلق وقد خبرت حضرة السيد محمد أحمد المهدي بفحوى مأموريته واعترفت له بالسلطة المطلقة على السودان الغربى برمته على شرط ان لا يمدده لغيره. هذا وقد انيت جميع الاوامر الصادرة بمنع تجارة الرقيق وتجاوزت عن جميع المتأخرات من الضرائب لغاية سنة ١٨٨٣ وقد تجاوزت أيضا عن ضرائب ثلاث سنوات منذ أول سنة ١٨٨٤ وأمرت باحراق دفاتر المتأخرات وأمرت باطلاق جميع المسجونين على اختلاف جرائمهم وتنوع جناياهم وعزمت منذ الآن ان لا يكون أعضاء حكومتى الا من الوطنيين حيث اننى اود تشكيل حكومة وطنية ليحكم السودان نفسه بنفسه وقد عينت عوض الكريم اباسن مدير اللخرطوم وأحسننت عليه برتبة الباشوية ولى الامل بان العلائق ستصبح بينى وبين سلطان الغرب وثيقة العري وقد أمرت منذ اليوم بفتح ابواب الحصون واتلافها وسحب الجنود منها لتلتفتوا الى عمران بلادكم وحرث اراضيكم

وانما تجارتكم ومنى عليكم السلام اه وكان أهل الخرطوم يسمعون هذه
الخطبة ودموعهم تنهمر من أعينهم حيث كانوا موقنين بان هذه سياسة
خرقاء وأن المهدي سوف يتقدم نحوهم ويقهرهم
ثم دخل عليه العلماء مسلمين وقالوا له إنا نصبح قتلي وأسرى في الغدان
اتلفت شيئاً من الحصون وان المهدي لا يلتفت الي شيء مما دعوته اليه ولا
يرده عن بغيه غير جيش جرار وان من حولنا من الاعراب متحفزون للوثبة
علينا فظهر لهم التردد ولكنه كف عن تخريب الحصون وتدميرها
وعلى أثر ذلك هجر المدينة كثير من الناس قاصدين القطر المصري
واستقال كثير من الموظفين ومنهم الكولونيل دي كوتلجن فتعجبت من
اصرار غردون على رأيه الاول بعد ان رأي الخطر الذي أحرق بحياته مرتين
في الطريق وعلم اجماع الآراء على عدم نجاحه

ذكر عبد القادر بن أم مريوم

عبد القادر بن أم مريوم فقيه من أهالي القرى التي حول الخرطوم
وأهالي هذه القرى كانوا ينقادون له ويعظمونه فقصد غردون توليته القضاء
رجاء ان يؤثر بنفوذه على أهالي هاته الجهات ويمنعها من الدخول في دعوة المهدي
ولما وصل غردون الخرطوم وفد مسلماً عليه فأكرم وفادته وأحسن
عليه بثلاثمائة ريال فأخذ يقول على رؤس الاشهاد ان محمد احمد كاذب في
دعواه وانه لم يكن مهدياً وبعد قبضه الثلاثمائة ريال قال لغردون اني ذاهب
الي قررتي لا اعود بمائتي وعشيرتي فقال له غردون أخشى ان لا تعود فقال
له أقسم بسبعة ايمان يعرضن على الله لا اعودن بمائتي وعشيرتي واتي أموت

على ولاء الحكومة وطاعتها ولو بقي من عساكرها واحد فإني أكون الثاني
فإذن له غردون في العودة الى قريته واكد عليه في الاسراع بالقسوم وشيعة
الى الباب

وفي اليوم التالي ورد على غردون كتاب من عبد القادر المذكور يقول
فيه انني أنصح لك ولبن ممالك من الموظفين ان تسلموا للمهدي المنتظر
الذي من شك فيه فقد كفر وان النبي صلى الله عليه وسلم بشرني به منذ
ثلاث وثلاثين سنة وقال لي صلى الله عليه وسلم انك تصير أحد وزرائه فتفيظ
غردون من هذا الكتاب وكتب منشوراً قال فيه من جاءني برأس عبد القادر
ابن أم مريوم فله جائزة الف جنيه ولحق عبد القادر بالمهدي فعقد له لواء
بالامارة على كل أهالي القرى المجاورة للخرطوم وفي يوم سقوطها دخل منزل
محمود محي الدين أحد أعيان المدينة وقتل صاحبه وسبي نساءه
وجاءت هذه الحادثة من اللواتي آذن بان مساعي غردون ذاهبة ادراج
الرياح وانها لا تجدي نفعا ولا تغني فتيلاً

ذكر عوض الكريم ابن ابي سن

قلنا ان غردون عين عوض الكريم ابن أبي سن مديراً للخرطوم
واهداه لقب باشا وعوض الكريم هذا زعيم قبيلة (الشكرية) وهي رحالة تسكن
شرقي النيل الازرق في صحراء (ريره) الواقعة بين نهرا تبرة والنيل الازرق
وماشيتهما من الابل والبقر كثيرة جداً وعدد نفوسها زهاء خمسمائة الف
نسمة ورجالها مشهورون بالشجاعة وقوة الباس وعندهم من الخيول العربية الجيدة
كثير وكان أحمد باشا أبو سن والد عوض الكريم مديراً للخرطوم وزعيماً

لهذه القبيلة وقبيل وفاته قدم القاهرة وقدم للخديو اسماعيل باشا هدايا كثيرة وتوفي بالقاهرة بغتة خلفه ابنه عوض الكريم في زعامة قبيلته

ولما ظهرت دعوة المهدي كانت قبيلة الشكرية وزعيمها من أصدق القبائل ولواء للحكومة واجتمع منهم نحو عشرة آلاف مقاتل ساعدوا الحكومة على اخماد الفتنة التي أضرم نارها الشريف أحمد طه الذي تقدم لنا ذكر واقعه وقاتله وشهد عوض الكريم وكثير من رجاله أكثر الوقائع مع عبدالقادر باشا حامي وبالجمل فان هذه القبيلة حافظت على ولواء الحكومة ولم تؤثر تخرصات المهدي على عقول زعيمها وعشيرته أسرة أبي سن

ولما فتك المهدي بحملة الجنرال هيكس وانتشرت دعوته في السودان الاوسط حوالى الخرطوم كانت قبيلة البطاحين التي تسكن غرب صحراء ربره قد دخلت في دعوة المهدي وقبيلة البطاحين هذه رحالة أيضا وماشيتها كماشية قبيلة الشكرية الا انها أقل منها نفوسا اذ لا تبلغ نفوس قبيلة البطاحين خمسين الف نسمة ولكن رجالها مشهورون بالقوة والاقدام وهم لصوص يقطعون الطرق في كل انحاء السودان فلا تكاد تكون عصبة لصوص أوقطاع طرق الا من البطاحين ولما دخلت هذه القبيلة في دعوة المهدي وقويت شوكة الداعية محمد بن الطيب البصير ابتعدت قبيلة الشكرية عن ضفة النهر وأوغلت في الصحراء الى قرب نهر اتره فاوعز ابن البصير الى قبيلة البطاحين بمناوأة قبيلة الشكرية والفارة عليها لسلب ماشيتها

وكان عوض الكريم يقصد من الدنو من نهر اتره مقابلة بيكر باشا حينما عزم على فتح طريق من مصوع الى كسلا ومنها الى الخرطوم حيث يخترق صحراء ربره ثم لما عاد بيكر باشا الى سواكن وفشلت حملته كانت عيون

عوض الكريم تاتيه بالاخبار من سواكن عن حركات الجنرال جبراهم وكان
مؤملا الاجتماع باى جنود تتقدم لتعزيز حامية الخرطوم أو انقاذها
ولما حصر المهديون كسلا أحدثت الاخطار بقبيلة الشكرية وكثرت اعتداءات
البطاحين عليها فعمدت الى مظاهرة المهدي وكتبت له بالخضوع والطاعة
وسألته ان يعتبرها خاضعة له فكان جوابه لها أن ذلك لا يكون بغير انضمامها
الى محمد بن البصير واتحادها معه لقتال جنود الحكومة فكانت تعذر تارة
بمرض زعيمها وأخرى بتوالى غارة البطاحين عليها

ولما وصل غوردون الخرطوم بعث بكتاب الى عوض الكريم باشا ابى
سن يعلمه بتعيينه مديرا للخرطوم ويدعوه لاستلام منصبه فوصل الرسول
مع رسول قادم من المهدي بكتابين لموض الكريم وسائر أفراد اسرة ابى
سن فاخلى عوض الكريم وأسرته برسول غوردون وسأله هل جاء معه
بجنود فقال لا ولكنهم سيجيئون فثنا عوض الكريم التراب على رأسه
وقال يا ضيعة الاثمل ثم كتب الى غوردون بمخرج موقفه وعدم قبوله هذا
المنصب وأرسل اليه بالكتابين اللذين جاآه من عند المهدي وزاد ان البطاحين
يسافرون بكثرة الى بربر ليساعدوا داعية للمهدي قدم اليها ولا بد انهم
يتغلبون على بربر وان بقاءى في هذا المكان انفع لك من قدومي الى الخرطوم
اذ لا بد لي ان أظاهر أية نجدة تتقدم اليك من شرقي السودان فوقع رايه موقع
القبول والاستعسان عند غوردون فاقره عليه وهاهي صورة ما جاء في الكتابين

« الاول » ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن
العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى أحبائه في الله واعوانه على سكة

رسول الله عوض الكريم أحمد أبي سن وعبد الله أحمد أبي سن وعبد الله أحمد أبي
 سن ومحمد أحمد أبي سن وعمارة أحمد أبي سن وعبد القادر أحمد أبي سن والأمين
 أحمد أبي سن وأبي عاقلة أحمد أبي سن وحسان أحمد أبي سن وعمر أحمد أبي سن
 ومحمد عوض الكريم وعلي عوض الكريم وعبد الله عوض الكريم ومحمد
 عوض الكريم وعوض الكريم أحمد واخوانهم وأولادهم وعشيرتهم
 وقبيلتهم أحبائي ان الدنيا ظل زائل ونعيمها مائل هائل وسرورها فم وراحتها
 تعب وهم والركون اليها غرور وكفي بذلك شهيدا وما الحياة الدنيا الا متاع
 النرور وجمعها شتات وشتاتها عقل وثبات والتخلي عنها نعيم والتخلي بها نار
 وجحيم ومكرها خفي حائق والالتفات لها عن الله عائق والتعلق بها خمول
 وبوار والسعي في طلبها دمار وخسار والتمتع بيميشها ضرر والفرح بها انقباض
 وكدر والتئم بها بوس وطالع سعدا غارب منعوس وشرابها سراب وصفاءها
 عقاب وحلوها مر وميلها غدر وحنانها قطيعة وصلاتها فظيعة وعاقبتها ندم
 ووجودها محض عدم وخيرها يسير وحسابها كثير وطلبها وبال وبقاؤها محال
 وعلوها سفل والاجتهاد في طلبها حمق وجهل وكفي في التحذير منها والتباعد
 عنها قول الله المتين « وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب » ولا يفتربا للعب واللهو الا
 الخامدون وقول النبي الاواب الناطق بالصواب « لو كانت الدنيا تزن عند الله
 جناح بعوضة لما سقي كافرا منها جرة ماء » فانظروا رحمكم الله الى خسرتها وما
 فيها ودم خالقها وباريها ومبدعها ومنشئها ورسوله المأمون الذي أوضح للخلق
 السر الممكنون فكيف بعد هذا تركنون اليها وتعدونها دار اقامة مع انها جنة
 أعدائكم المبعدين عن رحمة الله والكرامة ولو كانت فيها خير للمؤمنين
 السالكين طريق خير المرسلين لما خرج منها صلي الله عليه وسلم ولم يضع

لبنة على لبنة ولما زهدوا الصحابة ونظروها حقيرة ممتحنة أموالكم في رسول الله
 أسوة حسنة واتباع لسيرة أصحابه الواضحة المستحسنة فاخرجوا عنها فأنها
 ذميمة وتجنبوا نتائجها فأنها عقيمة واصبروا على شدائدنا وبلاياها وجاهدوا
 النفس وصدوها عن ركوب مطاياها وشدوا أزرهم على إقامة الدين وعلى أعداء
 الله الكافرين والخروج عن طاعتهم وتشيت شملهم وتفريق جماعتهم وبارزهم
 بالعصيان لتناولوا كمال الرضوان وقاتلوهم فأنهم مخذولون وجاهدوهم فأنكم
 عليهم منصورون وشعروا في ذلك عن ساعد الجد والاجتهاد لنيل غاية القصد
 وبلوغ المراد وقابلوهم بمزم قوي وصدق نية وغيره وحمية وحسن طوية
 وارغبوا فيما أعد الله للمجاهدين وابدلو نفوسكم وأموالكم في الله طمعا
 فيما ادخر لانصار الدين قال الله تعالى «ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
 وأموالهم بأن لهم الجنة» فكيف بعد ان جعلت الجنة ثمنا للنفوس والاموال
 تتأخرون عن الجهاد ولا تبادروا اليه بكامل الاحوال ما هذا التواني والتأخير
 وأنتم لا تملكون لانفسكم نقيرا ولا قطمير وخذوا بزمام حزمكم وسارعوا
 الى مفرة من ربكم وبادروا الى قول نبيكم ايما عبد من عبادي خرج مجاهداً
 في سبيلي وابتغاء مرضاتي ضمنت له الجنة ان أرجعته أرجعته بما أصاب
 من أجر أو غنime وان قبضته غفرت له ورحمته أو كما قال فكونوا عباد الله
 إخوانا في الدين وجاهدوا في الله فان الانهمالك في الدنيا ضلال مبين وقاتلوا
 الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ولا تهنوا في ابتغاء القوم
 ان تكونوا تألمون فأنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وأعدوا
 لهم ما استطعتم من قوة ولا تتأخروا عن جهادهم وخذوهم بقوة وذلك
 بانضمامكم مع محمد الطيب البصير وإعمال الرأي والمكيدة وما يجب للعدو

والتدمير واعتمدوا على الله العالم بما في الضمير وأخلصوا النية فإن خلوصها
 مطاياكم وحسنوا الظن في عالم سركم ونجواكم وكونوا يداً واحدة وشندوا
 بعضكم بعضاً فانما الرجال بالآخوان والمعاضدة وتيقنوا ان عفونا لكم عن
 الهجرة ورضانا عنكم مقرون بذلك ولا تأخذكم نخوة الجاهلية والتفاخر
 بالآباء فإن الله عالم بما هنالك بل أفيقوا من سكرة الغفلات وأندموا على الزمن
 الذي صرفتموه في البطالات فإن الدنيا ذهبت والآجال اقتربت وطلب الآخرة
 أصفى لكم وانقضى وما عند الله خير وأبقى واحرصوا على ما فيه نجاحكم وفلاحكم
 واعلموا ان الجهاد فيه صلاحكم ورباحكم وإياكم وسماع قول من يفرمكم ولا
 ينصحكم ويحسن لكم ما فيه هلاك نفوسكم وفي مهاوى الهلاك يطرحكم
 وتيقنوا ان صحبتنا مبنية على الانكسار وصفاء السرائر من دنس الاغيار
 واطلاق النفوس من سجن حب الدنيا وطلب ما أعد الله للمجاهدين
 والمتقين من الرتب العليا فان كنتم صادقين في جوابكم المحضر الينا بالصحة
 والاتباع فخرضوا قبائلكم وعشيرتكم واحضروا بانفسكم تنالوا كمال المزية
 وحسن الارتفاع وكونوا أنتم ومحمد البصير في المعاونة على شعائر الدين يداً
 وساعدوا واحذروا الكبير الذي يصعد عن الله ويباعد في الحديث القدسي
 العظيمة ازارى والكبرياء رداً في من نازعني فيهما غمسته في ناري واشتاقوا لما أعد الله
 للمجاهدين حيث قال في كتابه العزيز « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
 أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون
 بالذين لم ياحقوا بهم من خلفهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » فاعتبروا
 يا أولي الابصار وانظروا بعين الحقيقة والاستبصار والسلام

« الثاني » ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم . والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم
(وبعد) فن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى أحبائه عوض
الكريم أحمد أبي سن والطيب محمد وحمد أحمد أبي سن وعبد الله أحمد أبي
سن وعبد الله أحمد أبي سن ومحمد أحمد أبي سن وعمارة أحمد أبي سن وعبد
القادر أحمد أبي سن وأبي عاقلة أحمد أبي سن والامين أحمد أبي سن وحسان
أحمد أبي سن ومحمد عوض الكريم وعلى عوض الكريم وعبد الله عوض
الكريم وحمد عوض الكريم ويوسف أحمد أبي سن وأولاد محمد أبي سن
وجميع أتباعهم وعائلاتهم وخواصهم أحبائي قد قال الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم « واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على
نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوء بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه
غفور رحيم » ومعلوم انكم تعلمون ان الله أنزل القرآن ليهتدى به وهو الذي
هدي به نبيه صلى الله عليه وسلم وهو شفاء ورحمة للمؤمنين فامعنوا النظر فيما
دل اليه وآمنوا بما جاء من عند الله بيقين فان المؤمنين قد وحدوا الله بما
سمعوه فيه من آيات الانفس والآفاق فلما نظروا انه لا يقدر على ذلك أحد
سواه وعلموا ان ملكوت كل شيء بيده لم يخافوا الا من الله ولم يرجوا
سواه فمن له نور بالتصديق بما عند الله آثره على كل شيء ولا سيما اذا
سمع قوله تعالى « قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى » والاحوال
السابقة معلومة وقد علمتم فوات ما رغب فيه من متاع الدنيا من قبلكم فاذا
صدقتم وعلمتم اني داع الي الله لمصالحكم التي لا يعود عليكم سواها وكل
ما آثرتموه من متاع الدنيا فانما يعود بالحسرة الطويلة عند الفوات كما حصل

لمن سبق فأفئدوا فانكم عقلاء وأهل قريحة فلا تضيعوا فيما قلل الله فيه
 « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » فإذا بلغكم جوابي
 هذا وكنتم مصدقين كما حسنا فيكم الظن بحسب مجاوبتكم وما أسردتموه
 من بعض الاحسان على الامل بحسب حسن الظن وكل ذلك لا يخلص
 الانسان بل يخلصه صفاه وحسن تصديقه لما عند الله الذي يوجب له ايثار ما عند
 الله فان الذين كانوا جامدين على ما هم فيه من الجاه والمال احتجبوا عن الاتباع
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كانوا ينتظرونه ويستفتحون به فلما جاءهم
 ما عرفوا كفروا به خوفاً من فوات المال والجاه وخوف الخلق والطمع في
 المال فاخلصوا لله كما كتبتم الاتباع فانه لا يخلص عند الله الا الاتباع الخالي
 من النفاق الذي هو ايثار الآخرة على الدنيا واذا آثرتم الآخرة وعلمتم مالكية
 الله وانه لا اله الا الله وان الذي أخبرنا بخسة الدنيا ونفاسة الآخرة بمقاله وحاله
 محمد رسول الله صادق أمين فاخرجوا عن ملكية الترك واستعملوا شرع الله
 ولو متم في ذلك فان الدار الآخرة والحياة حياتها ولا متاع خال عن طول
 الندم الا متاع الآخرة ولا والي في الدارين ولا حبيب غير مفارق الا الله
 فأنبئوا الآخرة وثقوا بالله واصبروا على بلاء الله الذي فيه لكم التصفية
 وتكثير الدرجات الدائمة ولا تقفوا مع الزائلات فيفوتكم بها خير الدوام
 ومع هذا فشمروا على احياء شرع الله في أنفسكم ومن معكم ولا تتبعوا الا
 طريق الرسول صلى الله عليه وسلم الي أن يأتيكم منا أمر أو نأتي بالبحر الابيض
 فتلحقوا بنا فيه واكتفوا بالله وأنبيوا اليه ولا تلتفتوا بعد هذا الى غير الله قال
 الله تعالى « وأنبيوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم المذاب ثم لاتنصرون
 واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم المذاب بغتة وأنتم

لا نشعرون أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين «الآية وأيضاً من المعلوم أن المنيب لما عند الله الذي عرف قدرة الله تخاف منه يمثل أمر من ولاء الله للدلالة إليه والدعاية إلى ما عنده فإن لم يمثل ويدخل في التسليم في جميع الأمور حارب الله ورسوله فإذا وصلكم جوابي وكنتم مؤمنين مطيعين لله فكفوا عن البطاحين وإن كان لكم عليهم تبعات فاصبروا حتى يحكم الله بينكم على يدنا فيوصل لكل ذي حق حقه والسلام ربيع الأول سنة ١٣٠١

غردون وابن البصير

ذكرنا ما كان من أمر ابن البصير ودعوته للمهدي في الخلاوين وسائر بلاد الجزيرة وأنه كان في قلة وقد سعت الحكومة في القبض عليه فلم تفلح

ولما وصل غردون إلى الخرطوم كتب إلى ابن البصير كتاباً يخبره فيه باعترافه بسلطة المهدي على السودان الغربي وإن بلاد الجزيرة خارجة عن دائرة نفوذه وأن قيامه بدعوة المهدي في تلك البلاد مخالف لهذه المعاهدة وأنه إذا كان لا بد من بقائه تحت سيادة المهدي فليغادر الجزيرة ويلحق به أو ليكن خاضعاً لأمر غردون ودفع الكتاب إلى رسول أصله من الذين وقفوا في أسر الحكومة من العصاة

ولما وصل الكتاب إلى ابن البصير جمع أهل مشورته وتلا عليهم الكتاب فقالوا بلسان واحد أنه . ضرب من الشعوذة ونوع من الاسعار وإننا نحن

انصار الدين وقد عصمنا الله من أن يؤثر فينا هذا السحر فكتب ابن البصير الى غردون كتاباً تتحاشى عن إirاده لما تضمنه من الشتم وبذاءة القول في حق غردون وجلالة الملكة فيكتوريا والتهديد حيث قال له اننى قادم عليك ومتحفز لمتاجزتك ايها الكافر ولما اطلع غردون على الكتاب مزقه لشده تأثره مما تضمنه من الاهاجى السافلة وجاء كتاب ابن البصير ضغثاً على ابالة حيث لم يبق عند غردون ذرة من الامل وامر بترميم الحصون وإصلاح ما تلف منها واخذ في إعداد معدات الدفاع والتأهب للطوارئ



ذكر خطاب المهدي لغردون

ذكرنا ما كتبه غردون للمهدي وما اهداه له من الملابس ونقول الآن لما وصلت الهدية والكتاب للمهدي كتب الى غردون كتاباً ضمنه الاحتجاج عليه بعدم جواز ولايته على المسلمين ودعاه فيه الى الاسلام وعرض له بذكر خضوع دارفور له وانتشار نفوذه في جميع انحاء السودان الغربي وبعث له بصور الانذارات التي خاطب بها يوسف باشا الشلالى ومحمد سعيد باشا حاكم كوردفان والجنرال هيكس وقد تقدم لنا ايراد انذار يوسف باشا الشلالى فلا حاجة الى اعادته هنا

وعرض له بذكر سلاطين باشا وغيره من الذين دانوا بطاعته وذكر تاجرا يونانيا اسمه ديمترى سجاهه اعتنق الاسلام وحسن اسلامه وأرفق الكتاب بآخر شكر فيه غردون على الهدية التي اهداها له واعتذر عن قبولها بعدم حاجته الى مثلها لان ملابسه مما يلبسه الزهاد الذين يعرضون كل الاعراض عن متاع الدنيا وذكر انه مرسل بهدية الى غردون

من نوع مـلابسه يسأله قبولها والتخلي بها اذا وفقه الله لاعتناق الاسلام
وكتب على ظهر الغلاف بخط يده ان محمد سعيد المسلماني الذي كان اسمه
جورجو اسـلامبوليه اخبرني بأن السيد أفندي نعيم الاجزاي يعرف لغة
اوربية فاسألك ان تقف على ماحواه الكتابان وليترجمهما هو لك والسيد أفندي
نعيم هذا كان صيدلى الحكومة بالخرطوم وأصله مصرى ومحمد سعيد أوجورجو
تاجر سوري وقال المهدي في كتابه الى غردون ان محمد سعيد باشامدير كردفان
بعد ان مات جاء خبر بانه صار من السعداء بسبب انه بايعه وجلس معه وهما هي
صورة ما جاء في الكتابين وصورة انذار وصل الى هيكس قبل مقتله بايام

« الاول » ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم
وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى عزيز بريطانيا
والحدوية غردون باشا قد وصلنا جوابك وفهمنا ما فيه وانك تزعم ارادة
اصلاح المسلمين وفتح الطرق لزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام واتصال
المودة فيما بيننا وبينكم وحل المسيحية من النصاري والمسلمانيين وان تجمعنا
سلطانا على كوردفان فاقول والامر لله اني قد دعوت العباد الى صلاحهم
وما يقربهم من ربهم وان يفرغوا من الدنيا القانية الى دار البقاء ويعملوا ما
يصلحهم في آخرتهم وقد كتبت الى حاكم دار الخرطوم وأنا « بآبا » بدعايته الى
الحق وبان مهديتي من الله ورسوله ولست في ذلك بمتحيل ولا مرید ملكا
ولا جاها ولا مالا وانما أنا عبد أحب المسكنة والمساكين واكره الفخر
وتعزيز السلاطين ونبوهم عن الحق المبين لما جبلوا عليه من حب الجاه والمال
والبنين وهذا هو الذي صدهم عن صلاحهم وأخذ نصيبهم من ربهم فاخذوا

الفانى وتركوا الباقي واشتغلوا بما لا يكون من الفانيات ولم يسموا قول الله
 ولا رسوله ولم يذكروا خبر القرون الذين لم يغب عنهم ذلك شيئاً وندموا
 على قدر الذى تمتعوا به فايدنى الله تعالى بالمهدية الكبرى لدلائلهم الى الله
 تعالى وليتركوا العز الفانى والنعيم الفانى الى العز الدائم الابدى فى دار النعيم
 المقيم ولا عرفهم غرور من يريد لمعالجة ويظن انه ساع فى رضى الله ويكون
 له نصيب فى الآخرة وقد قال المسيح عليه السلام يا معشر الحواريين ابنوا
 على موج البحر داراً تملككم الدنيا فلا تتخذوها قراراً ومن ظن انه يخوض البحر
 من غير بلل فهو مغرور فكذلك من ظن انه يجمع الدنيا ويريد عزها
 وجاهاها ويكون له فى الآخرة شأن. فأنب الى الله الباقي واخضع لجلاله واطاب
 عز الآخرة ولا تظن ان هذه الدنيا دار حتى تسمى للمسكها وعزها وكيف
 من يكون على خلاف طريق النبي صلى الله عليه وسلم يفتح باب زيارة قبره ولم يكن
 النبي صلى الله عليه وسلم ممن يرغب زيارة الكلاب كما ورد ان الدنيا جيفة
 وطلابها كلاب ولم يكن يرغب من عبد غير الله ونسي الله واعرض عن كلامه
 وطلب متاع الحياة الفانية فان كنت شقيقاً على المسلمين فبالاولى اشفق على
 نفسك وخلصها من سخط خالقها وقومها على اتباع الدين الحق باتباع سيدنا
 محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أحى ما اندرس من ملل الانبياء
 والمرسلين وأتى مصداقاً لما بين يديه من الكتب لجميع الانبياء عليهم السلام
 لو حضروه لما سلكوا غير ملته وكلهم يتمنون ان يكونوا من أمته ومن حضر
 بعثته ومن بعدهم لا يقبل منه دين غير دينه فظهر نفسك أولاً بالدخول فى ملته
 ثم أشفق على أمته بسلوك سنته فعند هذا تكون الشقيق ومن غير هذا فمالك
 من المحقين رفيق كيف وقد قال الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود

والنصاري أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين» إلى أن قال «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون» وإننا قد امتثلنا أمر الله فما نتخذ وليا إلا الله ورسوله والمؤمنين وعلى ذلك قد وعد الله بالغلبة كما سمعته من قول الله هذا حيث إن الله يقول هم الغالبون فلا غلبة لغيرهم فإن رجعت عما أنت عليه من ملة غير الإسلام وأثبت إلى الله ورسوله واخترت الآخرة نتخذك وليا وتكون من إخواننا وتكون المودة المطلوبة عند الله ورسوله وتكون ممن امتثل أمر الله بعد هذه الآيات فاستحق الوعد والبيشارة في قوله تعالى «ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ولو أنهم أقاموا التوراة والأنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم» الآية فبعد هذا تتصل المحبة والمودة فيما بيننا وبينك وتكون ممن عمل بالقرآن والتوراة والأنجيل وتكون قد اتبعت باتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عيسى وجميع الرسل والنبين وحزت الخير الأبدي والآخر حيث علمت أن حزب الله الذين وليهم الله ورسوله والذين آمنوا هم الغالبون من كلام الله فاعلم أن حزب الله وأصل إليك ومزيل لك عما شاركت به خالقك فادعيت ملك عباده وأرضه مع أن الأرض لله يورثها عباده الصالحين وأما المسلمانيون والمسيحيون الذين دعوت إلى إطلاقهم إليك فإنا أريد لهم الصلاح والنفع عند الله وفي دار الأبد كما أريده لك ولكافة عباد الله فلا أبعدهم من جنتهم إلى محنتهم فإن الله قد أيدني رحمة للعباد لا نقذهم من الهلاك الذي هم واقعون فيه لولا رحمة الله بظهوري فيهم واعلم أني

المهدي المنتظر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا حاجة لي بالسلطنة
ولا بملك كدخان ولا غيرها ولا في مال الدنيا ولا زخرفها وانما أنا عبد الله
دال على الله والي ما عنده فمن كان سعيداً أجابني واتبعني ومن كان شقياً أعرض
عن دلالتي فإزاله الله عن موضعه وأذله وعذبه عذاب الابد وقد أيدني الله
تعالى بالانبياء والمرسلين والملائكة والمقربين وجميع الاولياء والصالحين لآحياء
دينه وقد بشرني النبي صلى الله عليه وسلم ان جميع من يلقاني بعداوة يتخذله الله
ويهزمه ولو كان الثقلين الانس والجن فلا تغتر قهلك كما هلك اخوانك
فافهم وسلم تسلم. وأما الهدية التي أرسلتها لنا فلي حسب نية الخير جزاك الله
الخير وهداك الى الصواب واعلم انه كما كتبنا لك أننا لا نرغب متاع الحياة
الدنيا وزينتها وانما هي قصد المترفين الذين لم يكن لهم عند الله نصيب فهاهي
مرسولة اليك مع ما نرشيه من اللبس لنفسنا ولاصحابنا الذين يريدون الآخرة
ويرغبون فيما عند الله من الخير الباقي الابدى ليستحقوا بذلك نعيم الابد
وملك الدوام كما درج على ذلك الانبياء والمرسلون وجميع السعداء من عباد
الله الصالحين وتعلم ذلك أنت حقيقة من سيرة عيسى عليه السلام وحواريه
وقد قال كبيت لكم الدنيا فلا تنعشوها بعدي فتعلم بذلك ان من خالفه من
الاحبار والرهبان وجميع من يدعي اتباعه ليسوا محقين وانما غرتهم الحياة
القانية والامتعة الآيلة الى ان تكون جيفة وعذرة ثم عدما محضاً فتكون
حسرة وندما عند فراقها لما فوتته من اكتساب خيرات الدوام ثم ان مثل
هديتك عندنا كثير ولكن أعرضنا عنه طلباً لما عند الله وأقول في ذلك كما
قال سليمان عليه السلام لبلقيس وقومها أتمدون بمال فأنا في الله خير مما آتيكم
بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتيهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم

منها اذلة وهم صاغرون» واعلم انك اذا أتيتنا مسلماً نريك ونريك من النور
 ما يطمئن به قلبك ويحول به طمعك في الدنيا وما فيها ثم بعد ذلك ان رأينا
 فيك خيراً وصلاً للمسلمين وليناك كما فعلنا ذلك بمحمد خالد المشهور بزرقل
 مدير (دارا) سابقاً فانه لما أتانا ورأى الحق وفرح بقلنا غاية وندم على ما فات
 مما ضيعه من عمره في الفاني واطمأن قلبه بالله واختار الآخرة ووثق بالله
 وليناه على دارفور وقد كتب لنا قبل ذلك عبد القادر سلاطين بالتسليم
 فاكرمناه والى الآن نريد كمال تربيته وهو الآن في خير كثير وكذلك السيد
 جمعه الذي كان مدير الفاشر الآن أرسلنا الى محمد خالد المذكور يأتي به الينا
 لكمال التربية والارشاد وبلغنا حسن اسلام الدمترى سجاهه وصدق اتباعه
 لنا وانابته الآخرة وكذلك جميع أمراء النقط بدارفور قد اذعنوا لله كباقي
 سلاطين دارفور وسلموا جميعاً أمرهم الينا في حب الله ورسوله فحسن تسليهم
 واتباعهم لنا وكذلك الملك آدم مك جبال تقلى الآن أتى مهاجراً لما رأى الحق
 وحسن اتباعه وصدقه وقد اكرمناه وهو الآن معنا بخير كثير وهلم جرا
 فكل سعيد لا يدان يتصل بنا من جميع أقطار الارض ومن أبي لا بد أن يخذله
 الله ويعذبه في الآخرة كما أشار الى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم مراراً وليكن
 معلوماً عندك يا حضرة الباشا ان جميع الذين قتلوا على يدي قد اندرتهم أولاً
 انذاراً بليغا وهاهو واصل اليك انذار ولد الشلال بمد مخاطبته لي وانذار
 هكس باجوبة عديدة للعامة وجواب مخصوص له ولا كابر جيشه وقد أرسلنا
 الى باشة الابيض بجواب فقتل رسلنا وبعد أن وقع في يدنا اكرمناه واعطيناه
 جبة جميلة ليتدرج الى الصدق مع الله ولا زلنا نكرمه ونعظمه ليقتردي بنا
 ويصدق مع الله فيكون من الاصحاب الذين هم كالنفس فلم يصدق ولا زال

يقع فيما يهلكه ونحن نصفح عنه حتى أخذته نيته فمات ومع ذلك لاجل مبايعته
ومجالسته معي إياما قد اتانا خبر بعد موته أنه عني عنه في الآخرة فصار من السعداء
والعبد اذا كان يسعد في الآخرة فهو المقصود ولا خير في الدنيا ولا في نعيمها
بل انما متاعها يكثر الحسرة والحسب فقط يوم القيامة ونيتي بالعباد سعادتهم في
آخرتهم الابدية وازالة الهلاك عنهم من الله ولذلك لا طفت جميع الاكابر وأهل
الدولة بالقول والفعل ليعرفوا ما عند الله فيرغبوا فيه ويتركوا الحسب الفاني
وهكذا جميع من وقع في قبضتنا من الاكابر من اهل الدولة والحكام ما عملنا
معه الا الخير والا كرام فمن صدق منهم معنا فهم الآن في خير كثير وازدياد
شرف والسلام - جماد أول سنة ١٣٠١

وبعد هذا البيان فان اهتديت وسلمت لي واتبعني حزت شرف الدنيا
والآخرة وفزت باجرِك وبأجر جميع من اتبعك والا هلكت فكان عليك
اثمك ومثل آثام جميع من اتبعك وان كان لك حسن نور في العقل تعلم اني خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تتهمني فيما أسوق به الى الله والدار الآخرة
ولا تسمع على قول الظالمين الحساد الذين يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم
ويأبى إلا أن يتم نوره وقد قال صلى الله عليه وسلم من شك في نصرة المهدي
فليقرأ قوله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كله ولو كره المشركون وقوله تعالى كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله
ولزيادة الشفقة عليكم لزممت التحشية بهذا والهادي هو الله وكثرة البيان
لا تهدي هداانا الله والعباد الى الصواب آمين

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم * والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم

(وبعد) فمن عبد ربه الفقير الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى غردون باشا باطلاعك على ماتدوّن بالجواب اليك تعلم باطنه وبه كسوة الزهاد أهل السعادة الكبرى الذين لا يبالون بما فات من المشتيات طلبا لعالي الدرجات وهي جبة ورداء وسراويل وعمامة وطاقيّة وحزام وسبحة فان أنبت الى الله وطلبت ما عنده فلا يصعب عليك أن تلبس ذلك وتتوجه لدائم حظك وهاهو الرسول الذي أتى منك واصل اليك مع رسل من عندنا كما طلبت والسلام «صورة ما كتبه المهدي على ظهر المظروف الذي أرسل الى غردون» سألتك بحق الله ونبيه عيسى عليه السلام أن تقف على أجوبتنا هذه بالحرف وقد أبلغني محمد سعيد المسلماني الذي يسمي جورجوا اسلامبوليه أن رجلا يسمي السيد افندي نعيم الاجزائي له معرفة بلغتكم وبالخط العربي وما دام انه يعرف الخطين والافتين نرغب منكم الوقوف على مافي هذا الظرف جميعه حرفياً على يد المذكور أو من هو مثله وقد سألتك السؤال المذكور لما ذكرته والسلام اهـ

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم (وبعد) فمن الفقير المعتصم بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الى من يسمع من أهل الجردة ممن له عقل فانه لا يخفى على ذي عقل ان الامر بيد الله ولا يشركه في ذلك بئادق ولا مدافع ولا سواربخ ولا عصمة لاحد الا من عصمه الله تعالى فاذا فهمتم ذلك فاعلموا ان الله واحد فلا تغتروا باسلحتكم ولا بجموعكم التي تريدون ان تقاتلوا بها جنود الله فانه لا قوة لشيء دون الله وان قلم ان مهديتنا مكذوبة فاعلموا ان التكذيب انما يصدر ممن يحب الدنيا ويخاف

المخلوق ويستعجز قدرة الله فاذا فهمتم ذلك فلا تغرنكم أقوال علمائكم فان
الترك الذين قتلهم شكوا للحق عز وجل وقالوا يا الهنا ومولانا إن المهدي قتلنا
من غير انذار فاقول يا رب انذرهم فلم يسمعوا وحضر على ذلك شاهدا سيد الوجود
صلى الله عليه وسلم وقال لهم الامام المهدي انذركم فلم تسمعوا له وسمعتهم قول
علمائكم فذنبكم عليكم فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون فقال الذين
استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكننا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين
استضعفوا انحن صددناكم عن المهدي بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين فان كان لكم
نور تؤمنوا بالله ورسوله والدار الآخرة وتصدقوا بمهديتنا وتخرجوا اليها
مسلمين ومن أسلم يسلم وان ايتم الا الجحود والا غترار بالمدافع والبارود فاتم
مقتولون كما أخبر سيد الوجود وأسوتكم ما سبقكم من الجنود والسلام - ١٩ ذي
الحجة سنة ١٣٠٠

وقدم على غردون رسولان مع رسوله يحملان الكتب والهدية التي
هي جبة مرقعة وسراويل وعمامة كلهما من نوع خرقه اسمها (الدمور) تصنع
في السودان وهي أردأ من النوع الذي يعمل في مصر أشربة للسفن الشراعية
ولما وصل الرسولان الى الخرطوم شهرا سيفيهما فأمرهما ضابط باب
الحصن باغمادهما فلم يطيعاه فأمر غردون بالمحافظة عليهما حتى يصل السراي
وهاج أهل الخرطوم عليهم وهم الصبيان والرعاة برجمهما بالحجارة فمنعوا ولما
دخلوا على غردون قالوا له (السلام على من اتبع الهدى) وسلماء الكتب
والهدية ولما نظر الهدية غضب ورفسها برجله وقال (غوديم) ثم اطلع على
الكتب وابقى الرسولين بطرف حاجب السراي ريثما حرر للمهدي كتابا قال
فيه اني أدعوك الى السلم وأنت تدعوني الى الحرب وادعوك الى حقن الدماء

وأنت لا تميل الا الى سفكها فاقول لك الآن لا بد من قهرك وبيع
جراح طفيتانك ومهما يكن عندك من الاتباع فلا بد ان ترضخ صاغراً أو
تهلك حيال قوتي الحكومة الخديوية والدولة الانكليزية وعاد الرسولان الى
المهدي واشتغل غردون بمخابرة مصر ولوندره بالتأمرات التي تذكرها فيما يأتي

مأمورية غردون الحقيقية

عقدت هذا الباب بيانا شافيا لما سرده قبل من مأمورية غردون التي
كانت ترمي اليها حكومة انكلترا وقد حسر اللثام عنها غردون نفسه فيما كتب
من مذكراته المشهورة بتاريخ ٢٢ يناير وهي بنصها

أرى ان حكومة جلالة الملكة قد عقدت النية على ان لاتأخذ على عهدتها
المهمة الكثيرة الصعوبة التي غايتها وضع حكومة منتظمة لأمم السودان وانها بدلا
من ذلك قد صممت ان ترد الى هذه الامم حريتها وان لا تسمح للحكومة
المصرية بالتدخل في شؤون تلك الامم اهـ

وعليه فان مأمورية غردون منحصرة في هاته السطور بمعنى ان
حكومة جلالة الملكة كان غرضها ان يمهّد غردون السبيل لوقوع تلك البلاد
في مخالب الفوضى وبعبارة أخرى ان يقضي على نفوذ مصر في تلك الارحاء
هذه كانت مقاصد انكلترا أما الخديوى توفيق باشا فان مقاصده الحقيقية
اعادة الامن والسلام الى هاتيك الاقطار ثم اجبر على تحوير مقاصده بجعلها
قاصرة على انقاذ المخلصين من رعاياه من الخطر المحدق بهم واخلاء السودان
اخلاء تاماً عن كل المصريين والذين استوطنوه من العناصر المتعدنة واقامة
حكومة وطنية بها

ويظهر جلياً ان الخديوي كان مرتاباً في نجاح مأمورية غردون بالطريقة
السلمية التي كان متمسكاً بأذيالها ولذلك صرح للبارون دي مالورتي بالتصريحات
الآتية وقد نشرها البارون في الصحف الانكليزية الكبيرة وهي كما يأتي
لم يكن في استطاعتي ان أبدي دليلاً على حسن مقاصدي باحسن من
تعيين غردون باشا حكمداراً عاماً للسودان ومنحه كل السلطة في عمل ما يراه
ضرورياً لاصابة الغرض الذي ترمى اليه حكومتى وحكومة جلالة الملكة .
حتى انى قلده نفس السلطة المخولة لي وتركت له الحكم على الحالة الراهنة ولا
ريب في ان ما يستطيع اتيانه من الاعمال احسن ما يكون . وقد قبلت سلفاً
ما يمكن ان يقترحه من الوسائل الى ذلك اذا ما يراه حسناً من التصرفات يكون
الزامياً بالنسبة اليها ثم انى بعد ان جعلت عظيم ثقتي بهذه الكيفية في هذا
الباشا لم اشترط عليه الا شرطاً واحداً وهو ان يبذل عنايته فيما فيه طمأنينة
العناصر المتعددة من أوروبيين ومصريين وها قد أصبح الآن الرئيس
المفوض يرافقه حسن آمالي في هذه المأمورية التي هي من الخطارة والاهمية
بمكان فان قلبي يذوب عند ما أفكر في الالوف المألفة من رعاياي المخلصين
الذين تكفى غلطة منه لهلاكهم . وانى لا أشك في انه سيبدل كل ما في وسعه
لحقن دماء اكثرهم على الاقل . فان نجح بعون الله في اخلاء الخرطوم وأهم
مواني السودان الشرقي فله الشكر مدي الدهر على رعيته التي ترتعد فرائصها
من توقع ما يخشى حصوله بعد حين . أما قولي لك انه ينجح في مأموريته فهو
من قبيل المجازفة منى في الكلام كثيراً فان امامه قوات اكثر منه عدداً
وأهوالاً غير اننا نرجو الخير وأما هو فيمكنه ان يعتمد على أصدق مساعدة
وأسرع معونه منى انا وحكومتى بقدر ما تصل اليه يد الامكان اه

ويظهر من هذا التصريح ما قلناه من ان الخديو أجبر على قبول مأمورية
غردون على علائها ولما رآها ترمي الى غرض إيقاع السودان في مهاوى الفوضى
اقتنع بامنية واحدة هي انقاذ رعاياه المخلصين من الشرور التي كان متوقفاً
حصولها من نتيجة مأمورية غردون الذي أرسل ليموت حتى بموته يتم
غرض دولته

على ان غردون لم يكن جاهلاً بكنه تلك النية ولهذا كان يرسل التلغرافات
تتري ويدون المذكرات لا ليقنع قومه بالعدول عن ذلك العزم بل ليجعل
التاريخ حكماً بينه وبين قومه لا اعتقاده ان تلغرافاته ومذكراته لا بد ان تنشر على
الجمهور ويطلع عليها العالم أجمع وهم لا بد ان يحكموا له لا عليه
وقد تحققت أمنيته حيث نشرت الحكومة البريطانية تلك المذكرات
والتلغرافات في كتبها الزرقاء وكان لها من الاهمية فوق ما كان يتناه صاحبها
وقد دارت مباحث كثيرة بشأنها في اندية انكلترا وبرلمانها ومجلس لورداتها
وأهم هاته التصريحات ما فاه به مستر غلادستون في مجلس العموم حيث قال
« ان حكومة جلالة الملكة تأخذ على عاتقها مسؤولية المأمورية التي القيت
مقاليدها الى غردون أدبياً وسياسياً وانها ستعمل كل ما في وسعها للوصول
الى نتيجة مرضية اهـ

ثم فاه غلادستون أيضاً بتصريح اوضح من هذا حيث قال « ان مهمة
غردون هي اخلاء السودان وانقاذ موظفي الحكومة ثم قال ان ثقتنا به عظيمة
ولسنا مبالغين في شيء من روايتنا وانا عقدنا النية على ان لا تفاجأ بعمل
دون استشارته وأخذ آرائه»

وغير هذا وذاك كثير من التصريحات التي لا مشاحة في انها كانت من

معميات السياسة حيث يري من ظاهرها ان غردون لو أشار باصبعه للملأت
انكلترا البر والبحر رجالا وسفنا وانقذته من كل خطر يهدده وقد اكدت
الحوادث خلاف هذه الاقاويل فان الانكليز صموا آذانهم دون نجاته حتي
قضي عليه ولم يمدوا له يد المساعدة وذلك أدل دليل على ان ما عقدوا نيتهم
عليه لم يكن غير ما أصاب غردون وما تم من إعطاء أثم السودان حريتهم ومنع
الحكومة الخديوية منعا باتا من التداخل في شؤونهم وسنورد بعد هذا
كثيراً من مذكرات غردون وتلغرافاته وهي تؤيد ما قلناه وثبت كل ما أوردناه
والله الهادي الى سواء السبيل

ذكر تلغرافات غردون

لما يثس غردون من نجاح مأموريته السلمية وانقطع جبل رجائه بما
ورد عليه من كتب المهدي وداعيته محمد بن البصير اجتاز النيل الازرق الى
الشرق عند قصر راسخ بك وأرسل احدى عشرة رسالة برقية الى السير
بارنج يخبره فيها بما وصلت اليه حالته وان العدو على وشك الزحف عليه
للاحاطة بالمدينة وان الاسلاك البرقية ستقطع قبل أن يتمكن من مخبرته مرة
أخرى وأرسل برسائل أخرى الى الخديو المرحوم توفيق والى نوبار باشا رئيس
الوزارة المصرية وقتئذ فوردت عليه من السير بارنج رسالة جاء فيها انه لم يفهم
ما تضمنته الاحدى عشرة رسالة وان الاولى به أن يخبره بقصده بعد طول
التفكير ان ما جاء في الاحدى عشرة رسالة يتضمن شيئاً واحداً هو بالاجاز
وجوب ارسال النجدة لاسعافه وحفظ خط الرجوع من دنقله الى بربر
ولعل جناب السير افان بارنج كان يقصد من قوله لم أفهم انك لا تجهل

ان مقاصد حكومة جلالة الملكة غير ماتطلبه ولم أفهم منك هذه الطلبات
حيث انك لا تجهل انها لا تحول عما عقدت نيتها على انفاذه وفي تليفرافات
غردون ان الاسلاك البرقية على وشك الانقطاع وانه من المتعذر
بعد هذه الفرصة وصول اخباره الى القاهرة فكانت اشارة السير بارنج
بمخبرته بعد التفكير أمرا في غاية الصراحة بعدم لزوم المخاطبة حتى يقضي الله
أمرا كان مفعولا

وأرسل غردون تليفرافا في أول مارس سنة ١٨٨٤ الى السير بارنج جاء
فيه ما يأتي

لم أزل أعتقد كمال الاعتقاد ان اخلاء السودان ممكن لكن أقول لك
انه من المستحيل اجلاء المستخدمين المصريين عن الخطوط اذا لم تساعدني
الحكومة في الطريق الذي أوضحته لها اه

فأجابه السير بارنج بتاريخ ٢ مارس بالرسالة الآتية

قد وصلتني الاحدى عشرة رسالة التليفرافية المرسلة الى في الاربعة أيام
الاخيرة بخصوص مسائل السياسة العامة واني شديد الرغبة في مساعدتك
بكل طريقة لكنني لم أتمكن من معرفة ماترغبه للآن وأرى ان أحسن طريقة
هى أن تلخص المسألة جيدا وتخبرني تليفرافيا بما تستصوبه اه

فأجابه غردون بالرسالة الآتية

يجب على الحكومة مساعدتي وان اجابة مطالبي ضربة لازب
هذه خلاصة ماتبودل بين غردون والسير بارنج من التليفرافات وقد
كان هذا يعرضها كلها على الحكومة الانكليزية ويشفعها بمبارات تعرقلها. منها
تليفراف السير بارنج الى اللورد غرانفيل بتاريخ ٤ مارس حيث قال ما يأتي

ان الجنرال غردون والسير ستيوارت يلحان بوجوب فتح الطريق بين
سواكن وبربر لنجاح مأموريتيها الحاضرة
أما أنا فلا يمكنني تمضيد ما جاء بتلغراف ستيوارت من ارسال فرقة
من الحيلة الانكليزية أو الهندية الى سواكن
وأرسل السير بارنج الى اللورد غرانفيل الرسالة الآتية أيضاً
أتشرف بأن أخبر سعادتكم ان الجنرال غردون كتب الى تلغرافياً
باننا لو أرسلنا مائة جندي الى أصوان ووادي حلفا يأمن من كل خطر
ويكون في حالة اطمئنان كالسواح المسافرين في النيل وينتج منها تحويل صغير
أما أنا فلا أريد مطلقاً أن أخاطر بحياة فرقة صغيرة مؤلفة من مائة جندي
فقط اه

وقد كان غردون لسوء حظه يبحث بتلغرافاته الى السير بارنج وقد رأيت
كيف انه كان ينصب نفسه لما كسبه والنصح للحكومة البريطانية بعدم
الالتفات الى شيء من مطالبه حيال تلك التصريحات التي تقدم لنا ايرادها عن
الجناب الحديوي وساسة الانكليز الذين تمهدوا بمساعدته ومعاونته في سبيل نجاح
مأموريته حتي أن نجاته كانت متوقفة على ارسال مائة جندي الى أصوان
وحلفا فلم ير السير بارنج لزوماً للمخاطرة بهذه الكوكبة الصغيرة فهل بعد
ذلك كله من حاجة الى برهان بان غردون أرسل ليموت ويترك السودان
الى الفوضى. ويرى القاري فيما أوردناه من تلغرافات السير بارنج الى غردون
بتاريخ ٢ مارس عبارته التي يقول فيها انني شديد الرغبة في مساعدتك بكل
طريقة ثم ما أوردناه بعدها من تلغرافاته الى دوائر انكلترا وعرفلته لكل
مشروع من شأنه ان يساعد غردون على النجاح حتي انه نصح الحكومة

الانكليزية بعدم ارسال مائة فارس الى أصوان ووادي حلفا لان إرسالهم يكون سبباً في إبعاد الخطر عن غردون بعض الأبعاد

على أن ارسال المائة فارس الى حلفا كان يقصد به غردون ان أخبارهم تصل الى المهدي بنلو كثير حيث يظن ان جنودا قادمون لامداد غردون فلا يجسر على التقدم عليه ومناجزته

ولو عملت الحكومة الانكليزية براى غردون وأرسلت المائة فارس لكانت النتيجة حسنة ولم تسقط بربر في أيدي المهديين حيث بسقوطها أهدق الخطر بغردون وانقطع أملهم من وصول نجده عن طريق حلفا أو سوا كن لان بربر نقطة التقاء الطريقين

وكان قصد غوردون بكل مخبراته مع السير بارنج أن يكون التاريخ حكماً بينه وبين انكلترا كما قدمنا ولذا بحث بتفرقات قبل وصوله الى الخرطوم فخواها ان الاضطرابات اقل مما كان يظن وانه يرى ان لامندوحة له من تمحيص حكومة جلالة الملكة النصيح بتسكين الاضطراب في السودان الشرقي وتقوية خطوط الاتصال بين بربر وشواطئ البحر الاحمر من جهة وبين حدود مصر من جهة أخرى وحاول اقناع السير بارنج بان السودان مفتقر كل الافتقار الى اشراف الحكومة الحديوية عليه بمحقوق السيادة وسأله ابدال فرمان الذي كان يحمله بأخر يحتم على السودان وجوب الخضوع الى مصر فذهبت مساعيه كلها ادراج الرياح وأصر السير بانج على انفاذ الخطة التي توخاها أولاً ولم يلتفت الى شيء من نصائح غردون الذي كان يرى ان وقوع السودان كله في قبضته - سيكون خطراً على مصر وان احتلال انكلترا لوادي النيل يحتم عليها العمل عاجلاً لابعاد كل الاخطار عن البلاد التي احتلوها

ليوطلدوا دعائم الامن والراحة في ارجائها
وجاء ضمن نصائحه ان حكومة جلالة الملكة ستتضطر يوماً لمناجزة
المهدي وكبح جماح طغيانه وسوف تتكبد من الضحايا ما يبلغ عشرة أضعاف
ما تتكبد به الآن لو عملت بمشورته وقبلت نصيحته فلم يلتفت السير بارنج الى
شيء من ذلك كله بل أصر على انفاذ مارسه سياسة قومه غير مكترث بشيء
من الضحايا التي يتكبدها سكان السودان عموماً وسكان الخرطوم خصوصاً
والحاصل ان التلغرافات غردون لم تعد بفائدة ولو صغيرة واصبح لامناص
له من الوقوف امام الصعوبات التي كان يراها تدنو منه حتى وقع القضاء وتغلب
المهدي على السودان والامر لمن له الامر
ولما كانت الصور الرسمية التي بايدينا قد لعبت بها أيدي الضياع ايام وقوعنا
في أسر المهديين اضطررنا لنقل هذه التلغرافات من كتاب مصر في عهد الاحتلال
الانكليزي لمؤلفه هنس رزيرالمانى مترجماً وكلها طبق الحقيقة

اول حصار الخرطوم

ذكرنا ما كان من أمر الشيخ العبيد وما ورد عليه من كتب المهدي
وقطعه الاسلاك التلغرافية ثم سماحه باعادة اصلاحها
وفي غضون اشتغال غردون بمخابرة السر بارنج ارسل اليه الشيخ العبيد
كتاباً يدعو فيه الى التسليم في هذا اليوم وانه امر بقطع اسلاك التلغراف
في الغد فكتب اليه غردون يلاطفه ويسأله ان لا يكون مع المهدي لمكانته
من الصلاح والشهرة فرد عليه اسوأ رد وفي يوم ١٦ مارس زحف ابراهيم
والعباس ابنا الشيخ العبيد ومعهما سبعون الف مقاتل على الضفة الشرقية

من الحرطوم وقطعوا الاسلاك قبيل الظهر وتقدموا الى الضفة النيل واطلقوا
النيران على المدينة وكان جل مقدوفاتهم يسقط على سراي غردون لان موقفهم
كان تجاهها

واجتمع في سراي غردون من سكان المدينة نحو ألفي نسمة يظهرون
شديد اسفهم وكان هو واقفا كواحد منهم الا انه كان مصوبا نظارته المعظمة
الى مكان اجتماع العصاة وكان اكثر الناس مثله وسمع البكاء والولولة من دور
المدينة كلها لان السكان كلهم مدركون خطارة الحالة وشاعرون بما يحدق بهم
من الالهوال والمصائب وغردون كان في الباطن مثلهم لا يقل عنهم الا انه كان
يظهر عدم الاكتراث ويبدى من الضعف قوة ومن اليأس رجاء حتي كان ظهوره
بهذه الصفات مما ساعد كثيرا على بث روح الشجاعة في قلوب السكان

واقعة الخلفايه واصابة المؤلف برصاصة

والاحسان عليه برتبة اللواء

في اليوم الذي ظهر فيه العصاة وقطعوا الاسلاك البرقية عهد الى غردون
ترتيب الحامية في الضفة الشرقية حول قصر راسخ بك وتفقد الخندق المحيط
بذلك القصر فاجتزت النهر وعدت بعد ان رتبت الحامية فالتفت البواخر على
أهبة السفر وبها نحو ثلاثة آلاف جندي بين نظاميين وغير نظاميين
فاستدعاني غردون ودفع الي أمرأ بقيادة هاته الجنود وأمرني بمباغته العصاة
الذين عسكروا في الخلفاية على بعد أربعة أميال من قصر راسخ بك فاجرت
على الباخرتين ولدي وصولنا الى الخلفاية ألتفت العدو قد تحصن بها وراء
متاريس وشاد نحو ثلاث طواب فأخذ مني العجب مأخذاً حيث لم يكن قد

مضى عليه اكثر من بضع ساعات منذ حلوله في هذه الجهة وكانت متاريسهم
وحصونهم بشكل نصف دائرة فرجتها الى النهر وعرضها الى القلعة
وبعد ان ألت الباخرتان مراسيهما شكلت قلعة زحفت بها على ميسرة
المدو الذي قابلنا بثبات غريب وصوبنا قنابلنا الى الثلاثة طواب واجتحننا
المتاريس من جهة الميسرة وبعد ساعتين ثبت فيهما الجنود ثباتاً غريباً استولينا
على المتاريس والطوابى وطردنا منها العدو وتقدمت ميمنتنا واحتلت الاكواخ
التي كان النساء والاطفال فيها وساقتهم أسرى وقبضنا على عدد كبير من
الرجال أسرى كذلك

وكانت ميمنة العدو باقية على المقاومة فتقدمت نحوها بميسرة جنودي
فتمكنت في برهة يسيرة من الزمن من طردهم واحتلال موقعهم فتأثرتهم
الجنود الذين اضطرت لارغامهم على العودة الى النظام وعدم تأثر العدو لان
الظلام بدأ بارخاء سدوله علينا وبينما أنا على هذه الحالة أصابتنى رصاصة في
نخذي الايمن اخترقت اللحم ونفذت الى المظم فاحتلاني الجنود وعادوا بي
الى البواخر واستولت عليهم دهشة شديدة عادوا بسببها الى البواخر بدون انتظام
ولو لم يكن العدو قد لجأ الى الفرار لكانت العاقبة سيئة ولم يفقد من الجنود
غير اثنين وواحد من قواد الباشبوزق

ولما عدت الى المدينة استقبلني غردون ملهوفاً ولما رآني ملقى على الفراش
والدماء تسيل من نخذي تأثر الى درجة كاد يفقد معها عقله وأصدر في الحال
أمره باحتمالي الى دارى وأمر طبيبه الخاص بالاشتراك مع أطباء الحامية
وشدد عليهم في وجوب الاعتناء بمعالجتي وخاطبني قائلاً قد أنعت عليك
برتبة اللواء وسلمنى اعلاًناً بذلك

وظلمت ملازم الفراش نحو ثلاثة أشهر كان يزورني خلالها كل يوم وقد رجوته مراراً عديدة ان يقلل من زيارتي حرصاً على عدم ضياع أوقاته في غير الاهتمام بشؤون الدفاع عن المدينة فلم يفعل بل ظل على عادته حتي من الله علي بالشفاء وأصدر الأطباء قراراً بأن الإصابة كانت خطيرة جداً وكان يخشى علي حياتي منها وأن مانشأ عنها من العاهة يستحيل زواله واعادتني الي الحالة الاولى

واقعة القبة

القبة قرية على ضفة النيل الشرقية بينها وبين الخرطوم النيل وموقعها بازاء المدينة وسكانها سود وبها ضريح قديم لشيخ اسمه (خوجلي) يزعم أولئك السكان انهم من نسله وهي مرتفعة عن البحر وهواؤها جيد يقصدها أهل الخرطوم للنزهة والرياضة

ولما هزمنا العدو في الحلفاية تراجع في ليلته وتجمع في هذه القرية واتخذ جدران المنازل متاريس واخذ يطلق النيران على المدينة حتي تعذر على السكان الاستقاء من النهر فوضع غردون تحت سرايه مدفعين من طرز كروب واخذ يطلق واحدا بنفسه والمستر باورقنصل انكثرا في الخرطوم يطلق الثاني والرصاص يهطل عليهما كالطروهما في غاية الشبات وقبيل الظهر امر بتشكيل قوة من الف جندي تكون محمية بالقنابل تفاجىء مكان العدو لتطرده فسارت القوة براً من حصن قصر راسخ بك يقودها ضابط عظيم فامسك العدو عن إطلاق النيران حتي أشرفت على متاريسه فها جمها فرسانه فاطلقت النيران عليهم حتي ولوا الادبار ودخل ثلاثة فرسان المربع فاقعوا القمل في الجنود وانتثر عقد نظامهم وولوا الادبار الى الحصن وكان غردون ينظر ذلك بعينيه

فأظهر الاستياء للقائد وأمره باستئناف الهجوم في الظهر حيث تمكن من
دحر فرسان العدو الذين وثبوا عليه ثانية ودخلت الحامية القرية وأجلت عنها
العدو وخرج كثير من سكان الخرطوم ولحقوا بالحامية ونهبوا القرية وأضرموا
النار في المساكن ثم عادت الحامية إلى حصن راسخ بك عند غروب الشمس
وبذلك عاد بعض الأمن إلى ضفة النهر وأمسي السكان قادرين على
الاستقاء منه إلا أنهم كانوا يعاودون الكرة ويطلقون النيران على المدينة
فعمد غردون مجلساً من القواد وموظفي الحكومة وبعد المداولة أقر على
إنفاذ قوة كبيرة تسير من قصر راسخ بك برا إلى الحلقة تهاجم العدو وتطرده
من معسكره

وكان غردون يظن أن هذه الحركة ستكون نتيجة الفوز كما حصل
للقوة التي كنت قائدها نخاب أمه حيث خان اثنان من القواد وذبح نحو
ثلاثة آلاف نفس من الحامية كما تراه مفصلاً فيما يأتي



ترجمة السعيد حسين وحسن إبراهيم

السعيد حسين الجمياعي نخاس كان مع ابن الزير وقد ذكرنا أن غردون
ولاه على إحدى المقاطعات بدارفور وهو والنور عنقره لما اعتزلا ابن الزير
وهو من قبيلة حقيرة اسمها (الجمياعي) تسكن على بعد خمسة عشر
ميلاً من شمال الحلقة وعدد نفوسها القليلة لا يتجاوز الخمائة نسمة وأرضها
قاحلة مكسوة بالحجارة ولا ماشية عندها وقوام معيشتهم على الأعمال
الدنيئة كأعمال الفعلة في الأبنية وغيرها وكثير منهم لصوص وقطاع طرق
كما أنهم لا يأنفون الكسب بذل العرض وخلع برقع الصون والعفاف كالذين

أشار اليهم سلاطين باشا في كتابه المعلوم

ولما كانت النخاسة والاصمال التي يقوم بها محترفوها لا تختلف عن مهنة
للموصية انتظم من هذه القبيلة أفراد في سلك النخاسين كان من بينهم
لسميد حسين هذا حتى صار من أمره ان غردون لما استماله ولاء على احدى
المقاطعات الواقعة بين دارفور وبحر الغزال ثم خرج على الحكومة حتى جرد
عليه حاكم دارفور حملة أرجعته الى الطاعة قسرا وجاءت به الى الخرطوم
ولدى عودة غردون أنتم عليه برتبة الميرميران الرفيعة مع لقب باشا
وعينه قومنداناً على جنود الباشبوزق وجعل حسن ابراهيم المترجم الثاني
وكيلا له حتى كان من أمرها ما نورد به

وأما حسن ابراهيم فانه ابن عم يوسف باشا الشلالي وكان نخاساً أيضاً
وترجمته لا تخالف ما أوردناه في ترجمة ابن عمه وقد أنتم عليه غردون برتبة الميرميران
كالسميد حسين وعينه وكيلا لقمندانة جنود الباشبوزق

واقعة الحلفاية الثانية

لما عقد غردون النية على انفاذ حملة أخرى الى الحلفاية لتطرد الدراويش
منها عهد بقيادتها الى السميد حسين الجمعيابي وحسن ابراهيم الشلالي وكان عدد
جنودها ثلاثة آلاف من الباشبوزق وألقا من الجنود النظاميين ومعهما
مدفعان من الطراز الجبلي وساروخان حريان وزحفت الحملة في غداة اليوم
الرابع من بداية حصار الخرطوم

ولما التقى الجمعان لم يقذف الجنود رصاصة واحدة حتى انفاز القائد
السميد حسين ووكيله حسن ابراهيم الى الاعداء وجرد اسنفيهما وقالوا

الله أكبر على الكفار ووضعوا السيف في رقاب الجنود الذين اختل نظامهم وذبح
العدو منهم أكثر من ثلاثة آلاف وغردون واقف على سطح سرايه يرى
هذا المنظر الفظيع ويضرب الأرض برجليه ويعض أنامله ثم اهترته نوبة شديدة
فقد معها عقله وحاول أن يلقي نفسه من سطح السراي فأمسكه المستر باور
فنصل انكلترا

ووقف عند المدفعين والساووخين نخاس اسمه مولا بك ودافع حتى
قتله العدو وبلغ عدد الذين نجوا من غير أن يصيبهم سوء نحو خمسمائة نفس
ولما وضعت الحرب أوزارها بقي السعيد حسين وحسن إبراهيم مع
ال دراويش وقدمت الاطعمة فاكلا مع الامراء وجري الحديث بينهم
فقال لها أحد الامراء أرى انكما قد أدتما واجبكما وأخشي عليكما شراً أن
عدتما الى المدينة فقالا خفض روعك فانه لا بأس من هودتنا واننا لا نقنع
بما فعلناه بل لا بد من احضار رأس غردون لتأخذ بشار الذين قتلهم
من اخواننا النخاسين في بحر الغزال ودارفور ثم عادا الى المدينة بالليل فسألها
غردون عما رآها يفعلانه فقالا ان الجنود اظهروا جبناً واننا فعلنا ذلك
لنكرههم على الثبات فاغتاظ من هذا الكلام وأمر بالقبض عليهما وسجنهما
في القشلاق وألف مجلساً عسكرياً لمباشرة التحقيق فظهرت ادانتهما فحكم
عليهما بالاعدام وصدق عليه غردون ولما أخرجوا الى ميدان القتل هاج الجنود
وهجموا عليهما وضربوهما بالمعاول حتى ماتا وعجز القواد عن كبج جراح الجنود
حتى ينفذ حكم الاعدام بالطريقة القانونية

ولحق غردون تأثر سيء من هذه الحادثة حيث أصيب بمرض كاديودي
بحياته ومع اشتداد وطأة المرض عليه كان لا يعمد الى الراحة والنوم على

الفراش الا بعض سويكات من النهار اما الليل فانه كان يقضيه ساهرا على
الحصون يتلقى أخبارها كل لحظة ويأمر بزيادة التيقظ

على ان حركة العدو وان كانت في الشرق والمدينة مأمونة من جهة الخندق
المحيط بها فقط الا ان أهالي الضواحي الذين ذكرنا انقيادهم الي عبد القادر أم
مريوم هجروا قراهم وأوغلوا في القلوات وامتنعوا عن الدخول في المدينة
وتقديم الاغذية لان ابن البصير والشيخ العبيد كتبوا اليهم بان كل من دخل
المدينة كافر محاد لله ورسوله وماله وأولاده غنيمة للمسلمين

وقد هجر المدينة نحو ثلاثين الف نسمة من السكان السودانيين ولحقوا
بدعاة المهدي فامر غردون بهدم منازلهم وجمع أخشابها لوقود الواپورات
وسكان المدينة ولم يبق في المدينة غير المصريين وسيأتي ان عددهم
يقرب من مائتي الف نسمة عدا الذين هاجروا من المدينة الى القطر المصري

ذكر حصار الفكي المصطفي الخرطوم

﴿ من جهة الضفة الغربية ﴾

الفكي المصطفي بن الفكي الامين بن ام حقين كان أبوه الفكي الامين
معتقداً وكان يسكن جزيرة في النيل شمال أم درمان على مسيرة مرحلة واحدة
وتوفي بها وله ضريح في الشاطئ الغربي

وكان الفكي المصطفي مشهوراً بالسكينة والابتعاد عما لا يعني منقطعا
لحرارة أرضه والقاء دروسه وارشاد صريديه فارسل له المهدي كتابا معنوناً
بعبارة مبهمه هكذا (الي العقلاء الكرام) مع رسول زوده بوصايا شفاهية
حيث قال له ادفع له الكتاب وقل له بعد اطلاعه عليه اذا لم تكن معانفكن

علينا وانه لا نجاه لك بغير أمرين إما ان تجمع اليك قبائل الضفة الغربية من
الجموعية والجميابة والسروراب والفتيعاب وتحاصر الخرطوم وإما ان تدخل
مع غردون في المدينة وتكون معه علينا

ولما اطلع على الكتاب أرسل يستصرخ هاته القبائل فנסلوا اليه
وبايعوه على طاعة المهدي وخلع نير الحكومة فزحف بهم على أم درمان ومسكر
ازاء نقطتها

وكان الغالب عليه ملازمة السكون فكانت الحامية في راحة حيث كان
لايهاجها الا نادرا ولا يناوشها الا مناوشات خفيفة وهامى صورة الخطاب نقلا
عن كتاب المنشوات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن
العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى العقلاء الكرام لا يخفى عزيز
علمكم ان ما سوى الله هباء وكل ما في الدنيا زوال وما للعبد الا العمل الصالح
الموافق للسنة وما سوى ذلك يعود بالحسرة والندامة واني قد كاتبت جميع
المحبين ومشايخ الدين وانذرت بعكروب تحصل ولا فرج عنها الا
باجتماعنا وذلك باشارة من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وبامر منه
بشائر لنا جسيمة وأوامر عظيمة وأشار لنا صلى الله عليه وسلم الى محل يكون
فيه قوام الدين وصلاح أمر الدارين وفضلا عن ذلك انه لا سماية للعبد
في الدين الخالص الموافق للكتاب والسنة واذا لم يكن العمل على ذلك فهو
مردود كما ورد. وحيث ان هذا زمان توافقت فيه الناس على البدع ومحبة
الدنيا وصار لهم ذلك عادة واستترقت الطباع بعضها ومعلوم ان الطبع

يسرق الطبع والانسان على دين من معه في الدنيا ويحشر يوم القيامة عليه قال صلى الله عليه وسلم « يحشر المرؤ على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » واذا فهم العاقل هذا من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فلا شك انه ينحاز الي من ينهضه حاله ويدله على الله مقاله وذلك هو الفقير المتجرد عن السوء المقبل على المولى الذي لم يكن له قبله ولا مقصد الا الله تعالى وقد تجرد عن كل شيء سواه وتحقق بحقيقة لا اله الا الله وقد ورد. اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم. وفي بعض الكتب الالهية يقول الله تعالى « لا تسألوا مني ما لما اسكره حب الدنيا فيقطعكم عن طريق محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي » ومعلوم ان العبد اذا لم يكن له مقصد في التجرد لله تعالى يلاحظ في جميع كلامه واحواله ما يزيد جاهه ورئاسته ولا ينقاد للحق حيث كان بل يتكبر عليه ولا يخرج عن جاه ولا رئاسة لجرد الحق وفي مثل هذا قال الله تعالى « واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد » ومثل هذا الضرر ورد الدم لحب الجاه والمال قال صلى الله عليه وسلم « حب الجاه والمال يبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل » وقال صلى الله عليه وسلم « ما ذئبان جائعان ارسلا في زريبة غنم بافسد لها من حرص المرء على المال » الحديث وقال تعالى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض » الآية والادلة الشرعية من الكتاب والسنة وبأمر من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم كاتبناكم بالاجتماع معنا ومعلوم انه لا امان الا في الكتاب والسنة كما ورد ان المؤمن لا بغية له ولا مطلب له الا الدين فمن كان مهتما بإيمانه ودينه شقيقا على أمر ربه أجاب الدعوة واجتمع معنا للمعاونة على تقويم الكتاب والسنة ومن له جاه ورئاسة وانقاد للحق وانخلع عن جاهه

ورثاسته لله وللانقياد على الدين الخالص عوضه الله خيرا منه قال صلى الله عليه وسلم «انك لن تجد فقد شي تركته الله» أي لن تجد له المأ ولاهما وقال تعالى «ولو ان أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم» الآية ومن أشفق على جاهه ورثاسته وماله ولم يخرج من ذلك أوقعتة في الهوم وفي سخط القيوم وزالت منه واعقبته الحسرة فقد قال صلى الله عليه وسلم «من جعل الدنيا همه شئت الله شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يأت من الدنيا الا ما قسم الله له ومن جعل الآخرة همه جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة» الي غير ذلك والقليل من ذلك ينفع المؤمن القابل والكثير وان أفىض لا ينفع المنافق الغافل والسلام»



حوادث بربر

بربر اسم لاقليم من أقاليم السودان يحده من جهة الجنوب اقليم الخرطوم عند موضع اسمه (حجر المسيل) وهو جبل صغير أحجاره من الصوان ويحده من جهة الشمال مقاطعة دنقلة ومن جهة الشرق اقليم كسلة ومحافظة سواكن

وسكانه ينقسمون الى قسمين رحالة وقرويون والرحالة هم قبائل أعجمية يشبهون قبائل السودان الشرقي في الاخلاق والمادات ويطلق عليهم اسم (البشاريين) ولغتهم أعجمية

وأما سكان القرى فأكثرهم بطون من قبيلة الجعليين ومعايشهم من

الزراع وبعض الماشية الصغيرة وأرضهم لا تجود بمحصول يقوم بحاجة السكان لأن طريق الري هي بالسواقي فقط وفيها غناء كبير والأمطار قليلة لا تجود السماء عليهم بمطر يقوم بري أراضيهم إلا نادراً وقد ضبطوا أن يربح لا تسقى بالمطر إلا في كل سبع سنين أو عشر مرة واحدة ولهذا كان العيش في ذلك الاقليم شظفًا خلافاً للسودان الجنوبي ومن الامثلة العامة في حقهم (يكيلون بالطاسة ويحسبون القراصة) والطاسة مكيال لا يتجاوز رطلاً من الغلة ومعنى يحسبون القراصة أنهم يقدرّون للرطل عدداً معلوماً من الخبز والقراصة اسم لكل قطعة تصنع من خبز الذرة الذي يطلق عليه اسم (كسره)

ولهذه الاسباب ترى الجعليين يتطوحن في بلاد السودان وسكان تلك البلاد يحقرونها فأهل السودان الغربي يسمونها (بائي الشطيطة) وأهل السودان الجنوبي يسمونها (ناس عره) أي ركاب الحمر لانهم يشترك منهم أكثر من عشرين في ركوب حمار واحد

ومع هذا كله تراهم من أكثر قبائل السودان شراً ولهم دعاوي طويلة عريضة في الانساب حيث يزعمون أنهم من نسل العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وأن أجدادهم استوطنوا السودان من عهد قيام الدولة العباسية في بغداد والحقيقة أنهم من نسل العرب الذين دخلوا السودان من صعيد مصر وبعيد عن الاحتمال أن يستوطن بنو العباس بلاد السودان في عنقوان دولتهم وعظيم سلطانهم ولا توجد بين صفحات التاريخ اشارة الى ذلك مع ان المؤرخين ملأوا الكتب باخبار دولة بني العباس رضي الله عنه الى حد أنهم كانوا لا تفوتهم اخبار الندماء وما شاكل ذلك من الدقائق والجلائل

لاي شيء لم تستوعب أمر المهدي فالذي يأمر بك به المهدي كله افعله هذا معنى كلامه للخليفة عبد الله قال ثم أتيت الخليفة عبد الله لا سمع منه مذاكرة النبي صلى الله عليه وسلم فوجدت مع الخليفة بعضا من ملازميه يصلون معه فقطع الصلاة وقال لي أين الخادم أي الامة التي من الغنيمة فقدم اتيانك بها لبيت المال أفسد علينا صلاتنا قال وقال لي الخليفة عبد الله لا شيء لم تجرد من الغنائم أما سمعت قول المهدي تجردوا فمالك لم تجرد قال فقلت له ما عندي الا شيء يسير فقال هذا القليل أده لبيت المال ولو قرشا واحدا ومثل هذا كثير وبعض من الذين لم يجردوا من الغنائم تحضر لهم تماشيح تمنعهم من لحوق المهدي وأصحابه الصادقين فتغرقهم حتى كان أحد من الاخوان عنده ازار من الغنيمة فقبضه تمساح وأوقعه في المهالك فاستعان بالله وبرسوله وبالمهدي فادركه المهدي فحمله ليخرجه فاخذ به حجر لم يتركه يسلم حتى أقسم انه يعطي ثمن الازار بثلثي ثم ان المذكور قوم الازار بنحو ستة دراهم أو أقل فدفعه لبيت المال فصار مع الاصحاب وغير ذلك فيا أجباني ان السعيد يتخلص في الدنيا قبل الآخرة فهناك تسبق الاصفياء ويعطى أهل حطام الدنيا فقد روى ان القيامة قد قامت والمهدي مع أصحابه الاصفياء دخلوا الجنة بلا حساب ولا رؤية هول ولا مشقة واحد الاخوان عنده قليل من المال والله أعلم لم يذكر من قلته خبس من الدخول وصار يصيح ويبكي من شدة الهول حتى خلاص بعد نصف ساعة فدخل الجنة والاهوال ما زالت على الآخرين فيخلصون واحدا بعد واحد على حسب صفاتهم وتجردهم من الدنيا فبعضهم يخلص فيصل بعد ساعة وبعضهم بعد ساعتين وبعضهم بعد ثلاث ساعات الى ان خلاص آخر الاصحاب نصف النهار ونصف النهار في ذلك

رايه وعمل بإشارته

وكانت الحكومة تعطى محمد الخير راتباً شهرياً يبلغ خمسة جنيهات

وبضعة أرادب من الذرة

ونقل لنا أحد تلاميذه أنه لما تصدر للتدريس كان ذا تحقيق في مذهب
إمام دار الهجرة مالك رضي الله عنه ومع هذا كان لا يعرف شيئاً من النحو
والصرف وعلوم البلاغة فاحتقره تلاميذه وأسمعوه مرات عديدة انتقاداتهم
على جهله حتى أن أحدهم قال له يوماً يا سيدي الشيخ أنك لا تعرف أعراب جاء
زيد فكيف يليق بنا أن نتكوف حولك في حين أن تكوفنا هذا لطلاب العلم وانت
مفتقر إليه أكثر منا فتأثر من هذا القول وقام من مجلسه وبعد صلاة العشاء
دعا اثنين من خاصته وركبوا دوابهم بغير أن يشعر بهم أحد وقصدوا الخرطوم
ومنها إلى ضواحي المسلمية حيث اجتمعوا بالشيخ الحسين زهراء وقص
عليه محمد الخير ماجري له مع تلميذه فقال له قد محضك والله النصيح ثم
انقطع لدرس النحو وعلوم البلاغة على الشيخ الحسين نحو عامين أدرك
فيهما ما يدركه غيره في أربعة أضعافهما ثم عاد إلى مزاولة دروسه في بربر وبلغت
الحبة بينه وبين أستاذه الشيخ الحسين درجة لا توازي

ذكر حسين باشا خليفة مدير بربر

حسين باشا خليفة مدير بربر سابقاً من قبيلة العبابدة التي تسكن أرباض
اصوان وكان آباؤه أدلاء الحكومة في طريق السودان المسمى (المطهور) ثم
ولى على مديرية بربر في عهد ولاية ممتاز باشا على السودان فظهر من أعماله
ماوجب عزله وسجنه في القاهرة حتى جادت وزارة المرحوم شريف باشا فعين

مديرا على بربر قبيل عودة غوردون بأشهر قليلة ونسب اليه في غضون نزوح
المصريين الى القاهرة انه كان حاملا على معاكستهم وعدم السماح لهم بالوصول الى
القاهرة وكان صديقا حميما لمحمد الخير داعية المهدي في بربر



ذكر قدوم محمد الخير بدعوة المهدي الى بربر
في جمادي الآخرة سنة ١٣٠١ هجرية قدم محمد الخير الى بربر عائداً من
عند المهدي في الأبيض وقد كتب له كتابا الى سكان مقاطعتي بربر ودنقله بأنه
تعين من قبله أميراً عليهم وأمرهم بمبايعته نائباً عنه
وكان محمد الخير يطلق عليه اسم محمد الضكير فأبدله المهدي باسم محمد الخير
وكانت شغوصه الى المهدي بعد ولاية حسين باشا خليفة على
بربر فانه لما قدمها اختلى به وقال له أراك تأخرت عن واجب عليك فاقدم
على المهدي وأبلغه خضوعي له ودخولي في دعوته وكان حسين باشا يقصد
من هذا العمل ان يوليه المهدي على بربر ودنقله فقبل محمد الخير ما أشار به
حسين خليفة الذي أعطاه نفقة السفر ودفع اليه كتابا برسم المهدي فشنخص
من بربر الى الأبيض فقبول من المهدي باكرام عظيم وحفاوة ليس لها مثيل
وبعد أيام كتب له بالامارة على بربر ودنقله وأهداه شياً كثيراً من
الجواري والخيول والنوق فقبل راجعاً ولما بلغ أول حدود بربر من جهة
الجنوب استقبله الاهلون باحتفال عظيم وأرسل السكتب يدعو الناس لاجتماع عام
في المنة وهي منتصف الطريق بين بربر والخرطوم فنسلوا اليه فدعاهم الى البيعة
للمهدي فظهر كثير الارتياح في صدق دعواه فقام فيهم خطيباً وقال أشهد
الله وملائكته انه المهدي المنتظر وقبض على لحيته وقال لهم انه اذا لم يكن المهدي

المنتظر فجروا لحيتي هذه بين يدي الله عز وجل وقولوا هذا أضلنا سواء السبيل
فصدقه الناس وبايعوه على طاعة المهدي وحرب الحكومة ولبسوا شعار المهدي
ورقموا ملابسهم وهرع الناس اليه من كل انحاء البلاد وانضم اليه عدد ليس
بقليل من الاعراب وتقدموا نحو حامية شندي

ذكر واقعة شندي

شندي قرية على ضفة النهر الغربية شمال المتمة بميل واحد وهي التي
ذكرنا قبل خبر قتل الامير اسماعيل بن محمد علي باشا فيها بعد فتح السودان وجل
سكان هذه القرية مصريون وكانت قاعدة لاحد المراكز
ولما وصل محمد الخير المتمة وبايعه الاهلون على طاعة المهدي كانت في
شندي حامية تبلغ زهاء الثلاثمائة جندي جلهم من الباشبوزق فناوشها العدو
مناوشات عديدة ومنع وصول الاقوات اليها وحينما سمعت الحامية بقدم
الداعية محمد الخير عقدت النية على الخروج من معقلها ومتابعة السير شمالا
للانضمام الى حامية بربر فباغتها بجنوده واآخذها ذبحاً بينما كانت تحاول الخروج
ومثلوا بالاطفال والنساء تمثيلاً تقشع من فظاعته الابدان
ومما يذكر هنا ان محمد الخير منع اتباعه منعاً باتاً عن مدأيديهم الى نساء
المصريين بأنواع السبي والهتك اللذين كان المهدي يفعلها مع نساء المصريين
وكتب الى المهدي كتاباً مطولاً قال فيه اتنى لأري وجهاً من الوجوه الشرعية
يسوغ لنا أن نعامل نساء المصريين بالمعاملة التي جرت عليهن فاضطر المهدي
الى اجابته بان فوض له العمل في هذا الشأن بما يراه موافقاً فمنع كل اتباعه
من هتك أعراض المصريين ومن فعل ذلك عاقبه عقاباً صارماً

هذه حسنة نذكرها هنا لحمد الخير ونقول ان عمله وان جاء ضربة شديدة على الخرطوم لان سقوط بربر قضى على أمل وصول النجدة الى غردون لكن شره كان أخف من شر المهديين كلهم . وبعض الشر أهون من بعض

وكانت واقعة شندي هذه في أواخر شهر جمادي الآخرة سنة ١٣٠١ هجرية



سقوط بربر

لما سقطت شندي تقدم محمد الخير بجموعه الي بربر في أوائل شهر رجب سنة ١٣٠١ هجرية ومعه نحو سبعين الف مقاتل وسلاح جلهم المعاول والمحاريث لان الجعليين فلاحون لا سلاح عندهم وكانت حامية بربر لا تتجاوز الاربعمائة جندي تحرس خندقا يزيد طوله على أربعة أميال وليس لديها من المدافع غير مدفعين من الطراز الجبلي العتيق

ولما اقترب من بربر أرسل انذاراً للحامية والسكان يدعوم فيه الي التسليم فامتنعوا وأحاطوا بالمدينة إحاطة السوار بالمعصم ومكث محاصرا لها مدة سبع ليال كانت المخابرات السرية جارية في خلالها بينه وبين حسين باشا خليفة مدير بربر الذي كان يؤمل ان المهدي لا يولي غيره عليها وكان في بربر خمسون الف جنيه أرسلت من مصر لنفقات حامية الخرطوم وأرسلت الباخرة الفاشر لحملها الي الخرطوم فاخذ حسين باشا يماطل ربان الباخرة حتى لا يصل المال الخرطوم ويكون غنيمة عاجلة للمهدي وفد وصل الي بربر شيء كثير من ملابس غردون وأمتعته التي أرسلت

خلفه من مصر كلها وقعت في أيدي الدراويش

وفي صبيحة اليوم الثامن من بداية حصار بربر اجتمع الدراويش ودخلوا المدينة عنوة بدون ان يصيبهم اقل ضرر وانحتوا الالهالي قتلا ونهباً وذبحوا اكثر من ثلاثة آلاف من المصريين اما حسين باشا خليفة فقد أحاط بداره حرس محمد الخير ومنعوا وصول أي اذي له بالرغم عن تكوف العصاة حول بيته وعزمهم على الانتقام منه

واشتغل محمد الخير بجمع الغنائم وعذب المصريين غداً بالمال ليدلوا على خباياهم ودفائهم وامتنع كثير من قواد الجمليين ان يؤدوا الى بيت المال ولو قليلاً من الاموال التي تحت أيديهم فكتب محمد الخير الى المهدي ينبئه بوقوع بربر في قبضته ويخبره بما كان من أمر الامراء الذين امتنعوا من تسليم ما بأيديهم من الاموال الى بيت المال

ولما وصل كتاب محمد الخير الى المهدي أمر بإطلاق المدافع جرياً على عادته وامتلاً غيظاً من أولئك الامراء اذ كان في حاجة عظيمة الى المال فكتب الى محمد الخير يأمره باكراههم الي تأدية المال له وشفع الكتاب بصورة موعظة في ذم اغتيال الغنائم وهاهو نص الكتاب والموعظة نقلاً عن كتاب المنشورات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى صفيه عامله علي بربر وجهاتها محمد الخير بن عبد الله خوجلي وقاه الله كل تمويق وأدام له التوفيق وحققه بمقائيق التحقيق وانا له أعلى رفيق آمين بعد السلام عليكم ورحمة الله

وبركاته حبيبي انك حقيق بمعرفة ما عند الله من كريم المكانة وعظمة ما هنالك
مما لا يقاس بشيء وخسة ما في الدنيا وان كثرت ونما ومن المعلوم عندك أيها الحبيب
أن الدنيا لا شيء فهي لا تزن عند الله جناح بعوضة فلذا لم اذا كرك في الشأن
الذي يحصل فيها ولعلمي بانك امين ولا تدخلك ترهات الخيال الذي فيها
وتزين باطلها وان مقصدهك اقامة الدين ولذلك قد اكرت التذكير مني
للاخوان في التنفير عن الدنيا والترغيب في الله وفيما عند الله وفيما يخلص العبد
ويرفعه عند خالقه مع شدة التعريف لحسة الدنيا ونفاسة الآخرة والتعريف
لعظمة الله وكمال قدرته على كل شيء وأن من أراد خيره وقربه عنده نفعه
عن الدنيا وأراه قرب زوالها مع قلة قدرها وشؤم ما تعقبه من طول الندامة
والوبال ليهون على المؤمن جفاؤها ويزيد الشكر لله في ازوائها واكتساب
نعيم الجنة وعلاؤها من اصابة الظمأ والنصب والمخمة في سبيل الله واغظة
الكفرة بمواطئ امكنتهم وثغورهم وانهالة الجرح والقتل في سبيل الله مما فيه
حسن المكانة الدائمة والوظيفة الكبرى التي لها قدر عند الله تعالى كما ذكر الله ذلك
والمؤمن انما يرغب النصيب الدائم الذي وعد الله به المؤمنين الصادقين في ايمانهم
بالصبر لما عند الله يقينا بما وعد به وتفويضاً له فيما أراد ودل عباده اليه وابناء
الدنيا من الكفرة والمنافقين انما ترغبهم الوظائف والأموال القانية لانهم
لا يجدون في قلوبهم الايمان واليقين بما عند الرحمن من حسن المكانة الدائمة
ودرجات الجنان وانه يا حبيبي جميع من صمى وسمع مني وعلم ما أنا عليه صار
غرضه ما عند الله وفرغ قلبه من فاني اللذات الى دائم الخيرات ومن نافق
ولم يسر على منهجى فقد فوت ما عند الله واظهر الله نفاقه وطرده عن الصحبة
ورمي عليه الممالك في الدنيا قبل الآخرة وأنت حبيبي لهمنتك بالنجاة عند الله

تعالى على التسليم لي والعزم على اتباع ما ألهمنى الله كنت سألتنى عن الغنائم وطريق العمل فيها وقد علمتكم بما هو جار فيها سابقا لأمور منها الظن ان ماورد لنا فى المديرىات الغربية خصوصية حتى سألتنى أمين بيت المال عن غنائم بربر فلم تظهر لى الخصوصية عن تكرار سؤاله .وقد ورد لنا من الغيب أن ضرر ذلك كثير ولا بد ان يصلحكم منها شىء .ولما كان الاخوان الذين معكم يريد لهم الصفا والسلامة والدخول فى عظيم الكرامة والتباعد من عطب دار الملامة أخبرت أمين بيت المال بما وصلكم عنه فانه وان كان منكم من تناول من الغنائم على ما ذكرته لك سابقا فقد تجدد الوارد وأتى من الغيب كبير الضرر فى تناول ذلك ونريد الآن ان يقتدى الاخوان بما ورد لنا من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم على ما رأينا انه صلاح للمسلمين واصلاح للدين بما ألهمنى الله من الالهام الصائب الذي لو كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حاضرا الآن لفعله وانك حبيبي غير متهم عندنا فى الصداقة والامانة معنا ومع الله ورسوله فيما تطلبه عند الله ومتيقن فيك موافقتنا فيما يرد علينا من الامور التى فيها صلاح الدين والمسلمين وليكن معلوما عند الاخوان ان حب الوظائف والاموال والمتاع هو الذي عطل الدين واستقامة المسلمين ولولا الفقراء والمساكين والاغنياء الذين تجردوا عن الدنيا ليقينهم بما عند الله لما تقوم هذا الامر وكامل الذين معكم من الانصار يلزمهم أن يسلكوا هذا المسلك ولا ينسبوا لانفسهم اغاظة الكفرة والنصر عليهم فان النصر من عند الله فان وقفوا مع أديهم مع الله تعالى ونسبوا الامر اليه وصاروا عبيدا له نالوا عظيم المكانة التى يصغر فى جنبها كل نعمة وملك يذكر لأن الله تعالى يعطيهم من عظمة المقدار مالا يخطر على بال قفصلا عن المجاهدين المكرمين والشهداء

المعظمين فان الله يعطى الصالحين الذين هم دونهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فمن عاين هذا مع الرضى عند رب العباد لا ينظر الى خسيس الدنيا الذى لا يزن جناح بعوضة فلا يبدلوا نصيبهم هذا العظيم الدائم بما لا يزن جناح بعوضة ويزول عن قرب ولا يدخلهم العجب وينسبون قيام الله بهذا الشأن الى أنفسهم فتفسد أعمالهم ولا يفتروا بما فتح عليهم من الدنيا فيؤثروه على ما عند الله ويفرحوا لئلا يقع من انطوى على ذلك فى وعيد قوله تعالى « حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة » الآية الخ الخ » والكتاب مطول وكل ما فيه لا يخرج عما تقدم ولا عن مضمون الموعظة الآتية . وتاريخه ٢ صفر سنة ١٣٠٢

وأما الموعظة فنأني عليها برمتها لزيادة الفائدة . وهى

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فانى سأذكر البعض من الواقعات التى وردت فى الغنائم وغيرها باختصار فبعد ان وردت الواردات فى كيفية الغنائم وضررها بالابيض حكيت للاخوان حضرة حصلت فوق السموات وكان النبي صلى الله عليه وسلم يطلب الاصحاب فلا يصل الى ذلك المحل الا الاصفياء الزهاد الخالصون من العلاقات الدنيوية وتعطل منها بعض من الاخوات لاجل علاقاتهم فلم يطيقوا الصعود اليها من علاقاتهم فاعلمت بذلك من انقطع بسبب علاقاته الدنيوية من الرقيق والاموال فتجرد لله عن ذلك وصعد للحضرة المذكورة وثم حصلت حضرة قعد النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جمع من المقرين وأجلسني عنده فيما روى وعرز بيننا عودا طويلا امس كانه شعبة الخيمة الوسطانية التى تقوم عليها وفى

رأسها الثمر ويقول صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة شجرة الصداقة فكل
 من له صداقة فليصعد عليها فيصعد عليها قوم وينزل منها آخرون فلا
 يقدرّون على الصعود عليها لينالوا ما فوقها من الثمار فكان ما فوقها هو نصيب
 الآخرة ولا يناله أحد الا بالصدق في الايمان والطلب لما عند الرحمن فاعلمت
 من تعطل عن ذلك بسبب العلاقات الدنيوية فتجردوا عما عظمهم وثم حصلت
 أيضا شجرة الصداقة في وقت آخر وطاب الاصحاب بالصعود لنيل الخيرات
 فوقها فصعدوها الاصحاب الا الذين اكلوا الغنائم فامتلات عليهم صمغاً فكلما
 ارادوا ان يتعلقوا بها ليصعدوا فوقها يزلقهم الصمغ الذي عليها وبعض من
 الاخوان الذين عندهم شيء ولم يحضر المذاكرات حصلت له رؤية وكان المذكور
 قبل رؤياه متأسفاً على فوات مذاكرتنا للاخوان في كيفية الغنائم والتجرد عنها
 لمن هي عنده من الانصار قال ولما أعلمني من حضر المذاكرة عزمتم على
 اخراج ما عندي من الغنيمة وهو أمة وحمارة وقليل من الدراهم قال وبعد
 عزمي على اخراجها ورفعها لبيت المال أخبره بعض اخوانه بانك كيف تخرج
 هذه الامة الواحدة التي لا خادم لك غيرها ومن يخدمك ان أخرجتها وأي
 شيء تركب ان أخرجت هذه الحمارة الواحدة وإن قام الامام للسفر لا بد ان
 تشتري بالجميع جملاً تسافر عليه مع المهدي للجهاد قال فطاوعت من ذاكرني
 من الاخوان بذلك وعزمتم على ترك اخراج المذكورات لبيت المال قال
 فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم أتى للخليفة عبد الله يذاكره فقال المذكور
 في نفسه فأتيتني مذاكرة المهدي فليكن الاسراع مني لحضور مذاكرة النبي
 صلى الله عليه وسلم للخليفة عبد الله قال فلما حضرت وجدت المذاكرة قد
 تمت الا اني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول للخليفة عبد الله عند فراقه

لاي شيء لم تستوعب أمر المهدي فالذي يأمر بك به المهدي كله افعله هذا معنى كلامه للخليفة عبد الله قال ثم أتيت الخليفة عبد الله لا سمع منه مذاكرة النبي صلى الله عليه وسلم فوجدت مع الخليفة بعضا من ملازميه يصلون معه فقطع الصلاة وقال لي أين الخادم أي الامة التي من الغنيمة فعدم اتيانك بها لبيت المال أفسد علينا صلاتنا قال وقال لي الخليفة عبد الله لا شيء لم تجرد من الغنائم أما سمعت قول المهدي تجردوا فمالك لم تجرد قال فقلت له ما عندي الا شيء يسير فقال هذا القليل أده لبيت المال ولو قرشا واحدا ومثل هذا كثير وبعض من الذين لم يتجردوا من الغنائم تحضر لهم تلاميذ تمنعهم من حقوق المهدي وأصحابه الصادقين فتغرقهم حتى كان أحد من الاخوان عنده ازار من الغنيمة فقبضه تمساح وأوقعه في الممالك فاستعان بالله وبرسوله وبالمهدي فادركه المهدي فحمله ليخرجه فاخذ به حجر لم يتركه يسلم حتى أقسم انه يعطي ثمن الازار بثلثي ثم ان المذكور قوم الازار نحو ستة دراهم أو أقل فدفعه لبيت المال فصار مع الاصحاب وغير ذلك فيا أحبائي ان السعيد يتخلص في الدنيا قبل الآخرة فهناك تسبق الاصفياء ويمطب أهل حطام الدنيا فقد روى ان القيامة قد قامت والمهدي مع أصحابه الاصفياء دخلوا الجنة بلا حساب ولا رؤية هول ولا مشقة واحد الاخوان عنده قليل من المال والله أعلم لم يذكر من قلته خبس من الدخول وصار يصيح ويبكي من شدة الهول حتى خلاص بعد نصف ساعة فدخل الجنة والاهوال ما زالت على الآخرين فيتخلصون واحدا بعد واحد على حسب صفاتهم وتجردهم من الدنيا فبعضهم يخلص فيصل بعد ساعة وبعضهم بعد ساعتين وبعضهم بعد ثلاث ساعات الى ان خلاص آخر الاصحاب نصف النهار ونصف النهار في ذلك

اليوم خمسمائة عام ونصف الساعة نحو الاربعين سنة في ذلك اليوم فمن ذا الذي
 يطيق هذا الهول فيرضي لنفسه مثله بسبب متعة قليلة في أيام قليلة هي في
 حكم العدم فيرت بسبب ذلك هذا الهول الشديد والكرب الذي يقف
 فيه جائعا عطشان نحو الاربعين سنة واكثر فتجرد ذلك الاخ الذي خلص
 بعد نصف ساعة وحتم ان لا يطلب في الدنيا مالا ولو قليلا ولا جاها مادام فيها
 حيا حتي يلاقى الله تعالى. وهذا وليعلم الاخوان ان من كان مؤمنا بالبعث
 وقرب الآخرة وحسابها وكثرة خطرها وضررها ورفعته الذين آمنوا وعملوا
 الصالحات وعظيم فوزهم وملكتهم المقيم الدائم ويعلم شؤم الدنيا وهو انها على
 الله وشؤم ما تعقبه من الحسرة الطويلة فليتجرد لله لينال جزيل الدرجات
 ويفوز بدائم الخيرات وليصير من ابناء الآخرة مادام حيا ولا يطلب الدنيا
 ومتاعها فانها قد انقرضت وهذه الايام آخرايامها كما لا يخفى صدق ذلك ولا
 يجتمع للعبد متاع الدنيا ونعيم الآخرة كما ورد انها ضربتان وكل مشرق والمغرب
 فبقدر ما يقرب العبد من المغرب يبعد منه المشرق وروى ان بعضا من
 الاصحاب الذين اكلوا النائم وتمتعوا وماتوا قبل اخراجها والحال انه اراد
 اخراجها فمات قبل اخراجها انه حبس وعذب ووبخ عليه وقيل له ان المهدي
 انذرك فبعد انذاره تريد ان تجمع لك متاع الدنيا مع نعيم الآخرة ذق العذاب
 الاليم فلا عذر لك وغير ذلك وفيما ذكرته كفاية لمن له عناية وورد عن الاخوان
 الذين ماتوا واستشهدوا في حال صفائهم وصدق انابتهم لما عند الله انهم
 تنعموا نعماء عظيمة لا تحيط بها ولا تقاس. منها ان بعضهم رؤي في نعيم عظيم
 وحوار وولدان وفرش واسرة وقصور وخيم وغير ذلك فيقال له صف لنا
 هذا الذي أنت فيه من النعم فيقول هذا شيء اكرم الله به عباده المخلصين

فلا أقدر أن أصفه ولا أعده فانه لا يوصف ولا يعد وبعضهم يرى ان هبوب
الجنة تدخل في مسامه وجميع جسده كالدخان الذي يخرج من بيت القش
فيجد لها لذة أشبه بلذة الجماع ولكن تلك التي في الجنة أحلى والله أضعافا
مضاعفة لا تخطر ببال ويلتذ بها بجميع جسده ويسمع لنساء الجنة نغمات
لا توصف لذتها وهن يمشين في الهواء كمشين على أرض الجنة فيمشين على
وجه الأرض ويطرن ويزرن أزواجهن ويقفن معهم في الجهاد ويهلان لهم
فان استشهد أخذنه ومضين به الى دار نعيمه وان جرح ولم يشهد قعدن
معه يمرضنه الى ان يموت أو يبريء من الجرح وبعض الاصحاب من شهداء
وقعة الشاللي يرى في نعيم عظيم وقصور كثيرة فيقول أحدا لاخوان الحيين
انكم قد انزلتم هذا المنزل الكريم وتعمتم هذا النعيم العظيم فاین منازلنا
ونعمنا فيقول لا تشفق فان أصحاب المهدي الصادقين معه لهم منازل ونعم كمثل
هذا فامض معي لأريك منازلكم فيريه منازل عظيمة ونما نخيمة فيقول متى
نلحق بهذا ونخرج من هذه الدار الكدرة المتعبة فيقول له لا تشفق فان
أصحاب المهدي يصلون قريبا فيتنعمون بنعمهم هذه وبعضهم يرى بعض اكابر
الصالحين المتقدمين فيسأله عن مقامه مع مقامات أصحاب المهدي الذين ماتوا
فيقول هيات إن أصحاب المهدي من علو درجاتهم لا تراهم فهم راقون مرقى
عظيما وكثيرا يرى انهم يغبطون أصحاب المهدي ويقولون ليتنا كنا أصحاب
المهدي لما يرون من عظيم مكانتهم وفضلهم عند الله تعالى وبعضهم يستشفع
بالاصحاب ويقول اطلبوا المهدي بجماني من أخس أصحابه فاني راض برتبة
أخسهم وأفرح ان وجدت ذلك ومثل هذا كثير مما روى في الجنة للاصحاب
الصادقين فيها أيها الاحباب فان القدوم الى ما عند الله قريب والسلام»

ولما اطلع محمد الخير على ما كتبه المهدي استدعي الامراء وتلا عليهم
الكتب المذكورة فأصروا على الامتناع وأبو الانصياح وامتنع كل واحد
بمشيرته وخيف وقوع الفتنة وقبض محمد الخير على زعانف منهم وكتب يخبر
المهدي بما وصلت اليه الحالة فأمره بالتساهل وصرف عزيمته الى تجنيد
الرجال واعداد الجيوش للامارة على دنقلة والوقوف في وجه الحملة الانكليزية
وكانت قد بدأت حركاتها في دنقلة

واستقرت قدم محمد الخير في بربر ودانت له البلاد وخص ذوي قرابته
وتلاميذته بكل الوظائف فحقق عليه الجمليون وأضروا له العداوة وذهب وفد
منهم الى المهدي يشكو من محمد الخير فعنفهم وأرجعهم خائبين حتى كان من
أمرهم ما ذكره في أيام التعايش الذي كان شديد البغض للجميلين ومتربصاً
الفرصة الانتقام منهم على هذه الفعلة وسيأتي ذكر ذلك كله في مكانه والله الموفق

ذكر امارة ابي قرجة علي البحرين من قبل المهدي
ذكرنا ما كان من أمر الداعية ابن البصير وما وشي به علي الشيخ العبيد
ونقول الآن ان المهدي انتدب الحاج محمد أبا قرجة الذي كان متأثراً حملة
الجنرال هيكس وكتب الى الذين دخلوا في دعوته بطاعة ابي قرجة
وانه أمير علي البحرين الابيض والازرق فقادراً أبو قرجة الابيض ومعه
عشرون ألف مقاتل ولما وصل الي شاطيء النيل الابيض أرسل يدعو جميع
الداقلة أقاربه الذين كانوا مستوطنين في قري عديدة اشهرها قرية القطينة
على بعد نحو مائة ميل من جنوب الخرطوم
وكان أبو قرجة ينوي الزحف على الخرطوم من القطينة ولكن الاخبار

فاجأته بالواقعة الاولى بين صالح بك الملك والداعية ابن البصير فزحف من القطينة الى فداسى ومعه زهاء ستين ألف مقاتل مسلحين ببنادق من طراز رامنجتون ومعهم مدافع وسوارىخ وكان ذلك في منتصف شهر جمادى الاولى سنة ١٣٠١

ولما وصل أبو قرجة الى الخلاوين وزع عماله على الجهات وعزل عمال ابن البصير فاشتد الحصار بينهما وخيف وقوع الشر بينهما فكتب المهدي الى ابن البصير يأمره بطاعة أبي قرجة فلم يستطع غير تقديم طاعته وانتدب أبو قرجة أخاه نصرا عاملا على المسلمية وعهد اليه مصادرة أموال كثير من الذين يبطنون ولواء الحكومة فتحصل على شيء كثير من هذه الاموال وقبض نصر على الشيخ محمد بن القبة وكان عالما نحريراً لانه قام خطيباً في أهالي المسلمية وسرد عليهم الادلة الشرعية التي تظهر بطلان كل ما انتحله المهدي من الدعاوى الكاذبة

ولما اوقف الشيخ محمد بين يدي نصر سأله عما نسب اليه فأعاده امامه وقال اننى لا أُرهب الموت في الله فأمر به فسيق الى السوق وضربت عنقه ويروى عن بعض الحاضرين ان أبا قرجة كان يكره قتله لانه كان يعتقد فيه الصلاح

ذكر حروب صالح بك الملك في فداسى

صالح بك الملك صنjq من الشايقية كان يقود أربعمائة جندي من الباشبوزق وكان ذا مهارة وعقل راجح شهد أكثر الوقائع مع عبد القادر حلمى باشا فشهد له بالشجاعة والمهارة

وقد ذكرنا فيما مضى انه دخل سنار مع مائة وخمسين جنديا بعد غارة طاصر
ابن المكاشفي عليها

ولما وصل غوردون الى الخرطوم أرسل الى سنار يستقدم صالح بك
الملك الى الخرطوم فغادر سنار براً ومعه منجنقان يقود كل واحد منهما
مائتي جندي

وبعد مسيرة يوم وليلة من سنار رأي في طريقه ان البلاد كلها دخلت
في دعوة المهدي فاستشار قواده فأشاروا عليه بالعودة الى سنار فلم يرق له
ذلك حيث علم ان الاعداء يطمعون فيه ويتأثرونه فتابع سيره الى الخرطوم
وما كاد يصل الى جهة «فداسي» وهي قرية على ضفة النهر حذاء المسلمية حتي
قام الجمليون الذين يسكنون المسلمية واستصرخوا عليه سكان القرى القريبة
من المسلمية فاجتمع عدد يربو على الخمسة آلاف وهاجموه وكان قد أخذ
أهبطه وتحصن داخل زريبة من الشوك فاقتحم الدراويش الزريبة ووقف
هو وعساكره وقفزة الابطال فقتلوا أربعة آلاف مقاتل ورجع الباقون
بالهزيمة والفشل واتصل الخبر بابن البصير فتقدم الي فداسي في جمع كثيف
للحرب فتقهقر بخسارة ثلاثة آلاف قتيل ولكنه بقي محاصراً للجنود حتي قدم
أبو قرجة ووقعت بينه وبين صالح بك واقعة خسر فيها أبو قرجة أكثر من
ثلاثة آلاف مقاتل ثم أرسل أبو قرجة الى الشيخ العبيد يستقدمه فقدم على
باخرة من بواخر الحكومة وقعت في يد الدراويش وأرسل أبو قرجة الشيخ
العبيد الى صالح بك فاجتمع به وقال له ان الخرطوم قد سقطت في قبضتنا
وحلف له على ذلك أيماناً منغلظة

وكان رسل صالح بك قد وصلوا الخرطوم فأبلغوا غوردون ان صالح بك

في حاجة شديدة الى المدد وأن ذخيرته أوشكت أن تنفذ فكتب اليه غوردون يعده بالنظر في أمر ايصال النجدة اليه وكان ايصال المدد متعذراً لمدة وجوه منها عدم وجود جنود في الخرطوم تستطيع المخاطرة والتقدم براً من الخرطوم الى فداي

وقد كان من الممكن ايصال النجدة بحراً لو كان النيل مرتفعاً لان البواخر لا تستطيع السفر من الخرطوم وقتئذ اكثر من ثلاثة أميال وفي أوائل شهر جمادي الاخرة سنة ١٣٠١ فقد صالح بك كل أمل بوصول المدد اليه كما فقد كل ذخيرته فاسلم نفسه الى ابي قرجة الذي ارسله اسيراً للمهدي

وبسقوط فداي أخذ أبو قرجة وابن البصير يستعدان للزحف على الخرطوم وحصارها من جهة الخندق ولما وصل صالح بك الى المهدي قابله بشيء من الاكرام وأخذ يحثه على الطاعة والانقياد لاوامره ثم قبض عليه وسجنه مع سلاطين باشا وابتن فكتب اليه عدة كتب يسأله الصفح عن زلته فكان يجاوبه بان السجن خير له من الاطلاق لان فيه تنظيف سريره من النفاق والميل الى الكفار وبقي مدة في الاسر حتى توفي أواخر سنة ١٣٠٦ من الهجرة

ونذكر هنا بعض ما كتبه له المهدي نقلاً عن كتاب المنشورات لما فيها من الفائدة والدلالة على ان صالح بك كتب الى غوردون يعلمه بكثير مما دبره المهدي فوقعت الكتب بأيدي جواسيس المهدي وقضي صالح بك مدة في عذاب السجن والاشغال الشاقة وحفر بيده بئراً يزيد عمقها عن مائتي متر وكان غوردون قد أنعم عليه برتبة الميرميران الرفيعة مع لقب باشا

وهذه صورة كتاب من كتبه له

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد
فمن العبد المفتقر الى مولاه المهدي بن عبد الله الى صالح الملك وقاه الله كل
كفر وشك وجعله من أهل الخير الذين يخشون الله الملك لا يخفوا أن الله
قادر وبيده كل شيء وقد جعل الدنيا دار ابتلاء ليميز المصدقون بدار الجزاء
من زائل لباقي العارفون بقدرة الله على كل شيء المتحققون انه لا يجري في
الكون شيء الا بإرادته وما فعل فعلا الا كان على حكمة بالغة فمن أعرض
عنه جهلا به عاقبه عقوبة شديدة لقيام البراهين على السنة الرسل والاولياء
الدالين على الله وعلى ما عنده ومن أعرض على معرفة كانت الحجة عليه أكد
وعذابه أشد وأشد وانك قد عرفت في الجواب الذي أرسلته الى الردون
أولا أن القدرة كلها لله ولا يغالب دين الله أحد الاغلبه وان الله برحمته قد
أنقذك من الوقوع في الورطة وذلك على مهديه بالخروج من الظلمات الى النور
ومع ذلك كله لواقع حقيقة جمات ذلك ظاهراً فقط وان باطنك منطو على
غير ذلك مخاطباً به الردون في الجواب الثاني وما أعرضت وتوليت بذلك
عن الله والدار الآخرة الا لحبك الحياة الدنيا وصارت مبلغ علمك ولو كان
إيمانك بالله وبما عند الله صادقا لما نافقت بطلب خسيس الدنيا من الجاه والمال
ولما باطننت به الردون ولما كنت تنصرف عن الله وعن مهديه بسبب جوع
أو حطة كما انك تعرف ان المصدقين بما عند الله قد صبروا على ما هو أشد
مما حصل عليك اضمافاً وقد ذهبت في الله أموالهم وفارقوا ديارهم وتزلزلت
أولادهم وأحبابهم راضين بذلك عارفين ان المبلى بذلك ربهم لتعظيم ثوابهم

وتصفية ايمانهم ولكن أقول صدق الله في قوله حيث قال «ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة» الآية فلو كان ايمانك على تمكين ويقين لمددت ما يحصل لك من البلاء رحمة من الله بك ايماناً بما عند الله وبحسن قضاء الله وجلب ذلك خير ما عند الله فلو تقطعت بذلك اربا اربا لما خادعت الفردون حيث ان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يقول «ما بلى أحد مثل ما ابتليت» وكل ما بليت بالاجوع والاثقال والعري والخفوف لعرفت ان ذلك قليل في جنب الذي تطلبه عند الله ولقلت نعم ما هو الفوز عند الله اذ يقول الله تعالى «استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين» الي قوله «وأولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون» فأعرضت عن الله ولم تصدق بكلام الله وقد قال الله تعالى «فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم» ومع شؤم الحالة واستحقاقك فيها القتل قد أردنا تصفيتك وتكفير خطاياك بالسجن والحبس والغل لتكون مع المكرمين الصادقين في طلب ما عند الله من المزايا العظيمة الدائمة رحمة بك فلما نلت ذلك كنت تحمد الله على قدر ما يزيد عليك التأديب اذ في كثرة ابلايا المزايا كما ورد ولا خير في الدنيا ولا في نعيمها الذي تتأسف على فراقه فاذا أتاك جوابي فقوض أمرك لله وترقب حسن ما عند الله وأعرض عن الدنيا وما فيها لتنال الرضا الكامل والسلام ١٤ محرم سنة ١٣٠٢

وهذه صورة كتاب آخر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد

فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى محبنا صالح الملك وقاه
الله كل سوء ومهلك وجعله ممن للخيرات تملك آمين أيها الحبيب لا يخفى ان
هذه الدار منقضية وقد خلقها الله للتزود لدار القرار والسعي فيما يقرب الى
الخالق المختار واعلم ان حبسك هذا ليس لمؤاخذه وانما هو شفقة بك وتقديم
الي خيرك الدائم وتغيير وتبديد لك من سوء ملايم واني أعرف بحالك
وبصلاحتك منك وليس عندي قصد نفسانيات كما لا يخفى على جميع المؤمنين
والمؤمنات وستنظر خير ذلك وكما لوحت بخلق النبي صلى الله عليه وسلم من
صفحه ورحمته فبفضل الله تعالى قد خلقني الله بذلك رحمة منه لا بحولي ولا
بقوتي ولكن بتسليمك لنا وحسن الظن بنا تجد عظيم المنى فحسن ظنك في
الله وفينا فبحسن البداية تجد كمال النهاية والسلام

ذكر زحف المهدي من الابيض الى غدير الرهد
لما علم المهدي ن دعوته قد انتشرت في أكثر أنحاء السودان وأن نفوذ
الحكومة قد تقلص ولم يبق في السودان غير الخرطوم وسنار وكسلة وكلها
محصورة بجنوده جمع اليه أهل مشورته وكان من رأى عبد الله التعايشي أن
لا ينادر المهدي الابيض عاصمة كوردفان وأن يبعث بالجيوش لاختضاع
الخرطوم وسنار وكسلة وحمل أموالها وذخيرتها له ليشتد ساعده ويتقدم الي
دارفور ومنها الى ممالك السودان ليؤسس بها مملكة تكون بعيدة عن
احتمال غارة المصريين عليها فعارضه أحد الخلفاء فقال انا لا أقف عند الخرطوم
بل لا بد لنا من التقدم الي مصر ومنها الى الشام فالحرمين الشريفين وان
تقدمنا الى جهة الغرب يدعو كثيراً من الناس للشك في أمر المهديّة حيث

انهم يرون لاثبات المهدي ضرورة قيام صاحبها بها في الاماكن المقدسة ونحن
قد وعدناهم بصيرورة ذلك لاحالة وعليه فان انصراف وجهتنا عن الخرطوم
يفتح باباً لمثل هذه الشكوك التي ربما كانت سيئة المغبة فوافق المهدي علي
هذا الرأي تبعاً لاميال اقاربه الذين هم من دنقلة ويكرهون الاعتماد عن
أوطانهم والتطوح في السودان الغربي ومن جهة أخرى ان أهالي السودان
الاولى. اذا علموا بنيتة على الزحف الى السودان الغربي رغبوا عنه ووالوا
الحكومة. والحاصل انه عقد النية ووطد العزم على الزحف الى الخرطوم
وأخذ يحث الناس على الهجرة ومغادرة ديارهم مقبحا لهم متاع الدنيا وجاء
باشياء كثيرة من المواعظ في ذم اقتناء البقر والابل وغيرها من الماشية وان
الله متكفل بارزاق العباد فلا يليق بالعبد ان يركن الى الزرع ويهتم بامر
المعيشة فصادت مواعظه آذاناً صاغية من أهالي كوردفان فكانوا يحرقون
منازلهم ويبيعون ماشيتهم أو يذبحونها ويلحقون بالمهدي في الأبيض حتى
اجتمع حوله زهاء ثمانمائة الف مقاتل ضاقت بهم الأبيض وقل الماء وارتفعت
أثمانه حتى بلغ ثمن جرة الماء عشرة قروش صاغ لان الآبار قليلة في الأبيض
ويبلغ عمقها مائتي متر ولا يتيسر حفر بئر في أقل من سنتين لان الارض
محصوة بصخور صلبة من الصوان

وفي أوائل شهر جمادي الآخرة خطب في الناس وقال لهم ان المسيح
الذجال سيأتي الأبيض بعد شخوصي منها وان كل من تخلف عني وقع في
فتنته وصار من أتباعه ثم غادر الأبيض الى جهة (غدير الرهد) الواقع في
الجنوب الشرقي من الأبيض على مسيرة مرحلتين ونزل بالرهد وأنشأ أكواخا
من البوص لسكناء وتابع الناس مسيرهم خلفه فصار ما بين الأبيض والرهد

كدينة آهلة بالسكان لكثرة الذين يسرون في الطريق بينهما
واستخلف المهدي على الابيض عمه محمود بن عبد القادر وهو من
اكبر انصاره الذين شادوا أركان دعوة المهدي معه وسنعود الى ذكر بقية أخباره
وثورة جنوده عليه وقتله

وعسكر المهدي في الرهد ووفد عليه كثير من أهالي الجزيرة لتقديم
الطاعة له فكان يقابلهم بالأكرام ويحثهم على العودة الى بلادهم للجهاد وأقام
المهدي في الرهد وأرسل جيوشه كلها للقارة على جبل الداير الذي لا يبعد عن
الرهد الا مسيرة مرحلة واحدة



ذكر حرب المهدي مع أهل جبل الداير

جبل الداير واقع في الجنوب الشرقي من الابيض عاصمة كوردفان
وسكانه من العبيد النوبيين وهو جبل يبلغ طوله ثلاثين ميلا وعرضه
ينقص قليلا عن هذا القدر وحجره من الصوان بعكس قته فانها
أرض زراعية من أجود أراضي كوردفان ينبت فيها الزرع وينبع فيها
الماء وفي تلك القمة اكثر من مائة قرية يسكن كل واحدة منها ما بين ألف
عشرة آلاف نسمة يزرعون ويرعون الماشية في نباتها الكثير وعندهم
النحل بكثرة حتى أن قيمة العسل كالماء ومن أكثر محصولات ذلك الجبل
نوع (التبغ) المسمى (كدراوي) وهو شديد التخدير لمن يدخنه أو يلوكه
في فمه على الطريقة المعروفة باسم (مدغه) وهؤلاء السكان لا دين لهم مثل
سائر عبيد أفريقية والوانهم شديدة السواد وأجسامهم عارية من الملابس
الا ما رز صغيرة يسترون بها عوراتهم

وليس لهذا الجبل الاسيل واحد للصعود على قمته اذ يبلغ ارتفاعه نحو ألفي متر
ونقل لنا أحد المصريين انه صعد على قمة جبل قلي الواقع جنوب سنار
عند منابع النيل الأزرق في يوم كثير الغيوم فابصر جبل الداير وجبال تقلي
كقطع من السحاب خضراء وقال له سكان ذلك الجبل هذا جبل الداير
وهاهي جبال تقلي

وعليه فان جبل الداير ذو منعة طبيعية يستطيع أهله مع بعدهم عن
المعدات الدفاعية أن يجعلوا الاستيلاء عليه رابع المستحيالات

وفي عام سنة ١٢٨٥ هجرية كان حسن حلمي باشا الجويسر مديراً
لكوردفان وقصد اخضاع جبل الداير لسلطة الحكومة فزحف عليه بطابور
من المشاة النظاميين ونحو أربع مائة من جنود الباشبورق الغير نظاميين وأخذ
لنفسه الحذر حتى لا يشعر النوبيون بقدومه اليهم ثم تمكن من الصعود على
قمة هذا الجبل على غرة من أهله الذين لو علموا أمر تقدمه عليهم لاستطاعوا
دفعه بغير كبير مشقة

ولما استقر الجنود في قمة الجبل قابلهم السكان بجيش جرار وأصلوهم
حرباً كانت نتيجة انتصار المصريين وتقهقر النوبيين بخسارة بضعة آلاف
من مقاتلتهم ثم ان القائد لما أمن النظر في قمة الجبل هاله ما فيها من الغابات
الكثيفة وكثرة الوحوش الضارية وأخصها النمر التي تضطر السكان الى ان
يعتصموا داخل اكواخهم وزرائبهم قبل غروب الشمس بساعتين ويقضون
ليلهم في كروفر مع النمر التي تهاجم منازلهم وزرائب ماشيتهم هجوماً عنيفاً
في كل ليلة

ولما رأى ذلك عزم على العودة من غير ان يجنى شيئاً من ثمار انتصاره فاشار عليه واحد من صناعق الباشبوزق اسمه مصطفى أغا بالترتبص قليلاً فقبل مشورته وبعد بضعة أيام جاء رؤساء القرى يقدمون طاعتهم فتلقاهم بالاكرام وفرض عليهم مائتي الف قرش ضريبة يؤدونها للحكومة في كل عام فاسرعوا بالاجابة وأدوا هذا المال وقفلوا راجعين بعد ان أقام منهم رؤساء وحكاما يمثلون سلطة الحكومة عليهم ومن ثم صارت أبواب جبل الداير مفتوحة في وجه التجار ويجلب منها العاج وريش النعام والعسل والتمر هندي والتبغ والسهم ويوجد في هذا الجبل معادن حديد بكثرة والاهالي يجهلون كيفية استخراجها

وبعد ما فتك المهدي بحملة الجنرال هيكس أغار أهل جبل الداير ليل على شيكان محل مصرع الحملة واختطفوا كثيراً من البنادق والخرطوش فكتب المهدي الى رؤسائهم يدعوهم للدخول في طاعته ويسألهم ان يردوا ما اختطفوه فقابلوا دعوته بالرفض وعدم الاكتراث فخذ عليهم وصم على مفاجأتهم للانتقام منهم ولما اجتمعت انصاره في الرهد انتدب القأدين عبد الرحمن النجومي صاحب الراية البيضاء وحمدان أبوعنجه قائد الجهادية وأمر الثاني بطاعة الاول فزحفا على جبل الداير في أربعين الف مقاتل منهم عشرون الفا يقودهم حمدان أبوعنجه وسلاح جهم من بنادق رامنجتون وعسكر هذا الجيش في سفح الجبل عند قرية اسمها (سدره) وأخذ يوالي الهجوم صباحاً ومساءً على الجبل فيقابه النوبيون بدفاع يضطربهم الى التقهقر بخسائر غير قليلة والمهدي يوالي ارسال المدد في كل يوم حتى بلغ عدد الجيش مائة الف مقاتل

واشتد الخلاف بين عبد الرحمن النجومي وحمدان أبي عنجه وكانت
التعايشي ظهيراً لحمدان لما بينهما من القرابة ولأنه من رأيه فالح على المهدي
فكتب منشوراً إليهما بأن كل المقاتلة من أهالي السودان الغربي يكونون
تحت إمرة حمدان أبي عنجه أما الجمليون والداقلة فالأمير عليهم عبد الرحمن
النجومي ويكون كل واحد من الأميرين مستقلاً بنفسه

وكتب المهدي منشوراً إلى الأميرين ومن مهمما قال فيه إن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أخبره في حضرة أن أنصاره إذا هاجموا جبل الدائر في
صبيحة يوم الخميس يندك تحت أقدامهم وتتصدع صخورهم ويصير هو ووجه
الأرض سواء

وفي ذلك اليوم صلى الأميران الصبح بغلس ودقوا طبولهم وهاجموا
الجبل وبعد قتال عنيف دام إلى عصر ذلك اليوم انهزم الدراويش شر هزيمة
وتركوا في ساحة الحرب أكثر من عشرة آلاف قتيل عدا المجروحين الذين
ربو عددهم على هذا القدر وعاد كثير من الدراويش وفي أنفسهم شيء
كثير من المهدي الذي كذب عليهم ووعدهم بذلك الجبل وقد صرح لي غير
واحد من كبار الدراويش بأنه كان قوى التصديق بدعوى المهدي في السر
والعلانية ولكن منذ واقعة الدائر صار لا يصدق دعواه الا ظاهراً خوفاً
على نفسه من الوقعة والانتقام

ولما اتصل بالمهدي خبر الهزيمة التي لحقت أنصاره كتب إليهم يدعوهم
إلى العودة إلى معسكره بالهدوء وقال لهم ضمن كتابه أن رؤساء الجبل
جاءوه ليلاً وقدموا له الطاعة والخضوع وأن النبي صلى الله عليه وسلم أمره
بالكف عن مناوأتهم والاحسان إليهم والحقيقة أن رؤساء الجبل لم يخضعوا

له ولا رأيتهم عينه وقد كذب عليهم ليموه على عقول البسطاء بانه قادر على التغلب عليهم

ولدى عودة الدراويش الى الرهد قابل أمراؤهم المهدي وذكروا له ان الجبل ذك امامهم كما أخبرهم ولكن سبب الهزيمة عدم الوفاق بين القائدين فاشي عليهم وشكرهم وانصرفوا من عنده والناس متعجبون من اكاذيب المهدي وأمرائه معاً

ذكر رد طائفة الثلاث

لما عسكر المهدي في الرهد ووفد عليه كثير من أهالي الجزيرة لتقديم الطاعة والخضوع استفتاه كثير من أولئك الوافدين في أمر زوجاتهم اللواتي وقع عليهن الطلاق ثلاثاً قبل ظهور دعوته أو كانت طليقة أو اثنتان منهن قبل دعوته وقد بنى المستفتون فتاويهم على شيء مما قاله في دعاويه التي تقدم لنا ايرادها من ان الزمن الذي تقدم على ظهور دعوته حكمه حكم زمن الجاهلية الذي تقدم بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فاجاب على هذه الفتاوي بمنشور صرح فيه بجواز وطئ أولئك المطلقات من غير ان ينكحن أزاجاً غير الذين طلقوهن بدعوى انهن كن غير مؤمنات ثم تطرف الى ذكر نساءه فذكر انهن كنساء النبي صلى الله عليه وسلم وتعرض الى تفسير بعض الآيات القرآنية التي نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم وفسرها بما يطابق هواه وانه سمع كلاماً من قبل الله عز وجل ليس بصوت ولا حرف وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بان ملك الالهام مصاحب له . والحاصل ان ذاك المنشور مملوء بالاكاذيب التي تدل على ما كان عليه المهدي من البدع والضلال

وهذا هو نص المنشور الآنف الذكر

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

الحمد لله الوالي الكريم . والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم
وبعد فيقول العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله انه قد كثر الضرر
والتشكي الي وطلب الفوت من الانصار الحاصل منهم الطلاق قبل زمن
المهدية ولا يخلو ذلك من الضيق والخرج منهم ومن نسايتهم وقد تابوا والى
الله أنابوا وللآفة والاجتماع في دين الله طلبوا ومراراً أعرض عن ذلك
وأقول أليسوا كانوا مؤمنين وأفقي للبعض ان عدم الحسبة في الطلاق لاهل
القيقر والنساء اللاتي لم يكن مؤمنات لانهن لاعصم لهن فلا يكن لهن حسبة
طلاق حتى كثر الضرر في ذلك والتردد فاهتمت بذلك وتضرعت وابتهايت
الي الله في ذلك ليحصل لي فرقان من كتاب الله تعالى لانه سبحانه قد وعد
بالفرقان والمخرج للمتقين وفوضت الامر الى الله وتركته حتى ورد على وارد
في آخر ورد الراتب وقد كان هذا الامر خارجاً من بالي فوردت لي هذه
الآية وهي قوله تعالى « وما جعل عليكم في الدين من حرج » مع الالهام انها
المخرج من ذلك الضرر الحاصل في الطلاق قبل المهدية وان الطلاق قبل
المهدية لا يحسب لمن تمت الثلاث ولو بعد المهدية وسبق طلاق قبل المهدية
وبعد المهدية لاتكون الفتاوى التي كان العلماء يفتون بها في مطلقة الثلاثة
وقد وقع في قلبي حيثئذ أعني في وقت ذلك الوارد لنا من قوله صلى الله عليه
وسلم اننا لما نخرج من «أبأ» الى الغرب فالناس يدخلون في دين الاسلام جديداً
علي أو كما قال وقد وقع لبعض نسائي تمام عدد الطلاق ووقع بعضها قبل
المهدية وقد تضرروا بأنفسهم بأهليهم وبعض الاصحاب وأمرتهم بأن يتزوجوا

فلم يرتضوا حتي ورد الخبر بمنع ذلك بالخصوصية التي يأتي ذكرها ولا زالوا
 يتضررون فقلت لاسبيل الى ذلك الا بشيء يأتي لنا من الله ورسوله صلى
 الله عليه وسلم مع وقوع بعض حضرات نبوية في حسبتها من نسائي ووقوفها
 معهم في التصفية وبعض حضرات حصل فيها الامر برجوعها من كثير من
 رأيي صالحة في حسبتها من نسائي وبكل ذلك كنت أجد في نفسي الحرج
 من الرجوع لها مع تمام حسبة الطلاق حتي ورد لي الوارد فيها مع ذلك الوارد
 المتقدم ذكره وهو قوله تعالى «لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما»
 الآية فلا أدري الا وقد انفرج ما بي من ذلك الخوف وانشرح لها صدري
 بغير ما أعهد به والامر لله والله تعالى في كل وقت شأن وقد جاء الاخبار من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ان معي ملك الالهام من الله يسدني وعينه
 فمن هذا الخبر النبوي علمت ان الذي يلهمني الله به بواسطة ملك الالهام لو
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاضرا لفعله وقد ورد لي مرارا الخصوصية
 التي كانت له صلى الله عليه وسلم في نسائه مع التوصية منه صلى الله عليه وسلم
 ان تنزل نسائي كمنزلة نسائه صلى الله عليه وسلم ولما أهديت الي النساء مع
 الوارد لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهن أخذني خجل من ربي
 سبحانه في أمرهن وأنا في ذلك فجاءني سلام سمعته بجميع جسدي من غير
 حرف ولا صوت ولا سر ولا جهر ولا بعد ولا قرب ولا أقدر على تكيف
 شيء منه فداني على أسرار كثيرة والله المثل الاعلى وتعالى الله عن كل ما يخطر
 ببال وأمر ذلك مفوض الى الله تعالى ولكن حصل لي مع ذلك الالهام الذي
 يحصل لي فانشرح لي به الصدر وانحل قلبي مما كنت مهتما به وحصلت لي
 اسرار كثيرة يغمض فهمها وقد حصل لي مثل واقعة هذا السلام شيء يشبه

ذلك في كيفية بعض النساء بشارة نسيبتها مع تسمية الولد والبنت اللذين يجعلهما الله تعالى منها فسميته بسائر جسمى باطنا وكل ذلك بحول الله وفضله لا يشغف في النساء ولا أبري نفسي الا أن يزكيني ربي وعلم حالي عند ربي ، واعلم ان ظن المؤمنين بي حسن ولكن لحوف دخول الشيطان على من ضعف قلبه مع العلم ان خلافتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا بخلافة الخلفاء السابقين سابقين بعض النصوص المذكورة في بعض التفاسير في قوله تعالى «لا تحل لك النساء من بعد» لينحل قلب بعض الاخوان الذين تقع في قلوبهم عداوة الشيطان بسبب النساء اللاتي ارادهن لي ربي سبحانه وانما الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فاذا فقد العبد كثرة أنوار المحبة واليقين بالحقيقة التي نحن عليها أخاف أن يضره الشيطان. قال عكرمة والضحاك «لا تحل لك النساء من بعد» أي اللاتي أحلنا لك وهي قوله «انا أحلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن» الآية ثم قال «لا تحل لك النساء من بعد» أي اللاتي أحلنا لك بالصفة التي تقدم ذكرها وقيل لأبي بن كعب لو مات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم أكان يحل له أن يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قيل قوله تعالى لا تحل لك النساء من بعد قال انما أحل الله له ضربا من النساء فقال تعالى «يا أيها النبي انا أحلنا لك أزواجك» الآية ثم قال لا تحل لك النساء من بعد وبين بعضهم في هذا المقام انه صلى الله عليه وسلم تجوز له ثلاثمائة امرأة وقال مجاهد معناه لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات «ولا أن تبدل بهن من أزواج» يقول ولا أن تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى يقول لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية «ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك» أحل له ما ملكت يمينه من الكتابيات أن

يتسري بهن * وروى عن الضحاك ولا أن تبدل بهن من أزواج يعني ولا أن تبدل بأزواجك اللاتي هن في حبالك أزواجا غيرهن بأن تطلقهن فتكح غيرهن فخرم عليه طلاق اللواتي كن عنده وحرمن علي غيره حين اخترنه فاما نكاح غيرهن فلم يمنع عنه وغير ذلك من نحو هذا * أقول وبعد هذا قد حصلت لي في هذا المعنى اسرار كثيرة يطول ذكرها والحمد لله على خاصيتنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وعنايته بنا ودعائه لنا قديما وحديثا فان شرف التابع من شرف المتبوع والسلام اه

زحف أبي قرجة علي الخرطوم

لما سقطت فداسي في يد أبي قرجة وأرسل صالح بك الملك أسيراً الي المهدي كتب المهدي الي أبي قرجة يأمره بالتقدم الي الخرطوم من جهة الجريف وفي أوائل شهر رجب سنة ١٣٠١ وصل أبو قرجة بجيش جرار الي قرية الجريف التي تبعد عن الخرطوم مسافة أربعة أميال علي ضفة النيل الازرق وعسكر هناك وشاد اثنتي عشرة طاية حيال استحكام الخرطوم وانضم اليه دعاة المهدي الذين كانوا حول الخرطوم وفي مقدمتهم الشيخ مـ مـ عبد الرحمن وفي ثاني يوم وصوله الي الجريف جمع مقاتلته وهجم بهم علي الاستحكام فسكت الجنود ولم يرموه بالنيران حتى اذا صار علي قرب الف ومائتي متر من الاستحكام انفجرت فيهم الالغام التي كانت مدفونة في الارض واطلق الجنود النيران علي العدو فتقهقر أبو قرجة وبلغت خسارته أربعة آلاف قتيل عدا المجروحين

وكانت هذه الالغام قد وضعت قبل زحف أبي قرجة بنحو عشرين

يوما وقام بتجربتها غردون والمستر ياور قنصل انكلترا في الخرطوم
وعاد أبو قرجة الى معسكره في الجريف وأخذ يوالي اطلاق النار على
الاستحكام دون ان يجسر على الدنو منه وكان مع أبي قرجة نحو مائة نفر من
أقاربه الدناقلة وكانوا نخاسين في جهات خط الاستواء ولهم مهارة في اتقان
رماية الرصاص مثل اكثر النخاسين حتى انهم يقفون في ظلام الليل على بعد
مرمى الرصاص وينادون باسماء دناقلة نخاسين بقوا على ولاء الحكومة
هم وقائدهم سأتى بك الدنقلاوى الذي كان نخاسا أيضا فاذا أجابهم المنادي
قذفوه بالرصاص فيصيبه وأخيرا أصدر غردون امرا منع به كل كلام بين
رماة أبي قرجة وسأتى بك

ومكث أبو قرجة محاصرا الخرطوم من شهر رجب الى اليوم السابع
من شهر شوال حتى هزمه محمد علي باشا وسنعود الى ذكر ذلك



ذكر تفشي الجدرى بين الدراويش

كان غردون أمر بوضع مادة الجدرى في جوف السكال فاذا قذفت من
المدافع وقعت في وسط الدراويش بغير أن تنفجر فيأخذونها ويجدون الماء في
جوفها فيقولون انها من كرامات المهدي ويتبركون بالمادة الجدرية ويمسحون
بها وجوههم فقشا فيهم الجدرى وقد رعدد الوفيات به كل يوم بخمسين نسمة
ولم يفتنوا شيء ما واتصلت الاخبار بالمهدي فبنى عليها ما بنى وزعم ان النبي صلى
الله عليه وسلم أخبره بأن السكال تتحول ماء كرامة له وكثير من البسطاء يعتقدون
ان هذه المكيدة كرامة ثابتة للمهدي

واقعة الجريفة

في صبيحة اليوم الرابع من شهر شوال سنة ١٣٠١ انتدب غردون الميرالاي محمد علي بك حسين ميرالاي لواء السودان الاول ونحو ألف جندي من الباشبوزق وعدة الجميع خمسة آلاف مقاتل وخمس بواخر قد صفحت بالقولاذ لمهاجمة معسكر أبي قرجة فتلقاهم بثبات غريب وما زالوا في كروفر حتى جاء الليل ولم تسفر الحرب عن نتيجة وثابر القائد على خطته وأحاط بطوابي الدراويش وضايقها من جهة البحر ومهاجمها من البرمدة يومين وفي اليوم الثالث تمكن محمد علي بك من الاحاطة بطوابي العدو حيث استولى عليها بعد الظهر وفر أبو قرجة ومعه أربع مائة نفر من خواصه وقتل من الدراويش نحو عشرة آلاف مقاتل وغنم الجنود مافي معسكرهم من المؤن والذخائر واحتملوا شياً كثيراً من الاقوات التي ساعدت سكان المدينة وخفضت ثمن الاقوات فيها وعثر الجنود في منازل الامراء على كميات كبيرة من المسكرات كانوا يخفونها في منازلهم ويعاقرونها سرا ولحق أبو قرجة بالقلاة وأرسل يعلم المهدي بما أصابه من الفشل فوافاه الكتاب وقد غادر الرهد قاصداً « شاة » القرية من النيل الابيض فاستاء من هذا النبأ

وروى سلاطين باشا ان عبد الله التعايشي استدعاه وقال له ان غردون رجل داهية وذو حيل وانه هجم على أبي قرجة وهزمه من الجريفة وان المهدي ينوي ارسال عبدالرحمن النجوبي لانه الرجل الذي يمكنه قهر غردون فقال له سلاطين عسى أن لا تكون خسائر أبي قرجة عظيمة فقال لا حرب بغير خسارة

وكتب المهدي الى ابي قرجة يشجعه ويأمره بالانضمام الى الجيش الذي يقوده
عبد الرحمن النجومي وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بأن هذه المصيبة
خاتمة المصائب التي يختبر الله بها أصحابه وانها آخر هزيمة تلحقهم حتى
يفتحوا الخرطوم

واقعة الحلفاية

(وهزيمة الدراويش فيها)

وفي يوم ٨ شوال سنة ١٨٠١ بعد عودة محمد علي بك من الجريف سار
بالقوة التي كانت معه الى جهة الحلفاية وكان بها أولاد الشيخ العبيد الذين
تقدم لنا ذكر حوادثهم وهجم على حصونهم فدافعوا نحو ثلاث ساعات ثم
انهزموا واستولى الجنود على مواقعهم ولحق المهزمون بالفلاة
وكان أبو قرجة أرسل الشيخ مضوى بخمسمائة مقاتل لتعزيز حامية
الدراويش في الحلفاية وذلك قبل هزيمته ببضعة أيام وعاد محمد علي بك الى
الخرطوم ظافراً بعد أن وضع حراساً على الحلفاية وأمرهم بهدم القرية وحمل
أخشابها الى المدينة

وأنعم غردون على محمد بك برتبة اللواء الرفيعة وتلقاه بالاكرام حين
عودته الى المدينة

وكان غردون يظن ان نتيجة الواقعتين الجريف والحلفاية ستكون عودة
أهالي القرى الى الطاعة على أثر هزيمة الدراويش تخاب ظنه حيث فر الاهلون
الى الدراويش وتركوا قراهم ومنازلهم ومزارعهم فاستفاد سكان المدينة بعض
الفائدة حيث كانوا يؤلفون عصابات يخرجون بها ويحتملون الغلال وسائر

الاقوات من منازل الاهلين
ووقعت أنباء هذه الهزيمة موقفاً سيئاً عند المهدي حيث تقدم بنفسه
الى الخرطوم
على ان الذي ساعد على هذه الانتصارات هو ارتفاع النيل ومساعدة
البواخر للجنود ولولا ذلك لم تقدر على هزيمة العدو وطرده من
الجريف والحلقة

وبقي الحال على ما هو عليه في المدينة وابتعد الدراويش عن ضفة النهر
وأوغلوا في القلوات واسترد المدفع الذي غنمه الدراويش في الواقعة التي خان فيهم
السعيد حسين الجميبي وحسن ابراهيم الشلالى

واقعة ابي حراز

أبو حراز قرية واقعة في الضفة الشرقية للنيل الازرق وهي تبعد عن
الخرطوم بمسيرة سبع مراحل وهي التي قتل فيها الشريف أحمد بن طه وقد
تقدم ذكر قتله

سار اليها محمد على باشا في خمس بواخر تقل أربعة آلاف جندي بعد واقعة
الحلقة يدعوا أهلها الى الطاعة والخضوع للحكومة فقرروا من وجهه ولم يحاربوه
وأباح القرية للجنود فنهبوا ما فيها من الاقوات وشحن من غلالهم نحو النى
أردب ونحو ثلثمائة قنطار من البن الحبشي لان هذه القرية مركز للتجارة
الحبشية والقوافل الذاهبة الى حدود الحبشة والآية منها تنزل فيها ثم عادت
الجنود الى الخرطوم بنير ان تصادف كيداً

واقعة القطينة وقتل ساتي

القطينة قرية واقعة جنوب الخرطوم على ضفة النيل الأبيض وساتي بك هذا كان نخاسا ثم صار موظفاً أميرياً في بحر الغزال ولما وصل غردون الى الخرطوم عينه قائداً على اربعمائة جندي من الباشبوزق وأصلهم من جنود الخطرية الذين كانوا في بحر الغزال

وفي أواخر شهر شوال سنة ١٣٠١ اتصل بغوردون ان شخصا اسمه على عبد الله من أهالي القطينة وصهر المهدي جمع جموعاً من بلده ينوي بم الزحف على الخرطوم فانتدب ساتي بك بجنوده على باخرتين لاكتشاف أولئك المجتمعين

ولما وصلت الباخرتان الى القطينة هجم على عبد الله ومن معه على ساتي بك هجوماً عنيفاً فثبت لهم وهزمهم عدة مرات وما زالوا في كروفر حتى أصيب ساتي بك برصاصة قضت عليه وانهزم جنوده ولحقوا بالباخرتين اللتين أقلمتا بهم وعادتا الى الخرطوم

واقعة العيلفون

العيلفون قرية على ضفة النيل الأزرق تبعد عن الخرطوم بمسافة واحدة ولما انهزم الدراويش من الحلفاية لحقوا بام ضبان قرية الشيخ العبيد وفاوضوه في الامر فكتب منشوراً استصرخ فيه القبائل فاجتمع عليه نحو عشرة آلاف مقاتل وأرسل الشيخ مضوي الى العيلفون لجمع أهاليها وأهالي القرى التي حولها فتألب عليه نحو خمسة آلاف مقاتل عسكر بهم في العيلفون

وانتدب غردون اللواء محمد علي باشا ومعه خمسة آلاف جندي ونحو
خمسة آلاف من أهالي الخرطوم خرجوا متطوعين طمعاً في الكسب وقد
أذن لهم غردون بمرافقة الحملة لأن ما يكسبونه من الاقوات والماشية يعود
بفائدة إيجاد القوات في المدينة وسارت الحملة من الخرطوم أوائل شهر ذي
القعدة سنة ١٣٠١ على خمس بواخر وعشرة صنادل ومراكب شراعية

وعند ما وصلت الميلفون هجمت على العصاة فقابلوها بثباب عظيم ثم
أحاطت بموقعهم واصلتهم ناراً حامية وقتلت منهم عدداً يربو على الأربعة
آلاف وفر الشيخ مضوي في نحو مائتين ولحق بام ضبان وانضم الى الشيخ
العبيد وغنمت الحملة شيئاً كثيراً من الماشية والحبوب ووصلت أخبار الانتصار الى
غردون فسر بها وملأت الآمال جنيبه وأثنى على محمد علي باشا وأعجب بمهارته

واقعة ام ضبان وقتل محمد علي باشا وحملة

لما انتصر محمد علي باشا في واقعة الميلفون ارسل جواسيسه الى ام
ضبان فمادوا وأخبروه كذبا بأن الشيخ العبيد في عدد قليل من الرجال وان
الذين حوله لا يبلغون الالف ويظهر أن أولئك الجواسيس كان الشيخ
العبيد استمالهم ولقنهم هذه الاقوال ليجر الحملة الى ام ضبان وهناك يبطش
بها في وسط الغابات وقد افلح سعيه حيث لم يكد محمد علي باشا يسمع هذا
الخبر حتى زحف بحملة ومتطوعته على ام ضبان التي تبعد عن الميلفون بنحو
أربعة أميال في الصحراء

ولما توسطت الحملة الطريق خرج عليها كينان من وسط الغابات كمين
من خلفها والثاني من أمامها وداهما على غرة فانتثر نظام الجنود واثخن العدو

فيهم قتلا ونزل محمد علي باشا واركان حربه عن دوابهم وجلسوا علي الارض حتى قتلوا

وكان فعلهم هذا تبعا لعادة متبعة عند أهالي السودان وهي أن لا يفر الانسان سيما اذا كان رئيسا أو مشهورا بالفروسية لئلا يقتل منهزمالان ذلك من اكبر العار عندهم ولولا ذلك لكان في استطاعة محمد علي باشا واركان حربه النجاة بدوابهم

وقد وقعت هذه النازلة وقعا سيئا عند غردون وأسقطت منزلة محمد علي باشا من قلبه لانه كان معجبا بمهارته ولم يكن يظن انه يتبع عادة همجية يضحي فيها حياته وحياة اركان حربه فضلا عما اتاه من الطيش والتهور اللذين ساقاه الى المخاطرة بالزحف علي أم ضبان بدون صدور اذن من غردون الذي كان يؤكد علي كل الحملات التي يبعثها بعدم التوغل في القلوات والابتعاد عن شاطئ النهر وقد خالف محمد علي باشا هذه القاعدة وساق الحملة الى موقف الموت والهلاك

ونجا من رجال الحملة نحو مائتي جندي فقط والذي ساعدهم علي النجاة نحو ثلاثين فارسا كانوا مع الحملة فامتطى كل اثنين ظهر حصان وامسك بعضهم باذناب الخيل فوصلوا الى البواخر التي أقلمت بهم الى الخرطوم وما انتشر نبي القتلى حتى ضجبت المدينة بالبكاء والمويل اذ لم ينج احد من المتطوعة ووقع الخبر موقع الصاعقة علي غردون الذي أيقن بخرج الموقف وان العاقبة ستكون سيئة وخصوصا أن الجواسيس اخبروه بتقديم المهدي علي الخرطوم وان عبد الرحمن النجومي علي وشك الوصول اليها

هذه الواقعة جاءت ضربة قاضية علي الخرطوم اذ فقدت فيها نحو خمسة

آلاف جندي جلهم من رجال الالاي السوداني الاول ومن أقوى الجنود
الذين في الخرطوم واكثرهم دربة ولولم يفقد غردون هذه الجنود لكانت
في الامكان استخدامها في مواقع كثيرة مثل واقعة الجريف والحلقاية وأبي
حراز والميلفون ولا يخفى ان تلك الوقائع عادت بفائدة طرد العدو أولا
وجلب الاقوات ثانيا ولو استمرت هذه القوة تهاجم البلاد في ابان الفيضان
وتنعم ما فيها من الاقوات لاجتمع في المدينة شيء كثير منها ولم تقع الحامية
والمدينة بين انياب المجاعة التي كانت من أقوى الاسباب التي ساعدت
المهدي على اسقاطها ووقوعها بين مخالبه

أوراق البون

لما بدأ حصار الخرطوم كانت الخزانة الاميرية خالية من النقود فاصدر
غردون أوراق بون من فئة قرش واحد الي الف قرش وكتب على كل
ورقة ما يأتي « هذا المبلغ مقبول ونجري دفعه من خزينة الخرطوم أو مصر
بعد مضي ستة شهور من تاريخه ابريل سنة ١٨٨٤ » وبلى ذلك ختم غردون
وتوقيعه بخط يده

وصرفت مرتبات الحامية والمستخدمين من هذه الاوراق ولكن
التجار لم يقبلوا التعامل بهذه الاوراق فرفعوا اثمان الاشياء الى درجة
جعلت قيمة المائة قرش كمشرين قرشا فقبض غردون على اثنين منهم وأمر
بإبعادهما عن الخرطوم خارج الحصون ليلحقا بال دراويش ثم رق لهما وأعادهما
الي المدينة بعد ان اكد عليهما بعدم العودة الى مثل هذا الذنب فاعطياه
الذمام على الوفاء

وبالرغم عن التشديدات سقطت قيمة أوراق البون حتى صار الصرافون يأخذون المائة قرش بقرش واحد واستمر هذا السقوط الى نهاية الحصار ووقع المدينة في قبضة العدو

ولم يكن هذا السقوط واقفاً عند ورق البون وذلك ان قيمة الجنيه الانكليزي سقطت حتى صار الصرافون لا يقبلونه الا بريالين أعنى اثنين وثلاثين قرشاً مصرياً وتناول هبوط قيمة الجنيه صنف الذهب كله فان الاوقية من الذهب السنارى الذى هو كالذهب البندقي تباع بثمان ريالات مجيدية أو أقل وليس لذلك سبب غير ان الذهب فى الخرطوم أكثر من كل أصناف المعاملة وصغار الباعة يأبون التعامل بالمسكوكات الذهبية مثل سائر أهالى السودان ويفضلون الريال المجيدى على أى نوع كان من النقود

وقد كانت أوراق البون فى بداية اصدارها مكتوبة بخط اليد وفى ذات يوم جاء الى صراف الخزانة شماس من القسوس الافريقين كان بيده اوراق من ورق البون يروم توريدها فى الخزانة وأخذ رجعة بها على مالسة مصر وكانت هذه الاوراق مما حصله هذا الشماس من ثمن أثمار بستان لاوئك القسوس واسم هذا الشماس دومينيكو

ولما قلب صراف الخزانة تلك الاوراق ظهر له ان بعضها مزور فأمسكها وساق دومينيكو الى غرفة وكيل المالية الذى تحقق تزوير تلك الاوراق وأسرع بابلاغ غردون الذى تولى استنطاق الشماس بنفسه حيث ظهر له انه لم يكن هو الفاعل ثم حجز الاوراق المزورة عنده وأمر باعطائه بدلها وبث العيون فى المدينة للوقوف على الفاعل فقبض على صابر وأخيه ابنى عبد الفنى السلاوي فاعترفا امام غردون بأنهما للفاعلان وضبطت الآلة التى صوراً عليها ختم

غردون وتوقيعه وقالوا ان الذي اضطرهما لارتكاب هذه الجريمة هو الضنك
المسبب عن الحصار فعفا عنهما ولم يعاقبهما وأحسن على كل واحد منهما بخمسين
قرشاً مرتباً شهرياً يتناوله من الخزينة ومن ثم أمر بطبع أوراق البون في المطبعة
الاميرية ولم يجسر أحد بعد ذلك على تقليدها

ذكر وصول البواخر الى سنار

في أوائل شهر ذي القعدة سنة ١٣٠١ هجرية أرسل غردون الميرالاي
بخط بطراق بك ومعه أربع بواخر الى سنار فوصل الى نقطة (جادين) الواقعة
شمال مدينة سنار فألقى بها حامية من سنار تلقته بالترحاب وأخبرته ان
المدينة باقية للآن وانها تمكنت من قهر العدو عدة مرات وان القوات
متوفرة فيها ثم سلمته ألف أردب من الذرة حملها على بواخره وعاد بها الى
الخرطوم فانتدب غردون اللواء محمد نصحي باشا بالبواخر الأربع ودفع له
عشرة آلاف جنيه من ورق البون لتصرف منها مرتبات الحامية بسنار
وأرسل الاعلانات بالانعام بالرتب والمدايات على مدير سنار وضباط
حاميتها وكبار موظفيها ومن هاته الرتب رتبة اللواء للمرحوم حسن صادق
باشا مدير سنار وقومندان حاميتها

وفي أواخر شهر ذي القعدة وصل محمد نصحي باشا بالبواخر الى سنار
وقوبل بفرح وابتهاج عظيمين من الحامية والسكان وقفل راجعاً ومعه ألف
وخمسمائة أردب من الذرة

ذكر خيانة ابراهيم رشدي كاتب غردون

كان ابراهيم رشدي كاتباً صغيراً في الحكمدارية ثم صار كاتباً لجبلرباشا الالماني الذي كان وكيلًا للحكمدارية وفصل عنها وعين مفتشاً لمنع تجارة الرقيق فقدم القاهرة معه واستقال ججلرباشا من وظيفته وبقي ابراهيم رشدي بالقاهرة حتى قدمها غردون فعينه كاتباً له وسافر معه فاحسن عليه بالرتبة الثانية وأبلغ مرتبه الى ستين جنياً شهرياً مع ان مرتب هذه الوظيفة كان لا يتجاوز عشرين جنياً وتحصل ابراهيم رشدي على ثقة عظيمة عند غردون فاستعمل هذه الثقة فيما يعود عليه بالمنافع الشخصية حيث أخذ يبيع الوظائف بيع السلع حتي حصل على ثروة طائلة من هذا السيل وليته كان يبيع الوظائف لمن فيهم بعض أهلية أو استحقاق

وكان له والد يبلغ من العمر زهاء ثمانين عاماً كان ضابطاً برتبة ملازم ثان وهو أمي لا يعرف الكتابة والقراءة واسمه محمد أغا العتبانى فرقاه الى رتبة اميرالاي وعينه قومنداناً للطوبجية حالة كونه لا يعرف شيئاً من هذا الفن وغاية أمره انه كان ضابطاً في البيادة برتبة ملازم ثان كارتقى كثيراً من ذوي قرابته الى وظائف سامية وكلهم بعيدون عن الاهلية والاستحقاق بعد السماء من الارض

ومن هاته الترقيات انه رقى عديله الى وظيفة رئاسة مجلس الاستئناف مع انه لا يعرف كلمة من القانون وكانت صناعته البزازة في الخرطوم ورقى واحداً من أصهاره كانت صناعته تبيض الاواني النحاسية الى رتبة ملازم ثان في الجيش وسماه «خضر جودت» بعد ان كان اسمه خضر النحاس ومثل

هذه الترقيات كثير وانما أوردنا بعضها هنا للدلالة على أعمال هذا الكاتب
ولم يعض على وصول غردون الى الخرطوم اكثر من ستة شهور حتى أصبح
ابراهيم رشدي في خلالها ذا ثروة تعد بعشرات الالوف وبني له داراً زخرفها
ووضع فيها من الرياش ما ادهش الناس وأوجب ارتياب غردون في نزاهته
ولما وصلت بواخر نصحي باشا الى سنار كان معه فتح الله افندي جهامي
السوري أحد معاوني الحكمدارية فسلمه المدير حسن صادق باشا عشرين
أردبا من الذرة البيضاء المعروفة باسم (مقد) وهو نوع من الذرة لكنسه
أبيض وطعمه قريب من طعم القمح ونحو عشرة قناطير من السمن وثلاثين
خروفاً من الضأن ودفع له كتاباً خصوصياً برسم غردون
ولما عادت البواخر الى الخرطوم سلم فتح الله افندي الذرة والسمن
والحرفان والكتاب الى ابراهيم رشدي بصفته كاتباً لغردون قفص الكتاب
وقرأ ما فيه حيث علم ان هذه مرسلة من مدير سنار هدية لغردون فارسل
هذه الاشياء الى منزله ولم يذكر لغردون شيئاً من أمرها حتى اتصل به ذلك من
طبيبه الذي تلقى هذا الخبر من فتح الله افندي جهامي فاستدعى ابراهيم
وسأله فانكر انه تناول كتاباً أو شيئاً من فتح الله المذكور فشهد بعض موظفي
الحكمدارية بانهم رأوا الكتاب لما دفعه اليه فتح الله وانهم رأوا الاشياء
المختلصة وانه أخبرهم بان غردون تنازل له عنها قامر بتفتيش منزله فوجدت
فيه الاشياء في أوعيتها وعليها كتابة تفيد انها مرسلة برسم غردون وقتشت
أوراقه فوجد الكتاب المرسل من مدير سنار بينها قاغتاظ غردون من
هذه الحادثة التي برهنت له على خيائته ودنائه مع كونه موضع ثقته
وأمين سره وأمر بالاشياء فاضيفت لجانب الميزى لانه كان من عادته أن

لا يقبل هدية أبدا من صغير أو كبير وقد رأيت ذلك منه منذ مرافقتي له حتى
انه كان اذا نزل بقرية مدة تجوله في السودان لا يقبل من أهل القرى ضيافة
ولا شيئا مالا ويدفع ثمنه حتى شربة الماء لمن يناولها له ولو على ضفة النهر
ثم انه أمر بتشكيل مجلس لتحقيق جرائم ابراهيم رشدي فثبت ان ما اغتاله
ثمنا للوظائف التي باعها يربو على عشرة آلاف جنيهه وانه كان قد زور
توقيع المرحوم جعفر مظهر باشا حينما كان حاكما على السودان
وظهر من التحقيق أيضا انه كان قد تناول رشوة من الحائنين السعيد
حسين الجميعابي وحسن ابراهيم الشلالى اللذين ذكرنا خيانتهمما وقتلهمما وأن
كثيرا من الذين ابتاعوا الوظائف منه كانوا يقصدون من شرائها الوقوف على
أسرار الحكومة ليوقفوا المهدي عليها
ولدى نهاية التحقيق حكم عليه بالتجريد من كل ألقابه ورتبه والفصل
من وظيفته والحرمان من كل وظيفة أميرية وعين بدله قرياقص بك
القمص الذي كان وكيلا للمالية ومات ابراهيم رشدي قتيلا الدراويش يوم
سقوط الخرطوم

ذكر ما تداينه غردون من النقود

ذكرنا ان ورق البون هبطت قيمته هبوطا فاحشا فتدثر الجنود من
هذا المهبوط فاخذ يطلب من الاعيان نقودا بوجه السلفة فكانوا لا يقدمون
له الا قليلا واخيرا قال لهم اتى استدين منكم لنفسي لالحكومة وأجعل
لكم فوائد على كل ما استدينه منكم فتسابق الناس الى اجابته لانهم كانوا
يعتقدون فيه الوفاء فقدموا له في يوم واحد عشرة آلاف جنيه حرر بها كبيالات

على نفسه بخطه وختمه وجعل مواعيدها كلها وصول الحملة الانكليزية الى
الخرطوم وبهذه الطريقة اجتمع لديه من المال ما قام بمرتبات الحامية وخفف
عنها ما كانت تتدثر منه من هبوط اوراق البون فذلك الهبوط الفاحش

ذكر مدالية حصار الخرطوم

صنع غردون مدالية في وسطها الهلال والنجمة مكتوب حولها
هكذا « حصار الخرطوم سنة ١٣٠١ » وجعلها على ثلاث درجات الاولى ذهبية
والثانية فضية والثالثة نحاسية
وكل انسان كان محصورا في الخرطوم يحق له حمل هذه المدالية من النوع
الثالث بنير أن تكون بيده براءة واما النوطان الاول والثاني فيحتاج حاملهما
الي براءة من غردون

وظائف المؤلف بعد الاصابة

لما أصبت في واقعة الخلفاية كنت بوظيفة قومندان الحامية ومكنت
ثلاثة شهور طريح الفراش ولكنتى كنت قائما في خلالها باعباء وظيفتي فكانت
تقارير القواد تصل الى واصدر لهم الاوامر ليل نهار بدون انقطاع
ولما من الله على بالشفاء استحسن غردون تعييني في وظيفة رئيس
أركان حرب الحكمادارية حيث اكون مشرفا على جميع أعمال قومندان الجنود
الذي عين بدلي

ولما كثرت دسائس المهدي داخل الخرطوم وخيف وقوع ما لا تحمد
مقبته اضاف غردون وظيفة محافظ الخرطوم على عهدي مع بقائى في

وظيفة رئيس أركان حرب الحكمدارية فكثت قائماً بأعباء هاتين الوظيفتين حتى سقطت الخرطوم .

و كنت أغدو الى الحكمدارية في الصباح لتلقى تقارير القواد ثم ابرحها الى المحافظة في الظهر حيث أتلقى أخبار المدينة ثم أعود الى الحكمدارية في المساء لاصدار الاوامر عن الحركات العسكرية ثم أقضى أكثر ساعات الليل متردداً بين الحكمدارية والمحافظة وقد تمضى عليّ ثلاثة أو أربعة أيام لأجد في خلالها فرصة اذهب فيها الى منزلي وفي أكثر الليل تطراً أحوال توجب سروري على مواقف الحامية بعد نصف الليل وربما ركبت باخرة للذهاب الى حصن راسخ بك أو حصن أم درمان أو حصن جزيرة (توتي) وقد فوض الى النظر في أمر توزيع الديون التي تطلب من أعيان المدينة وقبضها منهم وقد اتفق لي مرات عديدة ان أرسل الى منزلي أطلب غذاء وانا بالمحافظة مثلاً ثم يطراً ما يلجئني الى التوجه الى الحكمدارية فاوصي بارسال الغذاء الى فيها ثم اضطر لمفارقتها قبل ان يدركني وأنا بها وربما اكون في مثل هذه الحالة في حاجة شديدة الى الغذاء ولا يمكنني تداركه اذ المجاعة ضاربة أطنابها في المدينة

وقد وقع أكثر من مرة ان الخادم يؤخذ منه الغذاء ويختطفه الناس في الطرق قبل أن يهتدي الى المحل الذي أنا فيه

ذكر احمد العوام واحراقه الجبهه خانه وبقية حوادثه

ولما وصل غردون الى الخرطوم وأصدر الاوامر باطلاق المسجونين معها كانت جرائمهم اطلق احمد العوام بضمانة رجل من سكان الخرطوم يدعى أبا

بكر الجاركوك وكان هذا الرجل مسجوناً بعد النفي من الاسكندرية لانه كان من اهلها وذا ضلع كبير في حوادثها المرامية

وكانت المخازن المعدة لحفظ الجبه خانه خارج المدينة بالقرب من الاستحكامات . ولما بدأ الحصار كانت مقذوفات العدو تصل اليها فأمر غردون بنقلها الى مكان وسط المدينة تصير فيه بعيدة عن كل خطر فلم يوجد في المدينة بناء يقوم بالغرض غير دار الكنيسة الكاثوليكية وكان القسوس قد هجروا الخرطوم الى مصر ولم يبق بها غير الشماس دومينيكو فعرض عليه غردون استئجار دار الكنيسة لحفظ الجبه خانات فامتنع من الاجابة ورفع الامر الى السيو هنزل قنصل النمسا في الخرطوم فاحتج على غردون بعدم موافقة ذلك وحصل بينهما مآلدى الى انقطاع العلائق ونقلت الجبه خانه الى دار الكنيسة وكان منزل احمد العوام ملاصقاً لها فأشعل النار في الجب خانه بقصد احراقها فدورك الامر واطفئت النار قبل ان تبلغ أمكنة المواد الملتبئة وكنت وقتئذ مباشراً لاطفاء هذا الحريق فخصرت الشبهة في احمد العوام وبعض الجيران والقيت القبض عليهم وأخذت أباشر التحقيق بنفسى فظهرت براءة الجيران فأطلقتهم ووجدت النقب الذي وصلت منه النار الى الجبه خانات فى منزل احمد العوام

وقبل ذلك وصلت الى تقارير الجواسيس بان احمد العوام هذا مبال الى المهدي وانه ألف كتاباً سماه « نصيحة الخاص والعام فى ذكر المهدي عليه السلام » فرفعت خلاصة التحقيق الى غردون الذي أصدر امره الى فتح الله جهامى احد معاونى الحكمدارية أن يأخذ معه الشيخ حسين المجدي رئيس أساتذة المدرسة الاميرية والمدرس بجامع الخرطوم ويفتشا منزل احمد العوام

ويضبطا أوراقه فتوجهما وضبطا الأوراق ووجدنا النصيحة المذكورة مكتوبة بخط يده ووجدنا غيرها كثيراً من القصائد التي ألّفها في مدح المهدي وتصديق دعوته والحض على رفع لواء العصيان على الحكومة وحملات الأوراق كلها إلى غردون الذي أمر بزوج أحمد العوام في السجن وأبقى الأوراق عنده وأحيل على المحاکمة فحكم عليه بالإعدام فاستبدل غردون هذا الحكم بإخراجه إلى الدراويش فعارض المجلس في ذلك قائلاً إن لحاقه بالمهدي لا بد أن يكون ذا عاقبة سيئة حيث يوقفه على حلة المدينة وينبئه إلى ماهو في غفلة عنه فقبل ما أشار به المجلس وأمر بصلب أحمد العوام فراجعته في أمره والتمست أن يكون انفاذاً للحكم ليلاً في منزله فقبل التماسي وأعدم أحمد العوام في منزله ليلاً وبعد سقوط الخرطوم وقعت النصيحة والقصائد في قبضة المهدي فسر بها وأمر بطبعها فطبعت وأظهر الأسف على قتله وقال إنه أشد إيماناً من مؤمن آل فرعون وتمنى أن يكون للعوام ذرية أو ذوو قرابة يصلهم ببعض ما كان يصل به أحمد العوام لو قدر له الاجتماع به

أما النصيحة فمقسمة إلى خمسة فصول ومقدمة. الفصل الأول في ذكر إمامة جلالة السلطان عبد الحميد حيث طعن على إمامته أشد الطعن وجاء بأدلة أوهى من نسج العنكبوت ونذكر منها نبذة للدلالة على سخافة مؤلفها وفقدانه العقل وهي أنه زعم أن لفظة خان الرادفة لأسماء الخلفاء العثمانيين مأخوذة من الخيانة وذلك أن السلطان سليم خان سرق مخلفات النبي صلى الله عليه وسلم وخان العهد الذي أعطاه لمن كانت عنده بارجاعها له ولا يخفى ما في ذلك من الدلالة على مبلغ علم ذلك الجاهل . وفي الفصل الثاني مطاعن كلها من قبيل تفسيره للفظه خان موجهة إلى ساكن الجنان محمد علي باشا محي

الديار المصرية وفي الفصل الثالث ذكر الحوادث المرافية والثناء على أولئك
الثوار . والفصل الرابع في دعوة أهالي القطرين المصري والسوداني لاتباع
المهدي وأنه هو المنتظر

وأما الفصل الخامس فقد خصصه لذكر المهدي وقال انه يؤجل الكلام
فيه الى ما بعد اجتماعه بصاحبه فكتب فيه الشيخ الحسين زهرا كلاما طويلا
يرمي به الى ما جاء في الاحاديث عن ظهور المهدي ويرد على الذين تذرعوا
بما ورد من الاختلاف الى تكذيبه



بعثة الكولونيل ستيوارت وقتله

لما أيدت حملة محمد علي باشا ونمى الى غردون تقدم عبد الرحمن النجومي
الى الخرطوم وان المهدي زحف عليها بخيله ورجله ايقن ان مصيره الى الهلكة
ولا نجاة له بغير وصول النجدة اليه من مصر

ولما كان غردون لا يجمل ان مصر لا تستطيع مساعدته الا اذا شاءت
حكومة جلالة الملكة فيكتوريا وقد قلنا ان غردون حاول عبثا تحويلها عن الخطة
التي وطدت المزم على انفاذها وهي ترك السودان للفوضى والقاء حبله علي
غاربه بعث الكولونيل ستيوارت وزوده بكتب الى رؤساء حكومة الجناح
الحديوي وحكومة جلالة الملكة وكل هذه الكتب لا تخرج عن التماس
المعونة وطلب النجدة مع وصف حالة سكان الخرطوم وما يتوقعه لهم من
المصيبة اذا وقعوا تحت مخالب المهدي

وأحصى المصريين الذين يسكنون الخرطوم فبلغ عددهم مائتي الف
نسمة وارسل قائمة الاحصاء مع الكولونيل ستيوارت

ثم استدعى أعيان الخرطوم وضباط الحامية والموظفين والنزلاء الأوربيين إلى مجلس عام وشاورهم في أنه يريد عمل طريقة لخلاصهم من قبضة المهدي وأنه خابر الحكومتين المصرية والانكليزية وأنها إذا لم تصفيا لندائه فلا بد من مخافة جلالته السلطان عبد الحميد خان باسم سكان السودان عموما وسكان الخرطوم خصوصا يسأله احتلال سواحل البحر الأحمر سواكن ومصوع بجنود شاهانية وإرسال مائة ألف جندي من الجيش العثماني لاختاد الثورة وتسكين حركة العصيان وتكون بمدئد اقاليم السودان خاضعة لسيادة جلالته مباشرة بدون واسطة الخديوية المصرية وإن حكومة السودان تقوم بنفقات هذه الجنود بعد زوال الفتن وإعادة المياه لمجاريها فوافق الجميع على هذا الاقتراح ووقع أربعة آلاف رجل من أعيان الخرطوم عدا الضباط والموظفين والملكيين علي عريضة استرحام بهذا المعنى ترفع إلى مقام مولانا السلطان عبد الحميد خان ووقع عليها أيضا كل مكلف من سكان الخرطوم وسلمت العريضة إلى الكولونيل ستيوارت وأكد عليه غردون بضرورة إرسالها إلى جلالته السلطان على لسان البرق لدي وصوله إلى دنقلة

وعين المسترياور قنصل انكلترا في الخرطوم لمرافقة الكولونيل ستيوارت والموسيو هربن قنصل فرنسا في الخرطوم وأوصي الاثنين بمساعدة الكولونيل ستيوارت وأكد على الموسيو هربن ببذل المساعدة لدى حكومة فرنسا حتى لا يقف حملة القراطيس المصرية من الفرنسيين حجر عثرة في طريق أي مشروع يعود بفائدة اتقاذا الخرطوم من الوقوع تحت جبروت المهدي نعم إن غردون كان لا يجهل أن انكلترا لا ترضى احتلال الجنود العثمانية لسواحل البحر الأحمر كما أنها لا ترضى بإدخال جيش تركي في السودان

ولكنه قصد أن يكون التاريخ حكماً نافذاً لحكم بينهما وبينه وإن لا تكون عليه تبعة هلاك الألوف من سكان الخرطوم أمام الله والعالم أجمع ولكن لسوء الحظ لم تكد تصل تلك المرائض إلى دنقلة حتى أوقعها نكد الطالع في يد المهدي بعد قتل الكولونيل ستيوارت فاستفاد منها فائدة حيث تحقق أن حكومتى انكارتا ومصر متقاعدتان عن إرسال المدد إلى غردون فوطن العزم على الزحف على الخرطوم والقضاء الأخير على سلطة الحكومة في السودان كلها حيث علم حقيقته مقصد انكارتا وأنها ما بعثت غردون إلا لسلامة السودان

وعينت الباهرة عباس لتقل الكولونيل ستيوارت ومن معه وعليها مدفع وأربعة عساكر طوبجية ورافق الكولونيل ستيوارت حسن أفندي حسنين تلغرافى انكارتا بالخرطوم بصفة مترجم ورافقه أيضاً محمود حلي أفندي غراب باشكاتب المالية بصفة كاتب له

والتمس من غردون نحو ثلاثين رجلاً من الأوروبيين والسوريين كانوا تجاراً في الخرطوم أن يسافروا بعائلاتهم على مراكب شراعية تقطرها الباهرتان اللتان تخفزان باهرة ستيوارت حتى يجتازوا بربر ثم يجتازون الشلالات فيصلون إلى حدود دنقلة فاجاب التماسهم وعين باخرتين كبيرتين وعليهما نحو ألف جندي ومدافع تحت قومندانة القائمقام عثمان حشمت بك وأصدر إليه الأوامر بالمسير بجاني باهرة ستيوارت وإن تكون مراكب التجار مقطورة خلف الباهرتين فإذا اجتازوا بربر ترك المراكب وشأنها وإن يقف بالباخرتين عند مكان اسمه (غنيطة) شمال بربر مدة أربع وعشرين ساعة حيث تكون في خلالها باهرة الكولونيل ستيوارت اجتازت الشلالات وكان عند الدراويش باخرتان كبيرتان في بربر يخشى منهما أن تتأثرا باهرة

الكولونيل ستيوارت وتلاحقها بها المطب وعين مع ستيوارت ملاحين
دنقلين لهما معرفة باجتياز الشلالات

وغادر الكولونيل ستيوارت الخرطوم في أواخر شهر ذي القعدة سنة ١٣٠١
هجرية ومعه الباخرتان وخلفهما مراكب التجار ومكث سائراً ثلاثة أيام حتى
بلغ بربر وكان الرصاص يهطل عليه في خلالها من ضفتي النهر كالمطر
ولما وصلوا بربر أطلق عليهم الدراويش القنابل من خمسة مدافع والرصاص
ومع ذلك اجتازها بغير أن يصيبه أدنى ضرر

ولما وصلت البواخر والمراكب الى (غنيطة) أمر عثمان حشمت بك
بترك المراكب وكان الهواء عاصفاً فلم تستطع السفر

وأما باخرة الكولونيل ستيوارت فأتجهت في سيرها جهة الشمال ولم
تكد تسير ميلاً واحداً حتى أمر عثمان حشمت بك الباخرتين بالاقلاع والعودة
الى الخرطوم فاندحش الكولونيل ستيوارت من عمل هذا القائد ومخالفته
للاوامر التي تلقاها من غردون فامر ربان باخرته بالاسراع في السير فاجتاز
الشلال الاول بسهولة

ولما نظر الدراويش في بربر عودة الباخرتين أرسلوا باخرة من اللتين عندهما
لتلحق باخرة الكولونيل ستيوارت فظفرت بمراكب التجار وعادت الى بربر
حيث لم تقدر على اجتياز الشلال وسار نحو خمسمائة من الدراويش على ضفة
النهر ليلحقوا ستيوارت

وفي اليوم الثالث من اجتياز الباخرة للشلال وصلت الى جزيرة يحيط
بها الماء من كل جانب وهناك اختلف الملاحان الدنقلان فقال أحدهما الدنو من
الشاطئ الغربي اسلم من الدنو من الشاطئ الشرقي وقال الآخر ان الدنو من

الضفة الشرقية اسلم من الدنو من الضفة الاخرى وبينما كانا مختلفان ارتطمت
البخرة بصخرة اتلفتها فدخلت المياه الى جوفها وألقى الملاحان الدنقيان انفسهما
في بلة النهر وسبحا فيه الى حيث لا يعلم أحد وجهتهما وألقى الكولونييل
ستيوارت المدفع والخرطوش في قاع البحر ونقل أمتعته وأمتعة من معه على
زورق صغير كان معه

وعندئذ أظهر ستيوارت أسفه على تركه زورقين كان غردون قد أمره
باخذهما وقال له انهما يساعدانك على النجاة اذا قدر لباخرتك عدم النجاة من
الشلالات فتركهما ستيوارت ولم يعبأ بنصيحة غردون

وكان ستيوارت صعب المراس قوي الشكيمة مستبداً برأيه في
اكثر الاحوال

ولما استقر ستيوارت في الجزيرة أشار عليه من معه أن يسافر على الزورق
ومعه بضعة أشخاص ليصل الى حدود دنقله اذ لم يكن بينه وبينها غير مسيرة
يوم واحد فرفض اقتراحهم ولم يقبله ثم عرضوا عليه أن يبعث رسالا على الزورق
الى حدود دنقله فاذا وصلوا سالمين وعلم بهم قومندان الحدود أرسل ممدداً
لانتقاذهم وكلتا الطريقتين كانت كافلة انتقاذه وبلوغه دنقلة سالما ولكنه لم
يقبل واحدة منهما أيضاً

وفي أصيل النهار سمعوا صائحاً على الضفة النهر فامعنوا النظر فعلموا ان
الصائح هو ذاك الملاحان اللذان ذكرنا فتاديا ستيوارت ومن معه قائلين
لاباس عليكما وانكم ازاء قرية تدعي السلامانية وانها من حدود دنقله ولم تزل
على طاعة الحكومة ولم تدخل في دعوة المهدي وهم يطلبون ارسال مندوبين
يتحققون بقاءهم على طاعة الحكومة

وكان حسن أفندي حسنين التلغرافجي الآنف الذكر يترجم هذه الافوال الى اللغة الانكليزية بين يدي الكولونيل ستيوارت الذي أمر حسن أفندي حسنين ومحمود حلمي غراب أن يصطحبا معهما بضعة رجال من ملاحى الباخرة ويذهبوا الى قرية السلامانية من الشاطيء الشرقى للنهر فامتنعوا وقالوا له ان ذهابنا بهذه المأمورية مخاطرة بحياتنا فاحتدم غيظا وتوعدهما بالقتل رميا بالرصاص اذا لم يبادرا بالذهاب فاطاعاه خوفا من هذا الوعيد واجتازا النهر على الزورق واجتمعا بالملاحين وقصدوا القرية فوجدوا ثلاثة أشخاص جالسين في فناء مسجد ومعهم رجل كفيف البصر فخطبهم حسن حسنين ومحمود حلمي وقالوا لهم ان باخرتنا قد غرقت امام قريبتكم فان كنتم على طاعة الحكومة رجوناكم ان تمدوا لنا يد المساعدة لنصل الى دنقلة فاجابوهم بانهم لم يزالوا على طاعة الحكومة وانهم خاضعون لحاكم إقليم دنقلة مصطفى ياور باشا وحلفوا على المصحف الشريف بان ما قالوه عين الحقيقة وطلبوا من الرسولين ان يؤمناهم فقالا ان ذلك ليس من خصائصنا بل هو من خصائص الرئيس الذي هو الكولونيل ستيوارت وقفل الرسولان راجعين الى الجزيرة ومعهما رجلان من الثلاثة الذين جرت المحادثة معهم ورغب الرجل الضرير ان يسير معهما فसार السكل واجتازوا النهر على الزورق ولما مثلوا بين يدي ستيوارت اعادوا ما قالوه لرسوليه اللذين ابلغاه ما دار بينهم من الحديث وما كان من أمر حلفهم على المصحف فلم يرتب في انهم صادقون في كل ما قالوه فامنهم على انفسهم وبالع في اكرامهم والاحتفاء بهم واعادهم الى قريتهم وقضى تلك الليلة في الجزيرة وفي صباح الغد جاءه الرجلان اللذان كانا عنده بالامس وقالوا له ان

شيخ قريتنا المدعو سليمان بن نعمان بن قركان مسافرا في بعض شؤنه
وقد آب من سفره بعد عودتنا من عندكم بالامس وقد احضر نوقا لملاكم
عليها الى دنقله وان النوق في انتظاركم على الضفة الشرقية فاجتاز الكولونيل
النهر ومعه القنصلان وخمسة ثلاثون ملاحا من خدام الباخرة واربعة جنود
طوبجية وثلاثة موظفين ملكيين هم حسن حسنين ومحمود حلمي غراب
وثالث قبطي كان كاتباً ايضاً وبعد ان نقلوا متاعهم الى الضفة وجدوا بها سبع
نوق وقيل لهم ان غيرها سيأتيكم على الفور وجلسوا منتظرين بقية النوق
ولما انتصف النهار جاء من القرية رسولان قابلا الكولونيل وقالاه
ان شيخ البلد يدعوكم لمأدبة ادبها اكرما لكم فلبس ملابسه كأنه مدعو
لمأدبة في بلاد آمنة ولم يأخذ لنفسه أقل حيلة وسار معه القنصلان وحسن
أفندي حسنين ليترجم بينه وبين الاهالي

ولما اقتربوا من القرية قابلهم الاهلون بالبشاشة والترحيب وادخلوهم
الى أودة كبيرة وجدوا بها نحو خمسين شخصا متزيين بزي التجار فرحبوا
بهم واجلسوا كل اثنين على (عنقريب) ثم هناؤهم بالسلامة وخرجوا من
عندهم بعد أن وعدوهم باحضار النوق لملهم الى دنقلة
وبعد خمس دقائق عاد الخمسون رجلاً وبايديهم الاسلحة من الحراب
والبلط الصغيرة ووضعوا السلاح في رقاب الكولونيل ستيوارت والقنصلين
فسقطوا قتلاء يتخبطون في دماهم واصيب حسن أفندي حسنين بجروح
عديدة سقط منها يتخبط في دمه فظنوه قد فارق الحياة مثل رفيقائه الثلاثة
وتقدم نحو اربعمائة رجل من القرية الى شاطئ النهر وذبحوا جميع الذين
كانوا هناك من رجال الكولونيل ستيوارت وجمعوا ما عندهم من الاوراق

وارسلوها الى محمد الخير حاكم بربر من قبل المهدي فاسرع بارسالها الى المهدي الذي كان وقتئذ قد غادر الرهد ونزل في جهة (شاة) القريبه من النيل الابيض فسر بها واطلق المدافع سرورا بهذه البشرى وارسل الي غردون بكتاب يدعو فيه الى التسليم ويعلمه بما اصاب ستيوارت ووضح ملخص جميع الكتب والرسائل التي كانت صحبة الكولونيل ستيوارت وقد اضربنا عن ايراد ذلك الكتاب اكتفاء بملخصه

هذا وقد كان الخمسة درويش الذين تاثروا الكولونيل ستيوارت من بربر قد وصلوا الى قرية السلامانية واشتركوا مع سكانها في هذه المذبحة أما تدير الحيلة على الوجه الذي بيناه فقد دبره شيخ القرية سليمان بن نعمان ابن قمر وسيأتي في هذا الكتاب ذكر قتله انتقاما عن هذه الفعلة الشنعاء ولا بد من ايراد شيء في هذا الباب من ترجمة سليمان بن نعمان فنقول . هو زعيم قبيلة اولاد قمر من بطون قبيلة الرباطاب التي تقدم ايراد ترجمتها وهي من قبيلة الجميلين التي تكلمنا عنها آنفا

وأما حسن افندي حسنين الذي نجا من هذا الخطب فانه لما قلبوا القتل وسلبوا من الكولونيل ستيوارت ملابسه وكذلك القنصلان والقوا بمجثمهم الى الصقور والكلاب وجدوا حسن افندي حسنين حيا فتآمروا على قتله فشفع فيه الرجل الكفيف البصر والرجلان اللذان رافقاه الى الكولونيل ستيوارت فقبلت شفاعتهم واستلمه احد المشايخ كاسير لديه وكلفه برعى اغنامه مع ما كان يقاسية من آلام الجروح التي كان يضمدنها ويعالجها في غضون اشتغاله برعى الماشية في القلاة ثم ارسل محمد الخير حاكم بربر يطلب ارساله اليه فقيده وساقوه مكبلا بالحديد حتي بلغ بربر مقر هذا

الحاكم فزجه في السجن حتى تشفع فيه كوستي الايطالي فاطلق بكفالاته
وسنذكر قصة كوستي فيما سيأتي

وبعد خلاص حسن حسنين من سجن محمد الخير لحق بام درمان ثم
غادرها الى كسلاكي يفر منها الى مصر وقد كان شرع في الهروب مع زوجته
وابنه فافترست السباع وزوجه وابنه ووقع أسيراً بين مخالب المهدويين فسجنوه
ثم وجد سيلا الى النجاة واللاحاق بام درمان حيث أقام بها الى حلول الحكومة
بها ثم عاد الى وطنه مصر واجتمع باهله الذين حسبوه في عداد الاموات
بعد طول زمان الفراق وقد رويانا عنه هذه الحادثة وتأت كدنا صحتها من
التفاصيل التي وصلت للمهدي

على ان هذه القصة يظهر منها أن بعثة ستوارت كانت آخر سهم في كنانة
غردون وآخر عمل كان يأمل من خلاله النجاح ولذلك وقع عنده خبر قتله
موقعاً سيئاً للغاية وزاد الطين بلة وقوف المهدي على كثير من الكتب والرسائل
التي كانت مكتوبة باللغة العربية وان قاته الوقوف على أمثالها التي باللغات
الفرنسوية والانكليزية وكان غردون متخوفاً من ان يكون كوستي
أطلع المهدي على مفاتيح الشفرة مما يدل على ان الكتب التي كانت
حوت من الاسرار ما هو أهم من التي كتبت باللغة العربية واطلع
عليها المهدي

ولما عاد القائم مقام عثمان حشمت بك الى الخرطوم أخبر غردون بانه
اضطر الى الاقلاع بالباخرتين قبل مضي الاربع وعشرين ساعة وذلك لانه
خاف مناوشة المدو ولكن التحريات حققت كذبه وان لا مناوشة اضطرته
الى مخالفة الاوامر فحكم امام هيئة عسكرية حكمت باعدامه وتجريده من جميع

رتبه وألقابه ونياشينه الا أن غردون اوقف تنفيذ هذا الحكم وأبقى المحكوم عليه في وظيفته وعمله مراعاة لظروف الاحوال التي كانت ماسة لتمطيل هذا الحكم والاستفادة من وجود مثل هذا الضابط الذي كانت الحامية تكبر فقده لو انفسد عليه الحكم وكيفما كان الامر فان غلطة هذا الضابط لم تكن السبب فيما أصاب الكولونيل ستيوارت بل كانت السبب في وقوع التجار أسرى في يد الدراويش وما أصاب باخرة ستيوارت كان لا يستطيع دفعه الا لو ساعده القدر وقبل نصيحة غردون واصطحب معه الزورقين فكان يمكنه بواسطتهما اللحاق بحدود دنقله

على انه لو حمل ماخف من متاعه وأبحر على الزورق الذي كان لديه لاستطاع النجاة والعودة الى خلاص بقية رجاله من تلك الجزيرة التي كانت له معقلا طبيعياً يرد عنه كل من رامه . وكان رجاله يستطيعون البقاء والدفاع ريثما تصل اليهم النجدة من حدود دنقله لو لم يتعجل بالقاء المدفع والذخيرة في قاع النهر وزد على ذلك ما سردناه من عدم رويته وتسرعه في الامور ورفضه كل مشورة عرضها عليه رفقاؤه وعدا هذا وذاك فانه لو أرسل بضعة أشخاص من رجاله على الزورق لجاءه المدد من دنقلة ولم يقع في الاشراك التي نصبها له أولئك الغادرون

والحاصل ان مأمورية ستيوارت وما تخللها من الحوادث جاءت ضغناً على ابالة حيث قضت علي كل أمل بانقاذ الخرطوم من الوقوع تحت طغيان المهدي وشجته على التقدم الى الخرطوم بجنان ثابت وعزم ماض ليم ماأراده الله وينفذ ما قضاه والامر لله

ذكر اخبار كوتسيه الايطالي

كان كوتسيه خادماً للمسيو ماركيه قنصل فرنسا في الخرطوم فأرسله في تجارة الى بربر

ولما هلكت حملة الجنرال هكس هاجر ماركيه من الخرطوم وخلق بمصر نخلة في وظيفته الموسيو هر بن الذي ذكرنا قتله مع الكولونيل ستيوارت ولدى مروو غردون على بربر استبقاه بها كجاسوس يرفع اليه الاخبار بالارقام وسلمه مفاتيح الشفرة ليخاطب بها الوكالة البريطانية إن دعت الحالة الى ذلك

ولما اقترب محمد الحير من بربر فرّ كوتسيه الى مصر فقبضت عليه بعض قبائل من اللائي دخلن في دعوة المهدي وساقته أسيراً الى محمد الحير

ولما أوقف بين يديه عرض عليه اعتناق الاسلام فلم يقبل فأرسله مع حراس أوصلوه الى المهدي الذي عرض عليه الاسلام فقبله ونطق بالشهادتين مدعيًا انه رأى من كرامات المهدي ونور وجهه ما دعاه الى قبول الاسلام ديناً وتغالي امام المهدي في الدهاء والترهات حيث قال للمهدي انه رأى من أنوار طلعت من مآثر فؤاده وحبب اليه الاسلام فعرض عليه المهدي حمل رسالة منه الى غردون وطلب منه ان ينصح غردون بالتسليم له ويخبره بما رآه من كراماته فاجابه كوتسيه وحمل الكتاب الى الخرطوم ودخل الخرطوم فسأله ضابط الحامية عن سبب مجيئه فقال جئت لانصحكم بالتسليم للمهدي وأخذ يسرد له ما حمله من رسالة المهدي فأسكته الضابط وأسرع بابلاغ غردون أمره على لسان البرق فأرسل غردون اشارة برقية قال فيها اذا لم

يكن كوتسيه راغباً في البقاء معنا فليرجع من حيث جاء فقال كوتسيه لاسبيل الى
الاقامة مع الكفار وقفل راجعاً الى المهدي في كوردفان فتلقاه بالاكرام
واغدق عليه العطاء وسماه محمد يوسف كرجته وأهداه جارتين وعبيدين
وناقتين واعاده الى بربر وأوصي محمد الخير بمراعاته وأجري عليه راتباً شهرياً
يقوم بضرورياته

هذا وقد كتب غردون في مذكراته عنه شيئاً كثيراً وتخوف
ان يكون سلم للمهدي مفتاح الشفرة وغاية ما يقال عن كوتسي انه رأى
مع قصر نظره ان وقوع السودان تحت قبضة المهدي ضربة لازب وان
ظهوره بهذا المظهر أسلم عاقبة من بقائه على ولاء غردون. وليس بصحيح
ما قيل عن تسليم بربر انه كان بخيانة منه لانه فر منها قبل ان يحصرها العدو
وقبض عليه في الطريق وهو فار الى مصر وبقي في أسر المهديين الى يوم استيلاء
المصريين على أم درمان فغادرها الى مصر

وصول عبد الرحمن النجومي الى الخرطوم

لما وصلت كتب الحاج محمد ابي قرجة الى المهدي وعلم منها ما اصاب
أبا قرجة من الهزيمة والفشل انتدب عبد الرحمن النجومي وكيل الراية البيضاء
ومعه ستون راية يتبع كل راية نحو الف مقاتل يخضعون الى أمير وينحضع
هذا الامير لعبد الرحمن النجومي وضم اليه عبد الله بن النور ومعه عشرون
راية على مثال رايات عبد الرحمن النجومي واعطاه مدفعاً من الكروب
وست مدافع جبلية وأصدر اذنًا عاماً لكل من رغب في مرافقة عبد الرحمن
النجومي من قبائل السودان الاوسط ان يرافقه فصار عبد الرحمن النجومي

من كوردفان بجيش يربو على الستين ألفاً سلاح جلهم الحراب والسيوف والمزاريق وعنده نحو عشرة آلاف من العبيد (الجهادية) مسلحين بالاسلحة النارية ونحو عشرة آلاف فارس ومكث بضعة أسابيع في جنوب الخرطوم مشتتلا باجتياز النهر الابيض من الضفة الغربية الى الشرقية وفي أواخر ذي الحجة سنة ١٣٠١ وصل الى الجريف ووضع معسكره عند قرية الكلاكله المتوسطة بين النيلين الازرق والابيض وتجاه نقطة الوسط من استحكام الخرطوم ليكون المعسكر نائيا عن مقذوفات البواخر التي كانت لا تنفك عن مناوشة مواقع الدراويش واغلاق راحتهم وهي كما قدمنا كانت من أقوى الاسباب التي ساعدت محمد علي باشا على هزيمة الدراويش وقائدهم أبي قرجة يوم واقعة الجريف

وقسم جنده الى ثلاث معسكرات وأصلح طوابي الجريف وزاد عليها وعهد بالدفاع عنها الى عبد الله النور وشاد طوابي في قرية (الفرقان) وتولي الدفاع عنها بنفسه واحتفر متاريس بالقرب من النيل الابيض وعهد بالدفاع عنها الى أحد القواد

وعلى ذلك فيكون عبد الله النور بازاء استحكام (برى) على النيل الازرق والمدافع عنه من حامية المدينة اللواء السوداني الاول وقومندان الميرالاي بنحيت بطراق بك وهو ضابط سوداني ترقى تحت السلاح . وطوابي الفرقان حيال نقطة القلب من استحكام الخرطوم وهذه النقطة مقر قومندان الجنود العام فرج باشا الزين كما ان طوابي الدراويش المحاذية لها تحت امره قائدهم العام عبد الرحمن والحامية القائمة بالدفاع في هذه النقطة خليط من جنود نظاميين وأتراك غير نظاميين ومتطوعة من المصريين سكان المدينة

وأما الحامية التي تقابل متاريس العدو من جهة النيل الأبيض فإنها
مؤلفة من اللواء الخامس المصرى وبعض جنود من الباشبوزق وقومندانها
اللواء محمد نصحي باشا

وفي نقطة القلب باب كبير عليه برج من الحديد المصفح تحيط به جملة
طواب وعليها مدافع من طراز كروب ومن الطراز الجبلى
ولما وصل عبد النجوى وجموعه الى ضواحي الخرطوم أرسل بكتاب
الى غردون يدعوهم فيه الى التسليم وتوعده بالويل والثبور اذا امتنع عن
الاجابة وكانت قد وصلت الى غردون أخبار تدل على ان جنود ابن النجوى
واقعة فى مجاعة شديدة بسبب أن أهالي القرى التي حوالى الخرطوم هجروا
قراهم خوفا من غارات المصريين واعتصموا بالفلوات وأوغلوا فيها ولذلك لم
يجد النجوى فى طريقه من يقدم له الاغذية فكتب الى أهالي القرى
يدعوهم الى العودة الى قراهم ويضعف لهم قوات المصريين حيال قوته وان
الحامية التي فى الخرطوم سوف يرون بأعينهم ما يحل بها من بطش مقاتلته
فأخذ الاهلون يتراجعون الى قراهم وبعد حين صار ابن النجوى وجيشه
يتحصلون على ما يقتاتون به من الحبوب واللحوم

وفي غضون اشتداد المجاعة على ابن النجوى وجيشه أرسل غردون
كتابا برسم النجوى وعبدالله النور وأرسل نحو خمسمائة أقة من الخبز المجفف
(البسماط) بصفة هدية لهما وهدية أخرى من اللحم المصنوعة من اللجين وفى
الكتاب استهزاء بهما حيث قال لهما انكما جئتما لحصارنا وقتلنا مع انكم فى
نهاية الحاجة الى القوت فاشفاقا عليكما أرسلت لكما بهذا الغذاء وهذه الهدية
فردا عليه بكتاب وجيز جاء فيه بعد الديباجة ما يأتى

لا نقول لك الا كما قال سليمان بن داود عليهما السلام لبلقيس لما وصلت
هديتها « أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون
ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون »
وتراجع المهزمون من جماعة أولاد الشيخ العبيد وعسكروا في الحلقة
كما كانوا واحتفروا المتاريس فكانت مقذوفاتهم تصل الى منازل المدينة وشوارعها
وتلحق الضرر بالسكان وتميت كثيراً منهم في كل يوم
وكان بين الطوبجية الذين مع ابن النجومي رجل اسمه محمد سلامه وهو
من الذين نجوا من مذبحة الجنرال هكس فقال له عبد الرحمن النجومي صوب
قنابل مدفع الكروب الى منارة مسجد الخرطوم والي سراي غردون
فاعتذر له بان هذه المسافة بعيدة عن المحدود لوصول مقذوفات هذا المدفع فقال
بعض الدراويش صوب المدفع وبركة المهدي تكفل اتمام الناقص فكان جوابه
انها لا تكفل أبداً فخنقوا عليه وشكوه الى ابن النجومي الذي أمر بضرب
عنقه فمات وأخذ الطوبجية الآخرون يرمون المقذوفات في المدينة التي كانت
تشم كل يوم بزيادة الضيق وتحسن بالغلبة والسقوط الذي وراءه كل البلاء
والمصائب وثبتت اقدام العدو وصار من المتعذر طرده وانسدت أبواب الآمال
في وجوه غردون ومن معه

ذكر مغادرة المهدي الرهد الى الخرطوم

لما فشل المهدي في محاربة جبل الداير وكان ذلك في أوائل شهر رمضان
سنة ١٣٠١ هجرية أعلن انه ينوي الاعتكاف للعبادة في أول يوم من العشرة
الآخيرة من شهر رمضان فلا يخرج من الاعتكاف الا لصلاة العيد

وفي يوم العيد اعلن ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالتقدم الى الخرطوم
ووعده بالفوز على من فيها من الحامية وبشره بفتحها ومن ذلك اليوم زحفت
جيوشه كسيل العرم على الخرطوم وسار هو حتي قطع القلاة التي بين كوردفان
والنيل الابيض وعسكر في قرية (شاة) على مسافة بضعة أميال من النيل
الابيض وعلى مسيرة ثمان مراحل من الخرطوم
أما جيوشه فكانت زهاء ستمائة ألف مقاتل فشت بينهم المجاعة
والامراض كالجدري والاسهال

ونشر المنشورات على الناس يدعوهم الى الجهاد ويعدهم بالنعم في الدار الآخرة
لما يقاسونه من التعب وشغف العيش وقضى باهدار دم من تخلف عنه فاي
الناس مطالبه وساروا معه بحيث كانوا أطوع له من بنانه بالرغم عن الشدائد
التي كانوا يقاسونها



وفود أوليفر باين الفرنسي على المهدي

بينما كان المهدي سائراً في القلاة من الرهد الى شاة بلغه ان سفيراً قادم
اليه من فرنسا وقد جاءت اخباره مكبرة حتى قيل انه امبراطور فرنسا وقال
آخرون انه من أقارب جلالة الملكة فيكتوريا

ولما أوقف باين امام عبد الله التعايشي وراه قد لبس جبة مرقعة
وعمامة كالدراويش أخذ يتكلم مع التعايشي بالعربية فلم يفهم كلامه لما في
لسانه من عقدة المعجمة فاستدعى سلاطين باشا وقال لبين تكلم معه بلغتك
فخياه بالانكليزية ظناً منه انه انكليزي وقال له أتعرف الفرنسية فقال له
سلاطين تكلم فيما أنت فيه وعرفه باسمه فارتاب عبد الله التعايشي وانتهرها

فارتاع سلاطين واجاب التعايشى بقوله « اتى اخبرته بان الله اعطاك علم ما يضره كل انسان وانك والمهدي لا يخفى عليكما شىء من هذه الضمائر » وكان حسين باشا خليفة حاضرا فقال لسلاطين صدقت ودعا لعبد الله التعايشى بطول البقاء فسر عبد الله التعايشى والتفت الى سلاطين وشكره على اخباره باين بامر اطلاعه على الضمائر وأوصاه بان يجتهد في سبر غور الرجل والوقوف على باطن أمره.

وطفق باين يكلم سلاطين بالفرنساوية وسلاطين يترجم للتعايشى فقال اتى منذ حادثة سنى أحب السودانين وكذلك كل موظفى الفرنساويين يحبون السودانين وأن الامة الفرنسية تبغض الامة الانكليزية التى احتلت مصر وارسلت غردون أحد رجالها الى الخرطوم وقد أتيت لاعرض عليكم مساعدتى ومساعدة قومي وانتهى الامر بان قدم التعايشى باين الى المهدي الذي رفض قبول مساعدته وأبقاه بمنزل سلاطين باشا حتى توفي بالحمى التيفوسية

ذكر وصول المهدي الى ام درمان

في أوائل شهر محر الحرام افتتح سنة ١٣٠٢ من الهجرة الشريفة ارسل المهدي الى اتباعه منشورا قال فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم بشره بفتح الخرطوم في هذه السنة وأن عدد جملة (نصر من الله وفتح قريب) بالجل الكبير يبلغ الفا وثلاثمائة واثنين

ولما اقترب من ام درمان وضع معسكره العام عند مكان اسمه (الفتيح) على بعد نحو عشرة أميال من معقل أم درمان وارسل جاسوسا يحمل نحو الف نسخة من كتاب يدعو به أهل الخرطوم الى التسليم له ووضع الكتب

في اثناء صفيح على شكل ابريق احتمله هذا الجاسوس وسبح به في النهر الابيض حتى وصل الى شاطئ المدينة حيث لا حراس يقومون بحراسة الشاطئ من جهتي النيل الابيض لاتساعه وانما وضعت الجنازير فقط في المضائق لمنع السفن البخارية أو الشراعية من الوصول الى المدينة

ووزع الجاسوس الكتب والتي بعضها في الطرقات والازقة والمنازل ثم اختفي في المدينة حتى قفل راجعا من حيث جاء ولم يتيسر القبض عليه ومن ثم امرني غردون بوضع عسس في شواطئ النيلين الازرق والابيض وانقطع وقوع مثل هذه الحادثة وضبط العسس كثيراً من جواسيس المهدي وكان غردون يأمر باطلاقهم ولا يسمح بمعاقتهم وهما في صورة الكتاب المذكور نقلا عن كتاب المنشورات

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى كافة أهالي الخرطوم هداهم الله الى الصواب آمين نعرفكم ان الله تعالى غني عن العباد. يهدي من يشاء الى طريق الرشاد . ويضل من يشاء ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً وقد طال ما تكررت منا النصائح واردنا نجاة عباد الله وسلوكهم طريق الله فاناب الى الله من أراد الله سعاده وخالف من خذله الله فاصمه وأعمي بصره فلا أدري ما الداعي الى عدم الاتقياء أو لله شركاء يستشيرهم فيمن يجعله مهدياً أم له منازع في ارادته . كلا بل هو القادر الفاعل لما يشاء فيجب على كل ذي بصيرة الوقوف معه على حد الادب ولا يلتفت الى غير لا وجود له من نفسه وان يسلم الامر لله اذ بيده التقلبات

واليه المصير. ومن المعلوم اني عبد دال على الله فمن اتبعني فقد حاز السعادة الكبرى ومن خالفني سيديقه الله عذاب الحزني في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وقد أظهرني الله رحمة للمؤمنين ونقمة على الملاحدين المكذابين وقد طالما ذكرتكم بالله ورغبتكم فيما عنده وحذرتكم من وعيده فالي متى الغفلة والتسويق والى متى مبارزة مولاكم بالمداوة ألم بأن لكم ان تميل قلوبكم الى ما ينفعكم في آخرتكم ويجلب لكم الخير ويصرف عنكم الشر والضير اترغبون النجدة والفرج عند الانكايز وتصرفون نظركم عن خالقكم الذي بيده أموركم وقوامكم وهو القوى العزيز فما الانكايز وغيرهم واضعاف مضاعفة بشيء في جنب قدرة الله التي يمجز عن وصف كنهها كل لبيب ونجيب. وما الفت الا من عند الله القريب المجيب. وحيث فهتم ما ذكر فاني لا أوأخذكم على ما فات منكم ولا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين فانيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون وعليكم أمان الله ورسوله وأمان العبد لله وليس عليكم حرج فيما مضى وغايته ان من سلم سلم. ومن خالف عطب وندم. فهاها ثم هيا الى طريق الفلاح والنجاح قبل قص الجناح ولا تخشوا من شيء يحصل عليكم فانا مناظرون فيكم قوله تعالى « واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوء ابجالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم » اه

هجوم المهدي علي ام درمان

لما كانت حملة الجنرال هيكس معسكرة في أم درمان حصنت نفسها

بمخندق مربع يتصل طرفاه بالنيل الأبيض قبالة نقطة (المقرن) التي يجتمع عندها النيلان الأزرق والأبيض بأزاء الخرطوم في الشاطئ الغربي ثم انشأ أحد الألوية خندقاً داخل الخندق في مكان مرتفع وما حوله منخفض وفي أبان ارتفاع النيل تصل مياهه إلى الخندق الصغير بحيث تستطيع السفن الرسو عنده بخلاف أيام الانخفاض فإن النيل يبعد عنها بمسافة ألف متر تقريباً

ولما وصل غردون الخرطوم أعجبه موقع هذا المعقل ورأي ضرورة وجوده لحفظ المدينة من جهة الغرب فشاد فيه أبراجاً وطوابي وضع فيها ثلاثة مدافع من الطراز الجبلي وأربعمائة جندي من النظاميين نصفهم من السودانيين والنصف الآخر من المصريين

وفي منتصف شهر محرم الحرام سنة ١٣٠٢ هـ هجم المهدي بجيشه كله على نقطة أم درمان فقاتلته الجنود بنيران حامية اضطرتهم إلى التقهقر بخسارة بضعة آلاف من مقاتلته فأحاط بالخندق الصغير واستولى على الخندق الكبير وقطع الأسلاك بينه وبين النقطة وشاد نحو عشرين طابية على ضفة النيل الأبيض وضع عليها مدافع الكروب والمترليوز والجبلي فكانت مقذوفاتها تقع في المدينة فشاد غردون طابية في (المقرن) أزاء هذه الطوابي وشاد في جزيرة «توتى» أيضاً طابية قبالة طوابي أم درمان

ومكث المهدي محاصراً أم درمان إلى أواخر شهر ربيع الأول سنة ١٣٠٢ وسيأتي خبر تسليمها له



واقعة الجريفة

في شهر ربيع الاول سنة ١٣٠٢ انفذ غردون حملة تبلغ ألف جندي نظامي وأربعة صناجق من الباشبوزق تحت قيادة البكباشي سليمان افندي النشار فهجموا على طوايي عبد الله بن النور في الجريفة حتي اذا اقتربوا من الطابية أصيب فرس محمد بك اسلام أحد الصناجق برصاصة قضت عليه واستولى الجبن على جنود الباشبوزق قفروا وانشلم ركن المربع لفرارهم وتكاثر الدراويش على الجنود الذين تقهقروا بانتظام فتأثروهم حتي اقتربوا من الاستحكام الذي انصبت مقدوفاته على العدو واضطرتة الي الفرار وخسر الجنود في هذه الواقعة مائتي قتيل

وأصيب عبد الله بن النور برصاصة قضت على حياته. وعبد الله بن النور هذا من قبيلة (العركيين) صاحب المهدي قبل دعواه وكان من خيرة أتباعه وأكبر قواده حتي قال عنه في «قدیر» انه يموت شهيداً يوم فتح الكوفة ولما اتصل بالمهدي خبر قتله كتب منشوراً قال فيه ان اسم (الجريفة) في بعض الكتب القديمة الكوفة ثم قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له من المؤمنین رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً فالذي قضى نحبه هو عبد الله بن النور والذي ينتظر هو عبد الرحمن النجومي

وجرت وقائع أخرى بين الحامية وبين ولد النجومي لا تختلف عن هذه الواقعة ولذلك أضربنا عن إيرادها

ذكر ارسال البواخر الى المتمة

كان في الخرطوم نحو تسع بواخر منها ما يبلغ قوته البخارية مائة وعشرين حصانا ولما ابتدأ الحصار حصنت هذه البواخر بصفائح من الفولاذ وضعت باطرافها صناديق مملوءة بالآتربة لوقايتها من المقدوفات وكان سعادة محمد نصحي باشا قائداً للواء المصرى الخامس فرقى الى رتبة اللواء وعين قومنداناً للبواخر الحربية وخلفه في وظيفته الميرالاي حسن بك البهنساوى وسار محمد نصحي باشا بالبواخر الى سنار وعاد منها بأفلال لغذاء الحامية كما تقدم ولما أخذ النيل في الانخفاض أرسل غردون البواخر الى المتمة تحت قيادته ومعه الصنجق خشم الموس بك الذى صار بمعدن خشم الموس باشا ومكثت البواخر في المتمة بضعة شهور تنسم أخبار الحملة الانكليزية وتتردد بين المتمة وبربر حتى سقطت الخرطوم قبل ان يراها الانكليز

ذكر المجاعة في الخرطوم

لما كانت حملة الجنرال هيكس ذاهبة الى كوردفان أعدت الحكومة نحو مليونى أقة من البقسماط لغذائها وعهدت توويردها الى جماعة من التجار واتفقت معهم على ان يكون ثمن الاقة ثلاثة قروش مصرية ولما ذبحت هذه الحملة وأصدرت الحكومة الخديوية الامر العالى القاضي بترك السودان واخلاء الخرطوم من الحامية واتلاف المنقالات كان من البديهي ان مثل هذا القدر من الميرة لا بد من اتلافه وتقديمه طعمة

لاسماك النيل وكان بعض التجار لم يوردوا ما بقى من المقادير التي تعهدوا بتقديمها فاعتنم حسين سرى باشا الذي كان وكيلاً للحكمدارية قبل وصول غردون الى الخرطوم هذه الفرصة واستدعى أولئك التجار واتفق معهم على ان يتجاوز لهم عن نصف قرش في كل أقة ويؤدوا اليه الثمن فوراً وهو يأمر أمين المخازن أن يكتب لهم ورقة الحصم التي يقول فيها ان هذه المقادير سلمت اليه ووضعت في المخازن ويكتب حسين سرى باشا على ورقة الحصم حوالة على مالية مصر وقد بلغ ما تناول ثمنه بهذه الحياثة ستمائة ألف أقة من البقسماط يقدر ثمنها بمليون ونصف من القروش اي نحو خمسة عشر ألف جنيه ثم جاءت الحوادث بخلاف ما كان ينتظره حيث لم تنجل الحامية عن الخرطوم ولم ي تلف مافيها من الذخيرة والميرة وابتدأ الحصار وكان غردون يظن ان مافي الدفاتر والاوراق الرسمية عن تقدير كمية مافي المخازن من البقسماط صحيح لا ريب فيه حتي أعلن خبر فراغ مافي المخازن وقبض على أمين الاقوات وشكل مجلساً من خمسين شخصاً من الاعيان والموظفين وظهر له ان مرتكب تلك الحياثة هو حسين سرى باشا وكيل الحكمدارية وانتهى الامر بأن غردون صمم على استعدائه من مصر ليعاكم على ما اقترفه من الاثم وبديهي انه لا يكون ذلك الا بعد اخذ ثورة المهدي ورجوع المواصلات بين مصر والسودان وكانت الحكومة دفعت مائة وخمسين ألف ريال الى حمد التلب وسبعة آلاف ريال الى النور ابراهيم الجريفاي ليوردا لها غلالاً من صنف الذرة سعر الارdeb أربعة ريالات فسافر حمد التلب مع حملة الجنرال وقتل معها وعهد الى وكيله توريد الغلال في مخازن الخرطوم فلم يفعل. أما النور ابراهيم الجريفاي فانه اغتال المال لنفسه وانضم الى اعوان المهدي واشترك معهم في حصار الخرطوم

وسياتي ذكره في أيام التمايشي وأنه صار أميناً لبيت المال
والخلاصة ان الفلال التي كانت في مخازن الخرطوم تبلغ نحو ثلاثين ألف
أردب وكان راتب كل جندي سبع أقات ونصفاً من البقسماط وأربعة
قراريط من الذرة

ويوجد حتى من أحياء المدينة فيه نحو أربعة آلاف نفس من الدناقلة
كانوا عالة على الحكومة وكانت تقدم لهم الضروري من القوت
وتفشت المجاعة في المدينة بصورة مريعة جداً حتي ان كثيراً من
السكان تورمت اطرافهم وصاروا لا قوت لهم غير ورق نبات اسمه (اللوية
العفنة) كانوا يطبخونه ويلعقونه وصار قوت الحامية من الصمغ مخلوطاً مع
جمار النخل وقد شوهد ان الذين يقتاتون بهذه الاصناف يصابون بالاسهال
وتظهر على وجوههم أعراض تشبه أعراض مرض اليرقان الاصفر ثم
تتناقص قواهم الجسمية في مدة ثلاثة أيام تعقبها أعراض الموت

ومن غرائب ما رأيناه في حصار الخرطوم ان حيادي السمك قبل
الحصار كانوا يصطادون في كل يوم نحو ألف قنطار من الاسماك ولما بدأ
الحصار انقطع وجود الاسماك كأنها فرت من قعقة البنادق وهزيم المدافع
حتي ان غردون اشتهى سمكة يتغذى بها قبل سقوط الخرطوم بأربعة شهور
فلم يتيسر الحصول عليها

وكما ان الاسماك هجرت شواطئ الخرطوم فان اراضي بساين المدينة
كانت تقوم بحاجة سكانها من البقول والفاكهة وفي إبان الحصار تلف كل
مزروعاتها ولم ينبت فيها شيء من البقول وذهبت أشجار الفاكهة
وتلاشت محصولاتها

وقد قاسى غردون من ألم المجاعة ما قاساه أصغر جندي من الحامية أو أحقر شخص من سكان المدينة فانه اضطر الى التغذى بجمار النخل حتى أصيب بتلبك معدى كاديودى بحياته وفي ذات يوم جاءني الطبيب اكسيوداكي اليوناني طبيب الحامية واخبرني بان مداومة غردون على تناول الجمار لا تحمد مغبتها وان صحته الآن على خطر كبير ولا بد من تدارك غذاء جيد له فكنت أتحصل له بعد كل يومين أو ثلاثة على دجاجة أو زوج من الحمام الطاعن في السن

ودخلت عليه مرة وقد قدموا له شيئاً من المرق وكان لم يطعم شيئاً منذ أربع وعشرين ساعة فلم يتناول من المرق الا قليلاً فألححت عليه في تناول كمية تقوم بتغذيته فامتنع وقال لي اني لا يهنا لي بال ولا تميل نفسي الى طعام مادام جنودى يموتون جوعاً وانني فعلت الواجب عليّ والله يفعل ما يشاء

وكانت أسعار القوت في المدينة حتى سقوطها كما يأتي ثلاثين ريالاً ثمن الكيلة من الغلة وعشرة ريالات ثمن الاقة من البقساط وخمسة ريالات ثمن الاقة من اللحم البقرى وكان بعض السكان يذبحون الحمر الاهلية والحكومة تماقب من يرتكب ذلك

على أن كثيراً من سكان المدينة كانوا في رغد من العيش والغلال مخزونة عندهم وهم يبالغون في اخفائها بطن الارض حتي التزمت الحكومة بتفتيش منازلهم ومقاسمتهم الغلال التي توجد عندهم فكانوا يتدمرون من هذه المشاطرة ويبدون الاعذار بكثرة عائلاتهم واضطرارهم الى القوت هذا وقد اختل نظام الجنود وفراكثر الجنود ولحقوا بالمهدي وكثير

منهم توردوا على ضباطهم وألقوا عصابات تعبت في المدينة وتسطوا على باعة
الأقوات وتختطف ما يرضونه للبيع من الأقوات وهذه الأسباب دعت
سكان المدينة وسرايتها الى الاحتفاظ على ما عندهم من القوت مهما عرض
المشترون عليهم من الثمن الباهظ

ذكر سقوط نقطة أم درمان

تقدم لنا ذكر هجوم المهدي عليها وما كان من أمر حصارها
وفي أواخر شهر ربيع الأول سنة ١٣٠٢ فقدت حامية أم درمان القوت
واشتدت وطأة الحصار عليها فاستدعاني غردون لمرافقته في صبيحة يوم ٢٧
ربيع الأول الى طاية المقرن تجاه نقطة أم درمان للمكاملة مع الحامية بالاشارة
فرافقته اليها ومكثنا بضع ساعات تتبادل الاشارة فعلمنا ان الحامية فقدت
القوت منذ ثلاثة أسابيع فسالنا قومندانها فرج الله باشا ان يوضح لنا عما اذا
كان قادراً على الخروج من الخندق واللحاق بالثلاث بواخر التي استقر الرأي
على انفاذها له في الغد فاجاب بانه قادر على ذلك فامرهم غردون باتلاف كل
الثقلات التي يتعذر حملها

ثم عدنا الى سراي الحكمدارية وهناك أخذنا الالهبة لاعداد الثلاث
بواخر وأخذت حامية أم درمان في الالهبة وقدّر أن ثلاثة من الجنود السود فروا
من الخندق ولحقوا بالمهدي وأخبروه ان الحامية ستأتيها البواخر في صباح
الغد وتحمّلها الى الخرطوم فاوصي قواده بالتيقظ لها فوضعوا لها كمينين
بين النهر والخندق

وفي صبيحة الغد وصلت البواخر الى شاطئ أم درمان فخرج عليها

الكمينان على غرة وأعمال السيف في رقاب الجنود الذين اضطروا الى العودة الى أم درمان بعد خسارة نحو مائة قتيل وعادت البواخر الى المدينة وفي منتصف النهار رافقت غردون الى طابية المقرن لمكاملة حامية أم درمان أيضا فلمنا ان سبب الفشل هم أولئك الجنود الذين لحقوا بالمهدي فاصدر غردون أمره الى القائد فرج الله باشا ان يسلم الحامية للمهدي فكتب اليه يسأله الامان فاجابه بكتاب صرح فيه بامانه وأمان أركان الحامية ولكن لم يوف به بل عذب الحامية وضربها بالسياط لتدل على ماخبأته من الاموال وفي اليوم الاخير من شهر ربيع الاول سنة ١٣٠٢ الذي ضرب أجلاً للتسليم ركب المهدي في عدد كبير من فرسانه حتى دنا من الخندق فخرجت اليه الحامية وتقدم الضباط نحوه فترجل لهم عن فرسه وجلس معهم على الارض وقدم لهم شرابا من العسل وعين فرج الله باشا قومندانها قائداً من قواده وضمه الى حمدان ابي عنجه قائد الجهادية وسيأتي ان فرج الله باشا هذا هو الذي قتل نجاشي الاحباش يوم واقعة القلابات

وهذا المذكور ضابط أسود كان بحامية فشوده وكان برتبة اليوزباشي فرقه غردون حتى أبلغه رتبة اللواء وكان ضابطاً لحراسة السراي ولم يكن أمر تسليمه ماساً بامانه ويظهر من فحوى كتاب المهدي الآتي ان فرج الله يعرفه منذ كان بجزيرة «آبا» وعلى كل حال فانه لم يقصر في واجباته ولم يرتكب أمراً يشينه وكما انه خدم الحكومة باخلاص فانه لم يخن الدراويش. وهاهي صورة الكتاب نقلا عن كتاب المنشورات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد

فمن العبد المفتقر الى الله الواثق بما عند مولاه محمد المهدي بن عبد الله الى
أحبابه المكرمين المعظمين وأهل الدراية وهم كبير المسكر وعظيمهم فرج الله
وصاحبه عبد النبي ومن انضم اليهم من الاكابر والاصاغر اعلما وتحققوا
أحبابي اني لست قائما هذا المقام الا لدعوة الخلق الى الله وسعادتهم الكبرى
ونيل مراتبهم العلية وتنفيذهم عما يضرهم من خسيس فاني للذات التي
تعقب طول الحشرات وقد بلغت ان المكرم المعظم فرج الله من ضباط
أهل فشودة الذين يحبوني سابقا وانا «بابا» من معرفتهم زهدي في الدنيا وصدقني
في الطلب لما عند الله وإرادة الآخرة ودلالي على الصلاح والفلاح وارشاد
العباد الى رضا الفتاح ليكتسبوا دائم المطلوب من النجاح فلا تظنوا اننا
نطلب أموالكم وما ملكت أيديكم ان سلمتم لنا وصرتم من أصحابنا فان
سلمتم لنا فقد حزنتم الكرم وصرتم من أصحابنا وأصحابنا الذين بشرنا سيد الوجود
صلى الله عليه وسلم بانهم كاصحابه رضوان الله عليهم وأدنى أصحابي رتبة ينال
مقام الشيخ عبد القادر الجيلاني عند الله تعالى وفيما ذكرته كفاية لاهل
العناية وأظن انه قد بلغتكم انذاراتي سابقا فلا فائدة في التطويل فان سلمتم
فقد عفوناكم ورضينا عليكم وكنتم من الاصحاب المكرمين الذين لهم عند
الله حسن المسكانة الابدية فلا تظنوا فينا الا نياكم منا كل خير فاني المهدي
المنتظر خليفة نبيكم صلى الله عليه وسلم فابشروا بالكرامة والفخامة ان
سلمتم لي واتبعتموني وليكن معلوما عندكم أحبابي ان من لم يصدقني ويتبعني
يعذب في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد واني موعود بملك جميع الارض ورأيتم
نصرتي في حال الضعف والقلة الى ان بلغت هذا المبلغ واجتمعت عندي
أسلحة راشد بك وولد الشلالي والهكس والابيض ودارفور وبحر الغزال

وجباخينهم وبشرت اني لو أردت لقبض الله سلاح الترك بحيث ان أصحابي يقتلونها ولا يقتلون ولكني اخترت توفيقا من الله ان ينال أصحابي الشهادة ويبلون في الله لينالوا عظيم المكانة عند الله كما في كتاب الله واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما علمتم ولتعتمدوا هذا زيادة كتبت هذا بخطي والسلام الخ

ذكر الاخبار التي تبودلت بين غردون والمهدي
لم يفتأ المهدي يدعو غردون الى التسليم له والخضوع لجبروته وقد عرض عليه جملة اقتراحات منها انه يسمح له ومن معه من المصريين بالنزوح الى مصر وترك الخرطوم على شرط ان لا يحملوا من متاعهم الا ما خفوا ان يؤدوا أجرة الجمال التي تحملهم الى حدود مصر
واقترح المهدي مرة على غردون ان يسلمه المدينة وفي نظير ذلك يسمح له بالعودة الى بلاده بدون قيد ولا شرط
وكان غردون يرسل الى المهدي الكتب تباعاً في بعضها الاستهزاء به وفي بعضها يقول له ان حكومة جلالة الملكة تقديه منه بعشرين الف جنيه فرد عليه المهدي بانه يسمح له بالذهاب الى وطنه بغير ان يتناول شيئاً من الفداء وفي بعض الكتب يخبره بتقديم الانكايزلا مداده ويؤكد له ان اجتماعه بهم مستحيل وانه موقن بقتلهم وغلبتهم كما حصل لملتى يوسف باشا الشلالى وهي كس باشا

وكان غردون قد انقطعت عنه اخبار الحملة الانكايزية ولم يكن يعلم بتقديمها نحوه الا من الكتب التي يرسلها له المهدي

وكان عبد القادر بن أم مريوم الذي تقدم لنا خبر خدعته لغردون
ولحاقه بالمهدي وصيرورته قائداً من قواده قد أهدر غردون دمه وجعل جائزة
لمن يأتيه برأسه ثم كتب غردون الى المهدي يقول له ان عبد القادر بن أم مريوم
صديقه الحميم وصاحبه القديم وانه يتمنى ان يكون رسول المهدي
اليه ليقدم له الخضوع والتسليم فظن المهدي لهذه الحيلة وخاف ان ينتقم
غردون من عبد القادر فصار يمدد برسالة ان جنح لمسالته وهذه صور الكتب
نقلا عن كتاب المنشورات

الكتاب الاول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن
العبد المعتصم بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الى غردون باشا هداه الله الى
طريق النجاة قبل ان يتلاشا آمين نعلمك ان جوابك رد المحرر منا وصل
الينا وفهمنا مضمونه وقد عذرناك في عدم اذعانك واجابتك لنا بالطاعة كما
طلبنا منك وذلك لانك لم تدر الحقيقة التي نحن عليها وبحسب مقامنا
ودلالتنا الى الله وشفقتنا على عموم خلق الله حتي من هو مثلك لم يطب قلبنا
بصرف النظر عنك ولا زلنا ندارجك عسى الله ان يهديك الى سواء السبيل
فاجب داعي الله واغتنم سلامتك من الشر الويسل فقد رأيت ما حل ونزل
ولا زلت تري ولا طاقة لك ولا لاعوانك بحرب جند الله عز وجل وقد
ذكرت أن عبد القادر ولد أم مريوم حبيبك وتقبل قوله ونصيحته وطلبت
ارساله لك فلي م ذا هل أنت منيب الى الله وقصدك التسلم لنا على يد المذكور

أم أنت على تصميمك في اعراضك ومعاداتك لربك فافدنا على هذا لنعلم طلبك
له هو علي أي الوجهين ونرسله لك ان راينا في ذلك صلاحا للدين واقول لك
ان عزة الاسلام خير لك وابقى لدوام احترامك في الدارين فتحل بها ان عقلت
والسلام ٢١ ربيع الاول سنة ١٣٠٢



الكتاب الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد
فمن العبد المفتقر الى الله المعتمد به محمد المهدي بن عبد الله الى الفردون باشا
فسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان اعترضت كان عليك اثمك واثم من
معك فقد اتاني الخبر من الرسول صلى الله عليه وسلم أن الجردة الآتية لو
لو كانت ممي ستة أنفار تموت أو خمسة تموت أو واحد تموت أو وحدي
كذلك ولو كانت مثل ورق الشجر ونبت الوعر وموج البحر وقد اتاني خبرها
انها تموت أيسر من موت جردة ولد الشلالي والهكس والمديريات الغربية
كلها والبحر الابيض وكذلك موعود بجميع البلاد فالامر لله ومادام ان الله
القادر أيدي بالكرامات وبالنصر فلا يضرني انكار منكر وانما يضر نفسه
فقط والامر الذي أوعدت به من رسول الله صلى الله عليه وسلم جار على
ان الجردة التي تعتمدونها مالها وجه يوصلها لكم من سد الانصار الطرق فان
اسلمت وسلمت فقد عفونا عنك واكرمناك وساعمناك فيما جرى منك وان
أيت فلا قدرة لك على نقض ما أراده الله وستري والسلام ربيع أول سنة ١٣٠٢
«تحشية» وان طلبت زيادة بمد وصول جوابي هذا فتخبرك المرأة الواصلة

إليك وإن رأيت التمكن واليقين أن أردت التسليم أكثر من هذا الجواب
سنرسل لك عبد القادر ولد أم مريوم لزيادة الطمأنينة في الأمان فلا مانع
وبذا لزممت التحشية

الكتاب الثالث

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الوالي الكريم * والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم
(وبعد) فمن العبد المفتقر إلى الله محمد المهدي بن عبد الله إلى غردون باشا
وقاه الله كل شر لاشاء . فإن أراد الله سعادتك وقبلت نصحتنا ودخلت في
أماننا وضماننا . فهو المطلوب وإن أردت أن تجتمع على الإنكيز الذين أخبرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاكهم فنوصلك إليهم فإلى متى تكذبنا وقد
رأيت ما رأيت وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاك من في
الخرطوم قريباً إلا من آمن وسلم ينجيهِ الله ولذلك أحببت لك أن لاتهلك مع
الهالكين لانا قد سمعنا مراراً فيك الخير ولكن على قدر ما كاتبناك للهداية
والسعادة ما أجبنا بكلام يؤدي إلى خيرك كما نسمعه من الواردين والمترودين
والآن ما أيسنا من خيرك وسعادتك ولما سمعنا من الفضل فيك سنكتب
لك آية واحدة من كتاب الله عسى أن ييسر الله هدايتك بها إذ جعلنا الله
باب الرحمة والدلالة إلى الله ولذلك طال ما كاتبناك لترجع إلى وطنك وتحوز
فضيلتك الكبرى ولئلا تياس من الفضل الكبير أقول لك قال الله تعالى
« ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً » والسلام ٢٥ ربيع أول سنة
١٣٠٢ وقد بلغني في جوابك الذي أرسلته إلينا أنك قلت إن الإنكيز

يريدون ان يقدوك وحدك منا بمشرين الف جنيه ونحن نعلم ان الناس يتقولون من البطلان كلاما كثيراً ليس فينا وذلك لصدود من أراد الله شقاوته ولا يعلم نفيه الا من اجتمع بنا وأنت ان قبلت نصحنها فيها ونعمت والا ان أردت ان تجتمع على الانكليز فبدون خمسة فضة نرسلك اليهم والسلام في تاريخه

ذكر فرار الصنجقين عمر والعطا

كانت حالة المدينة وما أصابها من المجاعة مجهولة لدى المهدي لما كان يظهره له غردون من الجلد وكان ضمن جنود الباشبوزق صنجقان يقود كل واحد منهما مائتي جندي من الباشبوزق اسم أحدهما عمر ابراهيم والآخر العطا الدود الشايقي

وفي ذات يوم جاءني الاول وقال ان له قريبا في جيش المهدي ارسل له كتابا قال فيه ان الحملة الانكليزية وصلت الى جهة (ولد البصل) التي تبعد عن الخرطوم بمسيرة مرحلتين جهة الشمال وانه يتحمل مسؤولية عدم صحة هذا النبأ ثم طلب ان تدفع له مرتبات جنوده من صنف الجنيه الذهب خلافا للعادة المتبعة وقتئذ من صرف المرتبات من ورق البون ومن المسكوكات مما فاصدرت الامر بصرف مرتبه ومرتبات جنوده من صنف الجنيه الذهب وكانت ذلك نحو أربع مائة جنيه وكذلك أمرت بصرف مرتبات جنود العطا الدود من صنف الذهب أيضاً وبعد قبضهما عادا الى مواقفهما من الاستحكام

وما كاد الظلام يرخي سدوله حتى فرا ولحقا بالمهدي وأوقفاه على حالة المدينة وما تقاسيه حاميتها من وطأة المجاعة وفقدان القوة ثم اعلماه بمكان في طرف

الخندق من جهة النيل الأبيض هبطت عنه مياه النهر وهو مملوء بالاوحال
تستطيع جنوده ان يدخلوا من هذا المكان وأطلعاه على كل عورات الخندق
وارشدها الى الطريق التي يمكنه الدخول منها . وبالجمله فان هذين الخائنين هما
اللذان شجعا المهدي على محاولة فتح الخرطوم عنوةً ولولاها لظل محاصراً
للخرطوم لا يجسر على الهجوم عليها وأخذها عنوةً

ولما اتصل خبر فرار ذينك الخائنين بغردون استدعى فرج باشا الزيني
ووبخه على اختياره هذين الشقيين وشهادته باستقامتهما وبعدهما عن الميل
لجهة العدو ثم أمر باجراء تحقيق ظهر منه انهما كانا قد اشتريا من فرج باشا
وظيفتهما ودفعاً له ثمناً باهظاً ثم أمر بحفظ الاوراق حتى تسنح الفرصة
بمحاكمة هذا القائد وذلك لا يكون طبعاً الا بعد انقاذ الخرطوم



ذكر مآدبرة غردون لانقاذ الاوربيين

لما سقطت أم درمان وبرحت المجاعة بحامية الخرطوم استدعى غردون
قناصل الدول وأعيان النزلاء الاوربيين الى مجلس عقد بسراياه ثم اتفق الرأي
على انتدابي ومعى الاوربيون والقناصل لنهرح الخرطوم على باخرة صغيرة
اسمها (محمد علي) وتلاحق بخط الاستواء أو بالمتمة لتقابل جنود الانكليز
القادمين لانقاذ غردون غير أن أحد القناصل أبدى رأياً قال فيه ان للدراويز
طوابي وموانع على البحر الأبيض تجعل نجاة الباخرة من مقدوفاتهم مستحيلة وقال
ان اللحاق بالمتمة أقرب الى السلامة فوافق الحاضرون على رأيه ثم كتب لي
أمراً قال فيه « انه لمحتى اياك واعترافي بخدمك الجليلة التي أدتها لي أرى ان

أفانك بالنجاة مما وقعت انا فيه ولذلك انتدبتك لمرافقة الاوربيين والقناصل الى المتمة لاننى عالم باننى اذا أصبحت أسيراً في أيدي هؤلاء الاشقياء فلا تتركني حكومة جلالة الملكة وانها تقدم القناطير المقنطرة من الذهب فداءً لي وأنا أتمنى لك النجاة من صميم قواى يا عزيزي فوزى لانك اذا وقعت أسيراً في يدهم لا تفديك حكومتك ولو بدراهم قليلة »

وفي يوم الاربعاء ٤ ربيع الثاني سنة ١٣٠٢ صرفت لي الذخيرة والاسلحة وتسليح الاوربيون وكان هذا التدبير سرياً وأذعت بين الناس انهم عينوا بصفة عسس ثم اجتمعنا بمنزل قنصل اليونان نيقولا لوانديدي واجتمع معنا بقية قناصل الدول وأعيان رعاياهم فابدي الكل عدم استحسان هربهم مع بقاء غردون عرضة للخطر وودوا مساعدتى في اكرام غردون وحمله الى الباخرة ولو بالقوة ساعة السفر فاستصوبت رأيهم واتفقت مع حراسه وخدمه على حمله بالاكرام الى الباخرة وقت السفر وقد ضربنا أجلاً لهذا السفر منتصف ليلة السبت ٧ ربيع الثاني

وفي صبيحة يوم الجمعة ٦ ربيع الثاني تفقدت خط النار والقيت التنبيهات ثم عدت الى المحافظة واستدعيت القناصل والقيت عليهم التعليمات ليكونوا هم ورعاياهم على قدم الاستعداد عند منتصف الليل فقالوا نرى ان العدو قد رسخت أقدامه حوالى المدينة وان مدافعه ممتدة على كل مضائق النهر واننا نرى ان نتربص هنا نحو ثلاثة أيام ريثما تصل الجنود الانكليزية فذلك خير من محاولتنا الفرار الذى لا تكون عاقبة الاقدام عليه مضمونة فلم أقبل منهم هذا القول وأصررت على انفاذ ماقررناه أولاً فذهبوا الى غردون وعرضوا مقاتلتهم

عليه فاستدعاني وأمرني بالاذعان لما أشاروا به فكان ذلك
ثم أصبحنا يوم السبت ٧ ربيع الثاني والازمة في ازدياد الشدة والحامية قد
فقدت كل قوة تدفع بها العدو والى الله مصير كل شيء

ذكر سقوط الخرطوم ومقتل غردون

كانت الحملة الانكليزية قد وصلت الى النيل عند نقطة المتمة وانتصرت على
جيوش المهدي في آبار ابي طليح بين دنقلة والمتمة كما سيأتي ذكر ذلك في مكانه
ولما وصلت اخبار الحملة الانكليزية وانتصارها على اتباعه الى المهدي
كبر عليه الامر واستدعي خواصه الى مجلس عقده للمشاورة فيما ينبغي فعله
فذهب فريق الى وجوب زحف المهدي بنفسه على الحملة الانكليزية وقال
آخرون بل يترك المهدي حصار الخرطوم ويتجهق راجعا الى كوردفان فقام
ابو قرجة احد الامراء ومعه عبد القادر ساتي علي صم المهدي ورئيس نوابه
وقالا ان الانكليز لا يقصدون غير الخرطوم وانه اذا بلغ الخرطوم مائة جندي
انكليزي صار من المستحيل وقوعها تحت قبضتنا فالاولى بنا ان نحاول اسقاط
الخرطوم وفي اسقاطها وقوع اليأس في قلوب الانكليز الذين تقدم لمحاربتهم
بعد ذلك فوق كلامهما هذا موقع القبول عند المهدي واستحسنه

وشجع المهدي على ذلك ما علمه من عورات المدينة التي اطلعه عليها الصنجقان
عمر ابراهيم والمطا الدود فعقد نيته على اسقاط الخرطوم بالقوة والاقتدار
وفي صبيحة يوم الاحد ٨ ربيع الثاني خرج المهدي من كوخه يحمل
على رأسه مقطعا من الخوص مملوءا من الرمل ف تبعه الناس حتي انتهى الى
ضفة النهر فاحاط به الناس وهو لا يكلم احدا منهم واخذ يقبض من الرمل

بيده ويقذفه في النهر ويرفع صوته قائلاً « الله اكبر على الخرطوم » فيجاوبه من حوله بمثل مقالته حتي فرغ مافي المقطف من الرمل فالتفت الى من حوله وقال لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالهجوم على المدينة في هذه الليلة وان سقوطها في يده ضربة لازب ثم ركب زورقا واجتاز النهر الى الضفة الشرقية حيث قصد معسكر ابن النجومي

وبعد صلاة العصر ركب جملاً واحتشد الناس حوله فأتى على ابن النجومي وقال له ان النبي صلى الله عليه وسلم بشره بالاستيلاء على الخرطوم في هذه الليلة وأمره أن يقسم مقاتلته الى ثلاث فرق كقلب وجناحين ويكون هو في القلب ومعه الفرسان ويكون قائد الميمنة الحاج محمد ابو قرجة ومعه حملة البنادق ويكون قائد الميسرة محمد نوباوي شيخ قبيلة (بني جرار) احدي بطون قبيلة السكبابيش ومعه الاعراب والبقارة المسلحون بالحراب والسيوف وان يكون هجوم القلب على نقطة الوسط من الخندق عند البرج المعروف باسم (باب المسلمية) وهي مقر فرج باشا الزيني قومندان الحامية ويكون هجوم الميمنة على الخندق مما يلي النيل الازرق جهة (بري) ويكون هجوم الميسرة على الخندق مما يلي النيل الابيض عند المكان الذي انحسر عنه ماء النيل وتراكت عليه الاوحال وصار في الامكان الوصول الى المدينة منه وقد ذكرنا ان الصنجقين الحائنين عمر ابراهيم والعطا الدود الشايتي هما اللذان اطلعا المهدي على حقيقة

وقدم المهدي عمر ابراهيم المذكور الى محمد نوباوي قائد الميسرة بصفة دليل يرشده الى ذلك المكان ودفع اليه شخصاً آخر اسمه بدوي الدنقلاوي وكان كيالاً في الشونة بصفة دليل ثان

وأصدر المهدي الى محمد نوباوي أمراً قال له فيه ما يأتي
« لدى دخولك المدينة يجب ان تقصد سراي غردون على الفور وتبلغه
تحتي ثم تحافظ على حياته ولا تترك أحداً يعتدي عليه حتى توصله اليّ سالماً
بغير ان يصيبه مكروه » وخطب على الجمع قائلاً لا يتعرضن منكم أحد
الى حياة غردون بسوء لانني أريد أن افتدي به أحمد عرابي باشا ثم خطب
فيهم يحضهم على الجهاد ويذكرهم بنعيم الجنان وقال لهم في ختام خطبته احموا
الحشائش لالقائها في الخندق حيث تجتازون عليها وقفل راجعاً الى أم درمان
ومعه عبد الله التعايشي وترك الخليفين محمد شريف خليفة الكرار والخليفة
على بن حلو خليفة الفاروق واجتاز النهر آيياً الى أم درمان

وأصدر المهدي أمراً أيضاً الى حمدان أبي عنجة قائد جيشه في أم درمان
بإطلاق القنابل تباعاً على المدينة من عصر الاحد ٨ ربيع الثاني الى ظهر يوم
الاثنين ٩ من هذا الشهر وان يصبوب قنابله الى مضيق البحر لمنع أي باخرة
تقصد الجهة الشمالية

وقد اجتاز النهر من أم درمان الى معسكر ابن النجومي نحو مائة ألف
مقاتل من البقارة ليشاركوا في اسقاط المدينة وكلهم صاروا من مقاتلة
الميسرة لانهم مسلحون بالحراش والسيوف

هذا ما كان من أمر المهدي وأما حالة المدينة والحامية فقد أصبحنا يوم
الاحد وجو المدينة مكفهر والسماء متلبدة بالغيوم والشمس محجوبة عن العيون
والبرد قارس خلافاً لمادة الطقس في السودان اذ الجو يكون صحواً والشمس
بارزة بأشعتها المحرقة في كل أيام الشتاء وقد عد البسطاء تلبد السماء واحتجاب
الغزاة بما ينذر بالمطر في مثل ذلك اليوم كرامة من كرامات المهدي لان

أهالي تلك البلاد لا يمتطرون الا صيفاً والجو يكون في غاية الصحو زمن
الشتاء عندهم

وقد أثرت برودة الطقس واحتجاب الشمس على قوي الجنود وتركهم
كأنهم صرعى في مواقعهم على الخندق

وكان غردون ومعه قناصل الدول واقفين على سطح السراي ينظرون
بالنظارات الممظمة الى كثرة الدراويش الذين يجتازون النهر ويلحقون بمسكر
ابن النجومي وقد استنجدوا من تكوف الناس في صعيد واحد ان المهدي
لا بد أن يكون في معسكر ابن النجومي ولا بد أن يكون قدومه لشأن ذي
بال لانه لم يقدم على معسكر ابن النجومي منذ حل بام درمان

وفي منتصف النهار استدعاني غردون الى السراي وأخبرني بماشاهده
مع القناصل من كثرة اجتياز الدراويش للنيل وانضمامهم لمعسكر ابن النجومي ثم
قال لي هيا بنا نطوف حول الخندق ونفقد الجند فراقته الى الخندق وقضينا
أربع ساعات في التطوف حوله وكان يشجع الجنود ويحثهم على المقاومة
والثبات ويعدهم بوصول نجدة الانكليز في الغد فلم يلتفت احدا لقواله وكان
كمن يصرخ في بركة أو يطلب من الماء جذوة من النار اذا الساكر كما قلنا صرعى
لا حراك لهم فمدنا الى السراي وقد أخذ اليأس منا كل مأخذ واجتمع عنده
قناصل الدول لدى عودته وكان الليل قد اقبل ولا تزال السماء متلبدة بغيوم
حجبت نور القمر فقال غردون للقناصل لقد رأيتم تجمع العدو واني بتفقدى
الحامية وجدت الجنود قد فقدوا كل قوة وشجاعة يقدرون بها على حراسة
الاستحكام في هذه الليلة المشؤمة واني موقن بسقوط المدينة قبل أن يسفر
الفجر وقد كنت عملت ما في وسعي لا نقاذكم من هذا الخطب فتقاعدتم وأبيت

ليتم ما قضاه الله عليكم والى هذه اللحظة فاني أدعوكم لانتفاذ ما اتفقنا عليه أولاً
فها هي الباخرة تقوموا وسيروا بها ومعكم ابراهيم فوزي كما تقرر قبلاً عسى
أن يقرن سعيكم بالنجاح وتقابلوا الجنود الانكليزيه أما أنا فاني موقن بعدم
لقاتهم فأجابوه بأن نجاة الباخرة مستحيلة لان طوابي العدو قد تضاعفت
وزاد عددها اضعافاً علي الذي رأيناه يوم الجمعة وعلى ذلك فنحن هنا قاعدون
والله يفعل ما يريد ثم هموا بالانصراف فصالحهم كلهم قائلاً انني أبرأ الي الله
والعالم أجمع من تبعة أي داهية تلم بكم فقالوا نحن نشهد بما تقول فصالحهم
وملاصحه تدل على انه لا يتوقع لقاتهم بعد وشيعهم الى السلامك وكان يحني
رأسه ويحرك شفتيه فكأنه كان يقول « الوداع الاخير أيها السادة »
ولما عاد القناصل استدعاني الى غرفته وقال لي ما يأتي

« أنا موقن بوقوع الحادث الاخير على هذه المدينة في هذه الليلة وانني
كما علمت لم أدخر شيئاً من سعي في سبيل انقاذها ولكن لا أزال أشعر بتبكيت
الضمير الذي يؤلمني لتركى اهالي هذه المدينة الذين وثقوا بي وحاربوا معي
عرضة لانتقام المهدي ولو لم أكن طول حياتي اطلب رضا الله في كل أعماله
لا نتحرت تخلصاً من وخز الضمير لكن الانتحار ينافي التفويض والتوكل على
الله الفاعل لكل شيء ويوجب غضبه سبحانه وتعالى » وقد كنت خلال
هذا الحديث أنظر الى وجهه فلم أر غير الثبات كأنه متوقع وقوع حادث جلل
وقد لمحت في غضون محادثته ان صدره متجيش بالمبرات التي لم تكن
من جزع أو جبن بل هي كما قال من تبكيت الضمير وفي الختام ودعني مشياً
الي السلم خلافا لعادته المألوفة معي وقال عليك بحراسة البلدة بمن موك من
الاوربيين وانني أعلم ان ذلك لا يجدي نفعا ولكن تقوم بواجبنا لآخر لحظة

والله يفعل ما يشاء ثم قال لي انني ساصعد الى سطح السراي لاني أشعر
بانقباض فقلت له ان البرد قارس جداً فقال ليس علىّ بأس منه فودعته حوالي
الساعة الخامسة من الليل وكانت مناوشات العدو في ازدياد من جهة الخندق
ومن جهة أم درمان

وكانت الالعب النارية تطلق حوالي السراي تسكينا لخواطر السكان
وارهابا للعدو ولما خرجت من السراي قصدت دار المحافظة واجتمعت بالعسس
الاوروبي وتجولت معهم في المدينة وحوالي الجبهه خانه ثم عينت لهم مواقعهم
وأبقيت معي ثلاثين جندياً من المصريين وقصدت دار المحافظة أواخر الساعة
العاشرة فالفيت بها اشعارات فهمت منها ان لدى الحامية أخباراً بان العدو هلى
وشك الهجوم على المدينة فشرعت في تدوينها وكانت الساعة اذ ذاك احدى
عشرة ولم أفرغ منها حتى سمعت ضوضاء الدراويش قد دخلوا من جهة النيل
الابيض فجمعت الثلاثين جندياً الذين كانوا معي وأدركنا في الطريق ثمانية من
اليونانيين من العسس الاوروبي وقصدنا سراي غردون فبلغناها والفجر قد
ظهر ولم نكد ندنو منها حتى أبصرنا نحو عشرة آلاف من العدو محيطين بها
فتقهقروا راجعين الى دار المحافظة وما بلغناها الا بعد اللتياء التي وهناك قعد الجنود
في النوافذ وصوبوا البنادق على كل من اقترب منا حتى منتصف النهار حيث
أحاط بنا العدو واسلمناه أنفسنا وسيأتي ذكر معاملته الى ولسائر سكان المدينة
هذا وقد كان زحف العدو على المدينة كما شرحناه وكان القائد فرج
باشا واقفاً عند باب المسلمية ولما أحس بدخول الميسرة على الخندق مما يلي
البحر الابيض أمر بفتح باب المسلمية حيث فر منه بعد ان تنكر بملابس
جندي ومعه القائم مقام سرور بهجت وسنعود الى ذكر قتلها

ولما دخل محمد نوبابى المدينة قصد بكل مقاتلته سراى غردون وكانوا
زهاء مائة الف مقاتل فاطل غردون من النافذة ونظر اليهم ثم قال لحراسه
لا تبدوا معارضة لاي أحد يريد الوصول الى وياكم ان تبدوا أقل دفاع
ثم تقلد كسوة التشريفة الصغرى التي هي ملابسه اليومية على الدوام وتقلد
سيفه ولبس طربوشاً وضع عليه رداءً حريراً (كوفية) وربطه بعقال كزى
الاعراب فدخل عليه محمد نوبابى وجماعة من مقاتلته فوجدوه جالساً على
كرسيه ممسكاً بيده منديلاً أبيض فابتدره أحد الدراويش وقال له اين أموالك
يا غردون يا كافر فتبسم ضاحكاً وقال له أين (محمد احمد) يقصد المهدي فابتدره
الرجل بطعنة في صدره خر منها صريعاً على الارض يتخبط في دمه ولكنه
لم يفقد الحواس من هذه الضربة

ونقل لي أحد الحاضرين انه سمع واحداً من الدراويش صاح بالذى
طعن غردون وقال له لا تقتله بل أبقه كما أمر المهدي فاجابه القائد محمد نوبابى
بقوله ان الخليفة التعايشي أمر بقتله وكان صوته خافتاً حين نطق بهذه العبارة ثم
سحبوا غردون من رجليه ولم يكن قد فقد الحواس ولا قوة النطق حتي
قيل انه كان يتبسم وهو مسحوب على وجهه ثم انزلوه الى حوش السراي
وهناك قطعوا رأسه وارسلوها الى الخليفة محمد شريف الذي كان وقتئذ في
جامع الخرطوم فانتدب محمد بن عبد الكريم من أقارب المهدي فركب الباكسة
اسماعيلية وأوصل رأس غردون الى المهدي الذي انكر قتله وصاح قائلاً لما
ذا قتلتموه ألم أنهيكم عن قتله فقال له التعايشي ان قتله خير من استحيائه فبدت
على المهدي علامات الغضب وأسرع بالقيام ودخل الى منزله ونصبت رأس
غردون على خشبة طولها متران وأخذ النساء والصبيان يرمونها بالحجارة

ويهيئونها بالبصق حتي تهشمت قطعاً صغيرة
وبلغ عدد القتلى من سكان الخرطوم يومئذ أربعة وعشرين ألف رجل
وثلاث نسوة وسنذكر معاملة المهدي لاهالي الخرطوم وانتقامه منهم
بمصادرة الاموال وهتك الاعراض بعد هذه . وما ربك بناقل مما
يعمل الظالمون

﴿ انتهى الجزء الاول من كتاب السودان بين يدي كتشنر وغردون ﴾

« ويليه الجزء الثاني وأوله قيام دولة المهدي في السودان »

{ كل نسخة من هذا الكتاب تكون مختومة بختم المؤلف

الذي هو هذا }



